

مَجَلَّة كُلِّيَّةُ الْآدَابِ



المجلدان الثانى والثلاثون والثالث والثلاثون
الجزءان الاول والثانى

مايو ، ديسمبر ١٩٧٠

ومايو ، ديسمبر ١٩٧١

مطبعة جامعة القاهرة
١٩٧٩

مجلة كلية الآداب



المجلدان الثانى والثلاثون والثالث والثلاثون
الجزءان الاول والثانى

مايو ، ديسمبر ١٩٧٠

ومايو ، ديسمبر ١٩٧١

تصدر هذه المجلة مرتين كل سنة ، في مايو وديسمبر ، وتطلب من
مكتبة جامعة القاهرة بالجيزة ، وتوجه المكاتبات الخاصة بالناحية
العلمية الى المشرف على تحريرها الأستاذ الدكتور عميد كلية الآداب
بجامعة القاهرة

فهرس القسم العربى

١	منهج احمد امين فى السبر ، للدكتور محمد رشدى حسن
٥١	مصر وبريطانيا فى اوائل الحرب ، للدكتور محمد جمال الدين المسدى
١٢٩	الوثائق القانونية المشطورة ، للدكتور حسن الطوه
١٤٩	دراسة فى ايكولوجية القرية المصرية ، للدكتور فاروق شويقه
١٧٩	الفروق الجنسية فى التوتى ، للدكتور سلى الملا
	تغيرات نسبة المدنية العامة فى دلتا النيل ، للدكتور عمر الفاروق سيد
٢١١	رجب
٢٨٥	ادوات الشرط فى اللغات السامية ، للدكتور فاروق جودى
	التقرير العلمى لبعثة الحفائر فى كوم اوشيم ، للدكتور سيد احمد
٣٠٩	الناصرى
	القصة على لسان الحيوان بين العربية والفارسية ، للدكتور محمد
٣٣٣	فتحى يوسف الرئيس
٣٤٩	مطبوعات معهد البحوث والدراسات العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

منهج أحمد أمين في السير

للدكتور / محمد رشدي حسن

كلية الآداب - جامعة القاهرة بالخرطوم

أولاً - المنهج

إن المنهج يختلف عند الكاتب الواحد من موضوع إلى موضوع - ويتفق المنهج والأسلوب في أن كلا منهما يعتبر مميزاً فردياً للباحث عن غيره من الباحثين - وقد يبلو هذا الكلام متناقضاً - فكيف يستقيم أن يختلف المنهج من موضوع إلى موضوع عند الكاتب الواحد - ثم يكون هذا المنهج المختلف كالأسلوب تماماً من ناحية كونه مميزاً فردياً للباحث عن غيره ؟ - الواقع ليس هناك تناقض إذ أتت هنا أنكلم عن المنهج الخاص الذي يختص بموضوع دون موضوع - ولا أنكلم عن المنهج العام أو الطريقة - فالمنهج العام هو الكيفية الشاملة التي يصوغ الباحث عن طريقها المقدمات والنتائج لأبحاثه - فنستطيع بناء على هذا التعريف أن نقول مثلاً - أن المنهج العام الذي يتبعه أحمد أمين يغلب عليه الطابع التركيبي - وإنني أقصد في هذه الحالة أن أبحاثه الأدبية والمقالية يغلب هذا الطابع التركيبي عليها ، ولكن حينما تفصل الموضوعات موضوعاً موضوعاً يبلو لنا المنهج الخاص أو الأسلوب .

وتتداخل في التركيب والتحليل مناهج نفسية واجتماعية يتصل بها الباحث ليقيم عليها موضوعاته .

ومن الممكن أن نحدد فوائد المنهج فيما يلي :-

أولاً : إتارة الطريق للباحث المقبل على موضوع بحثه فهو على ضوء المنهج العام يرسم حدود موضوعه .

ثانياً : توضيح الموضوع على أساس تشقيقه وتحليله لتركيبه مرة أخرى في نتائج مركزة .

ثالثاً : إرشاد المتلقي إلى أسلم الطرق لتلقى البحث بمقدماته ونتائج ، إذ أن البحث لم يكتب لمجرد التعبير وإنما كتب أيضاً لكي يلتقاء القارئ .

رابعاً : التنبيه على أهمية الزمان والمكان وأثرهما في إعداد البحث بطريقة تبادلية . .

خامساً : إلمام الباحث بالطريقة المنظمة لإظهار شخصيته ، فالباحث عليه ألا يكون نسخة أخرى من غيره وألا يكون كتابه طبعة أخرى لكتب غيره .

فكان المنهج العام حينئذ يلبو على القمة ويتفرع منه المنهج الخاص أو الأسلوب . ويختلف المنهج الخاص عن الأسلوب في تنوع وظائفه - فالأسلوب طريقة التشكيل والتصوير فقط - أما المنهج الخاص فيشمل هذه الطريقة مضافاً إليها طريقة التخطيط والتفكير .

فالمنهج الخاص أعم من الأسلوب وإن كان كل منهما يعرف بأنه هو الشخصية - فكل كاتب له منهج عام يتضح في كل موضوعاته مجتمعة - ولكن له في كل موضوع منهجه الخاص . وهذا الكاتب ذو المنهج ينمى مع عدة كتاب آخرين وإن كانوا مختلفي المناهج العامة تحت لواء (المدرسة) ، فالمدرسة تضم كتاباً مختلفي المناهج لكن متحدين في المبدأ والمذهب ، فهذه مدرسة الشعراء التقليديين تضم البارودي وأحمد شوقي وحافظ إبراهيم ، على اختلاف ما بينهم في المناهج . وقد عبر عباس محمود العقاد عن هذا الفهم حيناً قال (إننا لا نغنى بالمنهج ما يعنونه بالمدرسة الفنية أو الأدبية ولكننا نغنى أنه أسلوب كاتب في قصته أو مقاله وهو الأسلوب الذي لا يتشابه كاتبان فيه إلا كما يتشابه الوجهان في الملامح الواحدة ، فربما انتهى عشرون قصاصاً إلى مدرسة فنية شاملة ولكل منهم مع هذا منهج يختلف به مناهج الآخرين) (١) .

(١) بين الكتب والناس (مقالة للمناهج في فن القصة صفحة (٢٠١) عباس محمود العقاد طبعة مصر ١٩٥٢ .

ويلاحظ أن من يؤرخ لموضوع أو لشخصية يستخدم منهاجاً متناقضاً ، وهذا المنهج المتناقض لا عيب فيه ، فالأيام متغيرة والأحداث تتغير تبعاً لها ، فالكيفية التي يعالج بها المؤرخ عصر صدر الإسلام تتغير حين يتناول هذا المؤرخ عصر العباسيين وهذا الاختلاف قد يصل إلى حد التناقض — ولا يخلو منهج من المناهج من أن يكون تاريخياً — اللهم — ما كان منها متناولاً بتحليل نظريات جبرية أو عددية فهذه النظريات تعتبر حقائق إذا تناولناها مجردة — أما إذا تحدثنا عن أصحاب النظريات ففي هذه الحالة لا بد أن نتناولهم من ناحية هذا المنهج التاريخي الذي قد يبدو متناقضاً وقد وضح هذا الفهم في قول بول فالري (لاحظوا أننا نستخدم نوعاً من المنهج المتناقض لتكون مختلف الأشياء عن مختلف العصور ، فمن ناحية نحن في حاجة إلى الحرية في مملكة تخيل حيوات الآخرين والشعور بها ، ومن ناحية أخرى لا بد من تضيق هذه الحرية من أجل أن نحسب للوثائق حسابها وأن تضطر أنفسنا إلى ترتيب وتنظيم ما كان بواسطة قوانا وصور تفكيرنا وانتباهنا وهذه أمور في جوهرها حاضرة) (١).

ولتناقض المنهج التاريخي أسباب هي : —

أولاً : اختلاف الموضوعات التي نوّرخ لها .

ثانياً : اختلاف العصور .

ثالثاً : الحرية التي يتيحها الخيال في تناوله للشخصيات فهذه الحرية فيها كثرة في الجوانب وتعدد في الزوايا مما يسبب التناقض .

رابعاً : الباحث يبحث بذهنه الحاضر وبشخصيته المعاصرة وقوته الآتية أموراً مضت ، والحاضر والماضي بينهما من الاختلاف ما هو معروف .

هذه هي الأسباب التي تبرر التناقض في المنهج التاريخي — غير أنه مما يبرر بروز هذا التناقض بشكل واضح هو أن الوثائق التاريخية التي تحت يد الباحث تعقل تفكيره وتحدد خياله — فالعقل والخيال لهما الحرية والانطلاق في التأمل

(١) النقد التاريخي صفحة ٣٠٢ ، ٣٠٤ ترجمه من الفرنسية والألمانية الدكتور عبد الرحمن يعزى دار النهضة العربية بالقاهرة ١٩٦٢ .

بيننا نجد أن هذه الوثائق سرعان ما تقلل من شأن هذه الحرية . ومع ذلك فإن بول فاليري في نظراته إلى المنهج التاريخي قرر أنه لا يمكن الفصل بين التاريخ والمؤرخ — على أننا لا يمكن لنا أن نقبل بطبيعة الحال هذه الصلة بين التاريخ والمؤرخ بمفهومها العام المطلق — وإلا كان الباحث قد عرض لنفسه قبل أن يعرض للحقائق التي تحت يده — والباحث حين يعرض نفسه فإن بحثه يميل معه قبل أن يميل مع الحقيقة — ولا مانع من أن يظهر تأثير الباحث على أن يكون هذا التأثير مقصوراً على إضافة بعض الأحكام المهمة أو وصف الحقيقة (١) .

وإن الباحث في تخصصه عليه أن يحيط من كل نوع من أنواع المعرفة بطرف — وذلك لكي يكون منهجه متوازناً — فالتخصص مطلوب وكذلك فإن تنوع المعرفة مطلوب أيضاً — وقد عبر عن هذا التنوع والتخصص الدكتور عبد المجيد عابدين حين قال : —

« إن التخصص الذي لا يقترن بتنوع المعرفة لا يتيح لصاحبه فرصاً كافية للابتكار والتجديد » (٢) .

فالباحث الذي يتصل بموضوعه عليه أن يتصل به عن طريق منهج سوى ولن يتاح له هذا المنهج سوى إلا إذا أحاط علماً بالآوان مختلفة من المعارف — وهذه الآوان المختلفة مع تخصصه الدقيق تكون في الباحث نزعة الخلق والابداع مما يجعلنا نصفه بأن قد جدد في موضوعه وتناوله بمنهج فيه تأمل وتناسب (٣) ومنطق وهدف وحلل القضايا التي يعرضها في موضوعه على أساس الفهم المشترك (٤) .

(١) — تطور النقد الأدبي في العصر الحديث ص ٦٣ ، ٦٤ تأليف كارلوف وفيلو ترجمه جورج سميدونس . مكتبة الحياة بيروت ١٩٦٣ .

ب — منهج البحث في الأدب واللغة ص ١٧ تأليف لانسورمايه ترجمه الدكتور محمد منلور دار العلم للسلايين بيروت ١٩٤٦ .

(٢) مذكرات الدكتور عبد المجيد عابدين ص ١١ .

(٣) للمرجع السابق ص ١٢ .

(٤) مور وطريقة التحليل مقالة للدكتور زكي نجيب محمود في مجلة كلية الآداب جامعة فؤاد الأول (المجلد الرابع عشر الجزء الأول مايو ١٩٥٢) .

وإني أختار أن ينهج الباحث في موضوعه الفني نهجاً تحليلياً تركيبياً في الفصل الواحد من فصول البحث على أن يكون جل الفصل للتحليل وفي آخره يكتب النتائج المستخلصة القليلة مركبة ، أما في خاتمة البحث فيجعل ما فيها تركيباً لكل الجزئيات التي تعرض لها وأهم ما في بحثه من نتائج جديدة .

وهذان المنهجان التحليلي والتركيبى مشتقان من المنهج الفني الشعوري إذ أن المنهج العلمي وهو المقابل للمنهج الفني الشعوري يعتمد على العقل بينما نجد المنهج الثاني يعتمد على القلب والنوق والاحساس — نعم فالمنهج الفني هو المختار دون المنهج العلمي إذ أن هذا المنهج الفني فيه نوع من الإلهام لا تجده في المنهج العلمي الذي يعتمد على الملاحظة والتجربة والبرهان فحسب .

ثانياً — شخصية أحمد أمين ومنهجه في كتابه حيائي

ظهرت ترجمة أحمد أمين الذاتية في كتابيه « حيائي » و « إلى ولدي » وبعض مقالات في « فيض الخاطر » .

وقد صور في « مقدمة « حيائي » مدى الصعوبة التي لاقاها في هذه الترجمة « لم أتهيب شيئاً من تأليف ما تهيبت من إخراج هذا الكتاب فإن كل ما أخرجه كان غيري المعروف وأنا العارض أو غيري الموصوف وأنا الواصف — أما في هذا الكتاب فأنا العارض والمعروض والواصف والموصوف . وما أشق ذلك وأضناه (١) :

وهذا الإحساس بالتعب والاجهاد حين يكتب الإنسان سيرته بنفسه إنما يحدث بسبب أن الكاتب لسيرته يكون هو (المؤلف والبطل والممثل في وقت واحد) (٢) .

وقد تحدث عن حياته ناهجاً نهج الترتيب الزمني عارفاً أن تاريخ حياة الفرد وحدة في جملته وليست مجرد حوادث متفرقة — وهذا النهج سار عليه الدكتور طه حسين في « الأيام » ، وبالرغم من كون الفترة الزمنية تحوى عدداً مختلفاً من

(١) « حيائي » أحمد أمين — المقدمة — الطبعة الخامسة ملزمة الطبع والنشر مكتبة النهضة المصرية .

١٩٦٦ .

(٢) السيرة تاريخ وفن ص ٢٣٩ دكتور ماهر حسن فهمي الطبعة الأولى ١٩٧٠ النهضة المصرية .

الأحداث في أماكن متفرقة مما يستدعى عدم التقيد التام بالتلويح الزمني ، فانه للآن لم يوجد بديل للأساس الزمني المتتابع ولكن حين يقوم الباحث بترجمة حياة غيره فهو لا يتقيد بهذا التتابع فهو مثلاً يتعرض لموضوع إصلاحى قام به المترجم له ، في فترات متباعدة غير عابئة بفروق الزمان وفروق المكان .

فكتابة السيرة لا تنقيد^(١) تماماً بالتلويح الزمني فالترجم له لا نكتب عنه إلا ونحن نجعل بلدغه لقمة عظمتة محوراً نرتكز عليه وهو لم يبلغ هذه الدرجة من العظمة في سن طفولته ومن ثم فحين نكتب سيرته وهو طفل أو وهو شاب ، إنما نرجع مرة أخرى لتركز على المحور الأول وهو قمة عظمتة التي بلغها في سن متأخرة نسبياً .

وأول خطوة يخطوها أحمد أمين في منهجه في كتابه « حيانى » هو حديثه عن طفولته في بيته وكان رابع ولد لوالديه ، فقد ولد في أول أكتوبر ١٨٨٦ في جو حزين ، ويصور لنا سبب هذا الحزن في موت أخت له بحريق أكل جسدها قبل ولادته بشهور ، وهو هنا يريد أن يربط بين طبعه الحزين وبين هذا الحادث ، ويتخذ من المنهج النفسى أساساً يبنى عليه الوقائع التي حدثت له ، وفي ظنى أنه لو لم تتوف أخت له متأثرة بحرقها وهو حمل في بطن أمه ، لوجدنا أيضاً طابع الحزن الدفين فيه إذ لو صدقت العلل لما وجدنا من تقلب في مهاد النعيم منذ ولادته السعيدة قد أصابه الحزن أو مسه الترح .

فالإنسان تتعاوره الأفراح والأفراح وهو يتقلب على جنبى الحزن والفرح أباً كانت ظروفه ، ولكن يغلب على المفكرين طابع الحزن وإن كانوا يدعون إلى غير ذلك في كتاباتهم ، فكثيراً ما طرق أحمد أمين في كتاباته أبواب السرور والفرح ودعا إليها وقال « لو أنصف الناس لاستغنوا عن ثلاثة أرباع ما في الصيدليات بالضحك . . فالإنسان في هذا الزمان أحوج إلى الضحك منه إلى التفكير »^(٢) ، وقال أيضاً « فتصنع الفرح والسرور والابتسام للحياة حتى يكون التطبع طبعاً »^(٣) .

(١) فن السيرة الأدبية تأليف ليون أدل ترجمة صدق خطاب مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ١٩٧٣ .

(٢) فيض الخاطر أحمد أمين ج ١ الطبعة الخامسة مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٥ . مقالة الضحك .

(٣) المرجع السابق ج ٢ مقالة فن السرور .

وأحمد أمين حين يطيل في وصف والديه إنما لكي يرجع بعض ما في طباعه إليهما فهما وسيلة عنده لا غاية وهو لا يركب أحكاماً بسببهما إلا لأن هذه الأحكام تنطبق عليه فأبوه أصلاً من قرية بمحافظة البحيرة هرب من السخرة واستقر مع أخيه في قسم الخليفة بالقاهرة وجاهد الأخ الأكبر من أجل تعليم أخيه الأصغر والد أحمد أمين حتى تخرج من الأزهر واشتغل مدرساً وإماماً ومصححاً بالمطبعة الأميرية ببولاق وتزوج امرأة هي أصلاً من تلا بالمنوفية نزع أهلها أيضاً إلى القاهرة واستقروا بباب الخلق — وأنجبت له عدداً من البنين والبنات كان واسطة العقد فيهم أحمد أمين ، الذي صرح بأن البيت كان مدرسته الأولى .

وأما الحارة فكانت هي المدرسة الثانية فهو يلاحظ كل ما يرى ويسمع كل ما يقال حتى السباب بين نساء الحارة من الطبقة الدنيا وصفه بأنه كان مليئاً بالكنايات والاستعارات والتشبيهات ، وقد كان مغرمًا بالفناء فوصف لنا ملاحظته لأحد السائلين المكدين بالحارة الذي كان يكندى بصوت رخيم وقد عوقب أحمد أمين من والده بعد رجوعه متأخراً وقد تعلم أحمد أمين في هذه الحارة اللهجة القاهرية الأصلية ، مما مكنته من صياغة قاموسه المسمى « قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية » .

وحان الأوان لانتقال أحمد أمين إلى المدرسة الثالثة وقال عنها ، إنها الكتاب . والكتاب قاسم مشترك بين كثير من الأدباء ، فقد تكلم عنه طه حسين وغيره . أما ذكريات أحمد أمين عنه ففيها اللوعة والسخط بسبب ما لاقاه فيه من ضرب وإهانة ، ولكن خرج منه بفائدة وهي حفظه للقرآن الكريم ومعرفته بمبادئ الحساب بعد خمس سنوات .

ولم يتحدث أحمد أمين عن الكتاب باستفاضة كما تحدث طه حسين — ولعل الفكرة المنفرة التي كونها عنه جعلته ينهى الكلام بسرعة — أما طه حسين فلم يجد في الكتاب قسوة قاسية — ومن ثم فإنه قد أطلال وخاصة في وصف « سيدنا » الذي صورده في إطار فكاهة مرح — واختار طه حسين قالباً معيناً وهو قالب الفكاهة ليصب فيه سيدنا — فقد جعله — إذا سار في زقاق من أزقة القرية يعتمد على تلميذين

عنده أحدهما على يمينه والآخر على يساره - وكان هذا الشيخ بديناً ويكاد أن يكون كفيفاً ولكنه يوم نفسه أنه مبصر وكان أجش الصوت ويوم نفسه بأن صوته من أحسن الأصوات ولا مانع عنده من أن يرفع عقيرته بالغناء (١) وهو يسير في أزقة القرية ، أما شيخ أحمد أمين (٢) فهو شيخ عفيف غضوب ناثر .

وبعد الكتاب نجد أحمد أمين ينقلنا نقلة أخرى إلى قطاعات أخرى في حياته فهو يربينا نفسه وهو تلميذ صغير بمدرسة أم عباس الابتدائية ، ثم وهو طالب بالأزهر وفي أثناء طلبه للعلم بالأزهر اشتغل مدرساً بطنطا ثم رجع منها إلى الأزهر مرة أخرى ، وبعد انتهائه اشتغل أيضاً مدرساً ولكن في الاسكندرية وتعرف هناك على مدرس أكبر منه تعلم من تجاربه في الحياة وبعد سنتين نقل إلى القاهرة مدرساً بالمدرسة التي تتلمذ منها (أم عباس) حتى مرت سنة واحدة عليه التحق بعدها طالباً بمدرسة القضاء الشرعي عام ١٩٠٧ وكان من أساتذته في هذه المدرسة الذين تركوا آثاراً قوية في منهج أحمد أمين عاطف بركات ناظر المدرسة وأستاذ الأخلاق بها وعلى فوزى أستاذ التاريخ وأحمد أمين أستاذ القانون - وقد مكث في القسم العلمي بهذه المدرسة أربع سنوات - لم يحرم نفسه خلالها من سماع المحاضرات في الجامعة المصرية التي قد أنشئت آنذ ، وأكثر الأساتذة الأجانب في كلية الآداب تأثيراً فيه هو نليني الإيطالي الذي كان يحاضر عن تاريخ الفلك عند العرب - ومع قصر المدة التي قضاه في كلية الآداب فإنه استفاد العمق في التفكير والقدرة على الاستقصاء مع المقارنة بين مناهج العرب والافرنج .

ثم تخرج من مدرسة القضاء وعمل بها معيداً تحت إشراف عاطف بركات ، وقد اتصل حين كان معيداً بجريدة المؤيد وجريدة الجريدة وكان رئيس تحريرها أحمد لطفي السيد كما أنه اتصل بأحد مشايخ الطرق وأخذ العهد عليه في قبة الإمام الشافعي - كما يحكي لنا في هذه الفترة عن موت أخوين له في مدة لا تتجاوز عامين .

ولكونه لم يثبت في عمله كمعيد لضعف نظره فقد اضطر أن يشتغل قاضياً شرعياً في الواحات الخارجة لمدة ثلاثة شهور بمرسوم خديوى عاد بعدها مثبتاً لعمله كمعيد

(١) الأيام طه حسين ج ١ ص ٣٢ دار المعارف مصر .

(٢) فيض الخاطر ج ١ (سيدنا) .

عام ١٩١٣ - وعند عودته أصر على تعلم اللغة الإنجليزية وكان له ما كان على يد سيدتين إنجليزيتين إحداهما مس بور Power التي تركت أثراً كبيراً فيه ثم إنه في عام ١٩١٤ كون هو وبعض أصدقائه لجنة التأليف والترجمة والنشر وصار رئيسها - وحادثنا أحمد أمين عن قصة زواجه عام ١٩١٦ وإنجاب له عشرة أبناء بقي منهم ثمانية ، وقد ترجم عن رابورث [الإنجليزي] ، كتاب مبادئ الفلسفة عام ١٩١٨ . وقد اشترك أحمد أمين في ثورة ١٩١٩ وكان يرسل لسعد زغلول وهو في منفاه التقارير - وقد علل أحمد أمين لعدم ظهوره كسياسي بخوفه من السجن والعقوبة وبمزاجه العلمي (١) الذي لا يميل للسياسة ثم حدث أن جاء ناظر جديد إلى مدرسة القضاء فلم يتجاوب معه أحمد أمين فرجع إلى وظيفة القاضي مرة أخرى ومكث فيها أربع سنوات بالعاصمة وخارجها .

ويكمل لنا أحمد أمين في تسلسل زمني رواية حياته فيقول إن طه حسين عرض عليه وظيفة مدرس بكلية الآداب عام ١٩٢٦ فقبلها ثم غير زيه الأزهرى إلى الزى الأوربي عام ١٩٢٧ . وحين عين مدرساً في كلية الآداب قام برحلات عديدة إلى الآستانة ١٩٢٨ ، والشام ١٩٣٠ ، والعراق ١٩٣١ ، وأوروبا ١٩٣٢ ، والحجاز ١٩٣٧ ، وأوروبا مرة أخرى ١٩٣٨ ، وقد ألقى بحثاً عن نشأة المعتزلة في مؤتمر المستشرقين الذي عقد بمدينة ليدن بهولندا عام ١٩٣٢ ، وقد ألقى هذا البحث باللغة الإنجليزية - ثم ألقى بحثه الثاني باللغة العربية في مؤتمر المستشرقين الذي عقد ببروكسل بلجيكا عام ١٩٣٨ وعنوانه (أبو حيان التوحيدي وكتابه الامتناع والمؤانسة وقد انتهى أحمد أمين من الجزء الأول من فجر الإسلام ١٩٢٨ - ثم أخرج ضمحي الإسلام في ثلاثة أجزاء في ست سنوات .

وقد كان رابع مصري بعد طه حسين ومنصور فهمي وشفيق غريبال يتولى عمادة الآداب - فقد عين عميداً لها في أبريل عام ١٩٣٩ ومكث سنتين فقط ثم عاد أستاذاً فأخرج الجزء الأول من ظهر الإسلام ١٩٤١ - ونشر كتاب « الامتناع والمؤانسة » لأبي حيان التوحيدي - واشترك مع زكي نجيب محمود في « قصة الفلسفة اليونانية » وقصة « الفلسفة الحديثة » وقصة « الأدب في العالم » - وقد نشر مقالات

أسبوعية في مجلة الرسالة ، ولما صار مديراً لـ «مجلة الثقافة» التي أنشأها عام ١٩٣٣، نقل مقالاته الأسبوعية إليها وكتب أيضاً مقالات أسبوعية في الهلال والمصور وجمع كل هذه المقالات وزاد عليها في كتاب واحد في سبعة (١) أجزاء سماه «فيض الخاطر».

ومن المناصب التي شغلها أحمد أمين أيضاً منصب مدير الإدارة الثقافية بوزارة المعارف عام ١٩٤٥ ورئيس مجلس إدارة الجامعة الشعبية التي أنشأها - كذلك في ١٩٤٦ حين أحيل إلى المعاش بلوغه سن الستين شغل منصب مدير الإدارة بجامعة الدول العربية فأنشأ معهداً للمحفوظات بهذه الإدارة .

وفي ١٩٤٨ منح الدكتوراه الفخرية عن كتابه «ظهر الإسلام» كما منح جائزة الدولة التشجيعية وعمل كأستاذ غير متفرغ في كلية الآداب حتى وفاته في ٣٠ مايو عام ١٩٥٤ . هذه هي الفترات الزمنية التي رتبها أحمد أمين في كتابه «حياتي» .

مررنا عليها هذا المرور السريع لا لكي نؤرخ له ولكن لكي نتخذ من هذه المعالم الرئيسية أساساً نبني عليه فهمنا لمنهج في «حياتي» ، وقد قال الدكتور شوقي ضيف في معرض المقارنة بينه وبين طه حسين «أحمد أمين في حياته إلى ذوق المؤرخين أقرب منه إلى ذوق الأدباء مثل طه حسين» (٢) . وقد وجدنا طه حسين يقول عن «حياتي» لأحمد أمين وحياته أحمد أمين قصة من أعظم القصص روعة وأعماقها تأثيراً ومن أعظمها حظاً من البراعة (٣) . وهذان الرأيان يختلفان في كون أولها يحدد ويتحدد والثاني يطلق ويمدح .

وقد وجدنا أحمد أمين يحلل ويركب فهو يبدأ بالمقدمات التي يفصلها ويحللها جزءاً جزءاً تحت منظار دقيق ويستخدم المقارنات حتى يصل إلى النتائج - مثل ذلك حديثه عن سلطة الأب التي انهارت في هذا الزمان وحلت محلها سلطة الأم والأبناء والبنات - فأصبح المنزل الآن شبيهاً بالبرلمان غير المنظم لأن رب الأسرة لا يستطيع التوفيق بين الآراء المتضاربة - وينهى أحمد أمين تحليله بقوله ان هذه القوضى «كانت ضحيتها سعادة البيت وهلاؤه وطمأنينته» - وهو قبل أن يصل

(١) تحت أيلينا الآن في الطبعة الخامسة لفيض الخاطر عشر أجزاء لا سبعة - مكتبة النهضة المصرية .

(٢) الترجمة الشخصية ص ١٢١ دار المعارف ١٩٥٦ .

(٣) أحمد أمين بقله وقلم أصدقائه - مقالة الدكتور طه حسين ص ٦٠ .

إلى هذا الحكم التركيبي بين ما كان يفعله أبوه في البيت وكيف كان الأمر الناهى وكيف أن أمه وجميع الأبناء يخضعون الخضوع الكامل لكلمة الأب النافذة — ومع عنف هذه الطريقة في رأيه يوضح لنا أيضاً بالمقارنة « أن الوسط بين الشدة واللين هو خير طريق لتربية الأولاد ولا مانع من أن يكون هناك برلمان في البيت ولكن على أن يكون برلماناً منظماً ليس فيه فرضى وليس فيه دكتاتورية .

وكذلك حين يتكلم أحمد أمين عن الحارة نجده أيضاً يهتم بالجزئيات فقد رأيناها يصف لنا بيوتها وتعاون سكانها ويقارن بين هؤلاء السكان وبين سكان الأحياء الراقية الذين لا يتراورون ولا يتراحمون ، وهو يخص نائب رئيس المحكمة العليا الشرعية الذى يسكن في بيت فخم في الحارة بعناية كبيرة لأنه « سيد الحارة وأغنى أهلها وهو رجل تركى الأصل تموت زوجته الأولى وهو في السبعين من عمره فيتزوج مرة أخرى بشابة قال عنها أحمد أمين أنها « لعبت بماله وبغير ماله » (١).

وقد أسهب أحمد أمين أيضاً في وصف معيشة الطبقات الثلاث في حارته ، فهذه طبقة الأغنياء ويمثلها نائب رئيس المحكمة والطبقة المتوسطة ويمثلها أبوه والطبقة الدنيا ويمثلها معظم سكان الحارة وهم من العمال والباعة الحائلون — وبعد هذا الحديث عن كل طبقة على حدة كعنصر مفصل نجده يكون حكماً منطقياً مستخلصاً من جميع هذه العناصر التي يعتمد كل منها على الآخر — فكان أحمد أمين في حكمه المنطقي هذا « يفرق بين عناصر الحقيقة الواحدة لكي يكشف عن توقف كل منها على الآخر » (٢) — وهذه الحقيقة التي تتبع منها الاهتمام بالجزئيات جعلتنا نظن أن أحمد أمين في ترجمته لحياته قد تأثر بالكاتبة الإنجليزية جين أوستن Jane Austen وخاصة في روايتها الاعتزاز والتحيز Pride and prejudice التي تهتم فيها بتحليل الجزئيات — ومن المؤكد أن اهتمامه بالجزئيات وتحليلها راجع إلى (٣) تأثره بأستاذه

(١) حياتي ص ١٥ ، ١٦ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٨ .

(٣) تجسيد التفكير الديني في الإسلام ص ١٠٠ تأليف محمد إقبال ترجمة عباس محمود وراجعه عبد العزيز المواقى ومهدي غلام — القاهرة لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٥٥ .

عاطف بركات الذى لازمه ثمانية عشر عاماً تلميذاً وزميلاً وكان عاطف بركات يتقن الإنجليزية والاستعانة بمراجعها وتعلم منه كيف يستخدم التفكير فى كل شيء حتى فى الدين أما جوهره من إيمان بالله فهو نابع من القلب ولعل الذى يدعوه للإطالة أنه لا يخطط لهذه التفاصيل وإنما هو يخطط الموضوع إجمالاً باختصار ثم حين يبدأ فى الكتابة تأتية التفاصيل . فهو يرسم الموضوع فى فكره ثم بعد ذلك يفصل وهو يكتب ، يقول « وكثير من المعانى تأتى وأنا أكتب لا وأنا أفكر قبل (١) أن أكتب » .

ومع أن أحمد أمين يهتم بالجزئيات — كما رأينا — إلا أنه لا يلج عليها إلحاح طه حسين الذى يأخذ الفكرة طولاً وعرضاً ولا يترك منها شيئاً فهو يعرضها ويبسطها ويحللها ، فالموضوع حين يعرضه لا تبين أين مقدماته ؟ وأين نتائجه ؟ فنستطيع أن نقول إن كل ما يكتبه طه حسين مقدمات ونستطيع أن نقول إن كل ما يكتبه طه حسين نتائج ، أما أحمد أمين فانه لا يلج على الفكرة هذا الإلحاح وهو يسير بترتيب ونظام فيصل من المقدمات إلى النتائج وأنت تحتاج إلى أن تقرأ موضوعه خطوة خطوة فيسلمك من الخلفات التحليلية إلى النتائج التركيبية، ونخرج من هذه المقارنة بنتيجة أخرى وهى أن الصبور عند طه حسين يأخذ بعضها بتلايب بعض بينما نجد أن الأفكار عند أحمد أمين هى التى يأخذ بعضها بتلايب بعض .

وأحمد أمين يدرك أن المعنى له المقام الأسنى ، فاذا بولغ فى ترتيب اللفظ كان هذا على حساب المعنى وهذا الذى يميل إليه أحمد أمين مبنى على أساس أن الاهتمام باللفظ يدعو إلى الانتقاص من المعنى ، وهذا الفهم خاطيء فالاهتمام باللفظ لا ينقص من قدر المعنى الموجود — وإلا فأين المجهود ؟ والغريب أن أحمد أمين ينسب هذا الاهتمام الزائد بالمعنى إلى تعلمه للغة الإنجليزية يقول « لو لم أجتر هذه المرحلة (تعلم اللغة الإنجليزية) ثم كنت أديباً لكنت أديباً رجياً يعنى بتزويق اللفظ لاجودة المعنى ويعتمد على أدب الأقدمين دون أدب المحدثين ويلتفت فى تفكيره إلى الأولين دون الآخرين — ولو كنت مؤلفاً لكنت جماعاً أجمع مفترقاً أو أفرق مجتمعاً

من غير تمحيص ولا نقد ، فأنا مدين في إنتاجي الضعيف في الترجمة والتأليف
والكتابة إلى هذه المرحلة بعد المراحل الأولى (١).

وقد جنى هذا الفهم القائل لمفهوم اللفظ والمعنى على أسلوب أحمد أمين -
و « حيان » وهو أقرب إلى الأدب من بقية كتبه - كان المفروض في أحمد أمين
أن يرتقى بأسلوبه إلى مستوى الأدب الرفيع أكثر مما ارتقى في بقية كتبه - ولكننا
وجدناه سائراً على نفس المنهج من احتفال بالمعنى وعدم احتفال باللغة ، واللغة
الإنجليزية الذي يحتاج بها أحمد أمين فيها اهتمام باللفظ وفيها اهتمام بالمعنى - ثم هو
يصل بين تزويق اللفظ وبين الترجمة ويصل أيضاً بين التقديمية وبين جودة المعنى -
وهذا أمر غريب . ولكن غرابته تتلاشى لأن أحمد أمين مهله على نفسه .

وهذا المنهج الذي اختاره أحمد أمين في أسلوبه يدل على أن ملكة التلويح الأدبي
ليست مستوحاة من الشعور والوجدان - فهو حين يكتب عن حياته لا يكتب عن
وثيقة تاريخية يسجل ما فيها - وإنما هو يعرض مشاعره وأحاسيسه وعواطفه -
فكان من الأنسب أن تكون لفته شاعرة وأن يكون أسلوبه ملائماً لموضوعه -
ولكنه لم يرد أن يكون رجعياً ! فارتد هذا الارتداد العنيف الذي حال دون
استغلاله لطاقاته في تصوير ذاته - فكان في معظم الأحيان واصفاً ولم يكن مصوراً ،
فالأدب هبة قبل أن يكون كسباً ومراساً كما قال : « إننا لا نخلق الأديب ببرنامج
بل لا بد أن تكون قد هيأته الطبيعة ومنحته استعدادات خاصة وكفايات ممتازة
على كل حال لا وسيلة لترقية الفن ومنه الأدب إلا بترقية النوق وربط الفن به » (٢).

فهو هنا يوجه لترقية الأدب ولكن لن يكون أديباً إلا من وهب أصلاً هذه
الموهبة ويمتاز أسلوب أحمد أمين بالبساطة حتى لنخال أنه لم يبدل أى مجهود لصقل
تعبيراته وهو في هذا مقيد بقوله « أصدق كاتب في نظري من احتفظ بشخصيته
وجعل أفكاره وعواطفه تتمرجح امتزاجاً تاماً بأسلوبه » (٣).

(١) حيان ص ١٥١ .

(٢) فيض الخاطر ج ١ « كيف يرق الأدب » .

(٣) مقدمة فيض الخاطر .

فشخصيته سهلة بسيطة فكان أسلوبه كذلك سهلاً بسيطاً^(١) إلا أنه لم يكن ممتنعاً وعلى هذا فمن السهل على الكاتب أن يعبر ببساطة ويسر وسهولة وهو في هذا يشبه غيره ممن لم يكدوا أذهانهم — ونستطيع أن نقول إن الشخصية البسيطة السهلة هي الشخصية العامة التي لها صفات شخصيات الآخرين .

أما المفاضلة من ناحية جودة المعاني فالمعاني كما يقول النقاد مطروحة أمام الناس فالمفاضلة أساساً تكون في مدى الاقتدار على صياغة المعاني .

ووصل الأمر بأحمد أمين في حماسه للمعنى أن جرد الألفاظ من بديعها وحليها وأصبح لا مانع عنده أن تكون لغة الكتابة هي لغة الكلام — وهو يستخدم كلمات « الجزمة والمركوب والوزير^(٢) والماجور » بدلا من « الحذاء والتندر » — ولعله اقتنع بهذا الرأي رأى اتحاد اللغتين العامية والفصحى في لغة واحدة من أستاذه على فوزى الذى قابلته في رحلته للآستان عام ١٩٢٨ . وأخبره أن مصر لن ترتقى إلا إذا استمدت اللغة وروحها من الشعب — فاللغة يخاطب بها الشعب والشعب له لغته فلا مانع من اتحاد اللغتين الفصيحة والعامية في لغة واحدة هي إلى العامية^(٣) أقرب .

ويزيد أحمد أمين هذا الرأي وضوحاً حين يقول إن الإعراب في اللغة دليل البداء وأن الاسكان هو نهاية التطور — واللغة العربية ليست بدعاً فيجب أن ينطبق عليها ما ينطبق على اللغات الأخرى^(٤) — ولعله في هذا الرأي لا يأخذه من ناحية المنطق بقدر ما يأخذه من ناحية الرحمة — فهو يريد أن يرحم العامة ويفهم هذه الرحمة على أساس أن يتدنى لمستواهم لا أن يرفعهم إلى مستوى ويقول في ذلك : « لقد هممت أحياناً أن أتحدث بالعامية لأنى أرحم الأميين وأشباههم »^(٥).

وهكذا فإن ما كتبه أحمد أمين في « حياتى » يدل دلالة واضحة على رغبته

(١) حياتى ص ٤١ و ٤٩ و ٥٩ .

(٢) حياتى ص ٢٣٣ .

(٣) شخصيات عربية ص ١٣٨ بقلم صديق شيبوب الوكالة العربية للدعاية والنشر الاسكندرية .

(٤) فيض الخاطر ج ٩ « الأدب الشعبي بين الحرفة والفصحى » .

(٥) حياتى ص ٢٩٥ .

في الاقتراب^(١) من العامة ووسيلة هذا الاقتراب هو البعد عن الإحراب وتمكين
أواخر الكلمات - وهو يقول إن التمكن هو دليل التطور والرقى - وأن الإحراب
هو دليل البداءة .

ويكنى أن نقول في هذا المجال - أن الواقع لا يصدق مع هذا القول فإن اللغات
الأوربية التي يكتب بها الأدب والعلوم تختلف عن اللهجات التي يلهج بها متكلموها
في الشارع وفي البيت وهذا الاختلاف حتى وإن قل - موجود - وعلى هذا
فلا نجفنا في لغتنا العربية الاختلاف بين لغة الكلام ولغة الكتابة إلى هذا الحد -
لأن الأهداف المحققة بالتمسك باللغة الفصحى أكبر وأعظم من أية فوائد وقتية نجنيها
حين نسكن أواخر كلماتها وتدريبها من اللهجات العامة :

أما عن الناحية الموضوعية في منهجه في « حياى » فقد اتصل أحمد أمين بكل
الحزبات التي يربطها جميعاً لتحديد لنا صورة أحمد أمين في مراحل تطوره المختلفة
- وشخصيته هذه قد وضحت لنا من خلال تعاملها مع ذاتها ومع الآخرين -
والآخر ون الذين تعاملوا معه وتأثر بهم مثلوا في والده وزوجته وأساتذته وأصدقائه
وكما جلى لنا عن محاسنهم فقد أفصح أيضاً بصراحته المعهودة عن العيوب .

وأول ما لاحظته في والده تمثل في تيبانه لقسوته الشديدة في معاملة أولاده
وزوجته وعدم ترك الحرية لهم في اختيار ما يلائمهم بل إنه يتدخل في كل صغيرة
وكبيرة حتى لقبه بالمستبد^(٢) وإن كان قد تحدث عن رحمة المسترة التي تظهر
في وقت المرض .

وأما أمه^(٣) فقد علل لآلامها الكثيرة وانقباض نفسها لوفاة ثلاثة من أولادها
متتابعين وهم في سن الشباب ولمعاملة أبيه لها معاملة شديدة قاسية في سلبه لكل سلطتها
وحرمانها دائرة نفوذها .

(١) صور من وحدة الفكر العربي ص ٣٥ . عبد المجيد عابدين - معهد البحوث والدراسات
العربية ١٩٧٠ .

(٢) حياى ص ٢٨ .

(٣) فيض الخاطر ج ٩ ص ٨٨ .

وقد اهتم أحمد أمين بما في البيت هذا الاهتمام لأنه انعكس في طبيعته وكون عناصر خلقه وروحه ويقول عن ذلك « فان رأيت في إفراطاً في جانب الخير وتفریطاً معيياً في جانب المرح أو رأيت صبراً على العمل وجلداً في تحمل المشقات واستجابة لعوامل الحزن أكثر من الاستجابة لعوامل السرور ، اعلم أن ذلك كله صدى لتعاليم البيت ومبادئه » .

فالييت كما يقرر أحمد أمين هو المسئول الأول عن شخصيته بما فيها من مزايا وعيوب .

وأما زوجته فقد تحدث عنها في « حياتي » وسلك في منهجه لإزائها مسلك المصارحة أيضاً كما أبان عن طباع المرأة المصرية من خلالها وهو في هذا ينجح نهجاً اجتماعياً فهو بعد الزواج عام ١٩١٦ مكث معها مدة طويلة حتى عرف طباعها وعرفت طباعه - وكان أكثر ما يؤله منها عدم اعترافها بالمنطق كوسيلة للتفاهم - بل إن الكلمة السخيفة كثيراً ما ترضيها مع بعد هذه الكلمة السخيفة عن العقل - كذلك كان يزعمه منها العطف الكاذب على أبنائها . فاذا أخطأ أحد الأبناء وأحب أن يعاقبه تدخلت هي وأفسدت هذه العقوبة وكانت تؤمن بالمثل المشهور « قصيه لثلا يطير » - فأنجبت له عشرة أبناء مات منهم إثنان . ثم هو ينتقل من الأفراد إلى الإجماع - أي أنه يتخذ من زوجته ممثلة للمجموع فهو يصارح بنخصالها حتى يستخرج لنا حكماً تركيبياً فيه انضباط وشمول . فهو يصرح لنا كثيراً أن الفضل الأكبر في المدنية الحديثة يرجع معظمه إلى المرأة وذلك لأنها هي التي تعد النشء وتسكب فيه من روحها كأم النظام والأخلاق الحميدة - وما دامت المرأة هي التي تنشئ هذه المدنية الحديثة - فما أجلرها إذن بالرعاية وما أحقها بالعناية .

أما أساتذته الذين تأثر بهم فهم عاطف بركات وعلى فوزى وأحمد أمين - وكانوا كلهم أساتذته في مدرسة القضاء الشرعي .

أما عاطف بركات فقد أفاض في الكتابة عنه في مواضع عديدة من كتابي

(١) حياتي ص ١٧ و ١٨ .

(٢) المرجع السابق ص ١٨١ .

« حيانى » وكذلك فعل مع على فوزى وسميه أحمد أمين - أما مس بور Bower فهي أستاذته فى اللغة الإنجليزية تعلم منها الكثير غير اللغة ، فهو تعلم منها أن ينظر للحياة بعين مفتوحة وأن يحيا شبابه وأن يعيش الجمال ويدعو إليه ولعل بعض مقالاته فى الترتيب والتنسيق والدعوة لها كان بتأثير هذه الأستاذة الإنجليزية التى لازمها أربع سنوات وكانت دائماً تقول له « تذكر أنك شاب . . . يجب أن تكون لك عين فنية » (١).

وأحمد أمين فى وفاته لم ينس كارل نلليو الإيطالى الذى كان أستاذاً بالجامعة المصرية وقال عنه أنه استفاد منه المنهج بعد أن حضر له بعض المحاضرات فى كلية الآداب - وكان كتاب نلليو « تاريخ الفلك عند العرب » مرافقاً لأحمد أمين حين كان يعمل قاضياً بالولايات الخارجية - وقد قرأه وقرظه قائلاً : « قرأته بامعان واستفدت منه كيف يبحث كبار المستشرقين وكيف يصبرون على البحث وكيف يعيشون فى المادة التى تخصصوا فيها وكيف يدبرون فى مجهم من البسيط إلى المركب فى حذر وأناة فإذا قلت أنتى استفدت منهج البحث من هذا الكتاب لم أبعد عن الصواب » (٢).

ولم يذكر شيئاً كثيراً عن أصدقائه اللهم إلا ما ذكره عن الشيخ مصطفى عبد الرازق الذى كان يمثل طرف الثقافة الفرنسية عنده - أما صديقه طه حسين - وإن لم يذكر اسمه صراحة فقد قارنه بنفسه فى عدد من الصفحات فى حيانى - ولعل حساسيته المفرطة كانت هى الدافع الذى جعله يعقد هذه المقارنة بعد قطع جبال الود التى كانت موصولة - ولا مانع من استعارة ما كتبه أحمد أمين عن نفسه وعن هذا الصديق « فأصبح يكون جزءاً من نفسى وعيلاً جانباً من تفكيرى ومشاعرى على اختلاف ما بيننا من مزاج فهو أقرب إلى المثالية وأنا أقرب إلى الواقعية وهو فنان يحكمه الفن وأنا عالم يحكمه المنطق وهو يحب المجد ويحب الدوى وأنا أحب الاختفاء وأحب الهدوء وهو مغال إذا أحب أو كره وأنا معتدل إذا أحببت أو كرهت وهو نشيط فى الحكم على الأشخاص وعلى الأشياء وأنا بطيء

(١) فيض الخاطر ج ٨ « قصة من حيانى » .

(٢) « حيانى » ص ١٤٠ .

وهو عنيف إذا صادق أو عادى وأنا هادئ إذا صادقت أو عاديت ، هو واسع النفس أمام الأحداث وأنا قلق مضطرب غصوب ضيق النفس بها ، وهو ماهر فى الحديث إلى الناس فيجذب الكثير وليست عندي هذه المقدرة فلا أجتذب إلا القليل وهو فى الحياة مقامير يكسب الكثير فى لعبة وأنا تاجر إن كسبت كسبت قليلا فى بطاء وإن خسرت خسرت قليلا فى بطاء ، بحب السياسة لأنها ميدان المغامرة وأنا لا أحبها إذ لا أحب المغامرة ولعل هذا الخلاف بيننا فى الزواج هو الذى ألف بيننا فأشعره أنه يكمل بى نقصه وأشعرنى أن أكمل به نقصى — جاءت العمادة (حين تولى عمادة كلية الآداب عام ١٩٣٩) مفسدة لهذه الصداقة لأنه بحكم طبيعته أراد أن يسيطر وأنا بحكم طبيعتى أردت أن أعمل ما أرى لأفنى مسئول عما أفعل ثم ولى منصباً أكبر من منصبى يستطيع منه أن يسيطر على عملى فأراد السيطرة وأبينها وأراد أن يحقق نفسه بأن ينال من نفسى فأبيت إلا أن أحتفظ بنفسى فكان من ذلك كله صراع أصيبت منه الصداقة فحزن لما أصابها وحزنت وبكى عليها وبكيت (١).

وهذه الصراحة التى كانت ديدنه فى الحديث عن أصدقائه إنما هى راجعة إلى إحساسه (٢) المرهف — فهو يريد أن يبرر لم صادق هذا ولم خصام ذلك — ولو رجعنا إلى النص السابق لوجدنا أن أزمة الصداقة التى مر بها كان من السهل علاجها بدون قطع حبال الود — وهذه الحساسية أظهرها لنا أحمد أمين منذ كان طفلاً فقد حدثنا عن سيدنا فى الكتاب وكيف أن الغرب (٣) يمت الروح ويكسر النفس — وقد رأينا كثيراً ممن تعلموا فى الكتاب وضربوا ومع ذلك لم تمت أرواحهم ولم تكسر نفوسهم ولكنها الحساسية المرهفة عند أحمد أمين .

بل إن تغيير زيه الأزهرى إلى الزى الأوربى عام ١٩٢٧ قد تلخّطت إحساساته المرهفة فيه — فالسبب الأساسى لهذا التغيير كما حدثنا — يعود إلى أنه حينما كان يريد أن يجلس فى « كازينو » بمنعه الزى الأزهرى من ذلك — كذلك إذا أراد أن يركب

(١) « حياتى » ص ٢٨٤ ، ٢٨٥ .

(٢) Middle East affairs Vol.v, h.1, ganvary 1654 .

(٣) الرسالة الأولى التى بعثها إلى ابنه فى كتابه (إلى ولدى) ط ١ مكتبة الآداب بالجاميز

بالدرجة الأولى بالتزام ظنه الحاي قد أخطأ طريقه وأرشدته إلى الدرجة الثانية ، وإذا وقف في صف ليسجل خطاباً وكان دوره في المقدمة تعدها الموظف إلى من خطفه ممن يرتدى الزي الأفرنجى « هذه الأمثلة التي قالها في كتابه « حياتى » تدل على مدى حساسيته وأن تناوله لها بالتفصيل يبين أنها تركت آثاراً غائرة في نفسه لم يستطع أن ينساها . ولذلك فهو يخشى على الباحثين بأن يفصح إحساسهم المرهف كثيراً من إنتاجهم فيقول :-

« فخبر للإنسان أن يثق بنفسه من غير غلو ويقدر إنتاجه على حقيقته من غير إفراط أو تفريط » (١).

وقد بكى أحمد أمين كثيراً حين رأى رجلاً غنياً افتقر - وهذا الرجل بلغ من سطوته أيام غناه بأن أراد منع الترام من السير من أمام منزله وكانت عربته في الصباح تغلق الطريق على الترام باستعراضها الشارع حتى يتزل أولاده ليركبوها ، ثم حين افتقر وبيعت عربته - كان الباشا يقف على الرصيف منتظر للترام الذى كان يريد له ألا يمر في الشارع أمام منزله يقول أحمد أمين إن هذا الحادث (أثر في أثرنا بالغا فذكرته) (٢) .

وأن أحمد أمين يعرض للأحداث عرضاً سريعاً تارة وعرضاً متأنياً تارات وهو حين يتمثل الصور التي مرت به لا يستنكف أن يذكرها كبيرة كانت أم صغيرة وهذا يدل على وقته في الجمع وحين يفرغ من هذا الجمع يبدأ في التفريق لالتقاط الأحكام التركيبية التي يصوغها هنا وهناك وفي أثناء هذا وذاك تسعفه ذاكرته بكثير من المعالم البارزة لرحلته خلال الحياة فهو يذكر لنا أنه كان أول من درس النقد الأدبي باللغة العربية في الجامعة مع استعانة بمكانه في اللغة الإنجليزية .

ومن خلال نظراته النافذة للأبطال في عصره وفي العصور السابقة ومن الربط بينها وبين ما سبق أن ذكرناه يتضح لنا منهجه لا في تبويب كتابه فحسب ولكن أيضاً في فلسفته في الحياة . فهو مثلاً يتحدث عن أستاذه الشيخ محمد عبده الذي

(١) حياتى ص ٣٣٦ .

(٢) المرجع السابق ص ١١١ .

جلس بين يديه مرتين كتلميذ في الجامع الأزهر — وهو يستفيد منه أكثر مما يستفيد من الزعيم الوطني مصطفى كامل الذي كان ملء السمع والبصر ، فهو يقول أنه يؤمن بنظرية الشيخ محمد عبده في الإصلاح العقلي المتدرج ولا يؤمن بنظرية مصطفى كامل الذي يتسرع في الإصلاح ويتصرف بشعوره وعواطفه فيريد أن يخرج الإنجليز أولاً من مصر ثم يبدأ الإصلاح بعد ذلك وبعد حادثة دنشواي عام ١٩٠٦ نجد أن أحمد أمين يغير رأيه فينحاز إلى رأى مصطفى كامل الذي يقول أن مصر لن يصلح حالها إلا بخروج الإنجليز أولاً .

وقد وضع لنا أحمد أمين أنه يحكم عقله في كل شيء حتى في الدين واستثنى زوجه من هذا التحكيم كما استثنى كثيراً من السيدات ، « فقد كنت من غفلى أعتقد أن العقل هو وحده الوسيلة الطبيعية للتفاهم ولكن بعد تجارب طويلة رأيت أن العقل أخف وسيلة للتفاهم مع أكثر من رأيت من السيدات » (١).

وهو في تنبيهاته المتكررة لا ينسى أن يوضح قيمة الجمال في تربية النوق وفي رقى الأخلاق فهو كما يجب أن يرى الكتاب موباً تبويماً منطقياً يجب أن يرى البيت منسقاً والشارع نظيفاً والأصوات خافتة والموسيقى هادئة والملابس نظيفة كل هذا من ألوان الجمال التي يريدها أن تتحقق لكي يتسع العقل وترقى عواطف الناس .

وتتوالى آراؤه الإصلاحية في كتابه « حياتى » فشملت الجامعة التي حدد رسالتها في اكتشاف المجهول من العلم وإقامة الحديد محل القديم وتمثل هذا الاهتمام أيضاً في المقالات التي أنشأها في « فيض الخاطر » (٢).

وهو كفكر يجب أن يظهر منهجه الفكرى فيبين أهمية توزيع المسئولية والاختصاصات حتى يتفرغ كل رئيس مصلحة لما هو أهم — وقد حاول وهو عميد الكلية الآداب أن يحقق ثلاثة أشياء كما يقول ، الأول هو تنظيم الحياة الاجتماعية في الكلية والثاني تمكين الأساتذة من الإشراف على الطلبة علمياً وخلفياً والثالث القضاء على طريقة الاملاء والمذكرات في المحاضرات ودعوة الأساتذة إلى أن يحاضروا مع تبيان أهم المراجع ويقيد الطلبة في مذكراتهم بعض النقاط .

(١) حياتى ص ١٨٢ ، ١٨٣ .

(٢) فيض الخاطر ج ١ ص ٦٤ « الجامعة كالتصورها » .

قد سجل في « حياتي » خلاصة ما وصل إليه من تجارب خلال تقلبه في مختلف المناصب فهو قد عمل أستاذاً غير متفرغ بعد إحيائه إلى المعاش عام ١٩٤٦ وعمل مديراً للإدارة الثقافية بوزارة التعليم ورئيساً لمجلس إدارة الجامعة الشعبية ولجنة التأليف والترجمة والنشر كما عمل أيضاً كمدير للإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية وأنشأ في أثناء ذلك معهداً للمحفوظات العربية — كل هذه المناصب التي تولاهها لم ينس أحمد أمين منها شيئاً بل سجل كل ما يمكن تسجيله حتى اتصاله بالجرائد اليومية وكتابته أول مقال له تحت عنوان « خطأ العقلاء » الذي لم ترض جريدة المؤيد أن تنشره له — حدثنا عنه أخيراً بأنه كان يقصد بهذا المقال سعد زغلول الذي قبل أن يكون وزيراً للحقانية بعد أن كان وزيراً للمعارف ، فقد كان في وجوده في وزارة المعارف خير كبير للغة العربية وآدابها ومقاومة دنلوب الإنجليزى الذي أخر التعليم في مصر تأخيراً كبيراً .

ولا يغفل أحمد أمين أن يحدثنا ضاحكاً في بعض الأحيان مثال ذلك أنه ذهب في رحلة إلى حلوان مع أخوانه حين هموا بالرجوع قطع حداؤه وودعت أصبع قدمه فاضطر إلى أن يركب حماراً ليوصله إلى محطة القطار وأحاط به زملاؤه يضحكون منه ويرثون له . وحادثة أخرى ضاحكة رواها بعد حصولها بزمان طويل إذ أنه اشترى كتاباً من سيدنا الحسين وركب عربة « سوارس » عربية يجرها جوادان وكانت العربة مملوءة ، فحين أراد أن يدخل لمست برجله امرأة بلون قصد فإ كان منها إلا أن سبته سباً قبيحاً فضرب فيها بجريدة كانت بيده فأخذته إلى قسم الشرطة وكاد أن يحاكم لولا تدخل فتحي زغلول وكيل وزارة العدل .

وذكر أيضاً أحمد أمين حادثة طريفة أخرى شاركه في طرافتها صديقه طه حسين وعبد الوهاب عزام — إذ ذهب وهو في بروكسل عاصمة بلجيكا إلى الحلاق الذي لم يكن يعرف إلا اللغة الفرنسية وأحمد أمين لا يعرف من اللغات الأجنبية إلا اللغة الإنجليزية — فلم يتفاهما — وكان أن قصر الحلاق البلجيكي شعر أحمد أمين جداً — وقص أحمد هذه الحكاية على صديقه طه حسين وعبد الوهاب عزام فأغرق الإثنين في الضحك وقال طه حسين سأؤلف رواية اسمها « حلاق بروكسل » على وزن « حلاق أشيليه » — أما عبد الوهاب عزام فألف قصيدة يقول فيها :-

ونظر الأستاذ في المراءة فلم يجد في رأسه شعراية

وهذه الحوادث المضحكة لم يروها أحمد أمين لمجرد أنها مضحكة ولكن رواها لأن فيها - هزيرة - والسخرية لها هدف اجتماعي لا شك فيه فهو في الحادثة المضحكة الأولى يشير إلى أن حرمة الصداقة لا تراعى في وقت انفعالات المزاج فهام الأصدقاء وقد دعت داهية بأحدهم ماذا يفعلون ؟ إنهم يضحكون - إذن - فليتنجب الشخص - على قدر الإمكان - المواقف التي قد تسبب له الحرج والارتباك أما الثانية فهي تشير إلى أن المرأة لا يغلبها إلا لثيم وهو بتصرفه المنطقي لم يستطع أن يأخذ من المرأة التي شتمته وأوصلته إلى الشرطة شيئاً ، ومن ثم فإنه يأمح إلى وجوب تربية المرأة تربية تقوم على أساس الأخلاق الفاضلة الكريمة أما الحادثة الثالثة فهي تدل على أن التفاهم لن يتم إلا بين متجانسي اللغة ، أما هؤلاء الذين يختلف ألسنتهم فقد تحدث تجاه بعضهم البعض أخطاء - وإن كانت بحسن نية - إلا أنها أخطاء على كل حال .

وقد علق عباس محمود العقاد على إيراد أحمد أمين لهذه الفكاهات فقال : « فلا يمنع أحمد أمين العبوس أن يبتسم ولا يمنعه الابتسام أن يعبس ولكنه يطالعك في الحاليتين بصبر حكيم ينطوي فيه العبوس (١) والابتسام » .

وأن أحمد أمين ليوثر الحكمة في كل شيء حتى في فكاهاته - وإيمانه بالحكمة تجل في كثير مما كتب بل إنه يعترف بصراحة بأن الحكمة خير من العلم ولو اجتمع العلم (٢) والحكمة لكان خيراً أكبر .

وهكذا يعرض أحمد أمين شخصيته علينا في كتابه « حياتي » يعرضها بما في ملاحظها من حكمة ورغبة في الإصلاح ، وهو يتهج هذا النهج الذي تشعر فيه إزاءه بأن ما كتبه إلا علماً بمدى الفائدة التي يجنيها المرء من التراجم والسير كما قال العقاد « أحسب أن التراجم والسير لا تكب إلا لتوسيع أفق الحياة وتعدد جوانب الشعور » (٣) .

(١) بين الكتب والناس عباس محمود العقاد مقالة « كتاب حياتي » ص ٢٤ مطبعة مصر عام ١٩٥٢

(٢) طغى الحياة بأقلام نخبة من الشرق والغرب أشرف عليه الدكتور أحمد أمين دار المسلل مقالة أحمد أمين تحت عنوان « درهم حكمة خير من قطار علم » ص ٦٢ .

(٣) ساعات بين الكتب عباس محمود العقاد مقالة « مع باطوقا حول الدنيا » ص ٨٢ الطبعة الثالثة مكتبة النهضة المصرية .

فقد امتزج عند أحمد أمين في كتابه «حياتي» مبدأ الأدب مع مبدأ الأدب للحياة - فهو لم يعبر تعبيراً إلا بعد أن يفكر تفكيراً كثيراً - فالفكر يغلب والأدب نسيجه رقيق لا يتحمل تبعه هذه الأفكار المتراحمة ، ويعجبه القول الحكيم ذو المعنى الدقيق وقد وجدناه وهو عميد يذكر كلمة الشيخ محمد عبده « أن الرجل الصغير يستعبد المنصب والرجل الكبير يستعبد المنصب » - ومن ثم فقد أبرز لنا في كتابه بعض عيوب المجتمع الوظيفي مثل تركيز الأعمال كلها في يد مدير المصلحة ومطالب بتوزيع الاختصاصات ، وقد جنى تركيز أعمال كلية الآداب في يده على إنتاجه - فهو كما يذكر لم ينتج شيئاً في خلال العامين اللذين قضاهما كعميد - وأيضاً بعد أن استقال من عمله كعميد دون لنا في كتابه «حياتي» الكلمة التي قالها لصحفي «إنتي أصغر من أستاذ وأكبر من عميد» ، وقد ضغط أحمد أمين كثيراً على تبيان تمسكه بالمبادئ التالية فهو لا يسكت على خطأ مهما كان الخطأ وكثيراً ما كان يقول «لا» ما دام على حق فهابه الجميع من مؤيدين وخصوم - وهو في تمسكه بالمبادئ التالية واقعي ، فليس كل كبير كبيراً حقاً وهو يروي لنا أن تفكير المسؤولين الذين كان يناقشهم كان يبلو كتفكير رجل الشارع ليس الهوى ويفلقه انعطافاً .

وهكذا نرى أحمد أمين يتبع في منهجه الطريقة التحليلية التي يهتم فيها بالجزئيات الصغيرة ثم ينتهي بنا إلى التركيب الذي يمتلئ بالاستنتاجات والنظريات وقد أفسد هذا النوع من المنهج عناصر القصة في «حياتي» ، فإن «حياتي» تكاد تكون قصة لولا شيوع هذه الطريقة المثلثة في التحليل ثم التركيب فالتحليل ثم التركيب وأن عناصر القصة من موضوع وفكرته وهدفه ، وشخصيات ، وحوارها ، وعقدة وحلها ، لا يطرد فيها هذا المنهج المنطقي الصارم ومن ثم فإن وصف طه حسين لحياتي بأنها قصة من أروع القصص فيه شيء من المبالغة لا شك فيها وقد اعترف أحمد أمين ذاته بأنه فشل في كتابة القصة ومن ثم فوصف «حياتي» بأنه قصة لا يستساغ ولنتنظر مثلاً إلى الشخصيات في «حياتي» فترى أن الشخصية يجب أن تكون لها أبعاد ثلاثة البعد المادي والبعد الاجتماعي والبعد النفسي الذي هو نتيجة لاعتدين السابقين ، وحين نطبق هذا على أي شخصية من شخصيات أحمد أمين

في « حياتي » لا نجد فيها إلا بعداً واحداً أو بعدين على الأكثر وهو يهتم بالبعد الواحد أو البعدين لا لكي يجعل الحوار مسائراً لمميزات الشخصية وتنمو الحركة من خلاله ولكن لكي يصف لنا وصفاً تقريرياً الشخصية التي تحت ناظره ولو أن أحمد أمين اتبع القاعدة المضبوطة في كتابته عن الشخصيات وحدد الأبعاد الثلاثة بدقة ونضوج وتجارب كاف معها لا أكتمل عنده عنصر من عناصر القصة .

ونأتي إلى الحوار عند أحمد أمين فنجد أنه إذا وجد يمكن في كونه عبارة عن سؤال وجواب والسؤال والجواب لا يخلقان الحوار القصصى بشكل من الأشكال إذ أن الحوار الفني يعبر عن الحركة ويخلق حركة جديدة بجانبها وإلا أصبح الحوار حواراً ميتاً يعبر عن شخصيات ميتة .

أما العقدة في « حياتي » لأحمد أمين فهي قد توجد في جزئيات خفيفة حين يسرد لنا بعض الحوادث المضحكة كحادثة المرأة في العرية السوارس التي أخذته إلى الشرطة لأنه ضربها على فخما بالجريدة بعد أن سبته ولعنته فالعقدة في هذه الحادثة تليق في الأزمة التي نتجت عن أمر تافه وهو أن أحمد أمين لمس المرأة برجله عفواً حين أراد أن يتخذ مكاناً له ليجلس ثم تأزمت الأزمة حين اشتعلت المرأة بالغضب بعد أن ضربها بالجريدة ثم انفجرت الأزمة عن طريق الصدق والأخلاق وهو اللجوء إلى الشرطة ثم توسط فتحى باشا زغلول حتى لا يتقدم أحمد أمين إلى المحاكمة .

أما الموضوع في « حياتي » فكان هو المحور الأساسى الذى اهتم به أحمد أمين إذ أننا نستطيع أن نقول عنه ويحق أنه رجل موضوعى فهو قد عرض حياته عرضاً محدداً بهدف وهو أن تكون هذه الحياة بما فيها من تجارب ومواعظ عبرة للغير يستفيد منها ويستفيد من تجاربها ويبدو هنا الاختلاف بين أحمد أمين في « حياتي » ووطه حسين في الأيام ، فطه حسين بالنسبة لأحمد أمين من أنصار الفن للفن وأحمد أمين من أنصار الفن للاعتبار والعظة .

أحمد أمين يركب وطه حسين يجرّد وإن كان التركيب صالحاً في غير الفن إلا أننا لا ننسى أننا ننظر إلى أحمد أمين في كتابه « حياتي » على أنه عرض كتابه هذا عرضاً فنياً أكثر من أى كتاب آخر له وإن كان قد اقترب نهجياً من المؤرخ .

وإذا ارتدى رداء الفنان فأنما ليخلعه بعد مدة قصيرة فهو لا يطيقه ولا يتحملة بل سرعان ما يرتد إلى موضوعيته التركيبية .

فهو مثلاً يصور زوجه في أسلوب يقترب من أسلوب الفنان إلا أن هذا الرداء يخلعه ليرتدى رداء الطبيب الذى يشخص الداء ويصف الدواء وبين الرسالة التى تحملها المرأة وأنها هى المسئولة عن تربية الأجيال وغرس المبادئ الصالحة وتقوم المعوج والفاقد من الأمور - هذا - ولا أقول أن الفنان لا يدعو إلى هذا ولكن -

أبين أن الفنان حين يدعو إلى المبادئ والقيم لا يدعو إليها بتصنع ولا بقصد إليها قصداً وإنما يدعو إليها دعوة غير مباشرة ، وهذه الدعوة غير المباشرة إلى المبادئ والقيم وتأثيرها أكبر من الدعوة المباشرة .

وأحمد أمين فى حياته لم يكن شاعراً فى أسلوبه بل هو منطقى يقيس ألفاظه كما يقيس معانيه ويخشى أن يأتى لفظ زائداً وكلمة لا موضع لها وهو لهذا قد حذف باب الأطناب ولم يبق إلا على الإيجاز والمساواة .

وقد نلخص أحمد أمين فى مقالة له فى فيض المخاطر أهم الأيام التى أثرت فى حياته فذكر أنها ستة أيام ، اليوم الأول يوم خرج من الكتاب إلى المدرسة المنظمة واليوم الثانى يوم دخول مدرسة القضاء واليوم الثالث هو يوم زواجه واليوم الرابع هو تعلمه الإنجليزية واليوم الخامس سفره لأوروبا واليوم السادس هو تعيينه عميداً لكلية الآداب (١) ، ولدقة أحمد أمين وواقعيته وجدنا كتابه « حياتى » يصور نفسه منه تصويراً بلغ من دقته أنك تكاد تلمسه هو دون أدنى رتوش أو أية ظلال مما دفع بعض المؤرخين له إلى أن يقول عنه « أما أحمد أمين فقد رأيت صورته فى كتابه « حياتى » كما رأيته فى العيان والممارسة ولم أجده الشخص الذى فى الوجود وغالفاً للشخص الذى صورته نفسه على الورق بل لمست فيه تواضع العلماء والبعد عن التبجح والغرور ولم يصف إلى نفسه صفحة لم تكن فيه » (٢).

(١) فيض المخاطر ج ٩ (ستة أيام فى حياتى) .

(٢) محاضرات من احمد أمين اتاهها الدكتور زكى المحاسنى على طلبة قسم الدراسات الأدبية والفنية

معهد الدراسات العربية المالية - عام ١٩٦٢ - ١٩٦٣ .

والآن تتساءل هل سلك أحمد أمين في منهج ترجمته لحياته سلوك الترجمة الخارجية أم سلوك الترجمة الذاتية ؟ أو بمعنى أصح هل وصف أحمد أمين حياته من الخارج ووقف أمام نفسه كما يقف الرسام أمام صورة يحيط بتفاصيلها من الخارج أم أن أحمد أمين قد نظر إلى ذاته من الداخل وصور مشاعره وأحاسيسه ولون خارجه ألواناً نابعة من وجدانه ؟

الحقيقة بعد هذا التحليل نجد أن أحمد أمين قد ترجم لنفسه من الخارج أكثر مما ترجم لها من ذاته فهو في « حياتي » كان يصحح أن يسميه « حياتي وحياة الآخرين » ولو أنه كان قد اتصل بالآخرين اتصالاً مرتبطاً أى أنه كان قد اتصل بهم اتصالاً لا تلغى فيه ذاته لكان حقاً مترجماً لذاته الترجمة التي تنضبط تحت المعنى الدقيق للترجمة الذاتية ، فثلاً يكتفى لأحمد أمين أن يرى رجلاً إنجليزياً في الواحات الخارجية فنجد أنه لا يتحدث عنه إلا من الناحية الموضوعية الخارجية التي لا تتصل به من قريب أو بعيد ، فالذي يترجم لنفسه ترجمة ذاتية حين يرى مثل هذا الرجل الإنجليزي في الواحات الخارجية لا يتحدث عنه من خلال الإعجاب أو الذم حتى لو اتصل بموضوع خارجي فهو يغلفه بذاته .

أما الذي يترجم ترجمة خارجية فانه يفعل كما فعل أحمد أمين فهو يتحدث عن هذا الرجل الإنجليزي كموضوع خارجي عن ذاته فهو لا يتصل به إلا من وجهة النظر الموضوعية ثم هو يربط بينه وبين قلعة الأجانب على مواجهة الغرباء بقلب من حديد بينما نجد أن المصريين مرتبطون بالأرض لا يهاجرون ولا يفتربون .

إذن فأحمد أمين في « حياتي » نستطيع أن نقول عنه أنه كان مؤرخاً أدبياً ، قبل أن يكون أدبياً مؤرخاً ثم وهو في تأريخه لحياته يؤرخ عنها كشيء خارجي لم يؤثر عليه وإنما وصفه كما هو فكأنه جعل من نفسه وثيقة من الوثائق بحققها ، وقد ظهر كأديب حين كان يفعل إرادياً والانفعال الإرادي يكون انفعالا موقفاً وحين يزول يرتدى أحمد أمين ثوب العالم ، إذ أن الأديب يفعل دائماً انفعالا لا إرادياً فيكون أسلوبه شاعرياً متصلاً بوجدانه الذي لا يتحكم فيه عقله أو منطق .

وقد بين لنا أحمد أمين أن الكتابة في الأدب الإنشائي لا تتم إلا وهناك المزاج

الملائم وقد عمر على الكاتب الأديب أوقات وخلق ضرره أهون عليه من كتابة مقال (١).

ولذلك فإن اتصال أحمد أمين بالأدب الإنساني وهو يكتب « حياتي » لم يتم إلا في بعض المواقف التي حددتها فيما سبق ، أما اتصاله بالمواقف الأخرى، وهي كم عظيم فكان اتصال استقصاء وفكر ، وعلى هذا فكان الأسلوب في الأدب الإنشائي البحت أسلوب أدباء أما الأسلوب في موضوعاته الأخرى فكان أسلوب علماء يتقصون الحقائق ويعبرون عنها تعبيراً فيه إيجاز وتركيز ووضوح .

ثالثاً - ترجمة أحمد أمين لأساتذته

لا شك أن أحمد أمين حين يترجم لأساتذته فإنه يترجم لأناس متصلين بذاته ومن ثم فلا يمنع هذا أن يحكم حكماً فيه نوع من الإعجاب الزائد ، ومع معرفتنا بأن هذا صحيح ، إلا أن أحمد أمين وكان محايداً مع ذاته هو ، في باب أولى ، أن يكون محايداً مع الآخرين .

وأول من تأثر بهم أحمد أمين من أساتذته هو محمد عاطف بركات الذي كان ناظراً للمدرسة القضاء الشرعي وأستاذاً للفلسفة أيام أن كان أحمد أمين طالباً بها ومعيداً وقد كتب أحمد أمين عن عاطف بركات في مقالتين .

ومن ترجم لهم أحمد أمين من أساتذته أيضاً على فوزى .

محمد عاطف بركات :

هجم أحمد أمين على الموضوع مباشرة دون مقدمات وكان هذا هو منهجه في تناوله للموضوعات فهو لا يعمل لها تقدماً وإذا كان فهو تقديم يكا ويكون داخل في الموضوع لا منفصلاً عنه ، فهو حين يتحدث عن بركات في المقالة الأولى في الجزء الأول من فيض الخاطر لا نجده يسرف في إظهار عواطفه الحياشة بالألم من سماع نبأ وفاته بل يكتفي بأن يبدأ بدمعاً تركيبياً فيه صياغة لحقيقة الدنيا الزائلة فيصفها بأنها خط في ماء ، وبسرعة خاطفة يتقلنا نقلة أخرى فيبين صلته ببركات

(١) فيض الخاطر ج ١ « كتابة المقالات » .

وكيف أنها امتدت إلى أربعة عشر عاماً عرف من خلالها صحيفة حياته ، كأنه بين أن حديثه عن بركات ليس فيه مبالغات وإنما هو تقرير للحقيقة .

وقد نهج أحمد أمين في مقالته هذه عن بركات نهجاً منطقياً بحتاً ، إلا في المقدمة العاطفية القصيرة التي أشرت إليها ، ثم بعد ذلك قسم مقالته إلى عدة عناصر :-
العنصر الأول عن معاملة عاطف بركات للطلبة : وفيه أبان كيف أن عاطف بركات نهج نهجاً جديداً من ناحيتين ، الناحية الأولى في المادة حيث أن مادة الأخلاق التي كان يحاضر عنها في مدرسة القضاء الشرعي لم يدرسها كمواعظ وعبر وإنما استطاع أن يفاسفها ويخصمها للعقل ومناهج التفكير والناحية الثانية في الطريقة حيث اتبع مع الطلبة طريقة شرح النظرية ومناقشتها دون التمسك بالكتابة الوقتية ، بل إن الطلبة كانوا يعتمدون على أنفسهم بعد ذلك في كتابة المحاضرات على ضوء الشرح السابق ومناقشته .

والعنصر الثاني علاقة عاطف بركات بزملائه الأساتذة : فقد كان بركات ينتهز إثارة كل فكرة جديدة مع زملائه ويشققها ويستخرج منها الحديد الذي يعلنه بكل شجاعة لا يبالي لومة لائم ، وما أكثر اللاتمين في عصره .

والعنصر الثالث صفات بركات الخلقية : وهذا العنصر كان أهم ما في الموضوع إذ أنه ركز عليه تركيزاً شديداً وأبان كيف أن المترجم له كان عنيداً في التمسك برأيه كارهاً للكذب وسفاسف الأمور حازماً في إدارته لعمله عارفاً بنظريات علم النفس ومطبقاً لها في معاملته لجميع أبنائه الطلبة ، وكان كثير العمل قليل الكلام .

وقد أوجز أحمد أمين في مواضع الإيجاز والإطناب على السواء وإيجازه في موضع الإطناب وإن كان عيباً في النظريات البلاغية إلا أنه استطاع أن يرفع هذا العيب في التطبيق فلم نجد خلافاً في إيضاح الفكرة بالرغم من تعبيره بالكلام القليل عن المعنى الغزير .

ثم في مقالة ثانية في الجزء العاشر من فيض الخاطر يتحدث أحمد أمين عن أستاذه محمد عاطف بركات فيفصل له في أربعة عناصر ، العنصر الأول من هذه العناصر يتصل بالمدخل اتصالاً وثيقاً فهو أيضاً هنا لا يتخلى عن مبدأ الهجوم على الموضوع مباشرة فإذا كتب مقدمة له فتكون قصيرة ومتصلة مع صلب الموضوع .

فدخل المقالة وعصرها الأول المتداخلان يتحدث فيها أحمد أمين عن أرسطو وأفلاطون وكيف أن من يتغلب عقله على عواطفه ومشاعره تسمى نزعته نزعة أرسططالية ومن يتغلب مشاعره فتسمى نزعته نزعة أفلاطونية وقياساً على هذا نجد أحمد أمين يشبه من يتصدى للإصلاح ويتحرى العدل المطلق بعلي بن أبي طالب ويشبه من يتصدى للإصلاح وهو يقول «إنا لا نصل إلى الحق إلا بالخوض في كثير من الباطل ، بمعاوية بن أبي سفيان وقد ظهر الترابط بين هذا المدخل وبين العنصر الأول حين وجدنا أحمد أمين يشبه المترجم له بعلي بن أبي طالب ، ثم نجده يزيد الأمر تفصيلاً في العنصر الثاني من مقالاته ويضرب أمثلة لعدله وهذه الأمثلة تختلف عن التي ضربها له في المقالة الأولى عنه .

أما العنصر الثالث فقد وصف أحمد أمين المترجم له بوصف جديد هو نظافة العقل وقد بين معنى نظافة العقل في قوله « لا يقبل عظة الفكرة إلا إذا كانت واضحة ولا يعبر عنها إلا إذا كانت ناضجة محدة » (١).

ولولا هذا التوضيح لظننا نظافة العقل بمعنى خلوه وفراغه .

وقد اشترك العنصر الرابع وهو تشبيه عاطف ببركات بسقراط مع عنصر من عناصر المقالة الأولى حين ذكر عنه أن الطلبة والأساتذة كانوا يتحلقون حول عاطف ببركات الذي كان يستغل موضوعاً تخلفه المناسبة ويكلمهم فيه .

فتكرر هذا العنصر في مقالتين وإن كانت وحدة الموضوع تجمعهما يتنافى مع ما طبع عليه أحمد أمين من نبذ للتكرار وأن العناصر السابقة التي حلل بها أحمد أمين « للمترجم له تجده بعد التحليل يركب الخلعة المتمثلة في كون المترجم له أنموذجاً صالحاً لتولى نظام مدرسة القضاء الشرعي » فعاطف ببركات لم يكن يصلح إلا ليكون أستاذاً ومديراً لمعهد علمي ولم يكن يصلح لمنصب إداري آخر فيه الرجاءات والمجاملات أو لمنصب سياسي فيه المضايقة والمساومة .

والآن هل استطاع أحمد أمين في منهجه في مقالاته عن محمد عاطف ببركات أن ينير الطريق للمتلقي لاشك أن تشقيقه لموضوعه وتحليله ثم تركيبه مرة أخرى

(١) فيض الخاطر ج ١٠ ص ١١٤ .

أوصلنا إلى نتائج ما كنا لنصل إليها لو سلك منهاجاً آخر فيه تفصيل مستمر من المقدمة إلى الخاتمة أو فيه تركيب مستمر من المقدمة إلى الخاتمة .

على فوزى :

ونحن في حديثنا عن هؤلاء الذين ترجم لهم أحمد أمين لا نتحدث عنهم على أساس الاتصال بمنهج في المقالة عامة « فحسب ولكننا نتصل بهم على أساس التعرف عليهم عن طريق الكيفية التي استخدمها المؤلف في تعريفنا بهم أيضاً » .

وعلى هذا كان لنا أن نسلك طريقين لتحقيق الهدف ، الطريق الأول وهو الاتصال بالمنهج العام الذي استخدمه المؤلف في كتابة مقاله والطريق الثاني الاتصال بالمنهج الخاص الممثل في التشكيل والتصوير والتخطيط . التفكير لبناء الموضوع الخاص بالترجم له .

ومن هنا لا نستطيع أن نحدد حدود المنهج العام لكاتب من المقالة الأولى لأنه في المقالة الأولى لا يتاح المجال للمقارنة ، أما في المقالة الأخرى وخاصة وأنها المقالة التي نختم بها ما كتبه عن أساتذته الذين اتصل بهم اتصالاً مباشراً وعميقاً ، فإن مجال المقارنة متاح يمكننا من رسم حدود منهجه العام ومنهجه الخاص في المقالة التي يكتبها عن يعرفهم معرفة مباشرة .

فنهجه العام في مقالته عن على فوزى والذي اتضح أيضاً في مقالته عن عاطف بركات تبين فيه الخطوط الرئيسية التالية :—

أولاً : الدخول إلى الموضوع مباشرة وإذا كان هناك مدخل فإنه أيضاً يتصل بالموضوع عن قرب .

ثانياً : ميل أحمد أمين الغزوى (من الغريزة) إلى التحليل والتفصيل والتوضيح بضرب الأمثلة وذلك لوضوح الفكرة عنده وعمقها وشموها .

ثالثاً : مع كثرة التفصيلات في ثنايا الموضوع إلا أنه يختتم بنتائج مركبة يلطمه بها وإن كانت هذه النتائج لا تقنى عن المقدمات فكما سبق أن وضعنا أن المقدمات هي الروح بالنسبة للباحث فالمقدمات والتحليلات لا تقنى عنها النتائج المركبة .

رابعاً : تقييد أحمد أمين بالزمان والمكان مما جعله ينجح نهجاً واقعياً فيه كثير من العرامة والدقة التي يلتزم بها العلماء أكثر مما يلتزم بها الأدباء .

خامساً : ظهور شخصية أحمد أمين ظهوراً ملتزماً وذلك عن طريق تنظيمه لعناصر موضوعه تنظيماً عادلاً فيه روح القاضي ووقاره وتقيده بالحجيات .

أما عن المنهج الخاص في مقالته عن علي فوزى (١) فقد وضح في التشكيل والتصوير والتخطيط والتفكير وكل هذا حواه منهجه العام ، أما من ناحية التفصيل فقد وجدنا أحمد أمين أيضاً يتجه إلى علي فوزى مباشرة عن طريق مدخل قريب ومحدثنا عن خلق التواضع عنده ويصفه وصفاً مفصلاً متصلاً بالمحسوسات والتفسيات وهو يستخدم بعض الألفاظ المستحدثة مثل « التصادم النفسي » حين تحدث عن الخصام الصامت بين « علي فوزى » و « عاطف بركات » كما كان قد استعمل كلمة « نظافة العقل من قبل » في مقالته عن « عاطف بركات » وحينما خطط أحمد أمين لمقالته هذه وجدناه يلجأ إلى تتبع المترجم له في مختلف مراحل حياته الوظيفية ، فهو يتبعه وهو مدرس بمدرسة القضاء الشرعي يدرس له التاريخ ويستخلص بعض الظواهر الاجتماعية أو النفسية ويستفيض في الحديث عنها ثم يسير معه وهو في وظيفته الإدارية وكيف أنه ثار على هذه الوظيفة الإدارية كما ثار عاطف بركات من قبل ، وليس اتفاقاً أن يكون عاطف بركات وعلي فوزى ساطعين على الوظيفة الإدارية ومحبين لمهنة التدريس ولعل أحمد أمين قد أضنى على المترجم لها من ذاته وجعلهما مثله في حبه للتعليم والتدريس ، ومما يدل على أنه كان يأخذ من صفاته ويصنح بها شخصيات من يترجم لهم أن هناك بعض الصفات المشتركة بينه وبينهم . مثال ذلك أنه كان يصف علي فوزى بالحساسية المفرطة وهذه كانت صفة من صفاته وبعض بني أحمد أمين في خطته المتبعة لحياة علي فوزى فيبين أنه قد ضاق بالوظيفة وضاق بمصر كلها ورضى بالمعاش القليل يأخذه بدلاً من المرتب الكبير وذلك لكي يطوف بأوروبا ويستقر به المقام أخيراً في استانبول حيث يتفق معظم معاشه على الفقراء والمساكين ويكفي بغذاء روحه وعواطفه ، فهو يؤمن بأن الحرية مع الفقر خير من الذل مع الغنى ويستخلص أحمد أمين بعض النتائج من معيشة علي فوزى

(١) نفس الظاهر ج ١ « علي بك فوزى » .

وهذه النتائج وإن كانت مستخلصة من التفصيلات السابقة إلا أنها تصح أن تكون نتائج عامة مركبة في هيئة حكمية تشبه الأمثلة فهو يبين أن للمال وظيفتين ، وظيفة يسد بها المرء حاجاته الضرورية ووظيفة أخرى للمروءة والشهامة .

ويعضى بنا أحمد أمين ويظل متبعاً لموصوفه حتى في صفاته النفسية فهو يبين لنا أن على فوزى كان شديد الخجل وهذا الخجل الشديد جعله يطيل التفكير في نفسه وهذا التفكير المتواصل في نفسه جعله يتوهم أن الناس جميعاً ينظرون إليه ويعيبونه ومن ثم فإنه كان إذا جلس في مقهى جلس وراء عامود حتى لا يراه الناس وإذا تتره ليلاً وفي الشوارع الخالية ويبين لنا أحمد أمين أن خلق الرحمة تغافل في نفسية المترجم له حتى رحم الناس فخرج لهم عن ماله ورحم المرأة فأبى أن يتزوجها ورحم الحيوان فعاش نباتياً ، بل وصلت به الرحمة بنفسه أن يخرج عن نفسه فمات لأنه ضعف أمامها فانسحب من الحياة جميعها .

وقد ظهر أحمد أمين كأديب في هذه المقالة فكان أسلوبه شاعرياً يصور به ولا يصف ديلون به ولا يسطر ، هكذا كان أحمد أمين حينما ترجم للذات وحينما ترجم للغير وبأن منهجه العام والخاص في كتابة السيرة عن نفسه وعن أستاذه اللذين تتلمذ عليهما في مدرسة القضاء الشرعي ...

رابعاً - ترجمة أحمد أمين لزعماء الإصلاح

ظهرت ترجمة أحمد أمين لزعماء الإصلاح في كتاب مستقبل تحت عنوان زعماء الإصلاح في العصر الحديث ، وزعماء الإصلاح كانوا عشرة هم محمد بن عبد الوهاب وملحدت باشا والسيد جمال الدين الأفغاني والسيد أحمد خان والسيد أمير علي وخير الدين باشا التونسي وعلي باشا مبارك وعبد الله نديم والسيد عبد الرحمن الكواكبي والشيخ محمد عبده - وقد ظهرت ترجمة أربعة منهم في كتابه هذا وفي فيض الخاطر فقد ظهرت ترجمة الدين جمال الأفغاني في الجزء الرابع ص ٢١٦ وخير الدين باشا التونسي في الجزء السادس ص ٢٠٣ وعبد الرحمن الكواكبي في الجزء السادس ص ١٧٩ والشيخ محمد عبده في الجزء السابع ص ١٥٥ .

ونحن لا ننظر إلى المنهج في هذه الترجمات لزعماء الإصلاح على أساس ترجمة كل فرد ولكن ننظر إليها على أساس عام - فهذه التراجم للمصلحين العشرة نجد في منهجها أفكاراً قيمها أحمد أمين وألح عليها ثم نجد نظاماً خاصاً اتبعه في التعبير عن هذه الأفكار - أي أننا كما قلنا من قبل نجد له منهجاً عاماً يتصل بالكيفية الشاملة يصوغ الباحث عن طريقها المقدمات والنتائج ونجد له منهجاً خاصاً يشمل الخطوط التي يصور بها أفكاره في نطاق الكيفية الشاملة .

وأن الأفكار الأساسية التي برزت في زعماء الإصلاح تتلخص في النقاط الخمس التالية :

- الدين والعلم هما الويلتان لإصلاح المجتمع الإسلامي الممتد من الهند شرقاً إلى المغرب غرباً - وليس هناك بديل لهما - ولذلك لم يترجم إلا لمن فهم هذه الحقيقة ودعا لها وأقام عليها قواعد إصلاحه بقوة ويقين - ولذلك لم نجده يترجم لأمثال مصطفى كامل وقاسم أمين في مصر ومحمد المهدي في السودان وعبد القادر الجزائري والسومسي الكبير في ليبيا لأن هؤلاء وإن آمنوا بأن الدين والعلم هما الويلتان لإنقاذ المجتمع الإسلامي مما يتردى فيه إلا أن دعوتهم لم تقم في معظمها إلا على اللبس الخفيف لهذه الحقيقة دون تعمق أو لم تقم إلا على غيوبة وجدانية فيها كثير من الخيال والبعد عن الواقع .

فالدين يأمر أن يعم نور العلم في كل الأرجاء - والذي يقوم بهذه الرسالة هم هؤلاء النفر من المصلحين الذين أعلوا إعداداً عقدياً وعلمياً لخدمة شعوبهم يرفعون قول الله تعالى : « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » .

فالقضاء على الجهل والفقر والاستعمار هو قضاء على المنكر وهو دعوة إلى الخير .

وإن الدين والعلم اللذين اتخدهما هؤلاء المصلحون جميعاً سنداً للدفاع عن حقوق الشعوب الإسلامية المهضومة قد استخدموا استخداماً يتناسب مع طبيعة كل مصلح - فهذا جمال الدين الأفغاني قد فهم أن الواقع الذي تحيا فيه الشعوب الإسلامية يحتاج إلى جرأة وشجاعة في مواجهة الأحداث وهذه الشجاعة لا تنفص

من عمر أحد فحارس المزة أجله - وأن جمال الدين الأفغاني كما صورده أحمد أمين كان يطلب من المرء أن يدير حواراً يكون موضوعه هل يتمتع الحيوان بالحياة التي يحياها ؟ - كلا - إنه في دنياه ذليل وفي أخراه غير عزيز - وحينما يصدق المرء الحديث مع ذاته يجد أن الحياة الحقيقية تكمن في الشجاعة فالشجاعة تشبه عصا موسى على المرء أن يقبل ليأخذها بلا خوف من تحولها إلى ثعبان فهذا الثعبان وهم وليس حقيقة - وعلى هذا فالشجاع يفر منه الموت والحيوان يتجرأ عليه الموت مراراً لأن الإنسان يحيا بميران ويتحرك بإصبع الرحمن فلا يجيد قيد أمثلة عن الخط المحدد له فالله تعالى خلق الإنسان حراً في أن يفعل ما يشاء بقدرة خالقها فيه - ومن هذه الناحية نجد الإنسان مسئولاً - ويحاسب حساباً عسيراً على عمره فم أفناه ؟ أفناه بجبنه وتحاذله أم أنه قد أحيا عمره من جديد حين واجه المعارك ضد المستبدين بيأس وتدبر وشجاعة ؟ - الحقيقة - أن الإنسان بشجاعته لا يموت وإن قتل - وأن الإنسان بجبنه لن يحيا ولو هرب من الموت ، وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً ، وأن المحتج بقوله تعالى : « ولا تلتقوا بأيديكم إلى التهلكة » ظنا أن التهلكة هي في الفرار من مواجهة المستبد قد أخطأ لأن العز هو في الإقدام على تدمير هذا العاث المستبد .

وظل جمال الدين الأفغاني كما صورده لنا أحمد أمين يحترم إنسانيته الشجاعة بتزنيه للخالق التزني اللائق فهو لا يعتمد حقاً إلا عليه ، ولا تدع من دون الله مالا يتفعل ولا يفكر فإن فعلت فإنك إذن من الظالمين » - وهذه الاستجابة - قد تحققت عند الأفغاني حين عود ذاته بأنه لاشئ في الوجود قادر على جلب النفع أو دفع الضرر إلا بإذن الله تعالى - وأن جمال الدين الأفغاني يصم أذنيه عن دعاوى التخاذل وعدم الأخذ بالأسباب فإن من يستجيب لله عليه أن يتمسك بأسبابه التي قدرها وخلقها وليس هناك تعارض بين دفع الأذى بالتي هي أحسن وبين اللجوء إلى الله بالتضرع والدعاء - فالإيمان والعمل ركنان لا ينفى أحدهما عن الآخر والرسول عليه السلام يقول : « الإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل » - فكيف بالشعوب الإسلامية وهؤلاء أعداؤها يصلونها ناراً تقف غير مستعدة بل متذاعسة متخاذلة بحجة أن هذا قدر لا ينفى ومصيبة لا ترفع - يتناول جمال الدين الأفغاني

هذا القول بالتفنيذ ويبين أن الله لا يأمر بالفحشاء أبداً وأن من الفحشاء السكوت على المستبدين الذين يرمون الأئمة والشعوب بتران طغيانهم وجبروتهم فعل الأئمة ألا تسكت على هذا الموانع وعليها أن تدفع عن كاهلها عبء نير هؤلاء المفسدين الذين يفسدون في الأرض ويقولون إنهم المصلحون - ولكنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون - وهذه المدافعة تتطلب شجاعة قبل أن تتطلب مرونة وسياسة - ومن هنا وجه الخلاف بينه وبين الشيخ محمد عبده تلميذه ثم صنوه بعد ذلك . محمد عبده يريد الإصلاح المبني على الدين والعلم عن طريق التدرج والمرونة وكسب الخصم - بينما كان جمال الدين الأفغاني حار المزاج حاد التصرف يريد من الشعوب المغلوبة على أمرها أن تثور وتثور وتفضي على المستبدين الذين يريدون لها ألا تستجيب لعزة الدين أو لنور العلم . وقد عرض أحمد أمين منهجاً لهذه المقارنة حين تحدث عن جمال الدين الأفغاني ثم كرر هذه المقارنة حين تحدث عن محمد عبده .

وأن فكرة الإصلاح القائمة على الدين والعلم كما أظهرها أحمد أمين عن الأفغاني وعند محمد عبده قد أظهرها كذلك عن محمد بن عبد الوهاب وعبد الرحمن الكواكبي .

ومن المعروف أن محور الدين عند المسلمين كلمة « لا إله إلا الله » وقد تمسك بها محمد بن عبد الوهاب مجردة تجريداً كاملاً بنفس التجريد الكامل الذي كان عليه الإسلام في أوله يوم نقل الناس فيه من الشرك إلى الوحدانية فلا بد أن يكون هذا التجريد حاداً حتى لا يترلق العرب بصورة أو بأخرى إلى الشرك المظاهر أو الشرك الخفي - فلما مرت القرون على الإسلام ورأى محمد بن عبد الوهاب هذا المحور للدين الإسلامي وقد لحق به من الصدا الشيء الكثير بسبب الجهل الذي طم والرين الذي غلف القلوب وجدناه يستند إلى القوة في تحالفه مع ابن سعود ليعيد للمحور رونقه وللوحدانية تجريدها - وكان المسلمون فعلاً في هذا الوقت محتاجين لهذه الثورة العارمة ضد مظاهر التقديس للحجر والمدر والشجر والإنس والجن والسلاطان والجاه حتى ولو لم يكونوا يقصدون هذه الأشياء لنواتها - أفلا يقصصونها لتقريبهم إلى الله زلنى ويتصل بمحمد بن عبد الوهاب اتصالاً مبنياً على إيمانه بالدين والعلم

كأساس للإصلاح وهو في إظهاره لتشدده يعدد الأسباب لهذا التشديد ويلخصها في قوله « كانت العقيدة الإسلامية في أول عهدها صافية نقية من أى شرك وكانت لا إله إلا الله معناها السمو بالنفس من الأحجار والأوثان وعبادة العظماء وعدم الخوف من الموت في سبيل الحق » (١) .

ويلع أحمد أمين في إظهار الأعذار التي دفعت محمد بن عبد الوهاب إلى استخدام القوة في إعلاء كلمة لا إله إلا الله ولكن أتباعه من بعد أصحابه التشنج في العصية التي لا حدود لها حين هدموا قبة الروضة الشريفة وحين حرموا على أنفسهم استخدام السيارات والطائرات والمصاعد الكهربائية والهاتف وكل اختراع حديث بحجة أن هذا الاختراع بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار ولكنهم الآن أقبلوا عن هذا التشنج وركبوا للدنيا كل مركب .

فحين عرض أحمد أمين لفكرته عن الدين والعلم وجدناه يبين أن الدين على علم هو الدين اليسر الذي حث عليه النبي صلى الله عليه وسلم أما الدين المبنى على الجهل فهو الدين الذي يكون صاحبه كالنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى .

وقد بان هذا واضحاً جلياً فيما كتبه عن مصلح آخر هو عبد الرحمن الكواكبي في كتابين له هما « أم القرى » و « طبائع الاستبداد » - فقد عرض أحمد أمين لكتابه هذين وبين أهم ما فيهما وتعرض لفكرة الدين والعلم التي تقوم عليها مبادئ الإصلاح فمدح عبد الرحمن الكواكبي في فهمه العميق للشهادة التي توحى بالضعف أمام الله والقوة أمام سواه ويتفق الكواكبي مع محمد بن عبد الوهاب في أن كلمة لا إله إلا الله التي عز بها المسلمون في غربتهم الأولى أصبحت الآن كلمة جوفاء لا روح فيها - غير أن الكواكبي يريد أن يعيد لهذه الكلمة قوتها لا في تحطيم المزارات وهدم الأضرحة فهذه أمور شكلية وإنما يريد أن يعيد إليها روحها في تمسك المسلم بها أمام استبداد الحاكم والرئيس والمال والنسب فالمسلم إذا قال « لا إله إلا الله » يحقها لم يهب سلطاناً ولا ذا جاه ولا إنساناً مستبداً فالذي يقول

(١) زعماء الإصلاح في العصر الحديث - أحمد أمين - مكتبة النهضة المصرية ص ١٦ الطبعة

لا إله إلا الله عليه أن يقولها بقلبه والقول بالقلب غير القول باللسان - فالكلمة من اللسان قد لا تتجاوز طرفه ولكنها في القلب تهترأها السموات وتنفطربها الأرضون - فهوؤلاء الذين كانوا يقولونها في صدر الإسلام كانوا ألقاً يغلبوا ألقين وكانوا لا يستعملون إلا الخيل فيهمزون بها الفيلة كانوا بصورهم يحطمون الحصون ويقتلون القلاع - كان عبد الرحمن الكواكبي يريد من المسلمين أن يكونوا متفهمين للدين هذا الفهم القائم على العلم حتى تعود إليهم عزتهم ويتمكنوا من القضاء على الاستبداد الذي جعل اللب نجف في الضرع والخصب يكف في الأرض والمروءة تختفي في الإنسان الذي تنقلب عنده الفضيلة إلى رذيلة والرذيلة إلى فضيلة .

ثانيا - الشورى :

وهذه الفكرة الديمقراطية التي يبنى عليها الإصلاح مستمدة أيضاً من الإسلام وقد حكى الله تعالى في القرآن الكريم أن بلقيس كان لها مجلس شورى « ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون » وبلقيس وهي تحكم مملكة مزدهرة - إنما بنى ازدهارها على هذه الشورى وعلى هذا الأساس وجدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يريد للمسلمين أن تزدهر أحوالهم قد رباهم على هذه الروح - وهو الرسول الأمين مثال ذلك ما حدث في غزوة بدر حين غير خطته التكتيكية بناء على مشورة أحد الصحابة وفي غير هذا الموقف نجد الرسول صلى الله عليه وسلم يستشير أصحابه - وقد أدبه ربه في هذا المجال مما كان له أثره في قيام دولة الإسلام أولاً ثم ازدهارها ثانياً نجد هذا واضحاً في قوله تعالى « وشاورهم في الأمر » وأمرهم شورى بينهم - فلما ترك المسلمون هذه الخطة خطة الشورى واستبد حكمهم بهم ولم يقل الشعب للظالم « لا » ولم يضرىوا على يديه تفككت الدولة الإسلامية - وقد سار بنا أحمد أمين ووضع أيدينا على هذه الفكرة فيما كتبه عن زعماء الإصلاح وبين أن هؤلاء الزعماء أرادوا أن تستفيد الشعوب الإسلامية من مبدأ الشورى وعليها أن تطبقه وعلى الحاكم أن يؤسس مجالس الشورى المنتخبة من أفراد الشعب - ولن يقوم هذا الأمر إلا إذا تكون الرأي المستير - وهنا ترتبط هذه الفكرة الثانية بالفكرة الأولى - فلن تقوم هذه الاستشارة إلا بالعلماء الذين لا يماثلون الحكام على حقوق الشعوب

وقد أظهر أحمد أمين هذا في عهد المصلح خير الدين التونسي الذي وجدنا الباي في عهده يعاونه بعض المثماقين في مناهضة روح الشورى التي كان يدعو إليها هذا المصلح التونسي .

ومبدأ الشورى لا يمكنني برديده وذكره من غير تطبيق — وإلا كان كالطبل الأجوف يسمع دويه ولا يغني هذا الدوى شيئاً .

فتطبيق الديمقراطية هو الغاية من الشورى التي يأمر بها الدين ويجليها العلم ويحرسها أولو الأمر وهم العلماء والحكام .

وأن الشورى تنبع من القاعدة كما تنبع من ولاية الأمور ولا أقول القمة والقاعدة إذ أن الناس في الإسلام سواسية كأسنان المشط — وعلى هذا فإذا ذكرنا القاعدة فأننا نقصد القمة وإذا قلنا القمة فأننا نقصد القاعدة — وأعجب — من رجلة هؤلاء المصلحين إلى أوروبا ثم حينما يتحدثون عن شيء رأوه كأنه جديد عليهم .

ألا وهو رأوه الشورى ، فالشورى كما ذكرنا قديمة قد حث عليها الإسلام وبين القرآن أن الأمم المزدهرة كانت تدين بهذا المبدأ .

ذهب مدحت باشا إلى أوروبا فرأى مبدأ الشورى مطبقاً وحينما تولى رئاسة الوزراء وصار صديراً أعظم في الدولة العثمانية رأى أن يطبق ما رآه في أوروبا — فعارضه السلطان كما عارضته حاشية السلطان — ولو أن مدحت باشا قد ذكر الشورى على أساس أنها من الشرق أصلاً وليست مبدأ مستورداً لما خاف السلطان ولما خافت حاشية السلطان فإن داء هؤلاء السلاطين كان في خوفهم من صدى الثورة الفرنسية التي تفجرت في أواخر القرن الثامن عشر وظهرت آثارها سريعاً في القرن التاسع عشر — فإذا كانت الشورى في أوروبا قد تحدث عنها أصحاب الأقلام في فرنسا كـ مونتسكيو وجان جاك روسو وفولتير كشيء ابتدعوه — فإنها في الشرق كانت موجودة كأساس وقاعدة ولكن أكلها الحكام باستبدادهم ونسبها أفراد الشعب بحملهم ولذلك حينما ذهب مدحت باشا المصلح التركي وأمثاله إلى أوروبا وجدنا الدهش يستغرقهم كأنهم رأوا شيئاً جديداً مبتكراً لم يعرف في الشرق من قبل بينما نجد أن هذه الشورى قد نبعت في الشرق وشجع عليها الدين ورفق لواضعها العلم ..

وقد ألح أحمد أمين على هذه الفكرة كثيراً ذين أن زعماء الإصلاح طالبوا بها وقد تعرضوا من جرائها لألوان العذاب والتشريد فيها. هو سلطان فارس ينكل بالأفغانى وها هو الخديو توفيق ينكل بمحمد عبده - وها هو باى تونس سام خير الدين باشا الحسف وقد لاقى عبد الله النديم من الهوان على أيدي الحكام المستبدين فى مصر على طول فترة حياته القصيرة ولم ينبج من هذا العذاب إلا على باشا مبارك الذى كان يدعو إلى الإصلاح فى هلوء وتؤدة كهنوه أحمد خان فى الهند .

وقد وضع أحمد أمين الحاكم الذى لا يأخذ بمبدأ الشورى إنما هو مستضعف نفسه كما هو مستضعف لشعبه فهو يخاف من نفسه التى ضعفتها الأخطاء ولم يبق لها إلا كيان نمزق كذلك هو يخاف من الشعب الذى إذا حاسبه عزله - ومن ثم قام هؤلاء المصلحون بدعوة الحكام أن يحاسبوا أنفسهم قبل أن يحاسبوا ويزنوا أعمالهم قبل أن توزن عليهم كما أنهم وجهوا كلماتهم إلى الشعوب كى تقوم من غفوتها وتصحو من رقدتها ولا يمكن لمفكر مثل أحمد أمين أن يتحدث عن أفكار الإصلاح إلا وهى قائمة بذاته أيضاً ففكرة مثل فكرة الشورى لا يدعو إليها كفكرة وقتية تنهى مع المصلح الذى ينادى بها - ولو كانت دعوة المصلح الذى يكتب عنه أحمد أمين مقتصرة على حياته لما تكلم بهذه الحرارة التى نشعر بها شعوراً قوياً بين طيات السطور التى يخطها .

ثالثاً - الاتحاد :

أشار أحمد أمين كثيراً إلى هذه الفكرة ، فكرة الاتحاد التى نادى بها هؤلاء المصلحون فى بيناتهم ومجتمعاتهم ، وقد اختلفت فكرة الاتحاد عند المصلحين الذين كتب عنهم أحمد أمين حسب اليناث التى يعيشون فيها ، فأثير على وأحمد خان يعيشان فى الهند التى تتوزعها المعتقدات والمذاهب ، ماذا يفعلان ؟

رأى أحمد خان أنه يجب أن تكون الهند أمة واحدة وهى أم لكل من المسلم والهند وكى على سواء ، وقد عارض فكرة تقسيمها لأكرجل ميامى فهو من أبعد ما يكون عن السياسة وإنما هو قد دعا وجال السياسة إلى أن ينبذوا فكرة التقسيم وأن يعيش الجميع فى وئام يظلهم وطن واحد هو الهند .

ولم نجد عند أمير جلى أية فكرة تخالف ما دعا إليه أحمد خان من الاتحاد والوثام
 بين سكان الهند وكان من أهداف جريدة البروة الوثقى التى أسسها جمال الدين
 الأفغانى (وله الأفكار والمعانى) ومحمد عبده (وله التحرير والعصاغة) ١٨٨٤
 تقوية الصلات بين الأمم الإسلامية وأن الاتحاد لا يكون بين الأفراد فى الأمة الواحدة
 فحسب ولكن أيضاً يجب أن يكون هناك اتحاد بين الدول الإسلامية فى السياسة
 الخارجية وفى تطبيق الشريعة الإسلامية وأن فكرة الجامعة الإسلامية التى أرادها
 جمال الدين الأفغانى إنما لى تكون فى الحدود التى ذكرناها - اتفاق بين الدول
 الإسلامية فى السياسة الخارجية مع استقلال كل دولة تحت إمرة حاكم يخضع لرأى
 الشعب - وجعل القرآن الكريم المصدر الأصل والأساسى للتشريع فى الدول
 الإسلامية .

وما من مصلح إلا وهو يقول إن اتحاد الدول الإسلامية لا يعنى نبذ الأقليات
 - بل إن الجميع ألحوا على الفكرة التى توضح أن سيطرة الإسلام على الأمور فى
 الدول الإسلامية إنما هى فى واقع الأمر رفع لشأن هذه الأقليات - وضربوا أمثلة
 لذلك من التاريخ القديم ومن المقارنات ومن الدراسة العميقة للإسلام وللأديان
 الأخرى .

فالإسلام دين ودنيا وغيره من الأديان يتصل بالعقيدة فحسب من حيث هى
 ارتباط بين العبد والرب - وعلى هذا فالإسلام ضد العصية الدينية « لا إكراه فى
 الدين قد تبين الرشد من الغى » وضد العنصرية « خالفكم من نفس واحدة » وأسماء
 الله الحسنى فى الإسلام يتصل معظمها بالرحمة والمغفرة والكرم - وعلى هذا
 فإن الاتحاد بين أهل الإسلام يجب أن تكون قوته الرحمة لخدمة المثل العليا
 « تخلقوا بأخلاق الله » وإن رجال الدين الذين صدروا أنفسهم للإرشاد والأمر
 بالمعروف والنهى عن المنكر قد أساءوا كثيراً حين كانت دعاويهم نكرة وليست
 بشرىات فالمسلمون لى يتحلوا عليهم أن يتحلوا والبشر يعلو رايهم وحسن الظن
 بالله يحسن عملهم وعلى زعماء الإصلاح أن ينصحوا باللين والرفق وأن يزيلوا المنكر
 بصفاء القلب ونقاء الدماء فالمسلمون حينما يتحلون للخير ولا يتحلون للشر
 « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان » ولن يتم تحقيق هذا

لزعما الإصلاح عند أحمد أمين - إلا بأن يكون المصلح منشراح الصدر أو بمعنى آخر متسع النفس واتساع النفس لا يكون إلا بلوام الاطلاع والاستراة من العلم - وهكذا تكون دعوة الاتحاد قائمة على الأسس التالية عند زعما الإصلاح الذين ترجم لهم أحمد أمين :

أولاً : الاتحاد لخير المسلمين العام وهذا لا يتناقى مع خير الغير .

ثانياً : قد لا يكون الاتحاد إدماجاً للحلود أو إزالة للفوارق ولكن يجب أن يكون توحيداً للسياسة الخارجية وسقيا من منبع واحد هو القرآن الكريم .

ثالثاً : القضاء على ما يتقول به معرضو الأقليات فى البلاد الإسلامية - فالإسلام هو أكبر قوة دينية تحتمى تحت ظله كل إنسان يحترم إنسانيته - بل ان كثيراً من الدول التى تدعى أنها تحترم حرية العقيدة إنما تقول بهذا فى الظاهر ولكنها فى حقيقة الأمر تضطهد المخالفين لهم فيما يعتقدون .

رابعاً : وحدة النظم التعليمية - فلم يكن هناك دواع فى مصر مثلاً لإنشاء نظام مدنى يجابه النظام الدينى الممثل فى الكتاتيب والأزهر بل كان من الواجب أن يرتقى النظام التعليمى القديم ويتطور لا أن يخلق نظام جديد وأن الأهريين حنا نهضوا لم يلفوا نظم تعليمهم القديمة بل ارتقوا بها وطوروها .

خامساً : اتحاد النظم الاجتماعية ويمثل فى الوحدة بين أصغر مواضع وأكبر مواطن فى نظام الحياة الاجتماعية فكان من الواجب أن نرى الرقيق يماثل ساكن المدينة فلا نأتى إلى ساكن المدينة مثلاً ونطور حياته الاجتماعية ثم ننسى الفلاح . وهكذا كان من الواجب أن نجد التوحيد أنسب رداء لمن دينه يقوم على التوحيا .

رابعاً - التربية :

هذه الفكرة فكرة التربية قد عشقها زعما الإسلام حتى أنهم لم يجعلوا دعوتهم للعلم مجرد المعرفة والتثقيف فحسب - إنما جعلوا هذه الدعوة أيضاً للتربية - فالإنسان الذى يتثقف ويتعلم ولم يترب فليست له قيمة ، كما أن قدرته لخلمة المجتمع قدرة ضئيلة لأنه كأنموذج لا يصلح أن يقود نفسه به أن يقود غيره .

ومع هذا دعا أحمد خان المصلح الهندي المعروف بجعل التربية الأساس الأول في نهضة الشعب المسلم وكثيراً ما كان يضرب الأمثلة المأخوذة من الأمم المتحضرة مثل إنجلترا وذكر أن السر في رقيها ليس في العلم فحسب ولكنه راجع أساساً إلى التربية .

وقد أعجب أحمد أمين كثيراً بهذه الفكرة التي تبناها زعماء الإصلاح - ولم يكن زعماء الإصلاح هؤلاء رجال حرب بل كانوا رجال سلم فلم يلجأوا إلى السيف في إصلاحهم وإلا كان قد ترجم لأمثال الأمير عبد القادر الجزائري أو لعمر المختار أو لأحمد عرابي - أو لمحمد علي السنوسي أو لمحمد أحمد المهدي - فكل هؤلاء كانوا رجال إصلاح ولكنهم كانوا رجال حرب أيضاً ، والحرب من أبعد ما يكون عن التربية مهما كانت الأسباب والدوافع إليها . وعلى ذلك فقد اهتم كثيراً بأمثال أحمد خان وأمير علي وعبد الله التديم بل أنه اهتم بأداء الأول في التربية كأساس في نهضة الشعب وأبرز هذا الاهتمام فيما قاله أحمد خان : « إن الطفل في مدارس إنجلترا يتربى ويتقصف ، وأما في مدلولس الهند فيتعلم وشتان بين التربية والتعليم » (١) .

وقد جعل أحمد خان الأخلاق والآداب والدين أساساً لتربية المسلمين في الهند وقد وافقه السيد أمير علي في هذه المبادئ كأسس للتربية إلا أنه أضاف إليها علاج الشئون السياسية ، بينما وجدنا عبد الله التديم في مصر يدعو إلى تربية الشعب عن طريق الصحف والمجلات يديج فيها المقالات والقصص ممارساً فيها الأمثال وعاقداً للمقارنات حتى ينشأ الشعب وهو على وعي بما قد يحجره التقليد الأعمى - لأوروبا من ويلات ومآس . أما عبد الرحمن الكواكبي فقد ظهرت فكرة التربية عنده واضحة في كتابه « أم القرى » ، فهو قد أراد أن يربي الشعب المسلم بصفة عامة عن طريق معالجة الفتور الذي أصابه بسبب العقيدة الجبرية التي جعلت المؤمنين أمواتاً قبل أن يموتوا ، وبسبب فقد العدل وتقريب الحكام للمدلسين المنافقين وبسبب انتشار الجهل .

وكان للمدرسة الشيخ محمد عبده في مصر أثر كبير في تقويم الأمة على أساس من العقل والتدبير والأناة والتدرج في الإصلاح .

وقد وضع كثيراً أن التربية لا يقتصر غرسها على أثر البيئة المنزلية وإنما أيضاً نجد أن المدرسة ملزمة بغرس مبادئ التربية وكذلك فإن الجامعة ملزمة بذلك كما وضع ذلك في عمل أحمد خان المصلح الهندي حينما بين أن الجامعة عليها أن تربي النشء كما أن عليها أن تعلمهم .

وأن من أصول التربية أن تطلق للأمة حريتان حرية الفرد وذلك بأن يتصرف في نفسه وماله بأمان وبسواة مع غيره من أبناء جنسه من غير أن يؤذى نفسه أو غيره - والحرية السياسية وذلك بأن يشارك الشعب في الحكم والتشريع والقول .

وقد أضنى أحمد أمين من نفسه على هذه الفكرة فكرة التربية كأساس من أسس الإصلاح حقاً أنه يتكلم عن هذه الفكرة وينسبها إلى من يترجم لهم ولكن الفاحص المدقق يلمس تحمسه الشخصي لها فكأنه هو صاحبها .

خاصة - تطوير القديم لا هدمه :

إن أحمد أمين حاول أن يبرز أفكار زعماء الإصلاح على أساس أنهم متشبعون بالإسلام ومتحمسون له ، كما أنهم يؤمنون بأن الدين الحنيف خير ركن تقام عليه المدنية الحديثة وأن الذين يظنون أن المدنية تتنافى مع الدين مخطئون بل ومضلون فالإسلام في الأساس دين الحضارة والرفق وأتى ليبين أن العقل هو أساس الحياة الإنسانية ومن ثم فانه جعل حياتنا التي نحياها حياة أسباب ولا يمكن لأحد أن يتقدم إلا إذا تحرك بالحركة بركة والجمود موت وعلى هذا فانه لا يصح لنا لكي نبني حضارتنا الحديثة أن نهدم القديم المتمثل في القيم التي وراثناها والحضارات التي عشناها .

ثم يكمل أحمد أمين هذه الفكرة ويبين من ثنايا السطور التي كتبها أن فصل الدين عن الدنيا في تمدن التعليم كان من الواجب على أهل الحل والعقد في الأمة الإسلامية أن ينظروا لأوروبا في تمدنها الحديث وكيف أنها طورت التعليم عندها وكان لا هوتياً صرفاً ومزجت به التعليم المدني الحديث ولكن في الشرق الإسلامي وجدنا

نظامين للتعليم أحدهما النظام القديم الذى لم يتطور وهو نظام الكتاتيب ، ثم نشأ نظام آخر للتعليم الحديث المتمثل فى المدارس المختلفة المنفصلة عن الدين انفصالا كاملا ، فالذى أباه الأوروبيون على أنفسهم فى بلادهم من إقامة نظامين مختلفين للتعليم رموه للأمة الإسلامية حين أرادوا أن يحاربوا الإسلام وذلك بأن يجعلوه يرتدى زياً مخالفاً لجوهره - ومن ثم فقد فصلوه عن الدنيا وجعلوا لها علماً وللآخرة علماً وهذا الفصل مخالف للإسلام فليس هناك تعليم مبنى إلا والإسلام بحث عليه ويبينه وليس هناك علوم للدنيا وعلوم للآخرة وعلى هذا فإن فصل التعليم الدينى فى مصر مثلاً المتمثل فى كون الأزهر جامعة مستقلة بالتعليم الدينى وبعده عن الجامعات الأخرى أخر التعليم الدينى أولاً وآخر الأشخاص الذين التزموا بهذا التعليم ثانياً - كان هذا فى أيام أحمد أمين - أما الآن فقد امتزج التعليمان الدينى والمدنى فى الأزهر وتحقق ما كان يدعو إليه زعماء الإصلاح من تطور القديم وعدم هدم وبناء قصر الحضارة الشامخ وفيه يمتزج القديم بالحديث من غير تنافر أو تضاد ولكن بانحدار وتلاؤم .

ولم يبد على الإطلاق من خلال عرض أحمد أمين لأفكار زعماء الإصلاح أن أحداً منهم رأى أن يهدم القديم لينبى بدلا منه الجديد - بل إنهم جميعاً اتخذوا من القديم الصالح أساساً يبنون عليه بعد أن طوروه وأنشأوه خلقاً آخر .

هذه هى الأفكار الخمسة الأساسية التى بدت كأسس استخلاصها أحمد أمين لكى يقيم عليها المبادئ التى نادى بها زعماء الإصلاح فى العصر الحديث ، وهى أفكار كما ترى لا تخرج عن جوهر الإسلام وقد عالجهها أحمد أمين معالجة يبدو فيها نوع من التسلط لشخصيته على شخصية هؤلاء الزعماء ، وهذا التسلط ليس فيه من خروج إلا إذا كان هنا تغيير لمعالم الشخصية التى يتحدث عنها المؤلف ، والملاحظ أن أحمد أمين فى تحمسه لهذه الأفكار قد بين أن هناك التقاء فكرياً بينه وبين زعماء الإصلاح فليست المسألة إذن نتاج تسلط شخصية المؤلف فحسب ولكنها أيضاً نتاج امتزاج وتألف بين أحمد أمين والذين أعجبوه من شخصيات زعماء الإصلاح .

أما من ناحية المنهج الخاص والمتصل بالتعبير والتصوير والتخطيط والتفكير فقد وجدنا أحمد أمين فى أسلوبه يتسالى إلى درجة تخاله فيها قد ارتدى زى الشعراء

في حديثه عن هؤلاء المصلحين ، ها هو يتحدث عن جمال الدين الأفغاني فيقول
« ولكن أحياناً تنقشع عنه سمحاة اليأس ويعود إلى أملة في الشرق والمسلمين ويعود
إلى ذكر الداء والدواء والأمل في العلاج ككل النفوس البشرية تتردد بين الحزن
والسرور واليأس والأمل والطبيعة تتردد بين الصحو والنعيم والإرعاد والابراق
ثم الإشراق » (١) .

فكما أن صوته فيه من الطبيعة هلوؤها ووقارها إذا سكنت وهذأت فكذلك
فيه من الطبيعة جلجلتها ورعودها إذا زجرت وعصفت إلا أن الهلوه أكثر—
التصاقاً به من العنف والثورة وهو في هذا يشبه النموذج المصري الخالص المتسم
بالهلوه كطبع الحليم ولكن حذار من إغضابه واتق غضبه الحليم .

ونجد أحمد أمين في بعض الأحيان لا يرتفع بالمستوى الفنى العالى في أسلوبه
ولكننا لا نستطيع أن نقول عنه أنه يسف .

مثال عدم الارتفاع بالمستوى الفنى العالى قوله عن تونس في حديثه عن
خير الدين باشا التونسي « وأما إدارة البلاد فقوضى ، أى فوضى الحاكم بأمره ،
أحب الناس إليه من يجمع له المال حله وحرامه ولا ضبط في دخل ولا خرج
والعدل والظلم متروكان للمصادفات ، فان تولى بعض الأمور عادل عدل وكان
العدل موقوتاً بحياته وقلما يكون » .

ونظام القضاء والجيش والإدارة والضرائب وجباية الأموال وانفاقه على الفط
العتيق البالى وكثير من الأمور تنفذ بالأوامر الشفوية لا مرجع لها ولا يمكن
الحساب عليها (٢) .

قد يقال أن الموضوع يفرض على الكاتب نهجاً معيناً في أسلوبه فكيف يستطيع
أحمد أمين أن يتلاعب بعواطف القراء ما دام يكتب عن موضوع يتصل بحياة
الأموال والعدل والضرائب ؟ فأقول إن المطلوب من الكاتب الأديب ألا يتلاعب
بالعواطف دائماً بل عليه أن يوقظها ويملك عليها أنظارها وأحمد أمين في المثال

(١) زعماء الإصلاح في ١٩٠٠ .

(٢) المصدر السابق ص ١٦٤ .

الذى ذكرناه لم يلعب بالعواطف ولم يوقظها وتحدث بأسلوب تقريرى كأنه مؤرخ ومؤرخ فحسب .

كذلك فان أحمد أمين وقد تراحمت الأفكار لم يعبر عنها بثوب فضفاض من الألفاظ بل إنه يستعمل اللفظ على قدر المعنى وهو أقرب إلى الإيجاز والمساواة منه إلى الاطناب ، فكان بعيداً عن الجاحظ فيما احتفل به من الاطناب واتكرار والقفضة .

وهذا الأسلوب الذى يتميز به أحمد أمين يناسب العصر الحديث الذى يحياه فنحن فى عصر السرعة الذى لا يتحمل العمل فى اللفظ أو التزيد فيه بل إن الأفكار التى يعبر عنها بالصور كادت أن تغلب على الأفكار التى يعبر عنها بالكلمات وذلك أن الصورة لا تخفى على الأعمى أو القارئ على حد سواء بينما الكلمة لا يتبينها إلا القارئ ولولا أن المصور فى هذا العصر يعتمد أساساً على الكلمة لما بقى للكلمة هذه المكانة التى لا تلو عليها مكانة ويلجأ أحمد أمين كثيراً إلى أسلوب المقارنة فى زعماء الإصلاح فتجده يقارن بين أحمد خان وبين أمير على ويقارن بين جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده كما أنه يعتمد على أن يشير إلى ما بين الأفغانى وعبد الله النديم من مقارنات مثل ذلك قوله : إذا دعا السيد جمال الدين إلى الإصلاح شعر بأنه يخطب الناس من أعلى مكان يشرف عليهم وهو غضوب وقور ، وإذا دعا النديم شعر بأنه واقف فى وسطهم يضحك له ويضحك منهم ويصلحهم ولهذا كان جمال الدين جليلاً يسمع لقوله فى رهبة وخشية وينصح الناس وكأنه يضربهم بالسياط وكان النديم محبوباً يقابل بالابتسام ويقبل قوله فى فرح ومرح ولذلك كان أسف الناس فى مصر على فراق النديم أكثر من أسفهم على فراق جمال الدين لأن سوؤد جمال الدين فى الخاصة وسوؤد النديم فى العامة (١) .

وقد كشف أحمد أمين عن شعبيته بمثل هذه المقارنة وإن كان قد أسرف فى ذم وقار الأفغانى وتساميه كأن الشعبية لا تتم إلا بخلع ثوب الوقار والتسامى وارتداء ثياب التبرج والخفة .

ومن المقارنات التى ظهرت فى زعماء الإصلاح وضغط عليها أحمد أمين

(١) زعماء الإصلاح ص ٢٦٠ .

ما وجدناه عنده من مفاصلة بين أديب وإسحق وبين محمد عبده وقد قال عن أسلوب أديب إسحق إنه أقوى من أسلوب محمد عبده كما أنه كان أكثر جرأة منه في الدعوة للحرية الشخصية بدون حدود بينما كان محمد عبده يطالب بالحرية الشخصية بقيود حتى لا يسقط ممارستها في الخمر والقمار وهتك الحرمات .

وأن أديب إسحق مثالا للشخص الذي أسرت على نفسه في هذه الحرية للشخصية التي مارسها وجنت عليه حين أتلّف روحه بترديه في مجالات الشهوات والشراب ، بينما كان محمد عبده مثالا لمن قصد في الحرية الشخصية والتزم بحدود الدين والورع . وقد التزم أحمد أمين في منهجه الخاص حين تناول زعماء الاحتلال بالنقد والتحليل بجانب إبراز شخصيته إما من وراء ستار كما وضعنا ذلك في دراستنا للأفكار التي بنى عليها زعماء الإصلاح لإصلاحهم ، وإما أمام الستار حين تحدث عن عبد الله النديم فوجد سبيلا إلى التحدث عن عمره حين كان صبياً صغيراً . وحين تحدث عن الشيخ محمد عبده تكلم أيضاً عن أستاذ كان يخصص النساء بدرس من دروسه في الجامع الأزهر ومع أن هؤلاء النسوة كن عاميات أميات فإن هذا الأستاذ كان يقول لمن أثناء تدفقه في البيان والتبيين « لم حذف المسند إليه ؟ » ويقول أحمد أمين معلقاً « فيكون الكلام كتلاوة اللاتينية لمن لم يعرف كلمة لاتينية أو خطبة الجمعة بالعربية لأنك لم يعرفوا شيئاً من العربية » (١) .

ومع إشفاق أحمد أمين على آراء هؤلاء المصلحين من أن تهاوى تحت مطارق النقد فانه إذا رأى أن بعض هؤلاء المصلحين قد أصابهم الخور أو أنهم قد التزموا الخور خوفاً من بطش الحكام فانه لم يقف بجانبهم ولم يبرح لهم عنراً — كما فعل مع علي مبارك حين اعتزل الثورة العرابية (٢) — ولم يقف بجانبها . وكذلك حين فعل مع محمد عبده حين تخلى عن أحمد عرابي بعد فشل الثورة العرابية في القصيدة المشهورة التي بدأها بقوله :

مالي يعنف قلبي من تناغيه دهر يبالغ في عنف وفي تيه

(١) زعماء الإصلاح ص ٣٠٤ .

(٢) نصيحة أحمد الويام والملاحة بين العرابية والمهنية * دراسة وتحقيق لـكتور محمد رشدي

وكنك فقد لام أحمد أمين الزعيم الهندى أحمد خان حين لم يشارك الشعب الهندى فى ثورته التى قام بها ضد الإنجليز المحتلين ١٨٥٧ .

وهكذا وضع أحمد أمين فى كتابه « زعماء الإصلاح فى العصر الحديث » منهجاً عاماً التزمه فى تحديد معالم شخصياته عن طريقة التأمل والتحليل واستخلاص النتائج ثم تركيبها مرة أخرى بحيث يتيح للمتتبع أن يصل بالمقدمات إلى النتائج ، أما من يحاول إلى الوصول إلى النتائج مباشرة دون الاعتبار بالمقدمات فإنه يضل الطريق .

أما من ناحية المنهج الخاص الذى سلكه أحمد أمين وإن كان قد التزم التعبير التقريرى عن كثير من الأفكار إلا أن جودة التصوير لم تخطئه .

وهو فى ترجمته لزعماء الإصلاح قد حلل أكثر مما ركب وكرر أكثر مما يجب وذلك لرغبته فى تجلية الموضوع المتصل بالمبادئ العالية التى يحتاج المرء إلى تذكرها دائماً ولن يتاح له هذا إلا بالتكرار والتحليل .

كذلك فإن المتتبع لكل ترجمة على حدة يجد أن أحمد أمين لا يستهلها الاستهلال العادى بأن يذكر تاريخ الولادة ثم الاسم والبيئة والمنشأ والتعليم وبعد ذلك يورخ لحياته وهو فى سن الصبا والشباب وبعد ذلك ينهبها بشيخوخته وتاريخ وفاته هذه المترجمات ترجمات ميتة لا يعنى بها أحمد أمين (١) ولا يسير على نهجها بل إنه يدخل كما أشرنا من قبل إلى الموضوع مباشرة فيحدثنا عن أهم فكرة فيه ويظل معها حتى يسلمنا إلى فكرة غيرها فهو ينتقل بنا ومعنا من فكرة إلى فكرة ، فإذا جاءت الأمور السابقة العادية فأنها تأتى عرضاً فى سياق الحديث وإن جاءت عمداً فإنها لتخدم الموضوع ذاته وتخدم أفكاره ونظم هذا الفصل برأيه فى منهجه وطريقة تناوله للأفكار ، يقول « ومزاجى فلسفى أكثر منه أدبى حتى فى الأدب أكثر ما يعجبني منه ما غرر معناه ودق مرماه يعجبني الجاحظ وأبوحيان التوحيدى وابن خلدون أكثر مما يعجبني الحريرى والقاضى الفاضل والصاحب بن عباد وطريقته والعماد الأصمهانى ومدرسته ويعجبني

(١) فيض الماطر ج ٢ تراجم « الرجال فى الأدب العربى » .

المتنبي لولا إغرابه أحياناً والمعري لولا تعالاه وأفضلهما على أبي تمام وتفعره ولا
يعجبني من البحري إلا قصائد معدودة ولا يهتز قلبي لأكثر شعراء الطبيعة في
الأدب العربي لبنائه على الاستعارة والتشبيه لا على حرارة العاطفة ولهذا كان لي ذوق
خاص في تقدير الأدب فضلت أتباعه مجتهداً ، ولو كنت مخطئاً على تقليد غيري
في تقديره ولو كان مصيباً (١).

(٢) حياتي ص ٣٤١ .

الراجع والمصادر العربية

- ١- فن السيرة . الدكتور إحسان عباس
- ٢- أحمد أمين بقلبه وقلم اصدقائه .
- ٣- إل ولى .
- ٤- زعماء الإصلاح فى العصر الحديث .
- ٥- حياى . الدكتور أحمد أمين .
- ٦- علمتى الحياة .
- ٧- فيض الخاطر .
- ٨- مناهج بحث .
- ٩- محاضرات عن أحمد أمين . الدكتور زكى المحاسنى
- ١٠- مور وطريقة التحليل . الدكتور زكى نجيب محمود .
- ١١- الترجمة الشخصية .
- ١٢- فن السيرة الأدبية ترجمة صطفى خطاب المؤلف ليون أدل .
- ١٣- شخصيات عربية . صديق شيبوب .
- ١٤- الأيام . الدكتور طه حسين .
- ١٥- تجديد التفكير الدينى فى الإسلام تأليف محمد إقبال ترجمة عباس محمود .
- ١٦- بين الكتب والناس .
- ١٧- ساعات بين الكتب . عباس محمود العقاد .
- ١٨- النقد التاريخى . ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوى .
- ١٩- صور من وحدة الفكر العربى . الدكتور عبد المجيد عابدين .
- ٢٠- المناهج .
- ٢١- السيرة تاريخ وفن .
- ٢٢- نصيحة أحمد الموم . الدكتور محمد رشدى حسن .
- ٢٣- منهج البحث فى الأدب والفن تأليف لانسون ومايه ترجمة الدكتور محمد منور .

مصر وبريطانيا في اوائل الحرب العالمية الثانية

(أغسطس ١٩٣٩ - يونيو ١٩٤٠)

(وزارة علي ماهر)

دكتور محمد جمال الدين علي السدي

العلاقات بين علي ماهر والجانب البريطاني :

إن خطر الحرب الذي بدأ قريباً عام ١٩٣٥ قد دفع الجانبين المصري والبريطاني إلى عقد معاهدة ١٩٣٦ ، تلك المعاهدة التي قصد بها تسوية الخلافات بين البلدين ووضع أساس لعلاقات جديدة بينهما . وقد أقامت المعاهدة تلك العلاقات على أساس التحالف .

كان الغرض من التحالف بالنسبة للجانب المصري الحصول على تعاون بريطانيا في الدفاع عن مصر في مواجهة خطر مائل هو أطباع إيطاليا ، وكان بالنسبة إلى الجانب البريطاني إقامة قاعدة عسكرية بريطانية في مصر وتأمين وجودها وفعاليتها لضمان مساعدة الجانب المصري وتعاونها (١) .

وشهدت الفترة بين توقيع المعاهدة وقيام الحرب العالمية الثانية تطوراً وتبلوراً في الأهداف . وبالتالي في الالتزامات التي تترتب على التحالف . استقر الجانب البريطاني على أن مصر ملتزمة بدخول الحرب إلى جانب بريطانيا . وكان يرى أن يدخلها الجيش المصري كحليف تحت القيادة البريطانية (٢) .

أما في مصر فاختلف موقف القوى السياسية : اتفق الجميع على أن تقوم مصر

ملحوظة : F. O. تشير الى وثائق وزارة الخارجية البريطانية الموجودة في دار الوثائق البريطانية في لندن

(١) محمد حسين هيكل ، مذكرات في السيادة المصرية - ١ ، القاهرة ١٩٥١ ، ص ٤١٤ .

عبد شفيق غريال ، تاريخ المفاوضات المصرية البريطانية ، ج ١ ، القاهرة ١٩٥٢ ، ص ٢٦٩ .

٢٧٤ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٩ ، ٢٩٢ ، ٢٩٥ ، ٣٠٥ ، ٣٠٧ . أنظر النص الكامل للمعاهدة في Mahmud y. Zayid, Egypt's struggle for independence, Beirut 1965, pp.189—228.

Lampson to Halifax, No. 1197, 7 November 1938, F. O. 407/222 . (٢)

Wilson, H.M., Eight years overseas, London 1950, p. 19.

بالدفاع عن نفسها . لكنهم اختلفوا في التزامها تجاه بريطانيا في حالة عدم وقوع هجوم عليها . رأى البعض عدم تورط مصر في صراع لا يمس مصالحها . وتعديل المعاهدة بما يقلل من التزاماتها ، وعبر عن هذا رأى إسماعيل صدق باشا . ورأى فريق آخر أن تقتصر مصر على الوفاء بالتزامات المعاهدة لا تعدوها ، أى مساعدة الحليفة داخل مصر ، مع السعى إلى انتزاع باقى الأمانى الوطنية منها في مقابل هذا . كان هذا رأى الإخوان المسلمين ، ويغلب أنه كان اتجاه الوفد ، وفريق من الأحرار الدستوريين والسعديين . وهناك فريق ثالث استقر رأيه بعد تردد على أن تشمل مساندة الحليفة دخول الحرب إلى جانبها . ومن هؤلاء أحمد حسن زعيم مصر الفتاة ومنهم فريق من السعديين والأحرار الدستوريين على رأسهم أحمد ماهر ومحمد محمود ، وكانوا يذهبون بعيداً إلى حد قبول التزامات خارج مصر تحت لواء حلف سعد أباد(١) .

أما الملك فقد عبر لامبسون مراراً عن رضائه عن موقفه من التحالف ، لكنه لم يكف عن التعبير عن مخاوفه من وجود إيطاليين في الحاشية وفي وظائف السراى وعلاقة فاروق الوثيقة بهم ، ومن ميول السراى اللاتينية(٢) .

شهدت تلك الفترة أيضاً قلق لامبسون وجهوده للحفاظ على سلامة الجبهة الداخلية وتعاون المصريين مع بريطانيا كضرورة لضمان سلامة وفاعلية قاعدة بريطانيا العسكرية في مصر . كان يخشى — في هذا المجال — الدعاية الإيطالية الألمانية ، وسياسة مصر الإسلامية والفلسطينية ، وسوء الحالة الاقتصادية وضعف الكفاءة الإدارية ، ومن أهم ما كان يراه علاجاً لذلك زيادة قوة بريطانيا العسكرية تقوية لتفوذها وتمكيناً لميبتها ، والتدخل السياسى . يحكم التدخل السياسى ظروف ما بعد المعاهدة ومدى استعداد الحكومة البريطانية لمواصلة التدخل حتى يبلغ غايته ، بالإضافة إلى صلات السفير البريطانى مع مختلف أطراف اللعبة السياسية في مصر .

(١) عيد النظم رمضان ، الحركة الوطنية ، في مصر بين ١٩٣٦ - ١٩٤٤ ، رسالة غير منشورة قدمت إلى جامعة القاهرة للحصول على درجة الدكتوراه ، ص ٢٩٥ - ٣٠٥ ، محمد حسين هيكل ، مذكرات في السياسة المصرية ، ج ٢ ، القاهرة ١٩٥٣ ، ج ١٤٤ - ١٥٠ . سيشار إلى هذا الجزء بعد ذلك باعتباره « المرجع المذكور » .

Lampson to Halifax, No 510 secret, 6 May 1938, F.O. 407/222, and (٢) .
No. 560, 12 May 1939, F(O. 407/223.

حكمت سياسة التدخل في الفترة السابقة لقيام الحرب وبعد إقالة وزارة النحاس
تعليمات الحكومة البريطانية في أوائل ١٩٣٨ بقصرها على ما يمس المصالح المباشرة
لبريطانيا ، أى تضيق نطاق التدخل (١) .

أما صلات السفير ، وهى الوسيلة السياسية المساعدة للتدخل ، فانها قد تطورت
وتغيرت ، لكن في حدود الهدف الرئيسى للسياسة البريطانية ، وهو تنفيذ المعاهدة
والحصول على تعاون المصريين لضمان سلامة وفعالية القاعدة البريطانية في مصر .

بدأ لامبسون بمحاولة احتواء السراى بعد وفاة فؤاد ، والتعاون مع الوفد
لتنفيذ المعاهدة . وعندما تولى فاروق سلطاته بدأت العلاقات تسوء بينه وبين الوفد ،
وبينه وبين السفير البريطانى الذى أخذت علاقته تتوثق بالوفد . كان العامل المشكل
لوقوف السفارة حينئذ أن بريطانيا مدينة بالمعاهدة للوفد ، الحزب الشعبى القادر
على تنفيذ المعاهدة ، والقائم بتنفيذها باخلاص . يضاف إلى ذلك التخوف من سيطرة
القصر وما تأتى به إلى ساحة الحكم من نفوذ محورى متفوق في القصر من جهة ،
وزارات أقلية تصاحبها المتاعب والمخاطر من جهة أخرى . بلغ هذا التطور الذروة
أثناء الأزمة الدستورية أواخر ١٩٣٧ . لكن بعدها بدأ تطور في اتجاه مضاد تماماً .
سامت العلاقات مع الوفد ، والعامل الأساسى في ذلك اعتقاد الوفد ن السياسة
البريطانية لم تكن جادة بشكل كاف في مساعدته ضد القصر خلال الأزمة الدستورية .
وهذا في نظر للوفد يعادل وقوفها إلى جانب القصر . وترتب على ذلك للمهاجرة الوفد
المتصلة للسياسة البريطانية . وربما كان من العوامل المساعدة على سوء العلاقات أن
السفارة البريطانية كانت قد اعتقدت أن الوفد قد ضعف وانتهى أمره بما حدث فيه
من انسلخات وخلافات وضعفت شعبيته في البلاد ، وأخذت تتطلع إلى قوة أخرى
اعتقدت أنها في سبيل الظهور لتحل محل الوفد . يقابل هذا أن العلاقات تحسنت بين
لامبسون وفاروق ، واعتقد السفير في سلامة موقف الملك من التحالف . يضاف
إلى ذلك توثق العلاقات بين السفير ومحمد محمود باشا رئيس الوزراء نتيجة تعاون

Killy to rder, No. 1227, 28 October 1937, and enclosure .F.O. 407/ (١)

221; Eden to Lampson, No 166, 20 Febroary 1938, F(O. 407/222;

Lampson to Halifax, No 41, 16 January 1939, F.O. 407/223.

الأخير مع السفارة وقيامه بتنفيذ المعاهدة باخلاص . وهكذا ضعفت كراهية السفارة
لوزارات الأهلية (١)

وقبيل اشتعال الحرب كان هذا التطور قد تبلور إلى الآتي :

فما يختص بالملك استمرت علاقات لامبسون به طيبة ، واستمر يعتقد بسلامة
موقف فاروق من التحالف . لكن مخاوفه من ميول القصر المحورية استقرت كما هي ،
تماماً على عدم تمسك فاروق مع رغبات السفارة في التخلص من الإيطاليين في الحاشية
وفي وظائف القصر . لذلك كان رأيه أن وجود قوة بريطانية كافية والتهديد بها
هو وحده الضمان لاقناع فاروق وحاشيته والاستقرار طية الحاكمة بوجه عام بالتمسك
مع متطلبات السياسة البريطانية (٢) .

أما فيما يختص بالوفد فقد تبين للامبسون أن الوفد قد امتد نفوذه وشعبيته ،
بسرعة ، وأنه لا يزال الحزب الشعبي القوى ، الذي تستجيب له البلاد ، وأن
مواجهته للسياسة البريطانية يمكن ، إذا واصلها خلال ما ينشأ من أزمات وخلال
الحرب حين تنشب ، أن تلحق بالسياسة البريطانية أضراراً فادحة وتسبب لها
اوتباكات خطيرة ، وأن الدلائل تشير إلى أن تلك قد تكون سياسة الوفد (٣) .

ومع ذلك فحين نشبت الحرب في أول سبتمبر ١٩٣٩ كانت وزارة على ماهر
في الحكم منذ ١٨ أغسطس ، ووصول على ماهر إلى الحكم في تلك الفترة يشير
بعض التساؤلات .

كان من الواضح أن تلك يغلب أن تكون وزارة حرب . فنذ أن زاد تشدد
ألمانيا تجاه بولند في ٢٨ أبريل ١٩٣٩ (٤) أصبح واضحاً أن قيام الحرب مسألة وقت .

Lampson to Eden, telegrams No. 28 and 29, 25 February 1937, F.O. (١)
407/22x; Killy to Eden, No. x227, 28 October 1937, F.O. 407/221, Lamp-
son to Hal fax, No. 510 secret, 6 May 1938, F.O. 407/222.

Lampson to Halifax, No. 110 confidential, 3 February 1939, F.O. (٢)
223/407 .

Lampson to Halifax, No. 510 secret, 6 May, 1938, No. 1197, 7 Novem- (٣)
ber 1938. F.O. 407/222, No. 560, 12 May 1939, F.O. 407/223.

(٤) في ذلك اليوم أعلن هتلر سقوط ميثاق عدم الاعتداء مع بولندا وطالب بجمل دائري دولة
مستقلة مستقلة ذاتياً في إطار الرايخ ، وبسط السيادة الألمانية على الطريق الذي يمر عبر البولندي
ليصل أقاليم ألمانيا .

واتضح ذلك بشكل أكثر بعد قيام التحالف الإيطالي الألماني المعروف بميثاق الفولاذ في ٢٢ مايو ، وزاد وضوحاً في آخر يونيو حين بدأت الاشتباكات بين أهالي دانترج من الألمان وقوات الأمن البولندية . وأخيراً أصبح قيام الحرب متوقفاً في أى وقت بعد توقيع ميثاق عدم الاعتداء بين ألمانيا والاتحاد السوفيتي في ٢٣ أغسطس .

ولا شك أن على ماهر حين شكل وزارته كان يلزمه هذه الأوضاع ، فبعد أسبوع واحد من توليه الحكم بدأ يصدر القرارات والمراسيم اللازمة لتهيئة البلاد لأوضاع الحرب . في ٢٥ أغسطس أصدر مرسوماً خاصاً بالتدابير الاستثنائية التي تتخذ لتأمين سلامة البلاد . وآخر بإحصاء المون اللازمة للجيش ولل سكان المدنيين . وفي ٢٧ أغسطس أصدر مرسوماً بحماية الأسرار العسكرية . وفي ٢٩ أغسطس أصدر مرسوماً بإنشاء نظام لتفتيش السفن بميناء الاسكندرية لحماية الميناء ، وفي آخر أغسطس أصدر مرسوماً بإنشاء القوات المراقبة من المهندسين الزائدين عن حاجة الجيش العامل (١) .

أما عن الجانب البريطاني فيقول الجنرال ويلسن أنه عند مغادرته لندن في ١٥ يونيو ١٩٣٩ لتولى قيادة القوات البريطانية في مصر كانت تعليماته هي سرعة اتخاذ الاستعدادات للحرب ، وأن جميع القادة الذين قابلهم أكدوا ضرورة الإسراع في إعداد الدفاع عن مصر وعن الصحراء الغربية ، كما نوقش موضوع إرسال تعزيزات إلى مصر ، بل وتم أيضاً الاتفاق على إشارة رمزية تصله حتى يقوم بتحريك قواته لمواجهة تهديد عاجل بقيام الحرب ، تلك الإشارة التي يقول إنها وصلت فعلاً قبل نهاية أغسطس بحوالى ثمانية أيام (٢) . أى أن الجانب البريطاني كان يتوقع أيضاً ، في أغلب الأحوال ، أن تكون وزارة على ماهر وزارة حرب .

(١) الحكومة المصرية ، وزارة العدل : مجموعة القوانين والمراسيم والأوامر الملكية في الثلاثة أشهر الثالثة عام ١٩٣٩ ، ص ٥٣٤ - ٥٤٤ ، في دكتور عبد العظيم رمضان ، المرجع المشار إليه ، ص ٢٩٠ .

(٢) Wilson, op. Cit., pp. 16, 23.

هذا الوضع يثير عدداً من التساؤلات حين ننظر إليه في ضوء تطور العلاقات بين الجانب البريطاني وعلى ماهر أثناء وزارته بما أدى إلى تدخلهم لطرده من الوزارة في يونيو ١٩٤٠ . تلك التساؤلات هي : هل كان الجانب البريطاني حينئذ يثق في على ماهر ويطمئن إلى توليه الوزارة ؟ أم أنهم لم يكونوا يثقون فيه لكن مياستهم لم تكن تتجه إلى التدخل في موضوع تغيير الوزارات ؟ أم أنهم أخذوا يعامل المفاجأة ولم يتح لهم وقت للتدخل ؟

يمكن أن نستبعد الاحتمال الأخير ، فقد ساءت حال محمد محمود الصحية مما اضطره إلى تقديم استقالته في ٦ يوليو ١٩٣٩ . ومع أن الملك رفض قبول الاستقالة ونصحه بأن يعهد ببعض أعماله إلى زملائه الوزراء ، إلا أنه كان هناك إدراك عام بأنه لن يستطيع أن يستمر طويلاً في عمله . ويقول لامبسون أن الرأي الشائع حينئذ هو أن اختيار القصر سيقع على على ماهر ليخلف محمد محمود (١) . وفي تقريره بتاريخ ٢٥ أغسطس إلى لورد هاليفاكس عن تشكيل الوزارة الجديدة يقول مستر بتمان الوزير المفوض والقائم بعمل السفير : « لقد أسند تشكيل الحكومة الجديدة إلى على باشا ماهر ، كما كان يتوقع الجميع . لكن المهمة لم تكن سهلة ، فقد توقفت الآداة الحكومية مدة أسبوع كامل ، بينما تجاهل رئيس الوزراء الجديد الوفد تجاهلاً تاماً وسمح للسعديين والأحرار الدستوريين بالتصارع على مراكز الوزراء وهم يدركون تماماً أنهم إذا لم يقبلوا شروطه فقد يستغنى عن تأييدهم ويشكل وزارة ممن يرشحهم هو نفسه » (٢) . والأسبوع الذي يشير إليه بتمان انقضى بين استقالة محمد محمود في ١٢ أغسطس ، وتشكيل الوزارة الجديدة في ١٨ أغسطس (٣) أي أن إستاد الوزارة إلى على ماهر كان متوقفاً ، وفرصة التدخل كانت موجودة . لكي نجيب على التساؤلات الأخرى ينبغي أن نستعرض دور العلاقات بين على ماهر والجانب البريطاني .

(1) Lampson to Halifax, No. 87x, 13 July 1939, F.O. 407/223 p. 2.

(2) Bateman to Halifax, No. 1166, 25 August 1939, F.O. 407/223 p. 93.

(٣) وزارة الثقافة ، مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر ، النظارات والوزارات المصرية الجزء الأول ، جميع فواد كرم ، القاهرة ١٩٦٩ ، ص ٣٧٨ - ٣٨٢ .

مرت تلك العلاقات في أدوار ثلاث - يشمل الدور الأول فترة وزارته الأولى بعد استقالة وزارة محمد توفيق نسيم باشا ، وحتى الأزمة الدستورية في أواخر ١٩٣٧ والدور الثاني بعد تلك الأزمة . ما الدور الثالث فيشمل الفترة السابقة على وزارة على ماهر الثانية في ١٨ أغسطس ١٩٣٩ .

في الدور الأول تقوم العلاقات بين المنتوب السامى ، الذى أصبح صغيراً بعد المعاهدة ، وبين على ماهر على التعاون والتقدير . تعاون بد أمن أيام سقوط وزارة توفيق نسيم وتولى على ماهر رئاسة وزارة محايدة لإجراء الانتخابات وبدء المفاوضات بين مصر وبريطانيا . وتقدير من الجانب البريطانى مبنى على أساس ما بذل على ماهر من نشاط وما أظهر من كفاءة خلال فترة وزارته تلك ، وعلى أساس ما صار له من مائة ونفوذ في القصر خلال تلك الفترة وبعدها . يصاحب ذلك إدراك واضح لنوايا على ماهر وأطماعه في السلطة . ففي مارس ١٩٣٦ كتب لامبسون إلى أنتوني إيدن وزير الخارجية يذكر المشروعات الإصلاحية الكثيرة والاجراءات الادارية التى تقدم بها على ماهر . وأشار إلى أن كثرتها رغم طابع الحكومة المؤقت أدى ببعض الناس إلى الاعتقاد بان على ماهر يفكر في البقاء في السلطة مدة طول مما تد عليه تصريحاته . وقال أنه حين سأل على ماهر في ذلك أكد له بنفسه أنه لا يرمى بنشاطه هذا كله إلا إلى أن يوجد لنفسه شهرة كرئيس وزراء كفء حتى يدعى إلى الحكم في المستقبل لو منحت الفرصة . . وعلق لامبسون على ذلك قائلاً : أنه من الممكن أن يكون هذا هو التفسير الحقيقى لذلك . لكن من الممكن أيضاً أن رفعته يأمل في أن يحدث ما يحول دون وصول الوفد إلى الحكم ، (١) وفي فبراير ١٩٣٧ كتب لامبسون إلى إيدن يقول أن على ماهر هو الذى يحرك القصر (٢) رغم أن على ماهر حينئذ كان خارج الحكم وخارج القصر . ولا شك أن الجانب البريطانى كان يدرك ما لعل ماهر من نفوذ على الملك الشاب . وهو نفوذ كسبه نتيجة خدماته السابقة للعرش على أيام الملك فؤاد ، ونتيجة ما أداه من خدمات للملك الشاب بعد وفاة والده ، فقد كسبه الحق في إدارة أملاكه قبل أن يستكمل السابعة عشرة

(1) Lampson to Eden, No. 333, 25 March 1936, F.O. 407/219 p. 57.

(2) Same to Same, No. 209 Confidential, 1 March 1936, F.O. 407/219.

من عجمه ، كما ساهم مع الشيخ المراغى شيخ الجامع الأزهر ، في الحملة التي قامت لكسب محبة الشعب للملك الشاب (١) وكانت نصائح علي ماهر وآراؤه تصل إلى الملك فاروق عن طريق عبد الوهاب طلعت باشا صديق علي ماهر ومدير الإدارة العربية حينئذ (٢).

لكن إلى جانب ذلك وجد ما يشوب هذا التقدير ، وقام ما يحذر من التعاون. ففي مايو ١٩٣٦ كتب لامبسون إلى ايدن عن نشاط حزب مصر الفتاة ورئيسه أحمد حسين وقيامهم بمحاولات في البلاد ييثون فيها دعايات ثورية معادية للإنجليز ، وأشار إلى اهتمام ممثلي إيطاليا في مصر بذلك ، ثم قال أن التقارير تشير إلى أن أحمد حسين على اتصال بعلي ماهر ، وذكر أن الأخير كان يحاول الحصول على أموال من وزارة الداخلية ليعطيها لأحمد حسين ، وأن الدوائر المطلعة ترى أن علي ماهر يريد أن يستخدم مصر الفتاة وقمصانها الخضر كعامل معادل للوفد وقمصانه الزرقاء (٣). وعاد في نوفمبر يؤكد خطر وجود القمصان الخضر ، وصلتها بدولة أخرى - يقصد إيطاليا - والخوف من تدخل تلك الدولة (٤). وهكذا وجدت التربة الصالحة لكي تنمو لدى الجانب البريطاني بنور الشك في ولاء علي ماهر وميوله نحو المحور ، وكان لذلك أثره الخطير على العلاقات المصرية البريطانية فيما بعد .

أما التعاون بين الجانبين فقد لحد منه ، بعد استقالة علي ماهر ووصول النحاس إلى الحكم ، العداء بين علي ماهر والوفد ، كان ذلك العداء يقوم على عاملين العامل الأول ماضى علي ماهر مع الوفد ، فبعد انفصاله من الوفد عام ١٩٢١ أصبح خصما له والتصق بالعرش واشترك في كل الانقلابات الدستورية ضد الوفد بل كان صاحب الفتوى في إقالة النحاس الأولى عام ١٩٢٨ . أما العامل الثاني فكان

(١) محمد التايبي ، من أسرار السياسة والسياسة ، مصر ماقبل الثورة ، كتاب الهلال ٢٢٨ .

ص ١٧١ ، ١٧٤ .

د. عبد السلام رمضان ، المرجع المشار إليه ، ص ١٧٢ - ١٧٥ .

(٢) محمد التايبي ، المرجع المشار إليه ، ص ١٧٧ ، ١٨٠ .

Lampson to Eden, No. 491, 2 May 1936, and No. 579 confidential, 22 Ma(r)

1936, F(O. 407/219, pp 101-102, x22.

(4) Same to same, No. 1062, 10 November 1936. F(O. 407/219 p. 67.(١)

السياسة المعادية للوفد والمالية لفاروق التي أتبعها في فترة وزارة الوفد. فبعد استقالته نشط في توجيه الضربات للوفد ، وعمل على أن يقلب الميزان لصالح الملك بعد أن كان أيام فؤاد لصالح الوفد ، وذلك عن طريق المساهمة في تنفيذ ما أشرنا إليه من حملة دعائية واسعة لتغيير صورة الملك لدى الناس ورفع في أعين الشعب ، وإظهار الوفد بمظهر المعتدى على حقوق الملك (١) . ولما كان لامبسون حريصاً على استمرارية حكومة الوفد ضمناً لتنفيذ المعاهدة ، فإنه أخذ يبحث على ماهر على الحد من نشاطه واتباع طريق الحكمة ، فعندما أخبره أحمد حسنين أن النحاس يرتاب في السراي وأن شكوكه تتركز حول نفوذ على ماهر على الملك فاروق ، قال له لامبسون أنه يأمل مخلصاً أن يواصل على ماهر سياسة التحفظ والابتعاد الحكيم عن الأضواء وتجنب إعطاء الفرصة للنحاس بأي شكل كان باتهام السراي بالتآمر لوجود على ماهر إلى جوار الملك . وقد تعهد أحمد حسنين بأن يحذر على ماهر ليلزم جانب الحكمة (٢) .

وكان على ماهر يتجاوب مع تلك النصائح أو التوجيهات ، فيقول لامبسون عن حديث طويل له مع على ماهر في أول مارس ١٩٣٧ أن الأخير أكد له أنه لا يعترض لإقرار أي عمل غير دستوري يقوم به الملك في يوليو القادم ، ولا هو يعتقد أن الملك فاروق قد اعترض أن يقوم بشيء من هذا القبيل . . . وقد أضاف على ماهر أنه قبل سفر حسنين إلى أوروبا أعرب عن أمله في أن يكون دولته في مصر في يوليو فقد تدعو الحاجة إلى خدماته . وقد أوضح دولته أنه سيكون موجوداً في مصر ومستعداً لأن يخلص النصيح بعيداً عن الأضواء (وأعرب عن أمله في تجنب الأخطاء) ، ومع كل فانه لن يخرج إلى الأضواء إلا إذا تطلبت إرادة الشعب من العرش أن يباشر حقوقه الخاصة . وهو بالفعل يرى أن الحكومة الحاضرة عندما تقدم استقالتها بصورة شكلية في يوليو القادم فإن من المؤكد أن يطلب الملك إليها استئناف أعمالها (٣) .

(١) د. عبد العظيم رمضان ، المرجع المشار إليه ، ص ١٧٢ - ١٧٨ .

Lampson to Eden, Telegram, No. 118 saving, 14 November 1936 F.O. (٢)

407/219 pp. 70-71.

Same to same, Telegram No. 31, 2 March 1937 F.O. 407.

(٣)

الإشارة هنا إلى سفر أحمد محمد حسنين إلى أوروبا لرافعاً الملك فاروق في الرحلة التي قام بها قبل أن يتولى سلطاته الدستورية في يوليو ١٩٣٧ .

لذلك فعندما اجتمع لامبسون مع الأوصياء على العرش ومع أحمد حسنين في ٢٥ فبراير ١٩٣٧ وأثير موضوع ضرورة اختيار أحد الساسة المجرين ليكون إلى جانب الملك عندما يبلغ سن الرشد ليرعى حقوق العرش الشرعية وليحول في نفس الوقت دون نزعات الملك غير الدستورية ، أى اختيار رئيس للديوان وطرح اسم على ماهر ليشغل المنصب ، فإن لامبسون رغم شكوكه التي أشرنا إليها في نوايا على ماهر وصلاته - كان يرى أنه شخص مناسب جداً وإن كان ذلك مستحيلاً في ضوء شدة عداء الوفد له (١) .

يتضح من الحديث الذي أشرنا إليه بين لامبسون وعلى ماهر في أول مارس أن السفير كان يستغل مايعرفه من نفوذ الأخير لدى الملك في التأثير على سياسة القصر وتوجيهها . يبدو هذا أكثر وضوحاً في أغسطس ١٩٣٧ حين أعاد النحاس تشكيل وزارته ، بعد تولى الملك سلطاته الدستورية ، وأخرج منها محمود فهمى النقراشي باشا ومحمد صفوت باشا وعلى فهمى باشا ومحمود غالب بك ، وانفجر على أثر ذلك النزاع داخل الوفد ، وخرج منه النقراشي وأبصاره . ترب على ذلك ضعف الوفد واتجاه أعدائه واتجاه القصر إلى انتهاز الفرصة للتخلص من وزارة الوفد .

حيث كانت سياسة الجانب البريطاني هي التأثير على سياسة القصر عن طريق على ماهر والشيخ المراغى بهدف التهدة وعدم التسرع حتى تمر الأزمة بسلام وتبقى حكومة الوفد . لذلك قابل مستر كيلي الشيخ المراغى في ٢٨ أغسطس واتهم الفرصة ليعين له :

(١) الملامة الواضحة لتنفيذ المعاهدة مع النحاس باشا في الوقت الحاضر .

(ب) الخطر على الملكية من أعمال التسرع .

وحين قابل كيلي على ماهر بعد ذلك بيومين كان هدفه أن يضغط عليه في نفس هذا الاتجاه (٢) . فقد أظهر له اهتمام الجانب البريطاني الخاص بالعلاقات مع « الحكومة الحالية في هذه المرحلة من أجل تنفيذ المعاهدة » ، كما صمم أساساً

Lampson to Eden, telegram No. 28, 25 February 1937, F.O.407/221. (١)

Kelly to Eden, telegram No. 481, 28 August 1937, F.O. 407/221. (٢)

«على وجوب الحماية الكاملة للملك غير مجرب من التورط في مغامرات سياسية»، وقد نصح «بمعاملة رئيس الوزراء معاملة مستقيمة» (١). وكان مستر ليندن، وزير الخارجية، يبحث مستر كيللي على مواصلة التأثير على الملك فاروق أو مستشاريه بحكمة الثاني (٢).

لذلك فلا شك أن تعيين على ماهر رئيساً للديوان في ٢٠ أكتوبر ١٩٣٧ لم يصادف إستياء من الجانب البريطاني، بل قد يكون مبعث ارتياح، لأن تولى على ماهر المنصب يجعله يشغل رسمياً ما كان يشغله من وراء ستار، أى منصب مستشار الملك، وبذلك يتحمل مسئولية مايشير به.. وقد اكتفى لامبسون في تعليقه على تعيينه بأن طريقه التعيين كانت خطأ وتفقر إلى الحكمة (٣)، وذلك لانفراد الملك بتعيينه دون التشاور مع مصطفى النحاس، رئيس وزرائه، في ذلك والحصول على موافقته.

وقد أدى تعيين على ماهر في رئاسة الديوان الملكي، ثم ما تلى ذلك من أزمة بين القصر ووزارة الوفد، إلى تزايد العوامل المؤثرة في العلاقات بينه وبين الجانب البريطاني قوة: فتزايد تقدير الجانب البريطاني لنفوذ على ماهر في القصر بعد أن أصبح فعلاً مستشار الملك الأول هناك تزايدت الرغبة في الحصول على تعاونونه لتوجيه سياسة القصر بما يلائم السياسة البريطانية، وأدى ذلك في النهاية إلى تزايد عوامل الشك لدى الجانب البريطاني في إخلاص على ماهر وانجذاراته وأطماعه وسليباته، وتزايد عوامل الاحتكاك بين سياسة كل من الطرفين.

ذلك أن الوصول إلى رئاسة الديوان الملكي لم يكن غاية بالنسبة لعلى ماهر، بل كان خطوة إلى هدف أسمى هو العودة إلى رئاسة الوزارة (قد رأينا كيف عبر على ماهر عن هذا الاتجاه بصراحة في حديثه مع لامبسون في مارس ١٩٣٦، أيام وزارته الأولى)، فعلى ماهر لم يكن يستند إلى تأييد حزب أو قوة عصبية، لذلك لم يكن أمامه سوى الاستناد إلى القصر، وهكذا عمل على تمكين نفوذه في القصر والوصول إلى رئاسة الديوان. وفي هذا المنصب نشط على ماهر في خدمة العرش

Kelly to Rden telegram No. 483, 31 August 1937, FO. 407/221. (١)

Eden to Kelly, telegram No. 389, 2 September 1937, FO. 407/221. (٢)

Lampson to Eden, telegram No. 608, 3 November 1937, F.O. 407/221. (٣)

ومكتب حقوق له على حساب الشعب، وهذا هو أساس الأزمة الدستورية بين القصر
وزمارة الوفد، تلك الأزمة التي اشتلت واستغصت في ديسمبر ١٩٣٧ وانتهت
بإقالة الوفد. لم تكن حلقة العرض والولاء له، على أية حال، غريبة على ابن
محمد ماهر باشا، رجل الخديو عباس حلمي الثاني الذي أقرب أسفه بأزمة الحدود
المشهوره في يناير ١٨٩٤، لكن الولاء للعرض كان واحداً فقط من العوامل التي
دفعت على ماهر رئيس الديوان إلى توجيه سياسة القصر بما أدى إلى الأزمة
الدستورية. أما العامل الآخر الهام فهو أن الوصول إلى الحكم لم يكن ليتحقق قبل
إضعاف الوفد والتخلص من الوزارة الوفدية. رأينا كيف عمل على ماهر على
إضعاف الوفد قبل رئاسته للديوان، وقد عمل على إخراج الوفد من الحكم بعد أن
أصبح رئيساً للديوان.

لسنا في حاجة، في هذا المجال، إلى متابعة باقي خطوات على ماهر للوصول
إلى السلطة، بالوقوف جانباً وترك الوزارة تسند إلى محمد باشا محمود، ثم
إشراك السعديين في من الدستوريين الحكم، ووضع العقبات أمام الوزارة لدفعها
للاستقالة وإثبات فشل هؤلاء الساسة جميعاً، وبذلك يفتح أمامه الطريق إلى
للبنطة واسعاً ودون عقبات^(١) الذي يهنا هنا هو أن سياسة على ماهر في
التخلص من الوفد تعارضت جنرياً مع سياسة السفارة البريطانية في استبقاء الوفد.
وكان هذا مجال الاحتكاك.

كان مفروضاً أن لامبسون يدرك هذا التعارض في سياسة الطرفين تجاه الوفد
فقد عبر له على ماهر عن أمله في العودة إلى تولي الوزارة كما أشرنا. كما كان يدرك
أيضاً عداء على ماهر للوفد، وعلى علم بما قال من أنه «من المحتمل أن يأتي بأعمال
ضد الوفد خلال الخريف القادم» (أي خريف ١٩٣٧). ويقال إن على ماهر مقتنع
بأنه من الممكن إجبار وزارة الوفد على الاستقالة في الخريف القادم وإجراء انتخابات
يوافقة حكومة محايدة ظاهرياً وضمان الحصول على أغلبية ضد الوفد دون الاستعانة
بالوسائل والمناورات الانتخابية المتطرفة^(٢) ومع بداية الأزمة الدستورية تحدث

(١) محمد تاجي، المرجع المشار إليه، ص ١٧١ - ١٧٢، ١٩٦ - ٢٠٠. د. عبد العظيم
ولفسان، المرجع المشار إليه، ص ١٧٧، ٢٢٨.

Lampson to Eden, No. 209 secret, 16 February 1937, Fo. 407/221. (٢)

إلى السفير عن عدم ثقته في علي ماهر ووجود مؤامرة بالقصر لتجميع كل عناصر المعارضة لضمان استقالته ، وقال انه لن يسمح للقصر بالاستمرار في لعب هذا الدور الذي يتعارض مع الدستور على خط مستقيم... (١). ورغم ذلك فإن لامبسون أتمج بعد عودته من أجازته في آخر أكتوبر ١٩٣٧ إلى الاستعانة بعلي ماهر ليقوم بدور الوسيط بين الطرفين (الملك ورئيس الوزراء) لحل الأزمة عن طريق إيجاد نوع من التفاهم والتقارب في وجهات النظر وتدبير مقابلة . فقابل علي ماهر في ٢ نوفمبر وأوضح له خطورة قيام نزاع داخلي في ظروف موقف دولي شديد التوتر ، وخطورة قيام ملك صغير السن بإثارة أزمة دستورية مع رئيس وزرائه المنتخب دستورياً . وقد وافق علي ماهر على التعاون عندما اقترح عليه لامبسون أن يقوم بدور الوسيط بين الملك والنحاس ، وأظهر علي ماهر استعداداه للقيام بهذه المهمة... (٢). وسار لامبسون في هذا الاتجاه إلى مدهاء ، فقابل الملك في ٥ نوفمبر ونصحه بأن يعهد إلى علي ماهر بإيجاد حل على للأزمة عن طريق إيجاد مخرج للتفاوض مع رئيس الوزراء . وهكذا ، كما يقول لامبسون ، أصبح الأمر متروكاً لعلي ماهر لكي يقوم بواجبه (٣).

في الفترة المبكرة من الأزمة كان لامبسون ، كما يقول في يومياته ، واثقاً أن علي ماهر سوف يبدل مائي مائي وسعه لحلها (٤). لكنه من أواخر نوفمبر بدأ يرتاب في خوايا علي ماهر وإجابهاته فيما يختص بالأزمات موضوع الوساطة . فقد رأى أن ضغط علي ماهر عليه فيما يختص بضرورة حل فرق القمصان الوفدية الزرقاء هي بلاجدال محاولة منه لكي يوقع السفير في مشاكل مع النحاس بخصوص مسألة لاشك أن النحاس مخطئ فيها (٥). وفي الأسبوع الثاني من ديسمبر ترأدت شكوك لامبسون وأخذ أملة يضعف في حل الأزمة .

(1) Same to same, telegram No. 608, November 1937, F(O. 407/22x'.

(2) Lampson to Eden, telegram No. 610, 3 November 1937, F(O. 407/221.

(3) Same to seme, telegram No. 517, 5 November 1937, F(O. 407/221.

(4) Evans, T(E. (editor: The killearn Diasies 1934—1946, London 1972, p-89.

(5) Lampson to Eden, telegram No. 666, 25 November 1937, F(O. 407/221.

فكتب يقول ، معلقاً على فشل المساعي لحل الأزمة حتى ذلك الوقت ، أنه لا يرى « أملاً يذكر في ضم هذه العناصر المتنافرة للعمل معاً » . ثم كتب عن حديث له مع أمين عثمان (همزة الوصل بينه وبين الوفد) في مشروع لتسوية الأزمة يتضمن حل فرق القمصان الزرقاء ، وأشار إلى اعتقاد أمين عثمان أنه يمكن أن يجعل النحاس يقبل ذلك بشرط وجود ضمان بحسن نية القصر ، لأن النحاس يشعر أنه إذا جرده القصر من السلطة فإن جميع أجهزة المستور سوف يساء استعمالها ضده بما في ذلك الجيش والشرطة ، وأنه ليس هناك إلا القمصان الزرقاء التي عليه أن يركز إليها . وقد وافق لامبسون على ما أشار إليه أمين عثمان من أن أضعف ما في هذا المشروع هو الاعتماد الذي يفترضه مقلماً على حسن نية على ماهر (١) . وأخيراً فقد أخبره النحاس بعد أن أقيمت وزارته ، أن الموضوع كان من أول الأمر مؤامرة دبرها على ماهر (٢) . ولا شك أن ما وضعه على ماهر من عقبات في وجه وزارة محمد محمود للتخلص منها وتحقيق أطماعه في الوصول إلى الرئاسة قد أكد للامبسون صحة اتهامات النحاس :

كان طبعياً — على أية حال — أن تفشل الوساطة بين الطرفين ، لأن الوسيط — على ماهر — كان طرفاً في العراع . والسؤال الآن هو لماذا عهده إليه لا ميسون بالوساطة ؟ إذا استبعدنا فكرة أن لامبسون يجهل أطماع على ماهر ، يتبقى لدينا عاملان أحدهما أن السفارة اعتادت على استجابة على ماهر لرغباتها ، مما جعل لامبسون يعتقد كما يقول ، أنه بالضغط عليه قد يصبح أكثر استعداداً لعمل ما في وسعه لتخطي هوة النزاع بين القصر والوزارة (٣) . أما العامل الثاني فهو أنه لم يكن لدى لامبسون وسيلة أخرى للتأثير في فاروق ، وهذا واضح من قوله في يومياته معلقاً على عودة فاروق من رحلته في الخارج عام ١٩٣٧ لتولي سلطاته الدستورية ، أنه يخشى أن يعتقد فاروق أنه يستطيع أن يلعب أية لعبة يريد لها ، وإذا حدث هذا فسوف يكون خطأ قاتلاً ، وهو يأمل أن يستطيع على ماهر أن يؤثر فيه ، وإلا فسوف

(1) Lampson to Eden, telegram No. 701, 9 December 1937, and No. 706 13 December 1937, F.O. 407/221.

(2) Same to same, telegram No. 158, 31 December 1937 F.O. 407/221.

(3) Same to same, telegram No. 612, 3 November 1937, and No. 617, 5 November 1937 F.O. 407/221.

تكون هناك أيام عاصفة بيننا^(١) ، ، وقد ازدادت هذه الحاجة إلى الافادة من نفوذ على ماهر لدى فاروق بعد أن ولي رئاسة الديوان .

وقد قام اربتاب - في بداية الأزمة - في نفوذ على ماهر على فاروق ، وقدرته على التأثير عليه . عبر عن هذا الاتياب كل من أمين عثمان والنحاس : فقال الأول أن على ماهر لا يستطيع السيطرة على الملك ، وكذلك لا يريد أغضابه بإبداء رأى مخالف^(٢) وقال الثاني أن فاروق غلام « عديم التجربة ناقص التعليم متعطر ، وهو في شك من أن حتى على ماهر نفسه قد يؤثر عليه »^(٣) . بل أن لامبسون قد عبر عن أرتيابه في أن على ماهر متأكد من وضعه من الملك ، فقد قال له على ماهر أنه محاصر بالمتاعب في القصر^(٤) .

لكنها كانت شكوك عابرة . فمحمد التابعي ، وله حيثئذ اتصالاته القوية في القصر ، يؤكد أن نفوذ على ماهر أستمرو قوياً على فاروق حتى تولى محمد محمود الحكم وبدأ على ماهر يدس له لدى الملك ، وأن السياسة التي أتبع خلال الأزمة الدستورية بين الوفد والقصر حتى أقيلت وزارة النحاس وخلقتها وزارة محمد محمود هي سياسة على ماهر^(٥) . وقد أدرك لامبسون هذا ونهاية الأزمة ، فكتب قبل إقالة النحاس بيوم واحد يقول أنه حين يتأمل ماحدث يشعر أنه « لم يكن هناك قط أدنى شك في أن على ماهر كان مصمماً على طرد الوزارة الحالية . والحق أن الأمر يعود حتى إلى ما قبل ذلك (الأزمة الدستورية) ، إلى عودة الملك في الصيف الماضي »^(٦) . أي من رحلته إلى أوروبا . كما أن سيطرة على ماهر في القصر كانت كاملة في الفترة الأولى من وزارة محمد محمود بحيث كتب لامبسون في مايو ١٩٣٨ يقول إن « القصر اليوم معناه على ماهر »^(٧) وهكذا ، فإن ماحدث هو صدام

(1) Evans, T (editor), op. cit., p. 89.

(2) Kelly to Eden, telegram No. 599, 30 October 1937, F.O. 407/221.

(3) Lampson to Eden, telegram No. 567, 23 November 1937, F.O. 407/221.

(4) Same to same, telegram No. 610, 3 November 1937, F.O. 407/221.

(٥) محمد التابعي ، المرجع المشار إليه ، ص ١٧١ - ١٧٢ ، ١٩٢ ، ١٩٦ - ٢٠٠ .

(6) Evans, op. cit., p. 91.

(7) Lampson to Eden, No. 510, 16 May 1938 F.O. 407/222.

بين سياسة كل من السفير ورئيس الديوان فيما يخص بوزارة الوفد . وقد خرج على ماهر متصراً ، فساعات علاقته بلامبسون لفترة بعد الأزمة .

ليس هذا فقط ، بل ان لامبسون ، كما يقول في يومياته ، بدأ يعتقد أن فاروق في حقيقته ولد لطيف يمكن التعامل معه ، ويرتاب في أن على ماهر هو السبب الحقيقي لما يلاقونه من متاعب مع فاروق^(١) وقد لمس بهذا جانباً من الحقيقة ، لا كلها .

كان لعل ماهر نفوذه القوي على فاروق كما رأينا ، وقد استغل هذا النفوذ في تجنب وقوع فاروق تحت السيطرة البريطانية وهو لا يزال صبيّاً عديم التجربة . وقد عبر لامبسون عن سياسة على ماهر تلك حين تعمق فهمها بأنها « إبعاد فاروق عنا حتى يمكن للسراى أن تمارس سياستها الدكتاتورية في المجال الداخلي والمستقلة في المجال الدولي ، دون أن تعوقها النصائح البريطانية . »^(٢) أما خصوم على ماهر فكان بعضهم يصف سياسته بأنها « تحويل الملك فاروق عن بريطانيا » وكانوا يرون أنها خطيرة على كل من الأسرة المالكة والبلاد ، وقد انتهى بسقوطه السريع في حالة قيام الحرب^(٣) .

وقد ترجع هذه السياسة لعدة أسباب : قد يكون دافعها الوطنية كما يفهم من حديث محمد كامل البندارى مع الدكتور عبد العظيم رمضان^(٤) . وقد يكون إبعاد فاروق عن الوقوع تحت السيطرة البريطانية ، كما يفهم من رأى لامبسون ، وهذا السبب مرتبط بالسبب الأول . وقد تكون أيضاً وسيلة للانفراد بالنفوذ على فاروق دون مزاحمة من النفوذ البريطاني .

هذا على أية حال جانب من الحقيقة . أما الجانب الآخر فهو أن فاروق ، عند عودته من بريطانيا ، كان مشعباً بروح العداء للسيطرة والنفوذ البريطاني وكان يحاول

(1) Evans, op. cit., p.

(2) Lampson to Halifax, No. 110 Confidential, 3 February 1939 F(O. 407/223 p. 13.

(3) Same to same, No. 560, x2 May 1939, F(O. 407/223, p. 32.

(٤) د. عبد العظيم رمضان ، المرجع المذكور ، ص ٢٤١ .

في هذا الوقت المبكر تخلص نفسه والتصر من النفوذ البريطاني ، كما يتضح من يوميات كيلرن^(١) . وهكذا اتفق اتجاه فاروق مع اتجاه على ماهر .

وخلال الأزمة الدستورية بدأت تنكشف للجانب البريطاني نواحي من شخصية على ماهر بما أدى إلى سوء فكرتهم عنه . فقد كتب لامبسون في أوائل الأزمة يقول أن « على ماهر إنسان مخادع ولا يمكن الوثوق به »^(٢) . وقبل نهاية الأزمة قال أنه كان مراوفاً^(٣) . وكانت فكرة مساعدى لامبسون عنه مثل فكرة لامبسون أو أسوأ . فستر كيللى ، الوزير المفوض بالسفارة ، كتب أثناء الأزمة يقول أنه لا يستطيع أن يخاطر حتى بمحادثة شخصية مع على ماهر لأنه يحتمل أن ينقل حديثه محرفاً إلى جريدة البلاغ في اليوم التالى^(٤) . أما السكرتير الشرقى ، والتر سمارت ، فكان يرى « أن موقف فاروق مع على ماهر يعيد إلى الذاكرة ما سبق أن حدث بين الخديو الشاب عباس ومحمد باشا ماهر والد على ماهر ، تلك السابقة التى تنذر بالشر »^(٥) . ويشير سمارت بذلك إلى تعاون محمد باشا ماهر وكيل وزارة الحرية مع الخديوى عباس حلمي وتشجيعه على العمل ضد الاحتلال البريطاني بما أدى إلى الصدام بين الخديو وكنتشر ، ومن خلفه كرومر ، في حادث الخلود المشهور في يناير ١٨٩٤ . وبوصول على ماهر إلى رئاسة الديوان أخذت تتأكد للجانب البريطاني علاقته بأحمد حسين ومصر الفتاة ، تلك العلاقات التى كانوا على علم بها من قبل . ذلك أن مصر الفتاة كانت من الأدوات التى استخدمت في التخلص من وزارة الوفد في أواخر ١٩٣٧ ، وكان عز الدين عبد القادر ، حفيد عرابي وعضو مصر الفتاة ، هو الذى أطلق الرصاص على النحاس قبل إقالة الوزارة . وقد عبر النحاس للسفير البريطاني عن اعتقاده أن على ماهر ضالع في محاولة اغتياله^(٦) . ولما كان السفير البريطاني قد أدرك في آخر الأزمة الدستورية أن سياسة التخلص من وزارة الوفد

(1) Evans, op. cit., p. 69.

(2) Same to same, telegram No. 6x2, 3 Novemebr 1937, F.O. 407/221.

(3) Same to same, telegram No. 721, 19 December 1937, F.O. 407/221.

(4) Kelly to Eden, telegram No. 599, 30 October 1937, F.O. 407/221.

(5) Memorandum by W.A. Smart. enclosed in Kelly to Eden, No. 1227, 28 October 1937, F.O. 407/221.

(6) Lampson to Eden, telegram, No. 158, 31 December 1937, F.O. 407/222.

هى سياسة على ماهر ، فان هذا يؤكد لديه صلة مصر الفتاة بعلى ماهر . يضاف إلى ذلك أنه بعد أن خلف محمد محمود النحاس فى الوزارة قام العراق على السلطة بينه وبين على ماهر . فى هذا الصراع اتخذ أحمد حسين جانب على ماهر (١) . لذلك فقد اعتبرت السفارة البريطانية على ماهر متواطئاً مع الفاشية المصرية ، ومستولاً عن تزايد النفوذ الفاشى فى السراى .

حقيقة أن أهمية مصر الفتاة فى الحياة السياسية المصرية أخذت تقل بالتدريج ، بعد خلافهم مع محمد محمود ثم مع على ماهر ، وبعد خروج محمد كامل البندارى ، نصبرها ووكيل الديوان الملكى ، من السراى . وتبعاً لذلك أخذ يتضح للامبسون بالتدريج قلة شأن مصر الفتاة فى الحياة السياسية المصرية . لكن مصدر الخطورة من وجهة النظر البريطانية كان ما هناك من شكوك حول صلة مصر الفتاة بإيطاليا الفاشية بل واتهامها بالعمالة لها ، خاصة وأن شخصية لها وزنها السياسى كزعيم الوفد قد وجهت هذا الاتهام إلى مصر الفتاة فى مجلس النواب فى يونيو ١٩٣٦ ، وأعاد مصطفى النحاس توجيه هذا الاتهام بعد إقالته فى آخر ديسمبر ١٩٣٧ (٢) .

كان طبعياً أن تعلق هذه الشكوك أيضاً بعلى ماهر ، صديق مصر الفتاة . لذلك حينما كتب لامبسون فى فبراير ١٩٣٩ إلى هاليفاكس عن الدعاية الإيطالية الألمانية ، وعن توغل النفوذ الإيطالى - الألمانى فى السراى وبين رجال البلاط ، وفى الطبقات الاجتماعية العليا ، نجده يقول أن « صديق باشا ، على سبيل المثال وهو على علاقة طيبة بالملك ، يقوم بنفس الدور الذى تلعبه الدعاية الإيطالية الألمانية ، وذلك بنشر الآراء التى تقول بضعف إنجلترا ، وبجلاء مصر فى حالة قيام حرب لا تمس المصالح المصرية مباشرة . ولما كان صديق فى معسكر على ماهر أيضاً ، فيغلب أن الأخير يشجعه على انتهاز هذا الطريق ، ولا شك أن إيطاليا وألمانيا لهما عملاء آخرون يعملون على الخط من مكانة إنجلترا فى نظر الملك فاروق ، ويعملون على توجيهه فى اتجاه معادى لها ، ربما دون أن يشعر هو بذلك » (٣) .

(١) د. عبد العظيم رمضان ، المرجع المشار إليه ، ص ٢٢٤ - ٢٢٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٢٠ - ٢٢١ .

(3) Lampson to Halifax, No. 110 Confidential, 3 February 1939, F.O. 407/223
pp. 13,14.

وقد كان لهذه الفكرة عن علي ماهر أثرها الخطير في موقف الجانب البريطاني منه فيما بعد ، ذلك الموقف الذي تطور إلى طلب إخراجه من الوزارة في يونيو ١٩٤٠ ثم طلب اعتقاله بحجة انحيازه إلى المحور .

الخلاصة أن تولى علي ماهر رئاسة الديوان ، وقيام الأزمة الدستورية ، وسياسة علي ماهر خلالها ، قد أدت إلى سوء العلاقات بين علي ماهر ولامبسون ، كما أخذ الجانب البريطاني يعتقد أن علي ماهر شخص مراوغ مخادع متآمر لا يمكن الوثوق به وأنه أقرب إلى العداء لبريطانيا والميل إلى المحور بحكم صلاته بالفاشية المصرية المتهمه بالعمالة لإيطاليا .

بعد انتهاء الأزمة الدستورية باقالة مصطفى النحاس أخذت الحدة تزول بالتدرج عن سوء العلاقات بين علي ماهر والسفير البريطاني ، لكن علاقاتهما لم تعد إلى ما كانت عليه . هناك عدة عوامل ساعدت على ذلك : انتهاء الأزمة الدستورية ، وانتهاء الاحتكاكات التي ترتبت عليها بانتقال مركز الثقل نسبياً في العلاقات السياسية إلى رئيس وزراء (محمد محمود) يحاول أن يثبت أقدامه في السلطة في مواجهة رئيس الديوان ، استمرار وجود علي ماهر رئيساً للديوان واستمرار نفوذه قوياً لدى الملك فاروق فترة بعد الأزمة ، ما وجده لامبسون لدى محمد محمود والسراي من تعاون واستعداد لتنفيذ معاهدة التحالف ، بحيث كتب في مايو ١٩٣٨ يقول أن « القصر والحكومة الحاضرة لا يقلون ولاء عن حكومة النحاس باشا نحو تنفيذ المعاهدة » (١) .

في الدور الثاني من العلاقات بين علي ماهر ولامبسون ، نجد اهتمام الأخير يتركز على ثلاث نقاط أساسية هي : وضع علي ماهر في السراي ، صراع علي ماهر للوصول إلى السلطة ، أي إلى رئاسة الوزارة ، والنفوذ الإيطالي الألماني في السراي .

في مايو ١٩٣٨ كتب لامبسون يقول أن « القصر في الوقت الحاضر هو الفيصل في الموقف السياسي ، والقصر اليوم معناه علي ماهر . . . علي ماهر يمثل دور القصر السياسي في الوقت الحاضر . . . » (٢) ، وذلك لما كان لعل ماهر حينئذ من نفوذ

(1) Same to same, No. 510 Confidential, 6 May 1938, F.O. 407./222.

(2) Ibid.

قوى على الملك فاروق كما سبق أن أشرنا . لكن ذلك النفوذ أخذ يضعف لما اتضح من طمع على ماهر في السلطة وموافاته للوصول إليها ، وعجزه عن التصدي للتدخل البريطاني ، ولتعيين محمد كامل البندارى باشا وكيلا للديوان الملكي وما أحرز من نفوذ لدى الملك انتقص من نفوذ على ماهر بل وتعارض معه ، رغم أن على ماهر صاحب الفضل في تعيين البندارى . لكن يبدو أن لامبسون لم يفتن إلى ضعف نفوذ على ماهر في السراي عن التآمر إلا بعد فترة . فحين لاحظ في نوفمبر هدوء على ماهر وتخليه ضد رئيس الوزراء اعتقد أن السبب هو هجوم الوفد عليه أودقة الموقف الدولي (١) . لكنه في أوائل ١٩٣٩ فطن إلى ضعف موقف على ماهر وعزاه إلى الدسائس ضده داخل السراي (٢) . وهذا حقيقى ، فضعف موقف على ماهر حينئذ ناتج عن تزايد نفوذ البندارى في السراي .

في أبريل ١٩٣٨ كتب لامبسون يقول عن الأزمة الوزارية التي قامت في نفس الشهر أن أساس الأزمة هو « التراع بين الأحرار الدستوريين والقصر . فقد كان الأحرار يريدون السيطرة على الوزارة لتوطيد مركزهم عن طريق الحكومة ، بينما كان القصر ، بتوجيه على ماهر باشا ، يرغب في وضع الأحرار تحت السيطرة من خلال حكومة ائتلافية . . . والفكرة الغالبة بين المصريين أن على ماهر باشا أو أحمد ماهر بتأييد حزب السعديين الكبير في البرلمان سيحل محل محمد محمود باشا » (٣) . ثم عاد في مايو يقول عن على ماهر أن المظنون أنه « يسعى لرئاسة الوزارة معتمداً في ذلك على مساعدة أخيه الدكتور أحمد ماهر والسعديين . . . ومن المتوقع أنه لايمضى وقت طويل حتى ينشأ نزاع جديد يكون سبباً في خروج محمود باشا . ولو كان على ماهر باشا حصيفاً لترك للوزارة الحالية الوقت الكافى والحبل الذى تشق به نفسها كما هو الحال في جميع الوزارات في مصر . بيد أنه من سوء حظه أنه رجل قليل الصبر إلى أقصى حد » (٤) . ومع أنه كتب في نوفمبر يقول أن على ماهر

(1) Lampson to Halifax, No. 1197, 7 November 1938, F(O. 507/222.

(2) Same to same, No. 41, 16 January 1939, F.O. 407/223.

(3) Same to same, No. 486, 29 April 1938, F.O. 407/222.

(4) Same to same, No. 510, Confidential, 6 May 1938, F.O. 407/222.

« قد تخلى مؤقتاً عن تدبير المؤامرات ضد رئيس الوزراء » (١) ، إلا أنه عاد في يناير ١٩٣٩ يقول أن القصر ، أى على ماهر يواصل « إضعاف مركز محمد محمود باشا بتدخله في الإدارة وبمساعده للحركات والعناصر المعادية للحكومة » (٢) .

وهكذا تأكد لدى لامبسون سعى على ماهر ونشاطه الملح للوصول إلى رئاسة الوزارة ، وتآمره ضد محمد محمود وعرقلة أعمال الوزارة حتى يتمكن من الوصول إلى هدفه .

هذا السعى الدؤوب من جانب على ماهر للتخلص من وزارة محمد محمود والوصول إلى السلطة كان عاملاً من عوامل استياء لامبسون من على ماهر . ذلك أنه كان قد اطمأن إلى إخلاص محمد محمود وتعاونيه في سبيل تنفيذ المعاهدة والوفاء بالتزامات التحالف ، ولم يكن يشعر بنفس هذا الاطمئنان من جهة السراى . ولما كان على ماهر هو المسيطر في السراى ، وهو بالتالى مسئول عن سياسة السراى ، فان تغييراً يأتى بعلى ماهر إلى الحكم لم يكن مما يرحب به لامبسون . لذلك نجده في مايو ١٩٣٨ يقول إن « على ماهر يسعى لرئاسة الوزارة ، وأنه — أى لامبسون — سيأسف إلى اعتزال محمد محمود الحكم » (٣) ، ويقول عن محمد محمود في مايو من العام التالى أنه لا يريد « رفيق عمل خيراً منه ولا أكثر ولاء ، وآمل كثيراً أن يظل في عمله بعض الوقت » (٤) .

أما عن النفوذ الإيطالى الألمانى في السراى فقد كان مصدر قلق بالغ للسفير البريطانى . فكتب في يناير ١٩٣٩ يقول أن « هناك تأثيرات قوية — وطنية وأجنبية — يبدو أنها تعمل لتوضيح للملك الخطر الذى تتعرض له مصر من التزامات الحرب التى تنص عليها المعاهدة . والحق أنه مما يخشى منه أن عملاء إيطاليا وألمانيا — عن طريق أذنابهم داخل القصر وخارجه ، يقومون فعلاً بالتأثير على الملك فاروق وتوجيه الوجهة التى يريدها محور روما — برلين ، وهى حياد مصر في حالة قيام الحرب . . .

(1) Lampson to Halifax, No. 1197, 7 November 1938, F.O. 407/222.

(2) Same to same, No. 41, 16 January 1939, F.O. 407/223 .

(3) Same to same, No. 510 Confidential 6 May 1938, F.O. 407/222.

(4) Same to same, No. 560, 12 May 1939, F.O. 407/223 .

إن الدعاية الإيطالية الألمانية شاملة ، لكن من الواضح أن أحد ميادينها المفضلة في مصر هو ما يقابل الطبقة الأرستقراطية ، أي البلاط والدائرين في فلكه ، والأثراك والأثراك المتمصرين ، (١) .

كان السفير البريطاني يدرك صلة البنداري بمصر الفتاة ، وصلاته الودية مع المفوضية الإيطالية ، وأثر ذلك كله في تزايد النفوذ الإيطالي الألماني ونفوذ مصر الفتاة في السراى ، وتزايد الاتجاهات الفاشية في السراى وفي البلاد (٢) ، إلا أنه مع ذلك كان يعتبر على ماهر مسئولاً عن هذه الحالة لنفوذ القوى في السراى ، ولصلاته بمصر الفتاة ، وقد وصل الأمر بلامبسون في فبراير ١٩٣٩ إلى وضع على ماهر مع إسماعيل صدقي باشا في الفريق المناصر لإيطاليا ، الذى يعمل على نشر الدعاية الإيطالية الألمانية المضادة لبريطانيا ، كما يتضح من خطاب لامبسون إلى هاليفاكس رقم ١١٠ في ٣ فبراير الذى سبق الإشارة إليه .

خلاصة الأمر أن الدور الثانى في العلاقات بين على ماهر والسفير البريطانى قد أكد عدة انطباعات لدى السفير البريطانى : أكد قوة نفوذ على ماهر في السراى ، ولو أن هذا النفوذ أخذ يضعف في الربع الأخير من ١٩٣٨ وأكد سعى على ماهر لرئاسة الوزارة ، ومناوراته ومؤامراته ضد وزارة محمد محمود لتحقيق هذا الغرض وأن وجوده في رئاسة الديوان الملكي وشبهته في الاستحواذ على السلطة لا يعطى الوزارة القائمة الفرصة لممارسة الحكم . وهكذا استمر التعارض الذى كان قائماً من قبل بين سياسة على ماهر وسياسة السفير الذى كان يريد أن تستمر وزارة محمد محمود في الحكم . يضاف إلى ذلك أن لامبسون استمر يعتقد في عدم صداقة على ماهر لبريطانيا ، وفي مسئوليته عن تزايد الاتجاهات الفاشية وتزايد النفوذ الإيطالى في السراى وفي البلاد . وأخيراً فعلى ماهر متآمر لا يمكن الوثوق به .

هناك عاملان في هذا الدور من العلاقات دفعا إلى التغيير الذى أدى إلى تحسن العلاقات بين على ماهر والجانب البريطانى في الدور التالى ، هما سعى على ماهر للوصول إلى رئاسة الوزارة وإدراكه لسوء علاقته بالجانب البريطانى .

(1) Lampkon to Halifar, No. 41, 16 January 1939, F.O. 4071223 .

(٢) عهد العظيم رمضان ، المرجع المذكور ، ص ٢٢٩ - ٢٣٠ ، ٢٤٠ .

بدأ على ماهر يدمس لوزارة محمد محمود منذ أسايعها الأولى كما يقول التابعي : وبدأت الأزمات بين الوزارة والسراى بعد الانتخابات مباشرة وذلك بمناسبة إعادة تأليف الوزارة فى أبريل ١٩٣٨ (١) . والحق أن ضعف الوزارة واعتمادها على تأييد السراى كان يتيح لعل ماهر فرصة طيبة للتلاعب بها . ذلك أن الأحرار الدستوريين استمروا فى الحكم بعد انتخابات غير نزيهة بناء على أغلبية نسبية ، ويقارهم السعديون تقريباً فيما أحرزوا من مقاعد مجلس النواب ، بينما أخذ الوفد يسترد شعبيته فى البلاد بعد إقالته ، وكان ضعف الوزارة عاملاً لإعادة تشكيلها بعد شهرين من تأليفها ليدخلها السعديون كوسيلة لتدعيمها . ومع ذلك فقد استمر ضعف الوزارة ، وزاده الخلاف بين الوزراء الدستوريين ، وبينهم وبين السعديين ، والمشاكل الإدارية والمالية الناتجة عن سوء الحالة الاقتصادية ، وفضيحة مزرعة الجبل الأصفر التى أدت إلى استقالة رشوان محفوظ وزير الزراعة ، وعمل على ماهر المتصل لإضعاف مركز الوزارة بتدخله فى الإدارة ومساعدته للحركات والعناصر المعادية للحكومة . وفى أوائل عام ١٩٣٩ كانت الوزارة قد وصلت درجة كبيرة من الضعف والسراى قد أحرزت قدر أكبر من السيطرة والتسلط يوضحه سفر على ماهر رئيس الديوان فى يناير لتمثيل مصر فى مؤتمر المائدة المستديرة الذى عقد فى لندن لبحث المشكلة الفلسطينية دون رئيس الوزراء أو وزير الخارجية (٢) .

حينئذ اعتقد على ماهر أن الوقت قد حان للتخلص من وزارة محمد محمود والوصول إلى الحكم ، وانهز فرصة حضوره المؤتمر التمهيد لتحقيق هذا الهدف ، وذلك بإزالة ما لدى الساسة البريطانيين عن شكوك نحوه . ولم يكن على ماهر أول من يلجأ إلى الاتصال رأساً بالحكومة البريطانية ، فقد سبقه إلى ذلك الخديو عباس

(١) محمد التابعي ، المرجع المذكور ، ص ١٧١ . محمد حسين هيكل ، المرجع المذكور ص ٨٧ - ٩١ .

(٢) محمد حسين هيكل ، المرجع المذكور ، ص ١٣٩ ، ١٤٢ ، ١٥٣ ، ١٥٥ ، ١٥٦ . عبد النظيم رمضان ، المرجع المذكور ، ص ٢٤٣ - ٢٤٥ .

Lampson to Halifax, No. 486, 29 April 1938, No. 510 Confidential, 6 May 1938, No. 1197, 7 November 1938 F.O. 407/222, No. 41, 16 January 1938. F.O. 407/223.

علمى الثانى أثناء الصراع على السلطة بينه وبين لورد كرومر ، مع الفارق بطبيعة الحال بين الرجلين وبين الظروف المحيطة بكل من الحالتين .

يبدو أن على ماهر تمكن من تفسير تصرفاته وإزالة شكوك الحكومة البريطانية نحوه ، وإقناع وزير الخارجية البريطانية ، لورد هاليفاكس بحسن نيته وتعاونه ، وبذلك أزال أية عقبة من جانب الحكومة البريطانية فى سبيل وصوله إلى رئاسة الوزارة وقيام تعاون بينه وبين الجانب البريطانى حين يتم ذلك (١) .بقى تصفية الموقف مع السفير البريطانى ، وذلك ما سعى على ماهر إليه حين عاد إلى القاهرة .

حينئذ كانت قد استجدت عوامل هيات المناخ الملائم لتصافى الرجلين . تتضح هذه العوامل فى تقرير لامبسون إلى لورد هاليفاكس عن الموقف السياسى فى الشهور الأربع الأولى من عام ١٩٣٩ ، حيث يقول فيه « أن أكثر ما يلفت النظر من معالم الفترة التى نستعرضها هو ما صار إليه مركز رئيس الوزراء من قوة نتيجة أفول نجم على ماهر بشكل غير متوقع ، إذ كانت فرصته منذ أربعة أشهر فى انتزاع الوزارة من محمد محمود باشا تعتبر بحق فرصة قوية . فخلال غيابه لحضور مؤتمر فلسطين الذى عقد فى لندن تمكن من تقويض مركزه فى السراى البندارى باشا ، الذى يدين لعلى ماهر باشا نفسه بتعيينه وكيلًا للديوان الملكى . وقد ساعد البندارى باشا فى أعماله الخفية خصوم آخرون كثيرون لعلى ماهر باشا بينهم أفراد من الأسرة المالكة كانوا يرون - ولرأهم ما يبرره - فى تأثير على ماهر باشا على الملك فاروق خطراً على كل من الأسرة والبلاد . وكان بعضهم يخشى بصفة خاصة أن ينتهى عمل على ماهر باشا فى تحويل الملك فاروق عن بريطانيا العظمى بسقوط جلالته فى حالة قيام الحرب وقد تحدث فى ذلك كثيراً كل من الأمير محمد على وشريف صبرى باشا .

وقد حاول على ماهر باشا عند عودته إلى مصر أن يستعيد مركزه باجبار الملك فاروق على أن يختار بينه وبين البندارى باشا ، فقدم استقالته ، لكنه سمحاً عندما قرر جلالته منح البندارى باشا أجازة لمدة شهر . وفى نهاية هذه المدة عين

(١) عبد العظيم رمضان ، المرجع المذكور ص ٢٥٠ - ٢٥١ .

(2) Lampson to Halifax, No. 560, 12 May 1939, F.O. 407/223 .

رئيس الوزراء البنداري باشا وزيراً مفوضاً في بروكسل بناء على طلب الملك . ومع أن على ماهر باشا قد حصل بهذا على ترضية سريعة ، إلا أن رئيس الوزراء أخبرني أنه إنما نال نصرأً رخيصاً ، وأن نفوذه لدى الملك الآن قد ضعف ضعفاً يئس على أية حال . وبما ساء الملك أن يتقدم إليه رئيس ديوانه بما يكاد أن يكون إنذاراً نهائياً بشأن البنداري ، باشا الذي عمل على أن يحظى برضاء الملك ، وكان يؤيده على الأقل بعض موظفي السراي . ولا يوجد أدنى شك في أن على ماهر باشا يشعر لذلك بالضيق ، وأحد مظاهر ضيقه هو ما يبيده الآن من رغبة واضحة تنسم بالذلة في الحصول على رضائي وعلى مساندة محمد محمود باشا ، وحتى في إقامة علاقات مع الوفد (١) .

وهكذا ، حين عاد على ماهر إلى مصر وجد من انهيار نفوذه في السراي دافعاً جديداً زاد من رغبته في تحسين علاقاته بالسفير البريطاني . وبالمثل ، كان غياب على ماهر عاملاً أزال لفترة الضوابط التي كانت تكبح الحموح في سياسة السراي ، وقد أدى هذا ، بالإضافة إلى قيام البنداري بعمل رئيس الديوان ، إلى ترايد النفوذ الفاشي في السراي ، وإلى الاصطدام بالسفارة البريطانية .

وقع الصدام بمناسبة مظهرين من المظاهر المتخلفة منذ كان السفير البريطاني مندوباً سامياً ، فبعد أن أبرمت المعاهدة وأصبح المنتخب السامي مغيراً تركت حكومة الوفد للامبسون أن يحتفظ بهذين المظهرين على سبيل المحاملة بصفة استثنائية نظراً لدوره في التوصل إلى المعاهدة . أحد هذين المظهرين هو موكب راكبي الموتوسيكلات الذي يسبق سيارة السفير ، والآخر هو استقباله استقبالا رسمياً عند زيارته للأقاليم . في غياب على ماهر أصرت السراي على إلغاء الموكب واضطر لامبسون إلى الموافقة ، وحين زار لامبسون أسوان واستقبله مديرها استقبالا رسمياً طلب البنداري توجيه إنذار إلى المدير وإخطار المديرين الآخرين بسبب الإنذار مع التحذير بتوقيع عقوبة شديدة لو تكرّر ذلك (٢) .

لهذا فلا شك أن لامبسون قد رحب بعودة على ماهر ونجاحه في طرد البنداري من السراي ، باعتبار على ماهر أهون الشرين .

(١) Lampson to Halifax, No. 560, 12 May 1939, F.O. 407/223.

(٢) عبد العظيم رمضان ، المرجع المذكور ، ص ٢٤١ ، ٢٤٢ .

أما مدى استجابته لمحاولات على ماهر تحسين العلاقات معه فتتضح من خطاب
لللامبسون إلى هاليفاكس يخبره فيه عن حديث دار بينه وبين رئيس الوزراء بشأن
على ماهر :

قال إن على ماهر « كان حريصاً جداً على استعادة الثقة فيه : إني لأرجو ألا
تؤدي عودته إلى دائرة الرضاء الملكي إلى عودته إلى عاداته القديمة في التآمر . فقال
رئيس الوزراء إنه يخشى أنها قد تؤدي إلى ذلك ، لكن لو حدث هذا فانه شخصياً
سيعمل على أن يسير الملك في الطريق الصحيح . . . وأنه يمكنني أن أعتمد عليه في
مواجهة أية مؤامرات يحكيها على ماهر ، الذي تلقى درساً قاسياً . . .

قلت لرئيس الوزراء إنه للأسف لا يوجد من يتحلون بالصفات اللازمة ليحلوا
محل على ماهر والبنداري . لقد أجهدت فكري لكنني لم أهند إلى أي شخص ، وقد
وافق رئيس الوزراء على أنه لا يوجد الأشخاص . لقد فكر مثلي ووصل إلى
نفس النتيجة .

أنا متخوف من عودة على ماهر إلى السراي . لقد قابلته عدة مرات في الفترة
الأخيرة ، وقد أكد لي تصميمه على العمل معنا بولاء . لكن الرجل أثبت أنه متآمر
مطبوع ، بحيث لم يعد أحد يثق فيه . على أية حال ، يحتمل أن يكون قد تعلم شيئاً
من تجربته الحالية (١) .

كانت هناك استجابة ، إذن ، من جانب السفير البريطاني لمحاولات على ماهر .
لكنها استجابة بتحفظ ، استجابة من لا يجد بديلاً ، وتحفظ المرتاب في إمكان
حدوث تغير ، وهذا ينفي فكرة قيام تحالف بين السفير البريطاني وعلى ماهر
للتخلص من البنداري .

هناك حقيقة أخرى تتضح من هذه الوثائق التي عرضنا لها ، هي أن على ماهر
هو الذي سعى إلى تحسين العلاقات بينه وبين السفير البريطاني ، وليس العكس .
وهذا يحسم نقطة ثار حولها الخلاف (٢) .

(1) Lampson to Halidfax, telegram No. 122 saving, 2 May 1939, F.O. 407/223.

(٢) أنظر عبد العظيم رمضان ، المرجع المذكور ، ص ٢٤٩ ، ٢٥٠ .

وهكذا ، نجح على ماهر في تحسين العلاقات بينه وبين الجانب البريطاني ، لكن هذا لم يؤد إلى تحقيق الهدف الذي كان يرى إليه من سعيه هذا وهو تمهيد الطريق إلى رئاسة الوزارة ، فان انهيار نفوذه لدى الملك نتيجة مساعي البندارى قد باعد بينه وبينها . وكان على ماهر أن ينتظر بعض الوقت قبل أن يتحقق هدفه ، رغم أن الطريق كان ممهداً إليه . ذلك أن محبة محمد محمود ساءت بما اضطره إلى تقديم استقالته إلى الملك في ٦ يوليو ، لكن فاروق رفضها ، فسحبها ليعود ويقدمها ثانية في ١٢ أغسطس . في هذه المرة قبل الملك الاستقالة وعهد إلى على ماهر بتأليف الوزارة .

توضح الوثائق أسباب رفض الاستقالة الأولى ، ففي يوليو كتب لاميسون يقول أن محبة محمد محمود قد تعرضت لسلسلة من الانتكاسات انتهت إلى ارتفاع الضغط واضطرابات في القلب . وخلال الشهر الماضي لم يتمكن رفعته من مزاوله العمل معظم الوقت ، وحالة الضعف التي يعانيها حالياً تجعل من المتعذر أن يزاول عملاً جاداً كثيراً . وأخيراً اضطرت حالته الصحية السيئة إلى تقديم استقالته إلى الملك فاروق في ٦ يوليو . وقد رفض جلالته قبولها واقترح عليه ، كما أخبرني رفعته ، أن يعهد بالكثير من عمله إلى زملائه الوزراء . وقد سحب (محمد) محمود باشا استقالته ، لكن من المؤكد أنه في الوقت الحاضر ليس في حالة صحية تمكنه من تحمل أعباء الدولة . هناك إدراك سائد بأن محمد محمود باشا لن يمكنه أن يستمر طويلاً في عمله ، وقد فتح هذا الباب على مصراعيه للمضاربات والدسائس بشأن من يخلفه . وحتى وقت قريب كان الدكتور أحمد ماهر باشا هو المرشح المفضل ، لأن محمود باشا كان يؤيده بقوة ، كما أن الملك فاروق تقبل الفكرة في النهاية حتى يتجنب ، فيما يبدو ، أية مشاكل دستورية . لكن الخلاف الذي يؤسف له على الإعانة المقترحة لشركة بواخر البوستة الفرعونية قد أضعفت مركز الدكتور أحمد ماهر (١) . . .

(١) كان الدكتور أحمد ماهر باشا وزير المالية قد عرض منح الشركة إعانة مالية وأعرض بعض الوزراء على ذلك على أساس أن الشركة أنجليزية فعلاً ومصرية أصلاً فلذلك لا تستحق أن تعاونها المالية المصرية . وقد تأيد ذلك حين فحص وزير التجارة والصناعة الموضوع ، وسين تمسك أحمد ماهر بمنح الإعانة قدم ذلك الوزير استقالته فلوقف الموضوع . وقد أثار موضوع الإعانة الشبهات حول أخيه ماهر . أنظر محمد حسين هيكل ، المرجع المذكور ص ١٥٠ - ١٥٢ .

ويقال ، وإن كنت لا أدري مبلغ صدق ما يقال ، ان موقف الملك فاروق تجاه الباشا قد تأثر بموضوع هذه الإعانة ، وأن جلالتة لم يعد الآن موافقاً على إسناد رئاسة الوزارة إليه . وعلى ذلك ، فالرأى الشائع الآن هو أن على ماهر هو مختار السراى ليخلف محمود باشا .

لم يسترجع على ماهر باشا حتى الآن ما كان له من نفوذ عند الملك فاروق ، ومن الممكن أن يرى جلالتة بثاقب رأيه خروجه من القصر لرئاسة مجلس الوزراء حيث لا يطول بقاؤه فى هذا المنصب . وتسرى الإشاعات أيضاً بأن جلالتة يميل إلى قيام حكومة تمثل مختلف الأحزاب بما فيها الوفد باستثناء النحاس باشا ومكرم باشا اللذين ظل غاضباً عليهما . ويبدو أن الفكرة أن يحاول على ماهر باشا أن يضم إلى وزارة من جميع الأحزاب وفدين معينين ، مثل عبد السلام فهمى جمعة باشا ، وزير التجارة فى وزارة الوفد الأخيرة ، ويوسف الجندى أفندى ، وكيل وزارة الداخلية السابق . . .

إذا اتضح عظم المصاعب التى تعترض تعيين على ماهر باشا أو أحمد ماهر باشا لرئاسة الوزارة ، فهناك رأى بأن السراى قد تلجأ إلى تعيين رئيس وزراء دمية مثل عبد الفتاح يحيى باشا أو محمود خليل بك^(١) .

حين قدم محمد محمود استقالته فى يوليو ، إذن ، وجدت السراى نفسها فى ورطة خرجت منها برفض الاستقالة ، فالشخص الذى كان عليه الاختيار ليخلف محمد محمود - أحمد ماهر - أحاطت باسمه شبهات تحول دون تعيينه ، والشخص الذى يسعى إلى الرئاسة - على ماهر - لم يكن قد استرد بعد من نفوذه لدى الملك قدرأ يوصله إلى رئاسة الوزارة ، وان يكن قد استرد من النفوذ والسلطة فى رئاسة الديوان القدر الذى يدفع به محمد محمود فى طريق الاستقالة .

تمكن على ماهر من إخراج البندارى من السراى فى أوائل أبريل ١٩٣٩ ، ومتنئذ وهو يعمل جاهداً على استرداد نفوذه لدى الملك . كان موقفه ضعيفاً فى

(1) Lampson to Halifax, No. 781, 13 July 1939, F.O. 407/223.

أول الأمر ، لذلك عمل على تحسين علاقاته مع محمد محمود ، وحقى مع الوفد ، ليكسب وقتاً يسترد فيه أنفاسه . وحين استرد قلراً من نفوذه لدى الملك عاد إلى سياسته القديمة في مضايقة محمد محمود ووضع العقبات أمامه للتخلص منه . إن بصمات على ماهر واضحة فيما يرويهِ الدكتور محمد حسين هيكل من رفض السراي السماح لمحمد محمود بالسفر إلى أوروبا في صيف ١٩٣٩ للاستجمام والاستشفاء ، رغم حاجته الشديدة إلى ذلك (١) . ذلك الرفض يخدم أغراض على ماهر ، فهو من جهة أخرج محمد محمود وأرطقه وهو يعرف عن سوء حالته الصحية ، وهو من جهة أخرى استبقى محمد محمود في مصر لأن سفره سيُطيل عمر الوزارة ، فالمسافر لا يستقيل .

لكن يبدو أن صحة محمد محمود دفعته إلى الاستقالة بأسرع مما قدر على ماهر ، وقبل أن يستكمل الشطر الآخر من خطته ، وهو استرداد نفوذه السابق لدى فاروق لذلك كان على رئيس الوزراء أن يسترد استقالته وينتظر فترة أخرى . وحين قُبِحا في ١٢ أغسطس بعد ذلك ، قبلت وكلف على ماهر بتأليف وزارته الثانية .

اختلفت الآراء في استقالة محمد محمود الثانية ، فقال الدكتور هيكل أنه علم أن كبير الأمناء « جاء إلى فندق وندسور حيث كان يتزل محمد باشا ، وأن رئيس الوزراء طلب إليه أن يبلغ الملك استقالته لأنه علم أن على باشا ماهر يتصل بأشخاص يعرض عليهم الاشتراك معه في وزارة جديدة » . وقال رجال القصر أن الملك أوفد كبير الأمناء يطلب إليه أن يستقيل حرصاً على صحته (٢) .

أما مستر بتيان ، الوزير المفوض في السفارة البريطانية والقائم بعمل لاميون حينئذ ، فيقول أن محمد محمود قدم استقالته إلى الملك راجياً قبولها « على أساس أن حالته الصحية تمنعه من الاستمرار في العمل أكثر من ذلك . وكان معروفاً من وقت مضي أن رئيس الوزراء كان رجلاً عليلًا ، ولكن قرار استقالته يبدو أنه قد اتخذ فجأة ، مما أثار الإشاعات المعتادة من أنه وراء الاستقالة أكثر مما يبدو

(١) محمد حسين هيكل ، المرجع المذكور ، ص ١٦١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٦٢ .

في الظاهر . لكنى على ثقة من أن تلك الإشاعات لا أساس لها من الصحة . فعندما زرت رفعتة بعد مقابلته الأخيرة للملك مباشرة قال لي أنه وجد أن البقاء في اجتماعات مجلس الوزراء حتى لمدة ربع ساعة يكلفه جهداً يفوق احتمالاً ، لذلك لم يكن يستطيع أن يستمر في العمل أكثر من ذلك ، وقرر أن يأخذ الراحة الطويلة التي أصّر أطباؤه أن يأخذها (١) .

هناك شواهد تؤيد وجهة نظر بتمان في سبب استقالة محمد محمود ، فقد كانت حالته الصحية سيئة بالفعل ، وسبق أن قدم استقالته بسببها في ٦ يوليو كما رأينا . يضاف إلى ذلك أنه سافر بعد الاستقالة مباشرة للاستجمام في مرسى مطروح ، وكان الأطباء قد منعوا أن يشغل ذهنه بأى أمر ذى بال حرصاً على صحته ، كما أنه قال لأعضاء حزبه أنه يرحب بعلي ماهر رئيساً للوزارة ، ويوافق تمام الموافقة على أن يشترك الأحرار الدستوريون معه ، بل وعهد إلى الدكتور أحمد ماهر باشا ليقوم مقامه في مفاوضات تأليف الوزارة الجديدة (٢) .

تلك كانت الولادة العسرة لوزارة علي ماهر الثانية . تعمست في وصولها إليه واحتاجت إلى استرضاء الحكومة البريطانية في لندن حتى رضيت ، واسترضاء السفير البريطاني في القاهرة حتى رضى بتمنع وتحفظ ، واسترضاء الملك فاروق حتى أعاد رئيس ديوانه إلى ماكان له من حظوة لديه . بل أنها تعمست في تأليفها الذي استغرق ستة أيام حتى تم في ١٨ أغسطس بعد مفاوضات ومساومات انتهت باشتراك السعديين في الوزارة ورفض الأحرار الدستوريين الاشتراك فيها (٣) .

يهمنا من ذلك موقف السفير البريطاني من علي ماهر . وقد أشرنا إلى أنه استجاب إلى محاولات علي ماهر تحسين العلاقات معه في تحفظ وأرتياب . كان لهذا التحفظ والارتياب أثره في علاقات الرجلين وكان من عوامل سقوط وزارة علي ماهر في يونيو ١٩٤٠ .

(1) Bateman to Halifax, No. 1066, 25 August 1939, F.O. 407/223 .

(٢) محمد حسين هيكل ، المرجع المذكور ، ص ١٦٣ - ١٦٤ .

(٣) المرجعين أعلاه .

وزارة على ماهر الثانية :

تبادر إلى الذهن عند التعرض لموضوع تلك الوزارة عدة أسئلة :
ما هي الظروف التي تشكلت فيها الوزارة ، وحكت بالتالى تشكيلها ؟
ما هو تشكيل تلك الوزارة ، وما هي القوى التي تعتمد على تأييدها للبقاء
في الحكم ؟
ما هي الأهداف التي تسعى الوزارة إلى تحقيقها ، والمشاكل التي واجهتها ؟
ما هي وسائلها لتحقيق الأهداف وحل المشاكل ، وما هو الإطار الذي يطور
فيه هذا النشاط ؟

وأخيراً ما هي علاقتها بالجانب البريطاني ؟
سنعرض الانطباع الذي تكون لدى الجانب البريطاني في أوائل أيام الوزارة ،
ثم نناقش ما يحتاج منه إلى المناقشة ، ونخلص إلى ما يستقر عليه الرأي :
حين تشكلت الوزارة كان لامبسون يقضى أجازته في بريطانيا ، ويقوم
بعمله مستر تشارلي هارولد بيتان الوزير المفوض بالسفارة . وقد كتب إلى وزير
الخارجية عن تشكيلها :

٢ - عهد إلى على ماهر باشا بتشكيل الوزارة الجديدة كما كان الجميع يتوقعون
لكن المهمة لم تكن سهلة ، فقد توقفت الإدارة الحكومية مدة أسبوع كامل
بينما كان رئيس الوزراء الجديد - الذي تجاهل الوفد تجاهلاً تاماً ، قد ترك السعديين
والأحرار المستوربين يتصارعون على مراكز الوزراء مع يقينهم التام بأنهم إذا
لم يقبلوا شروطه فقد يستغنى عن تأييدهم له ويشكل وزارة ممن يرشحهم هو نفسه .
ومما يمتشى مع تصرفات الوفد في هذه الأيام أنه في اليوم التالي لاستقالة محمد
عجمود باشا نشرت صحفهم زعماً طائشاً بأن على ماهر باشا قد استشار السفارة قبل
تقديم قائمة مرشحيه للملك وفي يوم ٢٣ أغسطس (ذكرى وفاة زغلول)
أضاف النحاس نصيبه في الحملة وذلك في إحدى شطحاته الخطابية باتهام بريطانيا
العظمى أنها تنشب مغالبها في ثروة مصر ، وتعاون وزراء دى لتتمكن من سلب
أقوات الفلاحين وأجور الصناع . وفي هذا الخطاب وصف على ماهر بأنه (رجل

البريطانيين القوى الذى تعهد بأن يعطيهم كل ما يريدون . وفى نفس الوقت نشرت جريدة الوفد المسائية تصريحاً مؤداه أنه على الرغم من كل ما قاسته مصر على أيدي بريطانيا فإن الوفد لن يخلطها فى ساعة شدتها ، وأنه إذا نشبت الحرب يمكن لبريطانيا أن تعتمد على كل مساعدة ممكنة من الوفد الذى لن يتنهر الفرصة ليطعنها من الخلف . ويبدو أن الحقيقة هي أن النحاس باشا لا يعرف تماماً أين يقف فى الوقت الحاضر .

٣ — أثناء اختيار الأفراد الذين تشكل منهم الوزارة كان من الطبيعى أن يطالب كل من الأحرار الدستوريين والسعديين بعدد من الوزراء يتناسب مع عدد مقاعدهم فى مجلس النواب ، وهو ٩٩ ؛ ٨٤ بنفس الترتيب فى مجلس عدد أعضائه جميعاً ٢٦٣ . لكن يبدو أن على ماهر باشا أوضح من أول الأمر أنه لن يعطى كل حزب أكثر من أربعة مراكز ، وأنه سيحتفظ بالمراكز الرئيسية لنفسه ولمرشحيه ، وأنه اعترى أن تكون له الأغلبية حتى لو أدى الأمر إلى زيادة العدد الإجمالى للوزراء وقد كاد يتم الوصول إلى اتفاق رغم أن الحزبين لم يستسيغا هذه المقترحات ، لكنه انهار نتيجة لإصرار على ماهر باشا على اختيار عبد القوى أحمد بك — وزير الأشغال العمومية المنتظر — على أساس أنه من الأحرار الدستوريين . وقد تبرأ منه الحزب وانسحب من المفاوضات ، رغم نصيحة محمد محمود باشا ، تاركاً رئيس الوزراء والسعديين يسوون الأمر فيما بينهم .

٤ — وتعتبر الوزارة الجديدة بوجه عام وزارة قوية ، على أساس أنه يرأسها رجل على جانب عظيم من الهمة والنشاط ، كما أن بقية الوزراء يعرفون ما يريدون ، إما لخبرتهم الإدارية الطويلة أو لأنهم فتيون يتولون أعمالهم التى تخصصوا فيها . لكنها ربما كانت تحمل بنور ضعفها لنفس السبب ، فحتى الآن لم تكن الوزارات المصرية تضم أكثر من اثنين أو ثلاثة من الرجال ذوى المقدرة البارزة ، ومع هذا فقد كان يصعب تجنب الصدام بين الشخصيات . ولما كانت وزارة على ماهر تضم تجميعاً كفاءات فقد يجد من الصعوبة بمكان أن يحتفظ بوزرائه متحدين ، خاصة وقد تولى هو نفسه وزارتين (الداخلية والخارجية) .

٥ — أما تعيين صالح حرب باشا وزيراً للدفاع فقد أثار مخاوفى ، نظراً لأهمية وجود وزير مناسب يشغل هذا المنصب الحيوى فى ظروف التوتر الدولى الحالى .

فهو واحد من المهريين الذين هربوا وانضموا إلى السنوسى أثناء الحرب ، وكان حينئذ يعمل فى خفر السواحل . وحين طرح اسمه لأول مرة كنت أميل إلى تحذير رئيس الوزراء من تعيينه ، وبخاصة لأنى كنت واثقاً أن هذا التعيين سوف يستلزم تعيين عزيز المهرى باشا رئيساً لهيئة أركان حرب الجيش المهرى . ورغم أن عزيز المهرى باشا مهرى الجنسية فانه عملياً قد أمضى كل مدة خدمته العسكرية فى الجيش التركى . ومع أنه يعتبر واسع الاطلاع فى الشئون العسكرية ، فانى أصبحت أميل إلى عدم إقامة أى وزن لحكمه على الأمور (إن لم أقل لسلامة عقله) منذ أن حاول جاهداً من عدة أشهر مضت ، أن يثبت لى أن الألمان لم يهزموا فى معركة المارن . وزيادة على ذلك فقد كان لدى من الأسباب ما يدعونى إلى الاعتقاد بأن تعيينه سوف لا يقابل بالرضا التام سواء فى الجيش المهرى أو فى البعثة العسكرية البريطانية . والجمع فى وزارة الدفاع بين هارب سابق وبين شخص اعتبره الألمانى النزعة لا يبلى أمراً مثالياً . لكن حديثاً جرى بينى وبين الأميرال سيرج . ويلز مدير الموانئ والمنائر ، الذى عمل فى اتصال وثيق مع صالح حرب باشا ، وقد أبدى فيه رأياً طيباً . بعد هذا الحديث رجحت لدى كفة السكوت ، خاصة وأنه كان معروفاً أن الملك وعلى ماهر باشا قد تأثرا إلى حد كبير بمعلومات هذين المرشحين عن الصحراء الغربية . وفى لقائى الأول مع رئيس الوزراء ، بعد أن تسلمت الوزارة مقاليد الأمور ، ذكرت مخاوفى فيما يختص بعزيز المهرى باشا . وقد زالت مخاوفى حين أكد لى أنه إذا انضم عملياً أنه لا يصلح للمنصب الذى يشغله فانه سوف ينحى عن وظيفته . وقد رأيت حتى الآن من الوزارة الجديدة ما يكفى لكى أدرك أنه سوف لا تتخذ أية قرارات فى السياسة العسكرية دون مشورة وزير الأوقاف — عبد الرحمن عزام بك — الذى استدعى من أنقره ليتولى منصبه الجديد . إن معرفته بليبيا ، التى حارب فيها الإيطاليين لسنوات عدة هى معرفة لا يباريه فيها أحد . وهو صديق شخصى لى منذ عدة سنوات ، ولى فيه ثقة تامة .

٦ — وبين كتاب رئيس الوزراء المرفوع إلى الملك بقبول تشكيل الوزارة موجزاً لسياسة الحكومة الجديدة . . . الحديث بالملاحظة هو الإشارة الخاصة إلى ضرورة الوحدة الوطنية وتقليل النفقات والخطوات التى ينبغى اتخاذها لرفع مستوى

معيشة الفلاح . . . إن الحديث عن الوحدة الوطنية يمكن ، طبعاً ، صرف النظر عنه في الحال باعتبار أنه لا قيمة حقيقية له ، فن المعترف به أنه يستحيل تحقيقها . لكن هذا لا يستتبعه بالضرورة أن العبارة لا أهمية لها ، بل إنه على العكس من ذلك ، ففي حديثي مع جلالاته (الذي كتبت عنه في برقيتي رقم ٤٥٨) قد تأكدت أنها تعني أن على ماهر باشا ، بمساندة الملك ، يعترف أن يدخل في معركة مع الوفد ، وأن يقضى - إذا أمكن - قضاء نهائياً على سيطرته على الجماهير على أساس من إنجازاته . واختفاء الوفد الفعلي من على المسرح السياسي سيساعد على إزالة أحد عناصر الانقسام ، ومن هنا كان تصميمه على حق الفلاحين في الاهتمام السريع . وقد لمح لي جلالاته بوجه عام في ٢٠ أغسطس أن هذا العمل في الحقيقة أحد أهداف الوزارة الجديدة . وقد قال الملك أنه بينما لا تروق له الدكتاتوريات الأوروبية ، فإنه من المستحيل القول بأن الديمقراطية تحظى بالفضائل كلها . هناك بعض الخير في كل من النظامين ، وفي وقت عصيب كالوقت الحالي من الخير لمصر التخلي عن بعض نواحي العمل الديمقراطي التي ثبتت عدم فائدتها أو عدم إمكان تطبيقها ، وأن يستبدل بها ما يمكن أن يؤدي إلى دفعة إلى الأمام . إن البرلمان (لا شك أن جلالاته يقصد بذلك مجلس الشيوخ ، ذي الأغلبية الوفدية) قد أصبح لا يزيد على جمعية مناظرات بها ميل واضح لإقامة العقبات ، وكثير من الموظفين الدائمين لا يعملون شيئاً سوى تقاضي مرتباتهم . وقد صمم على ماهر باشا على أن يعطيهم جرة من شرابه وذلك بدفعهم جميعاً إلى بذل جهد أشد وأكثر فعالية ، فالحاجة ملحة والوقت يمر والسيطرة على الأمور عند القمة مطلوبة أكثر ما تكون في هذا الوقت . إن الوزارة المستقلة ، رغم أنها كانت تستحق الإعجاب في نواح كثيرة ، كانت متراخية إلى حد كبير ، فالية البلاد كانت مرتبكة ، وحان الوقت لكي يقبض على ناصية الأمور رجل نشط خلاق وذو قدرة على العمل الشاق . . . إن ما يتضح أنه لازم بسرعة لمصلحة البلاد ينبغي عمله بدون تلكؤ . لكن جلالاته طلب مني ألا أصدق الإشاعات التي ستثار بأن هناك دكتاتورية في طريق التكوين ، فسيكون أمام البرلمان فرص كثيرة حين يعود إلى الانعقاد ، لكن على الأعضاء أن يتذكروا أن الوقت الذي تحت تصرفهم ليس بدون حدود . على أي حال يمكن أن أطمئن إلى أن على ماهر باشا مقتنع بضرورة العمل بتعاون قلبي مع السفارة ،

وبخاصة في أمور الدفاع ، وأنه مصمم على ذلك . وقبل ذلك في نفس اليوم ، غير لي رئيس الوزراء شخصياً عن مشاعر مماثلة . وإذا حكنا بالمحادثات اليومية التي دارت بيني وبينه منذ تولى الوزارة يمكن أن أقول أنه مخلص في ذلك ، فالكثير من متطلبات دفاعنا قد تم إنجازها بطريقة مرضية في ساعات قليلة ، والاجتماعات مع ممثلي الأسلحة تركت انطباعاً طيباً .

٧ - يبقى بعد ذلك بحث احتمالات المستقبل . لقد بدأت الوزارة الجديدة عملها بعدد من التغييرات الشاملة في نظام الموظفين ، بعضها مضطرب بشكل يثير القلق ، وبعضها يحافى الحكمة . سأكتب في ذلك بتفصيل أكثر حين تكتمل التغييرات ، لكن حتى يتم ذلك يمكن أن أقول بحق أن معظم المفكرين تدرهمهم الحيرة حين يحاولون أن يتبينوا جلوى التخلص من شخص في مثل مستوى أمين عثمان باشا . تلك حركة من القصر بلا جدال ، وفي مقابلتي الأولى لرئيس الوزراء لم أترك له مجالاً للشك في أني أرى أن هذا عمل طائش . مثل هذه الأعمال تخلق بسهولة وبلا ضرورة جبهة من المعارضة داخل البرلمان وخارجه ستسبب للوزارة متاعب جسيمة في الخريف . ومن الواضح أن اتخاذ مجلس الشيوخ جانب المعارضة وموقف مجلس النواب المشكوك فيه يجعلان رئيس الوزراء - إذا أراد أن يكسب الشعور العام - يعتمد على ما تكسبه إنجازاته الفعلية خلال الشهور الثلاثة القادمة من رضاء الناس .

وقد ذكر بتمان في خطابه بعض الوزراء الآخرين غير صالح حرب وعبد الرحمن عزام . فأشار إلى مقدرة عبد السلام الشاذلي باشا وزير الشؤون الاجتماعية وأن رئيس الوزراء يأمل عن طريقه في تحقيق جانب كبير من برنامجهم لتحسين حال الفلاحين . وأشار إلى فنيين آخرين تولوا وزارات تتفق مع اختصاصهم . مثل عبد القوى أحمد بك وزير الأشغال العمومية ، ومحمود توفيق الحفناوي بك وزير الزراعة . أما إبراهيم عبد الهادي ومحمد علي علوبة باشا فقد عينا وزيرى دولة للشئون البرلمانية للدفاع عن سياسة الحكومة في مجلسى البرلمان^(١) .

إن القوى التي تعتمد عليها الوزارة ، وظروف تشكيلها ، هي التي حكمت ذلك التشكيل .

(1) Batman to Halifax, No. 1066, 25 August 1939, F.O. 407/223.

حين تشكلت الوزارة كان على ماهر قد فقد نفوذه على فاروق ، ثم عمل جاهداً لاسترداد هذا النفوذ أو جانب منه ، وحقق في ذلك نجاحاً هو الذى أوصله إلى رئاسة الوزارة . لذلك كان من الطبيعى أن يحرص على ماهر في تشكيل الوزارة ورسم سياستها على إرضاء الملك لتثبيت ما استرد من نفوذ واستدامته . وسنعود إلى تناول هذا الموضوع .

وفي نفس الوقت كان على ماهر حريصاً على إرضاء الجانب البريطانى وكسب تأييده . وقد رأينا الجهد الذى بذله في لندن وفي القاهرة لتنقية جو العلاقات بينهما . ويكنى دليلاً على نجاحه أن السفير البريطانى حين عاد من أجازته في أول سبتمبر كان يحمل له خطاباً بالتأييد من الحكومة البريطانية بمناسبة توليه منصبه (١) . ولما كانت نار الحرب الوشيكة واضحة في الأفق عندما تولى الوزارة فإن إرضاء الجانب البريطانى كان يعنى تنفيذ معاهدة التحالف وتقبل التزاماتها بما يرضيه وتنفيذ مطالبه فيما يختص بأمور الدفاع . ويشهد بتيان في خطابه أن على ماهر مخلص في تعبيره عن استعداده للعمل في تعاون قلبي مع السفارة ، وبخاصة في أمور الدفاع . كما أن على ماهر وعده بالتخلص من عزيز المصرى لو ثبت عدم صلاحيته لمنصب رئيس الأركان .

جاءت وزارة على ماهر بعد أن تزايد ضعف وزارة محمد محمود وأذنت بالسقوط ، وتزايدت شعبية الوفد في البلاد . ولما كانت نار الحرب واضحة ، فقد كان الوضع الطبيعى حتى بمقاييس السياسة المصرية في الفترات السابقة ، هو أن تخلف وزارة محابدة وزارة محمد محمود لتجرى انتخابات يتولى بعدها الوفد الحكم . لذلك فوزارة على ماهر حينئذ هي البديل السئ لوزارة الوفد . لذلك ، ولموقف كل من على ماهر والملك من الوفد ، اتخذت وزارة على ماهر سياسة العداء للوفد . وكانت سياسة العداء للوفد واقترب الحرب تعنى تشكيل وزارة قوية ذات برنامج يحظى بتأييد الشعب . وسنعرض لذلك بتفصيل .

يضاف إلى ذلك أن المسألة الفلسطينية كانت حينئذ الشغل الشاغل للبلاد العربية ، ومنها مصر ، ولبريطانيا . وكان على ماهر وهو في رئاسة الديوان يدفع فاروق إلى

(1) Evans, op. cit., p. 109.

انتهاج سياسة إسلامية حتى تشغل مصر ، بعد استقلالها ، وضعها الطبيعي في العالمين العربي والإسلامي . وكان ذلك يعني الاهتمام بالمسألة الفلسطينية . وكان على ماهر هو الذي مثل مصر في مؤتمر المائدة المستديرة الذي عقد في لندن عام ١٩٣٩ كما أشرنا . وقد اصطحب معه مستشاراً هو عبد الرحمن عزام بك . لذلك كان متظراً أن يبرز ذلك الاتجاه سواء في تشكيل الوزارة أو في سياستها وقد ضمت الوزارة ثلاثة من المهتمين بالقضايا العربية هم محمد علي علوبة باشا ومحمد صالح حرب باشا وعبد الرحمن عزام بك .

هذا عن الظروف المحيطة بتشكيل الوزارة . أما عن القوى التي تعتمد عليها فإن على ماهر لم يكن له حزب يعتمد على تأييده ، لذلك فإن اعتماده الأساسي كان على الملك في المقام الأول ، ثم على ما يمكن الحصول عليه من تأييد الأحزاب ، وعلى تأييد المستقلين في البرلمان . والحصول على تأييد المستقلين يكفله تأييد السراى إلى حد كبير ، لما يمكن أن تمارسه من ضغط عليهم ، وبخاصة التهديد بحل البرلمان . وهكذا نعود ثانية إلى تأييد الملك كعامل أساسي . وتأييد الملك كان يعني في المقام الأول ضمن ما يعني ، استبعاد الوفد . هذا بالإضافة إلى أن الوفد نفسه كانت سياسته عدم الموافقة على أية وزارة إلا إذا كانت وزارة وفدية ، أو وزارة محايدة لإجراء انتخابات تأتي بالوفد ، بطبيعة الحال ، إلى الحكم . ولم تكن تلك هي وزارة على ماهر . لترك فأن على ماهر عند تشكيل الوزارة تجاهل الوفد تماماً . كما يقول بتيان .

ويقلب أن سياسة على ماهر كانت ترى أيضاً إلى استبعاد الأحرار الدستوريين . فعلى ماهر ، بمناوراته ومضايقاته وهو في رئاسة الديوان ، كان العامل الأساسي في دفع محمد محمود إلى الاستقالة ليحل محله . ولا شك أن الأحرار كانوا سيحفظون له هذه اليد المنيطة . لذلك لم يكن يأمن معاكساتهم لو اشتركوا في الوزارة ، بل ربما محاولة تخريبها من الداخل . والوزارات القومية التي شارك فيها الوفد تقدم أمثلة لإمكان حدوث ذلك ، نقصد بذلك وزارة النحاس عام ١٩٢٨ . لهذا السبب طالت — كما يقول بتيان — المفاوضات لتشكيل الوزارة وأخذ على ماهر وضع شروطاً ويتقدم بترشيحات يتعذر على الدستوريين قبولها : مثل ترشيح أحمد خشبة باشا لوزارة الصحة بدلاً من وزارة العدل التي كان يشغلها في الوزارة المستتيلة رغم أنه

من رجال القانون ، وترشيح عبد القوى أحمد باشا لوزارة الأشغال العمومية واحتسابه من العدد الذي يخصصه للمستورين رغم أنهم رفضوا اعتباره منهم . وهكذا دفعهم في النهاية إلى تقرير عدم الاشتراك في الوزارة : ويلزم أنه كان قد رسم خطته على إشراك السعديين فقط . ووصل معهم فعلاً إلى اتفاق على ذلك ، لأنه رغم أن المستورين والسعديين اتفقوا على اتخاذ سياسة موحدة في موضوع الاشتراك في الوزارة أو عدم الاشتراك فيها فبمجرد أن قرر المستوريون عدم الاشتراك في الوزارة شكل على ماهر وزارته ، وأعطى السعديين خمسة مناصب بدلاً من أربع (١) . وهكذا اكتفى على ماهر في البرلمان بضمائم تأييد السعديين وما يمكن الحصول عليه من أصوات المستقلين . تلك بلا جدال نقطة ضعف في وزارة على ماهر ، ويغلب أنها كانت من أسباب عدم قبول استقالة محمد محمود في ٦ يوليو ، حتى لا يكون على ماهر مضطراً إلى مواجهة البرلمان في أيام الأولى لوزارته ، وتأجلت بذلك الاستقالة وتشكيل الوزارة إلى أغسطس ، حتى يفيد على ماهر من فرصة العطلة البرلمانية لدعم مركز وزارته .

وهكذا ، كون على ماهر وزارته من المستقلين والسعديين ، واعتمد أساساً على تأييد الملك ، وسعى إلى تأييد الجانب البريطاني ، وحصل عليه . وكون وزارة قوية ذات برنامج إصلاحى ، اتجهت إلى إرضاء الملك ومناوأة الوفد . وقد استبقينا النقاط الأخيرة لمناقشة أكثر تفصيلاً .

تلك النقاط تمثل حلقات متصلة : فارضاء الملك حينئذ يعنى ، ضمن ما يعنى ، مناوأة الوفد . ومناوأة الوفد تستدعى قيام وزارة قوية تنفذ برنامجاً جاداً للإصلاح ، وبخاصة الإصلاح الاجتماعى ، وبذلك ، كما يقول بتمان ، تنتزع من الوفد سيطرته على الجماهير على أساس من إنجازاتها . لهذا ركز برنامج الوزارة الذى أوضحه على ماهر في خطابه إلى الملك على العناية بالفلاح وأنشئت لأول مرة وزارة للشئون الاجتماعية . ذلك أنه كانت توجد حينئذ آراء بأن الوفد وكر كل جهوده في القضية الوطنية ، ولم يكون لنفسه برنامجاً شاملاً للإصلاح ، بحيث أصبح بعد معاهدة ١٩٣٦ وقد استفاد الغرض من وجوده . ووجدت خلال فترة وزارته الأخيرة فكرة أنه

(١) خدمة حسين ميكل ، المرجع المذكور ، ص ١٦٤ - ١٦٦ .

حكم الوفد يتميز بالفساد وينقص الكفاءة الإدارية . غير عن ذلك لا مبسوف في كثير من تقاريره أيام تلك الوزارة .

هي إذن خطة تم الاتفاق عليها بين علي ماهر والملك للقضاء على الوفد كحزب شعبي يكاد يحكم تأييد الجماهير . ويطلب أنها هي الخطة التي أُنشج فاروق على أساسها بإسناد الوزارة إليه ، وهي أخيراً تتفق مع ما يحاول علي ماهر أن يكونه لنفسه من شهرة من أيام وزارته الأولى بأنه رئيس وزراء كفاء نشط ذو قدرة خلاقة وقادر على دفع الأداة الحكومية إلى العمل والانتاج .

النقطة الأخيرة الواضحة أيضاً في خطاب بتمان هي تقطع السلطة ، والإنظار الذي تراول فيه الوزارة شئون الحكم . ذلك أن فاروق كان قد تخلص لنوره من البنداري وإن لم يكن قد تخلص من تأثيره ومن أفكاره المتشعبة بالاتجاهات الفاشية ، تلك الاتجاهات التي لم تكن ، على أية حال ، غريبة عن روح العصر في مصر ، فقد كانت هي الاتجاهات والمبادئ التي قامت على أساسها عظمة دولتين ، كانتا لا تزالان عظيمتين ، بل ومتفوقتين في مواجهة معسكر الديمقراطية المتخاذل . تلك الاتجاهات هي التي قسمت القصر أيام وجود البنداري إلى معسكر الفاشية ومعسكر الديمقراطية الذي يمثل على ماهر (١) . وقد انتهت المعركة بين المعسكرين بانتصار على ماهر ، وإن لم تنته آثار الفاشية في القصر ، ولا تأثيرها على فاروق . ولم يكن وقوف على ماهر إلى جانب الديمقراطية عن حُب أصيل لها ، فقد كآل طبعة الأوتوقراطي أميل إلى الدكتاتورية ، بل لأن مصلحته لم تكن إلى جانب قيام فاشية فعلية ، كما أن مصلحته كانت تتعارض مع قيام ديمقراطية حقيقية يستأثر فيها الوفد بالسلطة . وهكذا كان مما يتفق مع اتجاهات على ماهر ومما يرضى فاروق أن يبقى البرلمان قائماً ، وأن يعين وزيراً للشئون البرلمانية هما : محمد علي علوبة باشا وإبراهيم عبد الهادي ، كل ذلك كما يقول فاروق في حلود « السيطرة على الأمور عند القمة » وفي حلود « أن من الخطير لمصر التخلي عن بعض نواحي العمل الديمقراطي التي ثبت عدم فائدتها أو عدم إمكانية تطبيقها » وفي حلود « أن على الأخضاء أن يتذكروا أن الوقت الذي تحت تصرفهم ليس بلون حلود » وأن « ما يتضح أنه لازم بسرعة

(١) عبد العظيم رمضان ، المرجع المذكور ، ص ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٥٠ ، ٢٥٢ .

لمصلحة البلاد ينبغي عمله بلون تلكو . أى أن الإطار هو دكتاتورية مغلقة بخلاف ديمقراطى ، يجلس على القمة فيها على ما هر لينفذ ما تستقر عليه السراى . هى إذن دكتاتورية السراى . ولعل مما يوضح ذلك فى الفترة المبكرة من حياة الوزارة هو فصل أمين عثمان ، الوسيط بين السفارة البريطانية والوفد ، والذي كان محمد محمود فى فترة مرضه فى يوليو يفكر فى تعيينه وكيلًا فى رئاسة الوزراء ليقوم عنه بتعريف الأمور الروتينية للوزارة ، ولم ينجح فى ذلك لما يكنه فاروق من كراهية لأمين عثمان . هى إذن ، كما يقول بتمان بحق ، حركة من السراى ، وليست من على ماهر ، الذى يغلب أنه كان يتجنب صداماً خطيراً كهذا مع السفارة فى أيام وزارته الأولى أو ترك الأمر له .

ولهذا فإن الوفد ، على إدراك منه بطبيعة نظام الحكم القادم ، وبخطورة الموقف الدولى ، قد حسم موقفه فى الحال ، فصفق الباب بعنف فى وجه على ماهر ، وفتحه — كما يوضح بتمان — فى وجه الجانب البريطانى . والوفد فى ذلك كان مدركاً أن قيام الحرب سيدفع بريطانيا ، إن عاجلاً أو آجلاً ، إلى الضغط لإسناد الحكم إلى الحزب الشعبى الذى يمكنه وحده أن يكتل المصريين إلى جانب التحالف المصرى البريطانى وإلى جانب الديمقراطية . وهكذا مهد الوفد لتدخل بريطانيا لإسناد الحكم إليه فى ٤ فبراير ١٩٤٢ .

موقف على ماهر والخطوط الرئيسية لسياسته :

حين نتعرض لسياسة على ماهر فى وزارته ، ولعلاقاته بالجانب البريطانى ، ينبغي أن يكون فى بالنا تلك النقاط التى اتضح لنا ، موقف التحفظ الذى اتخذته السفير البريطانى من على ماهر ، ومخاوفه من النفوذ الفاشى فى السراى ، واتجاهاتها المحورية ، وقيام دكتاتورية السراى . هذه النقاط تجسم لنا المشكلتين الأساسيتين اللتين واجهتا على ماهر وأثرتا فى الطريقة التى واجه بها غيرهما من مشاكل الحكم ، هاتان المشكلتان هما المشكلة الخارجية ، أو علاقاته بالجانب البريطانى فى ظروف قيام الحرب ، والمشكلة الداخلية ، أو المشكلة الدستورية .

سنعرض للمشكلة الأولى حين نتناول موضوع قيام الحرب والعلاقات المصرية

البريطانية . أما المشكلة الثانية فترتبت على الأوضاع التي كانت قائمة حين شكل على ماهر وزارته ، وعلى طبيعة تكوين تلك الوزارة .

كان الوضع في البرلمان كالآتي : في مجلس الشيوخ كان الوفد يحظى بما يقرب من نصف الأعضاء مما كفل لمعارضته للوزارة به قوة فعالة . أما مجلس النواب الذي جرت انتخاباته في مارس ١٩٣٨ فلم يكن للوفد به سوى ١٢ مقعداً بينما أحرز الدستوريون ٩٩ مقعداً والسعديون ٨٤ مقعداً ، والباقيون من المستقلين . وكانت العلاقات بين الوفد وعلى ماهر يشوبها العداء . ولم يتحول الوفد عن موقفه هذا حتى بعد أن أخذ على ماهر ، حين تبين ضعف موقفه ، يتقرب إلى الوفد . أما الأحرار الدستوريون فلم ينسوا مناورات على ماهر رئيس الديوان ومعاكساته أيام وزارة محمد محمود ، لذلك فرغم أن موقفهم المعلن من البداية كان التعاون مع الوزارة ، إلا أنهم اتخذوا بوجه عام موقف المعارضة من وزارته وأخذ محمد محمود يسعى لإسقاطها ، بل إنه سعى إلى التقارب من الوفد وإقامة تعاون بين الحزبين لتحقيق هذا الغرض . ومع أن الوفد استجاب مبدئياً لهذه المساعي ، إلا أنه أصر على التمسك بمبدأ رئيسي في سياسته الحزبية ، وهو رفض الوزارات الائتلافية والمطالبة بحكومة محايدة تجري انتخابات برلمانية حرة حين تسمح الظروف (١) . أما السعديين فعلم أنهم كانوا شركاء على ماهر في الوزارة ، إلا أن تأييدهم له لم يكن مطلقاً ، كما سئى ، كذلك لم يكن تأييد المستقلين له قضية مسلماً بها . حقيقة أنهم بوجه عام كانوا يخضعون لضغط السراى ، المؤيدة لعل ماهر ، لكن الأمر في النهاية كان خاضعاً أيضاً للمناورات البرلمانية .

هذا الاستعراض يوضح ضعف موقف على ماهر في البرلمان ، وهو أمر مفروغ منه منذ تحلى الأحرار الدستوريون عن الاشتراك في الوزارة . لم يكن أمام على ماهر سوى طريقين لمواجهة هذا الموقف ، أحدهما أن يحل البرلمان ويقيم دكتاتورية مافرة ، بدلاً من دكتاتورية السراى المقتنة التي يعترم إقامتها . أما الطريق الثاني فكان مواجهة البرلمان ودخول حلبة الصراع داخله :

(1) Lampson to Halifax, No. 13762, 8 November 1939, F.O. 407/223; No. 144, 7 February 1940, F.O. 407/224.

الطريق الأول سبقتة تجربة فاشلة وتحيط به الأخطار . كانت هناك تجربة إسماعيل صدق في حل البرلمان وإلغاء الدستور والحكم بلونهما . وكانت هناك تجربة على ماهر نفسه خلال الأزمة الدستورية والانقلاب الدستوري في آخر يناير ١٩٣٧ وما أدى إليه من توتر حاد في العلاقات بين لامبسون وكل من على ماهر والسراى . يضاف إلى ذلك الظروف التي استجدت بقيام الحرب مع وجود القوات البريطانية وقيام تحالف بين مصر وبريطانيا ، مما يجعل القيام بمغامرات دستورية أمراً محفوفاً بالمخاطر . يضاف إلى ذلك أيضاً أن وجود البرلمان ، في تلك الظروف الجديدة ، يعتبر غطاء لازماً للسراى وللوزارة القائمة في مواجهة قوة بريطانية السياسية والعسكرية الغالبة . وأخيراً فإن السعديين ، شركاء على ماهر في الوزارة ما كانوا ليقبلوا انقلاباً دستورياً وهم في الحكم .

ويبدو أن على ماهر قد اختار الطريق الثاني من البداية ، فقد ضمت وزارته وزيرى دولة للشئون البرلمانية هما محمد على علوية باشا لشئون مجلس الشيوخ ، وإبراهيم عبد الهادى^(١) لشئون مجلس النواب . لكن يبدو أيضاً أن قيام الحرب كان فرصة أسرع على ماهر إلى اقتناصها لمحاولة الحصول على سلطات دكتاتورية تساعده على تحسين وضعه الضعيف وتتفق مع طبعه الأوتوقراطي ، فأعلن الأحكام العرفية ، وعين نفسه حاكماً عسكرياً ، وقرر عدم دعوة البرلمان إلى دور انعقاد غير عادى لعرض الأحكام العرفية عليه ، كما يقضى الدستور ، بحجة أن إعلانها يتضمنه القانون رقم ٨٠ لعام ١٩٣٦ الصادر بمعاملة ١٩٣٦ ، والذي وافق عليه البرلمان .

بل إنه حين اضطر تحت ضغط المعارضة القوية إلى عرض الموضوع على البرلمان غرضه على أساس أنه « إبلاغ » وليس « عرضاً » ، أى أن مرسوم الأحكام العرفية معروض للعلم وليس للحصول على الموافقة ، وذلك ليسلب البرلمان حقه في أن يقرر استمرار الأحكام العرفية أو إلغائها . لكنه اضطر في النهاية إلى الموافقة على أن يؤسّم الأحكام العرفية « معروض » ليقرر المجلس استمرارها أو إلغائها^(٢) .

(١) الوزارات والنظارات المصرية ، ج ١ ، ص ٣٨٣ .

(٢) مضابط جلسات مجلس الشيوخ ، دور الانعقاد غير العادى ٢ - ١٧ أكتوبر ١٩٣٩ ،

تقرير لجنة الأحكام العرفية ، من ٣٤ أيلول أيضاً عبد العظيم رمضان ، المرجع المذكور ص ٢٩٠ - ٢٩١ .

وهكذا جدد على ماهر عن محاولته وعاد إلى السير في الطريق الثاني . وقد علق لامبسون على مسلك على ماهر بقوله أنه ليس « من الخامة التي يصاغ منها الدكتاتوريون وهو وإن يكن استبدادياً في وسائله إلا أنه تنقصه الشجاعة والعزيمة . وعندما تصل المسائل إلى النقطة الحاسمة ، فإنه يبدو كما لو كان يرتجف خوفاً من القرارات الخطيرة » (١) .

كان الإبقاء على المستور والبرلمان يعني قبول التحدى داخل البرلمان ومحاولة الحصول على تأييد داخله يكفل للحكومة أن تنفذ مشروعاتها وذلك رغم ضعف نصيبه من التأييد الحزبي . ستعرض فيما بعد إلى المناورات الحزبية والبرلمانية التي لحقاً إليها لتقوية مركزه ، لكن ينبغي أن نشير هنا إلى أنه اضطر إلى اتخاذ سياسة يراعى فيها الرأي العام كي يحصل على قدر من الشعبية يوازن به ضعف نصيبه من التأييد الحزبي . هذه السياسة كانت تتعارض مع سياسة أخرى جاء بها على ماهر إلى الوزارة ، واستدعتها ظروف الحرب في نفس الوقت ، وهي تحسين علاقاته بالجانب البريطاني . وكان موقف على ماهر بالغ الصعوبة وهو يحاول الجمع بين هاتين السياستين .

والآن لير كيف عالج على ماهر مشاكل الحكم وهو يسير بحذر على هذا الجبل المشدد .

تنفيذ المعاهدة في ظروف الحرب :

حين أصبح خطر الحرب داهماً قابل مستر بتمان ، القائم بعمل لامبسون ، رئيس الوزراء في ٢٣ أغسطس ١٩٣٩ وأشار إلى أن الحكومة البريطانية ترى أنه قد قامت حالة دولية مفاجئة تخشى خطرها بالمعنى الذي نصت عليه المادة السابعة من معاهدة التحالف بين الدولتين ، ثم عزز ذلك بمذكرة في اليوم التالي . وفي تلك المذكرة طلب بتمان باسم حكومته بأن تقدم الحكومة المصرية إلى الحكومة البريطانية ما تنص عليه المادة السابعة من المعاهدة من تسهيلات ومساعدات . ومع أنه لم يطلب إعلان حالة الطوارئ التي تشير إليها تلك المادة ، إلا أنه طلب اتخاذ الاجراءات التمهيدية

(1) Lampson to Halifax, No. 1362, 8 November 1939, F.O. 407/223.

التي تكفل إعلانها في أقصر وقت إذا دعت الحاجة إلى ذلك . وبناء على ذلك اتخذ على ماهر ما أشرنا إليه من إجراءات في الفترة بين ٢٥ و ٣١ أغسطس .

وحين قامت الحرب فعلا قابل لاميسون ، وكان قد عاد من إجازته في نفس اليوم ، على ماهر وطلب إليه إعلان حالة الطوارئ . وقد استجاب على ماهر لهذا الطلب وأعلن حالة الطوارئ وفرض الأحكام العرفية وعين نفسه حاكماً عسكرياً يوم ١ سبتمبر . وفي يوم ٣ سبتمبر أعلنت بريطانيا الحرب على ألمانيا ، فأعلن على ماهر في نفس اليوم قطع العلاقات مع ألمانيا ، وأصدر قرارات بمنع التعامل التجاري مع الرعايا الألمان ، وباعتقالهم - فيما عدا النساء والأطفال - تمهيداً لترحيلهم إلى بلادهم ، وبوضع الممتلكات الألمانية تحت حراسة . وتبع إعلان الأحكام العرفية وقطع العلاقات الدبلوماسية مع ألمانيا اتخاذ إجراءات أخرى مكتملة لفرض الأحكام العرفية ، ولتأمين سلامة البلاد . ففرضت الرقابة على البريد والصحافة والمواصلات السلكية واللاسلكية ، وأنشئت لهذا الغرض مصلحة للرقابة لها لجنة استشارية تضم عضويتها سبيل كامبل عضو مجلس الإدارة المتدب لشركة ماركوني ، كما تولى مستر ويب تنفيذها في مصلحة التلغرافات والتليفونات ، وأنشئت لجنة من مصلحة الجمارك برئاسة مستر كاسل المقتش فيها للنظر في طلبات الترخيص باصدار البضائع والمحصولات المصرية . وبدأ اللواء ويلز باشا مدير مصلحة المواني والمناثر ، الذي عهد إليه باتخاذ التدابير لحماية ميناء الاسكندرية ، بتنفيذ إجراءات تفتيش السفن الداخلة فيه وإغلاقه بالنشباك بين الغروب والشروق . وأنشئت نقطة بحرية لمراقبة السفن بميناء بور سعيد ووضع نظام لإغلاق الميناء وعدم فتحه إلا لمرور السفن ، كما وضع نظام لتفتيش السفن الداخلة إلى القناة ، ووضعت السكك الحديدية في حالة استعداد ، فجهزت عربات للمستشفيات وأعدت قطارات لنقل الجند والعتاد . وقرر إيقاف خطوط الطيران مع الخارج ، والاستيلاء على طائرات وحطائر شركة مصر للطيران ، بالإضافة إلى الاستيلاء على عدد من سيارات النقل ، يضاف إلى ذلك أنه تقرر إنشاء أربع مناطق عسكرية في محافظات القاهرة والإسكندرية والصحراء الغربية والقتال ، وعين محافظو المحافظات الثلاث الأول حكاماً عسكريين ، كما عين أحمد محمود عزمي بك حاكماً عسكرياً لمنطقة القتال ، واستدعى ضباط الاحتياط

للائتحاق بالجيش العامل ، كما استدعى الرديف لحراسة المرافق ، وغول وزير المالية سلطة التصرف فى الاحتياطى العام . وأخيراً صدر قانون بتسعين المواد الغذائية والحاجيات الأولية ، وبدأت تجارب الغارات الجوية ، وبدأ إنشاء المخاض (١) .

يتضح مما سبق أن على ماهر وضع مصر فى حالة الاستعداد للحرب ، وقدم للحليفة كل ما يمكن من مساعدة وتسهيلات ، فأعلن الأحكام العرفية ، ووضع تحت تصرف السلطات البريطانية موانئ البلاد وطرق ووسائل مواصلاتها ، وأشركها فى الرقابة على الموانئ والمواصلات ، بل وفى مراقبة تجارة مصر الخارجية والسيطرة عليها ، وزاد على ذلك أن سمح لها أن تراقب ، باسم مصر ، التجارة المارة بقناة السويس (٢) . وهكذا أوفى على ماهر بالتزامات مصر بمقتضى المعاهدة كاملة . بل أنه تعدى تلك الالتزامات . فالمادة السابعة فى حقيقة الأمر لا تلزم مصر بإعلان الأحكام العرفية ، بل تترك ذلك لحكمة الحكومة المصرية ، وذلك وفقاً لنص المادة نفسه الذى يقول :

"It will accordingly be for the Egyptian Government to take all the administrative and legislative measures, including the establishment of martial law,."

وهى لا تلزم مصر لا بتسيير استخدام بريطانيا للموانئ المصرية ، بينما أتاح على ماهر لبريطانيا سيطرة كاملة على الموانئ المصرية وقناة السويس عن طريق اللواء ويلز باشا البريطانى مدير عام الموانئ والمناثرو والقوات البحرية البريطانية التى اتخذت الاسكندرية قاعدة لها وعينت الأميرال اليوت قائداً للميناء (٣) . وعن طريق هيئة تفتيش السفن الداخلة فى الميناء ، التى سيطر عليها ويلز باشا ، وعن طريق نظام تفتيش السفن المارة بالقناة . بل إن على ماهر سمح لبريطانيا بالسيطرة على تجارة مصر الخارجية

(١) الأهرام ٢-٧ سبتمبر ١٩٣٩ .

(٢) كانت الرقابة البريطانية على تجارة مصر الخارجية والسيطرة عليها تتم عن طريق اللجنة التى سبقت الإشارة إليها وتضم عضويتها مفتش بحارك انجليزى ، وعن طريق مثل لوزارة الحرب الاقتصادية البريطانية كان يتجهم الحصول على موافقة على تصاريح التصدير . انظر :

Halifax, to Lampson, telegram No. 711,25 September 1939; Lampson to Halifax, telegram No. 644,28 September 1939 F.O. 407/223.

(3) Wilson, op. cit., p. 19.

ومراقبة التجارة المارة بقناة السويس عن طريق موظفين يتلقون تعليماتهم من وزارة الحرب الاقتصادية في بريطانيا ، وهذا ما تخلف منه معاهدة التحالف . . تلك كلها تدابير تجاوزت التزامات مصر بمقتضى المعاهدة . ويبدو أنه قد منح الجانب البريطاني في الأيام الأولى من الحرب كل ما طلبه تقريباً ، فيما عدا إعلان الحرب على ألمانيا وتعيين حكام عسكريين بريطانيين يطبقون القانون العسكري البريطاني ، وبخاصة في مناطق القاهرة والإسكندرية والقنال والصحراء الغربية (١) . وقد أشارت الأهرام في حينه إلى أن ما تقدمه مصر قد تجاوز التزاماتها بمقتضى المعاهدة ، كما أشارت تلك الجريدة أيضاً ، وبحق ، إلى أن ما اتخذته مصر من إجراءات في الداخل ونجاء ألمانيا جعلها في مركز وسط بين الحرب والحياة (٢) .

لكن على ماهر سرعان ما اصطدم في الداخل بمشكلة إعلان الأحكام العرفية ، كما اصطدم بمشكلة رغبة بريطانيا في أن تعلن مصر الحرب على ألمانيا ، وبمواجهة هاتين المشكلتين في ظروف وضع الوزارة ، والأوضاع البرلمانية القائمة ، واتجاهات الرأي العام ، ورغبة على ماهر في إرضاء بريطانيا .

مشكلة الأحكام العرفية :

صدر مرسوم إعلان الأحكام العرفية أثناء العطلة البرلمانية مستنداً إلى أحكام القانون رقم ١٥ لسنة ١٩٢٣ الخاص بنظام الأحكام العرفية . لكن على ماهر لم يتقيد بمحدود هذا القانون ولا بالمادة ٤٥ من الدستور الخاصة بالأحكام العرفية أيضاً . ذلك أن المرسوم الصادر بإعلان الأحكام العرفية خول الحاكم العسكري ، وهو هنا على ماهر نفسه ، السلطات الواسعة التي تتضمنها المادة الثانية من القانون رقم ١٥ لسنة ١٩٢٣ ، وزاد عليها الترخيص له باتخاذ أى إجراء آخر لازم للمحافظة على النظام أو الأمن العام ، وبهذا جعل له في البلاد سلطاناً مطلقاً غير محدود . أما المادة ٤٥ من الدستور فكانت تقضى بعرض إعلان الأحكام العرفية فوراً على البرلمان ليقرر استمرارها أو إلغاؤها . فإذا وقع ذلك الإعلان في غير دور الانعقاد وجبت

(١) لطفى عثمان ، المحاكمة الكبرى في قضية الانقلابات السياسية ، القاهرة ، ١٩٤٨ ،

Wilson, op. cit., 23.

ص ١٤٤ .

(٢) الأهرام ١٣ و ١٤ سبتمبر سنة ١٩٣٩ .

دعوة البرلمان للاجتماع على وجه السرعة . لكن على ما هو لم يستصدر المرسوم بدعوة البرلمان إلى الانعقاد إلا في ٢٣ سبتمبر ، أى بعد اثنين وعشرين يوماً من إعلان الأحكام العرفية وحدد للاجتماع في يوم ٢ أكتوبر ١٩٣٩ . بل إن المرسوم الصادر بدعوة البرلمان إلى الاجتماع فرق بين إعلان الأحكام العرفية والمراسيم الأخرى ، وذلك بالإشارة إلى الأول بكلمة « إبلاغ » وإلى المراسيم الأخرى بكلمة « عرض » ، مما يعنى محاولة على ما هو تجريد البرلمان من حقه في إلغاء الأحكام العرفية (١) . يضاف إلى ذلك أنه حتى هذه الدعوة المتراخية لم تتم إلا بعد إلحاح من أخيه أحمد ما هو ، شريكه في الحكم . وقد استند في عدم دعوة البرلمان إلى فتوى من الدكتور عبد الحميد بلوى رئيس لجنة قضايا الحكومة بأن إعلان الأحكام العرفية في هذه الحالة مترتب على القانون رقم ٨٠ لسنة ١٩٣٦ الذي صدرت به معاهدة ١٩٣٦ والذي وافق عليه البرلمان ، وبأنه لذلك فلا حاجة إلى الحصول على موافقة البرلمان (٢) .

ليس من الصعب أن نعرف الدوافع التي حثت على ما هو إلى انتهاز هذه السياسة . فلا شك أنه كان عازفاً عن مواجهة البرلمان في تلك الفترة المبكرة من وزارته ، وفي هذا الموضوع بالذات ، خوفاً من رفض الموافقة على استمرار الأحكام العرفية مما يعرض وزارته للخطر . أنه كان حريصاً حينئذ على إرضاء الجانب البريطاني ، بل وعلى استرضائه بعد أن خيب ظنهم فيما طلبوه من إعلان الحرب على ألمانيا . يضاف إلى ذلك رغبته في الحصول على سلطات دكتاتورية يستغلها في تحصيل مركز وزارته وإضعاف خصومه .

وقد كتب لامبسون عن ذلك إلى هاليفاكس في تقريره قائلاً إن على ما هو « لما اقتنع أخيراً بوجهة نظر أخيه أحمد ما هو بأشأن لا بد من دعوة البرلمان ، ظل شهراً كاملاً دون أن يفعل ، مما أتاح الوقت لنمو مختلف ألوان المعارضة ، كما اقتضت الطريقة التي يتبعها لتطبيق حالة الطوارئ » . وقد أثارت تلك الطريقة

(١) مضابط جلسات مجلس الشيوخ ، دور الانعقاد غير العادي ٢ - ١٧ أكتوبر ١٩٣٩ ، تقرير لجنة الأحكام العرفية ص ٣٢ .

(٢) الدستور ، ١٢ سبتمبر ١٩٣٩

مخاوف خصومه السياسيين الذين شعروا أنه يتخذ من حالة الطوارئ ذريعة لكم أنفاسهم . أضف إلى ذلك مشاكل الحرب ، مثل مشكلة القطن وغيرها ، تلك المشاكل التي تطورت وأثارت شعوراً قوياً كان من الطبيعي أن يستغله المعارضون السياسيون ضد رئيس الوزراء .^(١)

وعاد بعد ذلك يقول « أن رئيس الوزراء تردد كثيراً في دعوة البرلمان لإقرار مرسوم حالة الطوارئ ، كما ينص الدستور . لكنه ، على أية حال ، اضطر في النهاية إلى دعوته لأن الرأي العام أخذ يبدى قلقاً متزايداً في هذا الموضوع ، وشعر أن رئيس الوزراء كان يستغل السلطات الخاصة التي منحها له المنشور في تحقيق أهدافه السياسية . وقد انصب النقد بالذات على استخدام ، وعلى سوء استخدام ، الرقابة لهذا الغرض »^(٢) . وقد انتقد فريق الأغلبية من لجنة الأحكام العرفية بمجلس الشيوخ تطبيق الوزارة للأحكام العرفية وقالوا أن حرية الرأي أصبحت معلومة وحرية النقد لا وجود لها وأن الشكاوى كثيرة من الأحكام العرفية^(٣) .

على أية حال ، فقد اجتمع البرلمان في دورة غير عادية في ٢ أكتوبر لنظر ذلك المرسوم وغيره من المراسيم التي صدرت في غيبته . وقد تمت الموافقة على المرسوم بأغلبية كبيرة في مجلس النواب . ويرجع ذلك إلى معاناة محمد محمود بالإضافة إلى السعديين شركاء على ماهر في الحكم . ولضائقة عدد النواب الوفديين فيه . لكن الحركة كانت حامية في مجلس الشيوخ ، حيث يتمتع الوفد بعدد يقرب من نصف الأعضاء . و انتهى الأمر بموافقة مجلس الشيوخ بأغلبية ضئيلة على المرسوم .

تكونت في مجلس الشيوخ لجنة خاصة للدراسة الموضوع والتقدم للمجلس بنتيجة هذه الدراسة . وقد تشكلت بنفس نسبة تشكيل المجلس تقريباً . أربعة من الوفديين وواحد لكل من المستوريين والسعديين ، وإثنان من المستقلين بالإضافة إلى رئيسها عبد الفتاح باشا يحيى .

(1) Ibid.

(2) Lampson to Halifax, No. 145, 8 February 1940, F(O. 407/223.

(٣) مضايقات جلسات مجلس الشيوخ ، دور الانتقاد غير العادي ٢ - ١٧ أكتوبر ١٩٣٩ ،

تقرير لجنة الأحكام العرفية ، ص ٣٤ .

رأت اللجنة أن مرسوم إعلان الأحكام العرفية صدر مستنداً إلى القانون رقم ١٥ لسنة ١٩٢٣ ، وأن رئيس الوزراء قد صرح بأن إعلانها كان أيضاً بناء على طلب بريطانيا وذلك تنفيذاً للمعاهدة . ورأت اللجنة بالإجماع « أن الدستور صريح في أن إعلان الأحكام العرفية ، سواء أكان تنفيذاً للقانون رقم ١٥ لسنة ١٩٢٣ أم لقانون المعاهدة ، لا بد من عرضه على البرلمان لإعطاء رأى قاطع إما باستمرار الأحكام العرفية أو بإلغائها » . وباتصال اللجنة برئيس الوزراء أرسل مندوباً عنه وزيرى الشئون البرلمانية إلى اللجنة حيث صرح إبراهيم عبد الهادى بأن « الموضوع المطروح هو عرض مرسوم الأحكام العرفية ليقرر المجلس استمراره أو عدم استمراره » .

بحسب هذه النقطة تفرغت اللجنة إلى التداول في شأن ما تشير به على المجلس في شأن الأحكام العرفية ، فرأى خمسة من أعضائها عدم استمرار الأحكام العرفية . ورأى ثلاثة استمرارها ، وامتنع رئيس اللجنة عن إبداء رأيه .

استندت الأغلبية في رأيها على أسباب عدة . فقد قامت بمقارنة بين قانون الأحكام العرفية المصرى ونظيره في بعض البلاد الأخرى . فأشارت إلى أن في فرنسا لا يصح للبرلمان أن يفوض السلطة التنفيذية بتفويض عام اتخاذ أى إجراء تشريعى لمواجهة حالات الطوارئ إلا بقانون يحدد الموضوع والزمن يصدره البرلمان . أما في إنجلترا فقد جعلوا للبرلمان حق تفويض السلطة التنفيذية في التشريع ، ولكن ما تتخذه من ذلك يجب عرضه على البرلمان ليقول كلمته فيه . وفوق هذا فإن إجراءات السلطة التنفيذية في ذلك فضلاً عن مراقبتها بالبرلمان تقع تحت سلطان المحاكم العادية . أما قانون الأحكام العرفية المصرى فهو في رأى أغلبية اللجنة قانون حثيث قد تناول موضوعات شتى وضع لها أحكاماً استثنائية تخالف الدستور وتقلب القواعد العامة للتشريع ، ففي نصوصه ما يحرم الأفراد من حرياتهم الشخصية وما يتهدد حرمة الملك ، وغير ذلك . والمخالفات التى ترتكب لما يفرض من إجراءات بمقتضى الأحكام العرفية تنظرها محاكم عسكرية أحكامها نهائية ولا يصح للفرد أن يلجأ إلى أية سلطة للتعويض عما تكون هذه الاجراءات قد أصابته به من أضرار .

خرجت الأغلبية في رأيها من ذلك إلى أن إعلان الأحكام العرفية كان بناء على

طلب الدولة الحليفة بيننا الأمر والنظام مستتبين في البلاد ، لذلك كان ينبغي إذا ما أعلنت الأحكام العرفية أن تكون مقصورة على التدابير التي تقتضيها حماية المصالح العسكرية . وقد حاولت اللجنة استطلاع رأى رئيس الوزراء في ذلك ، كما عرضت عليه استمرار انعقاد البرلمان كضمان لحصر الأحكام العرفية في هذا النطاق . لكن على ما هو لم يوافق على هذا الرأى محتجاً بأنه لا يمكنه فصل الاجراءات العسكرية عن غيرها ، وعرض على اللجنة استعداده لإعطاء بيان بالظروف التي تستدعي اتخاذ أى إجراء . كما صرح باستعداده لعقد البرلمان في دورة غير عادية كلما اقتضت الظروف ذلك .

ويبدو أن هذا كان حلاً وسطاً ، وكان من جانب الأغلبية اختباراً لنوايا على ما هو ، وأنه برفضه رأى اللجنة قد سقط في هذا الاختبار . لذلك رأت أن الحالة الدولية قد تتطلب إعلان الأحكام العرفية في حدود ما تقتضيه حماية المصالح العسكرية فقط . لكن رئيس الوزراء رفض ما عرضته اللجنة . يضاف إلى ذلك أن قانون الأحكام العرفية المصرى يمنح القائم على تنفيذها سلطات واسعة جداً . زاد منها المرسوم المعروض أنه رخص للحاكم العسكرى اتخاذ أى إجراء آخر لازم للمحافظة على النظام أو الأمن العام . وبهذا جعل له في البلاد سلطاناً مطلقاً غير محدود ، بينا الأمن والنظام مستتبان . فاذا أضيف إلى ذلك أيضاً أن المادة ١٥٥ من الدستور تجيز تعطيل أحكامه أثناء قيام الأحكام العرفية ظهر ما في الاستئثار بهذه السلطات الواسعة النطاق من الخطر الجسيم .

بهذا أوضحت الأغلبية مخاوفها من أن يقوم الحاكم العسكرى (على ما هو) بتعطيل الدستور وحل البرلمان وإقامة دكتاتورية سافرة . ثم لحت إلى أنها لا تأمن أن يقوم على ما هو بذلك فقالت ، ان « البلاد فوق ذلك لا تقطن إطلاقاً أن تجعل تنفيذ الأحكام العرفية في يد ليست موضع الرضاء منها » وأشارت إلى أن اللجنة قد استعرضت بعض الصور التي طبقت فيها الأحكام ، ولقت نظرها بصفة خاصة الطريقة التي روقبت بها الصحف وعوملت بها حرية النقد ، فبين لها أن حرية الرأى أصبحت معلومة وأن حرية النقد لا وجود لها ، فضلاً عن أنه حصل تمييز بين صحف وأخرى في مراقبة الأخبار والآراء التي تنشر . ولا شك أن حرية الصحافة

وبصفة خاصة حرية النقد في الظروف القائمة هي من الضمانات الجوهرية لحسن سير العدالة والمحافظة على مصالح البلاد .

وخلصت أغلبية اللجنة من ذلك إلى أنها ترفض استمرار الأحكام العرفية كما أعلنت بالمرسوم المعروض^(١).

أما الأقلية فقد عرضت رأيها من الناحية الدستورية والقانونية وخلصت إلى أن إعلان الأحكام العرفية قد استند إلى القانون رقم ٨٠ لسنة ١٩٣٦ الصادر بمعاهدة التحالف بين مصر وبريطانيا . وقد اشتبكت بريطانيا في حرب مع دولة أخرى ولا تزال مشتبكة . ولهذه الدولة الأخرى في مصر رعايا ولها فيها مصالح فهل يستطيع تحت ظل الأحكام العادية الآن الموجودة في مصر ، والحال هكذا ، أن تقوم مصر بالوفاء بعهدا الذي قطعته لانيجلترا والذي قرره المادة السابعة من المعاهدة ، فإذا كان ذلك مستطاعاً وجب ألا تكون الأحكام العرفية . أما إذا لم يكن ذلك مستطاعاً وجب أن تكون الأحكام العرفية . على ألا تتجاوز الغاية المقصودة من إعلانها وهي تسهيل السبل لقيام مصر بتعهداتها التي قطعتها لانيجلترا . وقالت الأقلية أنه لا يتيسر لمصر أن تفي بتعهداتها التي قطعتها لبريطانيا في ظل القوانين العادية . وأنه لا مندوحة عن الاتجاه إلى النظم الاستثنائية السريعة التي يميزها إعلان الأحكام العرفية ، « فاستمرار الأحكام العرفية التي أعلنت بمرسوم أول سبتمبر ١٩٣٩ واجب كوسيلة فعالة لجعل التسهيلات والمساعدة التي تعاون بها مصر حليفها بريطانيا العظمى فعالة » . وأضافت الأقلية إلى ذلك أنها توجه نظر الحكومة إلى الأمور الآتية :

١ - العمل على حصر هذه الأحكام جهد الطاقة عند الضرورات العسكرية التي تقتضيها سلامة البلاد وتقضي بها المعاهدة .

٢ - الرجوع إلى البرلمان في الشؤون الخطيرة مراعاة لخرج الموقف .

٣ - تخفيف الرقابة على الصحف بحيث تقتصر على الأنباء التي يترتب على نشرها إضرار بسلامة البلاد والقوات المصرية والقوات الحليفة والصدقية .

(١) مضابط جلسات مجلس الشيوخ ، دور الانعقاد غير العادية ٢ - ١٧ أكتوبر ١٩٣٩ ، تقرير لجنة الأحكام العرفية ص ٣٣ ، ٣٤ .

لكن رأى الأغلبية هو الذى كان يشكل رأى الذى تتقدم به اللجنة إلى المجلس فى النهاية ، فطلبت اللجنة إلى المجلس أن يقرر عدم استمرار الأحكام العرفية (١).

زاد هذا التقرير من صعوبة موقف على ماهر فى مجلس الشيوخ فى مواجهة معارضة الوفد لإعلان الأحكام العرفية وتمثيلة القوى فى المجلس. وقد استند معارضو الأحكام العرفية فى المجلس ، بالإضافة إلى ما ذكرته أغلبية اللجنة ، إلى أن مصر لم تعلن الحرب وأنها بعيدة كل البعد عن ميدانها وإلى أن الأحكام العرفية لم تعلن فى بريطانيا نفسها ، بالإضافة إلى أن المعاهدة لا تلزم مصر بإعلانها (٢) واضطر على ماهر إلى أن يخوض معركة حامية فى مجلس الشيوخ حتى حصل على موافقته على استمرار الأحكام العرفية بأغلبية بسيطة .

أدت معركة الأحكام العرفية فى البرلمان إلى عدة نتائج . فقد أتاح الفرصة للرأى العام لى يعبر عن نفسه ، سواء داخل البرلمان أو خارجه ، تجاه سياسة على ماهر . وقد رأينا أنه حتى المؤيدين لاستمرار الأحكام العرفية فى اللجنة فى مجلس الشيوخ كانوا يرون أن تطبيق هذه الأحكام فى أضيق نطاق وأنه يجب الرجوع إلى البرلمان فى المسائل الهامة . وقد اضطر على ماهر إلى التمشى مع هذه الرغبة ، وحين عقدت البورة العادية للبرلمان فى نوفمبر بدأ يتبع تقليداً جديداً هو الاجتماع بأعضاء لجنتى الأحكام العرفية ، كذلك الاجتماع بأعضاء اللجنة المختصة ومناقشتهم فيما يريد أن يتقدم به إلى البرلمان . وهكذا اضطر على ماهر إلى التخلي عن أية خطط دكتاتورية كان يعتزمها . يضاف إلى ذلك أن محمد محمود انتهز فرصة البورة غير العادية فتقدم هو وآخرون إلى مجلس النواب بطلب اضطرت الحكومة أن تتبناه وهو أن تشتري بريطانيا جميع محصول القطن المصرى . وكان هدفه من ذلك أن يكسب لخزبه مزيداً من الشعبية ، لأن تصريح محصول القطن كان مشكلة الساعة حينئذ . وكان يرمى أيضاً إلى إحراج الحكومة تمهيداً لإسقاطها . وهكذا بدأت معاكسات الأحرار الدستوريين لوزارة على ماهر (٣).

(١) مضابط جلسات مجلس الشيوخ دور الانعقاد غير العادى ٢ - ١٧ أكتوبر ١٩٣٩ تقرير

لجنة الأحكام العرفية ، ص ٣٥ - ٣٦ .

(٢) هيكل ، المرجع المذكور ، ج ٢ ، ص ١٧٢ .

(3) Lampson to Halifax, No. 1362, 8 November 1939, F.O. 407/223.

مشكلة إعلان مصر حالة الحرب مع ألمانيا :

ثارت هذه المشكلة في نفس الوقت الذي ثارت فيه مشكلة الأحكام العرفية لكنها اختلفت عنها في أنها كانت أساساً بين الحكومة المصرية وبريطانيا ، وأنها بلغت الذروة من البداية ، بينما كانت مشكلة الأحكام العرفية أساساً بين أطراف داخلية ، كالم أنها لم تبلغ ذروتها إلا عندما اجتمع البرلمان في دورته الاستثنائية في أوائل أكتوبر .

وقد أشرنا فيما سبق إلى موقف الأطراف المختلفة من التزامات مصر بمقتضى المعاهدة ، وأن البعض رأى أن تتخذ مصر موقف الحياد في نزاع دولي لا يعنها وأن تعمل على الحد من التزامات المعاهدة ، عبر عن ذلك إسماعيل صدق . ورأى البعض الآخر أن تبقى مصر بالتزاماتها بمقتضى المعاهدة وأن يتضمن ذلك دخولها الحرب إلى جانب بريطانيا ، وكان هذا موقف أحمد حسين زعيم مصر الفتاة ، وموقف فريق من الأحرار الدستوريين والسعديين . ورأى فريق ثالث أن تبقى مصر بالتزاماتها بمقتضى المعاهدة ، لا تريد عليها ، وأشرنا إلى أن هذا كان موقف الإخوان المسلمين وفريق من الدستوريين والسعديين . ويغلب أنه كان موقف الوفد . بل إن الإخوان المسلمين زادوا على هذا ضرورة السعى إلى استكمال تحقيق الأمانى الوطنية في مقابل مساعدة مصر لحليفها ، وهو ما تطور إليه موقف الوفد أيضاً في أبريل عام ١٩٤٠ كما يتضح من مذكرته إلى السفير البريطاني حينئذ (١).

والحق أن موقف الوفد كان حاسماً في موضوع دفاع مصر عن نفسها والتزاماتها بتقديم المساعدة لبريطانيا داخل حدودها ، لكنه يخلو من الوضوح والحسم في موضوع دخول مصر الحرب إلى جانب بريطانيا . فقد تساءلت جريدة المصرى في ٢٩ مارس ١٩٣٩ « كيف يمكن أن نخل الحرب إذا كان حلفاؤنا يتقضون العهد نقضاً ويستخفون بالمعاهدة بنداً بنداً ؟ أمحارب للدفاع عن الديمقراطية التي يحارب حلفاؤنا من أجلها ، والديمقراطية في بلادنا شوهت وجنى عليها ؟ ألا يصح للمصريين أن يعودوا إلى ضمائرهم فيسألوها هذا السؤال الخطير ؟ » لكنها عادت في ٤ سبتمبر بعد قيام الحرب تقول « لسنا في حاجة إلى القول أن مصر ستكون مع حليفها في

(١) انظر عليه ، ص ٥١ ، ٥٢ .

هذا الموقف الدقيق قلباً وقالباً ، وأنها ستكون وفية لمعهدنا ، مؤيدة بكل قوتها الديمقراطية ضد الدكتاتورية ، مدافعة عن كيانها ووطنها المقدس .

ولا شك أن موقف الوفد كان محده ضعف أو قوة كل عامل من العوامل المؤثرة في سياسته : الحالة الدولية القائمة وبخاصة موقف إيطاليا ، رغبة الوفد في العودة إلى الحكم رغم معارضة السراى ، واتجاهات الرأى العام في مصر . ويغلب أن الرأى العام في مصر كان يتجاذبه عاملان : الخوف من إيطاليا وأطماعها الواضحة في مصر ، والرغبة في الابتعاد بمصر عن نزاع عالمي لا يهجمها بشكل مباشر . وقد أشار السفير البريطانى قبيل الحرب إلى أن هذا يمثل شعوراً كبيراً في البلاد (١) . وبذلك اتخذ موقف إيطاليا من الحرب ، ومن مصر ، أهمية خاصة في تحديد موقف جانب كبير من الرأى العام وفريق كبير من الساسة ، ذلك الفريق الذى كان يرى أن تقف مصر عند حدود الوفاء بالتزاماتها بمقتضى المعاهدة داخل الأراضى المصرية فقط .

أما عن السراى فقد تكررت إشارات السفير البريطانى إلى سلامة موقف الملك من التحالف ، كما تكررت تعبيره عن مخاوفه من النفوذ الإيطالى في السراى وميولها المحورية (٢) . تلك المخاوف كانت فعلاً تتركز على قدر كبير من الحقيقة . ففي ٢٣ فبراير ١٩٣٩ كتب كونت شيانو وزير خارجية إيطاليا في يومياته أن السفير الإيطالى في برلين أرسل يخبره عن حديث دار بينه وبين وزير مصر المفوض هناك ، مراد سيد أحمد باشا . في هذا الحديث كان الوزير يتحدث بلسان مليكه قائلاً أنه يكره الإنجليز ، ومتسائلاً عما إذا كان المحور على استعداد لمساندته إذا ما أعلنت مصر حيادها وحاولت بريطانيا العظمى نتيجة لذلك أن تتدخل مباشرة أو عن طريق غير مباشر . وقال شيانو أنه ، بعد اتفاقه مع الدوتشى ، أرسل إلى السفير يفوضه في مواصلة محادثاته مع الوزير المصرى ، وأن يوضح له أن إيطاليا تؤيد أى جهد يجرى إلى إضعاف الروابط بين مصر ولندن (٣) وفي ٩ مايو ١٩٣٩ زار القاهرة المارشال

(1) Lampson to Halifax, No. 871, 13 July 1939, F.O. 407/223.

(٢) انظر عالية ص ٥٢ .

(3) Ciano, Count Galeazzo, The Ciano diaries 1939—1943, ed. Hugh Gibson, New York, 1946, p. 32.

بالبو حاكم ليبيا . وقد أقام له رئيس الوزراء مأدبة ، كما استقبله الملك فاروق : وتردد حيثئذ أن إيطاليا ترمى إلى عقد ميثاق عدم اعتداء مع مصر وأن الفكرة تجد صدقاً في بعض المقامات (١).

وأخيراً ، ففي ٣٠ مايو ١٨٤٠ كتب شيانو في يومياته يقول إن مراد سيد أحمد الذى كان حينئذ وزير مصر المفوض في روما تحدث على مسؤوليته عن اعتراف حكومته بإعلان حيادها في النهاية . وقال شيانو إنه شجعه على ذلك (٢) . يضاف إلى تلك الحقائق احتفاظ فاروق بما تضمنه السراى من موظفين إيطاليين وما تضمنه حاشيته من الإيطاليين ، رغم أن لامبسون حاول بالحاح أن يدفعه إلى التخلص منهم . تلك عوامل كان لها أثرها في موقف الحكومة المصرية ، والمصريين بوجه عام ، من موضوع إعلان قيام حالة الحرب بين مصر وألمانيا . يضاف إليها عامل آخر له أثره الكبير في ذلك الموقف . وهو قوة كل من الفريقين المتنازعين : القوات البريطانية في مصر وما يقابلها من قوات إيطالية في ليبيا ، وقوة كل من المحور وبريطانيا وفرنسا بوجه عام . لقد تأثر المصريون بفضالة عدد القوات البريطانية في مصر وما يقابلها من حشود إيطالية كبيرة في ليبيا . كما تأثروا بالسياسة القوية التي اتبعتها دولتا المحور ونجاحهما في تحقيق أهدافهما ، وآخرها استيلاء ألمانيا على باقى تشيكوسلوفاكيا في مارس ١٩٣٩ واستيلاء إيطاليا على ألبانيا في أبريل ، بينما واجهت بريطانيا وفرنسا ذلك بسياسة التهذبة .

تتضح مخاوف الجانب المصرى في طلبه الملح بزيادة القوات البريطانية في مصر حين تبين أن قيام الحرب أمر يكاد أن يكون مفروغاً منه ، بعد أزمة مارس-أبريل . فبعد الغزو الإيطالى لألبانيا تحدث رئيس الوزراء - محمد محمود - إلى لامبسون عن عدم كفاية القوات البريطانية في مصر فقال : « إن قلة عدد هذه القوات أصبح من الأحاديث الشائعة ، وأن الأمة المصرية جميعها تشعر بالقلق في قدرتنا على أن نقدم لمصر الحماية التي تضمنها لها معاهدة التحالف ، إلا إذا تلقت قواتنا تعزيزات كبيرة »

(١) الأهرام ١٠ - ١٣ مايو ١٩٣٩ ، عبد العظيم رمضان ، المرجع المذكور ، ص ٢٤٦ .

Kirk, G, The Middle East in the war, New York, 1952, p. 33.

(2) Ciano, op. cit., p. 257; Kirk, op. cit., p.37.

٣٠ - وقد تساءل مساعدته عن عدد قواتنا الآن في مصر ، وحين أخبرته أن عدد الحماية جميعها حوالي ١٣ ألفاً قال أن هذا لا يكفي لتهدئة مخاوف الناس ، وأنه يريد أن يكون لنا ما بين ٢٥ إلى ٣٠ ألفاً ، وأن نجعل الناس يرونهم حتى تبديد مخاوفهم من هجوم مفاجيء من ناحية ليبيا (١) ، وكرر الأمير محمد على هذا الطلب إلى السكرتير الشرقي في مايو التالي (٢) . وحين أصبحت الحرب متوقفة في أية لحظة في أغسطس ١٩٣٩ طلب الملك من بتان ، القائم بعمل لامبسون ، زيادة عدد القوات البريطانية في مصر ، وأكد أهمية هذه الزيادة وأهمية أثرها النفسي للامبسون حين عاد الأخير من إجازته ، وقابله في أول أغسطس حين اشتعلت الحرب (٣) .

وكان لامبسون يدرك مخاوف المصريين وأثرها على موقفهم من التحالف ، لذلك تكرر تحذيره لحكومته من نتائج قلة عدد القوات البريطانية في مصر ، وطلب زيادتها . في يناير ١٩٣٩ كتب إلى وزارة الخارجية يقول « لو اعتقدت مصر أن لدى بريطانيا من القوة ما يكفي لحمايتها من نشاط العدو العسكري والجوى المدمر فلا جدال في أن الكلام سيقبل عن حياد مصر . أما إذا لم تتمكن من خلق هذا الشعور ، عن طريق حجم قواتنا العسكرية واستعادة صداقتنا مع البلاد العربية المجاورة ، فإن مصر ستطلب إلينا عاجلاً أو آجلاً الحد من التزاماتها الحربية بمقتضى المعاهدة المصرية البريطانية (٤) . وعاد لامبسون إلى هذا الموضوع في الشهر التالي فكتب إلى هاليفاكس يقول « علينا أن نعمل على تقوية وضعنا في شرق البحر المتوسط بحيث لا يبقى لدى الملك أو حاشيته أدنى شك في قدرتنا على حماية مصر ، وعلى إجبار حكامها على الاستجابة لرغباتنا لو لزم ذلك . . . » .

« سنجد ملك مصر والفئة (الارستقراطية) الحاكمة يحاولون باستمرار أن يتخللوا موقفاً مستقلاً عن بريطانيا طالما بقي في مصر شعور بأن نهضة ألمانيا وإيطاليا قد أضعفت موقفنا في العالم بوجه عام وفي شرق البحر المتوسط بوجه خاص بحيث أنه لم يعد من الأسلم لمصر أن تنشدد أصدقاء آخرين فقط ، بل إن ذلك أصبح

(1) Lampson to Halifax; No. 117 saving, 27 April 1939, F.O. 407/223.

(2) Same to same, No. 575, 17 May 1939, F.O. 407/223.

(3) Same to same, telegram No. 507, 1 September 1939, F.O. 407/223.

(4) Samn to sam, No. 4x, 16 January 1939, F.O. 407/223.

من الحكمة (١). وبعد أن طلب محمد محمود في أبريل زيادة القوات البريطانية كتب لامبسون يقول : «لقد عبر الرسمىون وغير الرسمىين في مصر عن رغبتهم في وجود قوات بريطانية أكثر في مصر . . . إلى لأرجو جداً أن تتمكن في القريب العاجل من أن تحقق للمصريين رغبتهم تلك ، ولهم الحق في ذلك . لأنهم يدركون عدم كفاية قواتنا الحالية لحماية مصر من هجوم لإيطاليا ألماني ، ومستقبل وضعنا في الشرق الأدنى يتوقف على أن توجد في مصر قوات بريطانية كبيرة إلى الحد الذي ينعق المصريون وغيرهم من شعوب الشرق الأوسط بقدرتنا على أن ندافع بكفاءة عن البلاد التي تعهدنا بالدفاع عنها بمقتضى المعاهدات (٢) .

والآن لتركيف تطورت مشكلة إعلان مصر قيام حالة الحرب مع ألمانيا متأثرة بهذه العوامل .

لم تعد بنا حاجة إلى مناقشة موضوع طلب الجانب البريطاني أن تعلن مصر الحرب على ألمانيا ، وهل ذلك صحيح ، كما صرح بذلك على ماهر في أكثر من مناسبة ، أم أنه غير صحيح ، كما صرح بذلك مصدر رسمى بريطاني (٣) . ذلك أن الوثائق البريطانية حاسمة في أن الجانب البريطاني طلب إلى على ماهر إعلان حالة الحرب . ويقلب أن مستر بتمان ، وهو يقوم بعمل لامبسون ، أول من اتصل بعلى ماهر في هذا الشأن وذلك يوم ٢٣ أغسطس (قبل قيام الحرب) ، حين أخبره أن الحكومة البريطانية ترى أنه قد قامت حالة دولية مفاجئة يخشى خطرها ، وطلب إليه باسم حكومته أن تقوم الحكومة المصرية بتقديم ما تنص عليه المادة السابعة من معاهدة التحالف من مساعدات وتسهيلات . نخرج بهذا من مذكرة بعث بها على ماهر إلى لامبسون في ٩ سبتمبر يقول فيها : « إن تعهدات مصر المبكرة قبل اشتعال الحرب بالقيام بإعلان الحرب رسمياً كانت على أساس أن إيطاليا ستدخل الحرب وأنها ستهاجم القوات البريطانية هنا (أى في مصر) » (٤) . يضاف إلى ذلك أن

(1) Lampson to Halifax, No. 100 confidential, 3 February 1939, 407/223.

(2) Same to same, No. 560, 12 May 1939, F.O. 407/223.

(٣) انظر مناقشة الدكتور عبد العظيم رمضان ومصادره عن ذلك في رسالته المشار إليها لذكوره

ص ٢٩٢ .

(4) Bateman to Halifax, No. 1060, 24 August 1939, and enclosure; Lampson to Halifax, telegraph No. 575, 10 September 1939, F.O. 407/223.

لامبسون يقول في يومياته عن يوم أول سبتمبر ١٩٣٩ أنه ذهب في المساء لمقابلة على ماهر ليتأكد من أن إعلان مصر حالة الحرب سيحدث في نفس الوقت الذي تعلن فيه بريطانيا الحرب ، وأنه وجد أن على ماهر رجوع في كل ما كان قد قاله لبتمان قبل عودة لامبسون من بريطانيا مباشرة^(١) . يؤيد هذا أيضاً ما نشرته مجلة آخر ساعة بعدها الصادر في ٢٨ مارس ١٩٧٣ لعبد الرحمن عزام وزير الأوقاف في وزارة على ماهر عام ١٩٣٩ . قال سيادته أن بتمان « القائم بأعمال السفير البريطاني قام بمقابلة رئيس الوزراء عدة مرات للتشاور في موقف مصر في حالة إعلان بريطانيا الحرب على ألمانيا » . وأضاف أنه حين عاد السفير البريطاني قابل على ماهر وقال له أن الحكومة البريطانية يهملها أن تبادل مصر بإعلان الحرب رسمياً على ألمانيا بمجرد أن تعلنها الحكومة البريطانية تنفيذاً لبنود المعاهدة ، وأن طلب السفير البريطاني لم يكن مفاجأة لرئيس الوزراء « فقد سبق له أن تلقى تبليغاً مشابهاً من القائم بأعمال السفير قبل عودة السير مايلز لامبسون من لندن ، وكان من رأى على ماهر ، وفي رأى غالبية وزراء حكومته أن تقوم الحكومة المصرية بإعلان الحرب على ألمانيا بمجرد اشتراك الإنجليز في الحرب ضدها » .

يتضح من هذا أن المصادق المصرية والوثائق البريطانية تتفق على أن لامبسون عند قيام الحرب في أول سبتمبر طلب إلى على ماهر أن تعلن مصر الحرب على ألمانيا حيث تعلنها بريطانيا ، لكن الفريقين يختلفان فيما عدا ذلك من تفاصيل .

المصدر المصري الرئيسي في هذا الموضوع هو على ماهر نفسه . في شهادته في قضية مقتل أمين عثمان باشا قال على ماهر رداً على سؤال عن الخلافات التي نشبت بينه كرئيس للحكومة وبين الحكومة البريطانية أن الخلاف بدأ « بمجرد إعلان ألمانيا الحرب ، كانوا يتوقعون أن تعلن مصر الحرب على ألمانيا ثم حصل أن رأينا لمصلحة مصر ، ونحن مصريون ، ألا تدخل مصر الحرب ، وكان تقدير ذلك متعلقاً بما يقضى به الصالح ، ولأن الدخول أو عدم الدخول يتعلق بالاستعداد ،

(١) يلاحظ في هذا المجال أن الجانب المصري كان يستعمل اصطلاح إعلان الحرب ، بينما كان الجانب البريطاني يستعمل اصطلاح إعلان حالة الحرب .

(2) Evans, op. cit., p. 110.

خصوصاً وأن السفير مثل : ما هو موقف مصر في نهاية الحرب ، هل تستكمل كل استقلالها ؟ فأجاب بأنهم لا يمكنهم أن يفعلوا بشيء وكفاهم وعد بلفور . . . وقد علمنا ما توجه المعاهدة للحليفة وما يزيد عليه ما دام لا يتعارض مع مصالح مصر . . . وقال أيضاً في الكلام عن عدم دخول مصر الحرب حين أعلنتها إيطاليا « وكان وقتها الجنود البريطانية ضعيفة جداً ، وكان ما عندهم ٢٨ مدفعاً ضد الطائرات ، منها ٢٠ في الإسكندرية لحماية الأسطول ، ٨ لحماية الورش بتاعتهم ، وباقى القطر لا يوجد به شيء يحميه » (١) أى أن عدم إعلان مصر الحرب يرجع إلى اقتناع الحكومة المصرية حينئذ بعدم وجود القوات الكافية في مصر لذلك ، سواء على الجانب المصرى أو على الجانب البريطانى ، وبخاصة عدم وجود دفاع جوى كافى . يضاف إلى ذلك أن دخول الحرب ليس في صالح مصر ، ولا يحقق لها مصلحة خاصة بعد أن رفض الجانب البريطانى أن يعد باستكمال استقلال مصر إذا دخلت الحرب .

أما محمد صبيح فيأتى لنا بوثيقة من محفوظات قصر القبة ، وهى مذكرة سرية رفعها إلى الملك عبد الوهاب طلعت باشا رئيس الديوان الملكى بالنيابة حينئذ ، وتتضمن ما علمه من سكرتير عام مجلس الوزراء عن مداولات المجلس يوم ٧ سبتمبر في موضوع إعلان مصر حالة الحرب : وقد أشارت المذكرة إلى أن الوزراء انقسموا في هذا الشأن بين آراء ثلاث : رأى ضد إعلان حالة الحرب ، ويقول به مصطفى الشوربجى بك وزير العدل الذى « يرى أن ما تم فوق الكفاية وأن المعاهدة لا تلزمنا بشيء أكثر من ذلك وليس لمصر شأن في الحلف القائم الآن » . ورأى وسط انفرد به عبد الرحمن عزام بك وزير الأوقاف ورئيس القوات المربطة وكان يوافق على رأى مصطفى الشوربجى لكنه لا يمانع في إعلان حالة الحرب مع « الانتظار على الأقل حتى يعود كل المصريين من الخارج » ، وكذلك البواخر المصرية ، لأن في رفعها العلم المصرى حماية لها من كل سوء ما دامت ليست في حالة حرب مع أية دولة أخرى » . أما رأى الثالث فهو إعلان حالة الحرب ، وقال به بنية

(١) لطفى عياد ، المحاكمة الكبرى في قضية الانفصاليات السياسية ، القاهرة ١٩٤٨ ، ص ١٢٣ ،

الوزراء ، وأشارت المذكورة من هذا الفريق إلى محمد صالح حرب باشا ، وحسين سرى باشا ومحمد على علوبة باشا وغيرهما . وكان من رأى هذا الفريق « أنه ما دامت مصر قد قطعت العلاقات مع ألمانيا وتكثرت صفو هذه العلاقات فليس هناك داع للانتظار ويجب إعلان حالة الحرب لأن مصر أصبح مصيرها معلق بمصير إنجلترا » ، ورد هذا الفريق على آراء عبد الرحمن عزام بأن إنجلترا تحمي البواخر المصرية بأسطولها كما تحمي بواخرها سواء بسواء . وتقول المذكورة أن على ماهر انضم إلى هذا الفريق الأخير « بتحفظ وهو أنه إذا جاءه كتاب من السفير البريطاني باسم حكومته بأن إعلان حالة الحرب ضرورى جداً لسلامة القوات البريطانية والمصرية وأنه لا يمكن الدفاع عن مصر بغير ذلك فعندئذ تقرر حالة الحرب » .

من الجلى أن هذا كان قرار مجلس الوزراء ، فعلى ماهر كلف سكرتير عام المجلس بالتوجه في نفس الليلة إلى السفير البريطاني لإحاطته علماً به « وبمختلف وجهات النظر في هذا الموضوع » ، والسفير البريطاني سر لذلك وقال للسكرتير العام أنه « يرجح كثير أن يرد إليه الجواب المطلوب الليلة وعندئذ تعلن حالة الحرب بين مصر وألمانيا منذ صباح الغد » .

وقد نقي كل من على ماهر وصالح حرب لمحمد صبيح البيانات التي تضمنتها الوثيقة « نفياً قاطعاً » ، واتمما لعدم صحتها أن تلك المناقشات لم تلون عنها محاضر ، وأن سكرتير عام المجلس لم يكن يحضر المداولات وأنه استقى معلوماته من بعض الوزراء الذين لم يعطوه صورة صحيحة . ويضع محمد صبيح مما استقاه منهما من معلومات - وبخاصة من على ماهر كما هو واضح - صورة أخرى عن الموقف . تتضمن تلك الصورة أن رجال القانون كانوا يرون التزام مصر بإعلان الحرب يقتضى المعاهدة ، وأن على ماهر رأى من البداية أن يحتفظ برأيه في موضوع إعلان الحرب إلى النهاية لا يبيده للمجلس ، وأن يلاحظ جميع التيارات . وقد سال على ماهر السفير البريطاني عما إذا كانت بريطانيا مستعدة لإلغاء معاهدة ١٩٣٦ ١١ وعقد معاملة جديدة تتضمن قيام علاقات جديدة غير متيدة بأي قيد والتعاون تعاون الأنداد . لكن السفير أجاب بالنفي . وقال محمد صبيح أيضاً أنه اتضح

قمل ماهر وجود ثلاث تيارات داخل مجلس الوزراء ، تيار ضد الحرب يتزعمه
الوزيران صالح حرب ومصطفى الشوربجي ، وتيار مع الحرب يتزعمه محمود فهمي
النقراشي وحسين سري ، وتيار متردد يتساءل عما يمكن كسبه من إنجلترا مقابل
دخول الحرب ، وكان عبد الرحمن عزام هو الذي يرى التضام للحصول على
مكاسب من الإنجليز .

ويقول محمد صبيح أيضاً أن على ماهر استخدام رد السفير البريطاني في موضوع
قيام علاقات حرة بين مصر وبريطانيا في إقناع فريق المترددين بفكرة عدم دخول
الحرب . وأقنع بها أيضاً الفريق الخبز لدخول الحرب ، الذي رأى أن يتبرز فرصة
في المستقبل لتجديد المسعى لدى الإنجليز عسى أن يحققوا لمصر مطالبها إذا رأوا
مصلحة في دخول الحرب . وهكذا صدر قرار مجلس الوزراء بالإجماع بأن تلزم
مصر الحياد ، وحين أبلغ إلى السراي كان ردها أن الملك مع الوزارة في هذا
القرار^(١).

تلك ، على أية حال ، معلومات طرفين مشتركين في مشكلة تضاربت بشأها
الآراء .

هناك طرف ثالث أدلى برأيه أيضاً هو عبد الرحمن عزام . وقد أشرنا إلى
طرف مما نشر من ذكرياته في آخر ساعة . أما باقيها فيتناول موقف مجلس الوزراء
من موضوع إعلان حالة الحرب مع ألمانيا . قال سيادته ان السفير البريطاني في
مقابلته لعل ماهر يوم أول سبتمبر طلب أن تعلن مصر حالة الحرب مع ألمانيا بمجرد
إشراك إنجلترا في الحرب ، واعتقال الرعايا الألمان واحتجازهم كأسرى حرب .
وكان الرأي حينئذ أن تعلن مصر حالة الحرب مع ألمانيا في الوقت الذي تدخل فيه
بريطانيا الحرب ضدها . وقد عقدت جلسة طارئة لمجلس الوزراء لبحث الموضوع
حضرها الدكتور عبد الحميد بلوى رئيس لجنة قضايا الحكومة .

كان رأى عبد الحميد بلوى أن المعاهدة تلزم مصر بدخول الحرب إلى جانب
إنجلترا ، وكان رأى السعديين دخول الحرب فوراً إلى جانب إنجلترا ، وأيد صالح

(١) محمد صبيح ، صفحات مطلوبة من الحرب المالية الثانية ، الكتاب الثاني ، طريق الحرية (كتاب

الشهر ، سلسلة التاريخ الحديث) ص ٢٧ ، ٢٢ .

حرب وزير الحرية اتجاه إعلان الحرب . ويقول عبد الرحمن عزام أيضاً أنه عارض هذا الاتجاه على أساس أن المعاهدة لا تلزم مصر بدخول الحرب ، وأن إعلانها على عدو عدوة مصر غير معقول قبل أن يعلنها أصدقائه الإيطاليون ، وأن إعلانها سيلحق كثيراً من الدمار والخراب بالجيش والشعب ، وأضاف أن هذا قد يكون مقبولا لو كان هناك مقابل له ، كوعد بالخلاء وتعيين عن الخسائر ، لكنه لا يوافق على إعلان الحرب دون مقابل ، وقال سيادته أن على ماهر لم يشارك في المناقشة ، بل وامتنع عن التصويت حين أخذت الأصوات على القرار ، فوافق الوزراء جميعاً على إعلان الحرب إلى جانب بريطانيا . حينئذ قدم عبد الرحمن عزام استقائه مما اضطر على ماهر إلى أن يفض الاجتماع ويقرر عدم إذاعة القرار أو إبلاغه إلى الإنجليز .

أدت المناقشات بين على ماهر وعبد الرحمن عزام إلى أن يتخلى الأخير عن الاستقالة ويقوم ، بناء على طلب على ماهر ، الذي أبدى اقتناعاً بوجهة نظره ، بالاتصال بالجانب البريطاني لإقناعه بعدم الإصرار على طلبه . لكن هذه الاتصالات لم تسفر عن شيء سوى إصرار الجانب البريطاني على عدم تقديم أى تنازلات لمصر في مقابل إعلان الحرب . ويحتم عبد الرحمن عزام ذكرياته عن هذا الموضوع بقوله إن على ماهر اقنع تماماً بأن لا فائدة لمصر من إعلان الحرب على ألمانيا ، وأنه تقرر ألا تعلن مصر الحرب إلا في حالة واحدة ، وهي أن يكون الهجوم عليها لذاتها لا لارتباطها بالإنجليز . وفي ٩ سبتمبر بعث على ماهر إلى السفير البريطاني بمذكرة تراجع فيها عن قرار إعلان الحرب على ألمانيا بحجة أن إيطاليا لم تعلن الحرب على مصر ، وأن تطورات الموقف لم تعد تستدعي اتخاذ هذا القرار .

أما الوثائق البريطانية فتقدم لنا صورة تختلف في ملامحها ، كما أنها أكثر تفصيلاً . ستعرض هذه الصورة ، ثم نقوم بتقييم وتحليل هذه المصادر جميعاً ونخرج من ذلك بصورة أقرب إلى الحقيقة في موقف كل من مصر وبريطانيا من مشكلة إعلان الحرب مع ألمانيا .

يقول لامبسون في يومياته أنه قابل على ماهر مساء يوم أول سبتمبر ليتأكد من أن إعلان مصر حالة الحرب سيحدث في نفس الوقت الذي تعلن فيه بريطانيا الحرب ،

وأنه وجد أن على ماهر رجوع في كل ما كان قد قاله لبتان قبل عودة لامبسون من بريطانيا مباشرة ، فقد أخذ يقول أنه ليس من اللازم أن تدخل مصر الحرب ، وأنهم سيفعلون كل ما تطلب بريطانيا دون أن تعلن مصر الحرب ، وأنه يريد أن يحصل على إجماع زملائه الوزراء^(١) . وفي اليوم التالي أخبر على ماهر لامبسون في خطاب رسمي أن حكومته مستعدة لإعلان الحرب^(٢) . لكن يبدو أن مجلس الوزراء رجع عن هذا الرأي في اليوم التالي ، لأن لامبسون عاد وقابل على ماهر صباح يوم ٤ سبتمبر وحلّره بشدة من الآثار الهزينة التي تركها في لندن القرار الذي اتخذته مجلس الوزراء في الليلة السابقة ، وأكد له خطورة العوامل السياسية التي تدعو إلى عدم اتخاذ هذا الاتجاه والمضار التي ترتب عليه . وأشار لامبسون إلى أن الوضع الوسط بين الحياد والحرب ما هو إلا سراب خادع . وحثه على إقناع زملائه الأربعة المترددين بذلك . وقد رد على ماهر على ذلك بأنه شخصياً مستعد لإعلان حالة الحرب ، لكنه حريص على أن يحصل على إجماع الوزراء على ذلك . وقال أن زملاءه غير مقتنعين بأن مصر قادرة على مقاومة هجوم إيطالي بالعدد الموجود من القوات البريطانية . وقد وافق على أن يطلب إلى عزام باشا بأن يناقش اعتراضاته مع مستر بتمان ، وأن يطلب إلى وزير الحرية أن يتصل بالقائد العام للقوات البريطانية بشأن عدد القوات والنواحي الاستراتيجية . وقد ألح على ماهر على سرعة إرساله تعزيزات بريطانية ، وأشار إلى مخاوف الدوائر المصرية من أن تفكر الحكومة البريطانية في التضحية بمصر كما قد يحدث في حالة المستعمرات النائية ، وقال أن مصر تتوقع أن تدافع عنها بريطانيا بمقتضى المعاهدة . وحث على ماهر على تزويد الجيش المصري بمدافع أخرى ، وطالب ببنادق لتسليح عشرة آلاف جندي بالجيش المرابط حتى يتفرغ الجيش العامل للعبة^(٣) .

وفي يوم ٦ سبتمبر قابل السفير على ماهر وحثه على إعلان قيام حالة الحرب

(١) هذا يتفق مع معلومات عبد الوهاب طلعت في أهرام ١٦ مارس ١٩٧٣ .

Evans, op. cit., p. 110.

(2) Lampson to Hal fax, telegram No. 570,9 September 1939, F.O.407/223.

هذا يتفق أيضاً مع ما نشره عبد الوهاب طلعت في الأهرام ١٦ مارس ١٩٧٣ .

(3) Lampson to Halifax, telegram No. 527,4 September 1939; F.O.407/223.

مع ألمانيا ، فرد على ماهر بأن ذلك سيتم بمجرد أن يخرج المصريون من ألمانيا . وقال لامبسون في تقريره إلى هاليفاكس عن هذه المقابلة أنه نظراً لهذا التردد المستمر من جانب رئيس الوزراء في إعلان حالة الحرب ، ذلك التردد الذي كان له أثر سيء على العراق ، فانه يميل كثيراً إلى أن يقول لرئيس الوزراء أن الحكومة البريطانية تصر على أن يقوم بهذا الإعلان في الحال . ويعود لامبسون ليوضح عوامل تدعو إلى التأني وعدم تعجل هذه الخطوة . وتلك العوامل هي أن عبد الحميد يدوي أشار على الحكومة المصرية بأن إعلان حالة الحرب لن يزيد شيئاً على السلطات التي أحرزتها الحكومة باعلان الأحكام العرفية . كما أن الإصرار على ما يعتبره الجانب البريطاني نتيجة منطقية لمعاهدة ١٩٣٦ ، يغلب أن يؤدي إلى صلور الإعلان المطلوب ، لكن الحكومة في هذه الحالة ستكون قد أصدرته وهي مكرهة ، وقد يحدث انقسام داخل الوزارة ، وعودة إلى حالة الإذعان الكاره التي اتسم بها موقف مصر في فترة الحرب العالمية الأولى وبعدها ، وأضاف أنه من الواضح أنه يحسن تجنب ذلك إذا كان الجانب البريطاني يريد أن يقف المصريون خلفه بصلابة . ومع أن لامبسون يمرض هذه العوامل حتى يتدبرها هاليفاكس ، إلا أنه يعود في نهاية تقريره ليرجع عامل الضغط واستعجال إعلان حالة الحرب ، فيقول ان كل يوم يزيد من تخوف المصريين والأعداء التي يقدمونها لعدم إعلان الحرب ، وبخاصة مع الأخبار السيئة التي تصل من بولندا . لذلك فان شعوره الشخصي هو أنه بعد أن يتلقى رد هاليفاكس على هذا التلغراف يخبر رئيس الوزراء أنهم لا يمكنهم أن ينتظروا أكثر من ٢٤ ساعة . ويضيف إلى ذلك أنهم لو أصروا على طلبهم فان هناك احتمال ، ولو أنه لا يعتبره كبيراً ، في أن تسقط الحكومة حينئذ سيكون علينا أن نواجه الملك بأن يختار بين قبول مطلبنا أو مواجهة النتائج التي تترتب على اننيار تقننا فيه (١).

ومع أنه كان مفروضاً أن ينتظر لامبسون حتى يتلقى رد هاليفاكس متضمناً تعليماته ، فانه تعجل الأمر وعاد إلى الضغط على رئيس الوزراء لإعلان حالة الحرب ، فقبله لهذا الغرض في صباح يوم ٧ سبتمبر ، وهو نفس اليوم الذي أرسل فيه

(١) Lampson to Halifax, telegram No. 563, 7 September 1939, F.O. 407/223.

تأخراته عن مقابلة ٦ سبتمبر ، وربما كان سبب هذه التجملة إدراكه أن مجلس الوزراء سيجتمع في مساء نفس اليوم لمناقشة موضوع إعلان حالة الحرب .

قال لامبسون في تقريره عن هذه المقابلة أنه رأى من العدل أن يجدر رئيسه الوزراء من أنه ، بعد أن تأخرت مصر ثلاثة أيام بعد دخول بريطانيا الحرب ، فإنه يتوقع أن يتلقى من حكومته تعليمات قاطعة بالإصرار على أن تعلن مصر حالة الحرب . وقد رد رئيس الوزراء على ذلك بأن هذا الأمر قد أصبح معقداً بعد أن قام الألمان باحتجاز المصريين وموظفي المفوضية ، وسيتم إعلان حالة الحرب في الحال بعد أن يصبح هذا الوضع .

وقد رد لامبسون على ذلك بأن الموضوعين منفصلان وأن إعلان حالة الحرب أن يؤثر في موضوع احتجاز الرعايا ، حيث أن كلا من الطرفين قد قام فعلاً بذلك . يمكن على ماهر طلب المساعدة في هذا الموضوع ، وإلا فإنه سيتعرض للهجوم من جانب شعبه ، واقترح الملك إطلاق سراح رجال المفوضية الألمانية في يوم السبت ٩ سبتمبر بشرط أن يسمح لرجال المفوضية المصرية بمغادرة ألمانيا في مقابل ذلك . وهو يرجو أيضاً أن يوافق الجانب البريطاني على إطلاق سراح عدد آخر من الألمان في مصر يمكن لإقناع الحكومة الألمانية بالسماح للمصريين الآخرين (غير موظفي المفوضية) بمغادرة ألمانيا . وزد لامبسون على ذلك بأنهم حريصون على مساعدته ، لكنه أن يتمكن من إجابته بشأن هذه الطلبات قبل الساعة السابعة مساءً ، وهو الوقت المحدد لاجتماع مجلس الوزراء لمناقشة موضوع إعلان حالة الحرب . الملك عاد لامبسون ، كما يقول ، إلى الضغط على رئيس الوزراء بشدة ليحصل على التغلب على معارضة زملائه لسرعة إعلان حالة الحرب ، وقال أن مصر بموقفها قد تحلت عن أن تضرب مثالا يحتذى به العالم العربي في هذا السبيل ، وصديقت المراق عن اتخاذ الخطوة السليمة ، وفقدت كثيراً مما كان يمكن أن تحوزه من فضل ، وزعزعت إلى حد كبير ثقة الحكومة البريطانية فيها . وحين رد على ماهر على ذلك بحرصه على إجماع الوزراء على القرار المطلوب ، قال له لامبسون أنه - كرجل قوى - ينبغي أن يجبر زملاءه في هذا المساء على التزام الخط السليم الذي يراه ، وأضاف إلى ذلك - مهدداً - أنه يفضل أن يكتب إلى لندن بأن الموضوع سوى بطريقة مرضية ، على أن يعمل بمقتضى تعليمات قاطعة يتوقع

أن يتلقاها من لندن في أية لحظة(١).

أثمر هذا الضغط نتيجته المرجوة ، كما يقرر لامبسون . فقد زاره في وقت متأخر من ليلة ٨/٧ سبتمبر سكرتير عام مجلس الوزراء يحمل إليه قرار ذلك المجلس بتكليف من رئيس الوزراء . وكانت الرسالة التي حملها من على ماهر ، كما يقول لامبسون ، هي أن مجلس الوزراء قرر بالإجماع الموافقة على إعلان حالة الحرب مع ألمانيا ، وأن وصول إخطار بهذا القرار إلى السفارة يتوقف على أن يرسل السفير خطاباً إلى رئيس الوزراء يقول فيه ان الخطوات التي اتخذت حتى ذلك الوقت ، وهي إعلان الأحكام العرفية وقطع العلاقات مع ألمانيا ، لا تكفي كأساس للأجراءات اللازمة لتأمين البلاد وسلامة القوات البريطانية ، وأن المطلوب هو إعلان حالة الحرب . وقد فسر السكرتير العام لمجلس الوزراء ذلك بأن إعلان الحرب الهجومية يستلزم دعوة البرلمان ، والأمر يختلف تماماً إذا كان إعلان حالة الحرب بناء على طلب الحليفة بمقتضى التزامات المعاهدة .

وقد أضاف السكرتير العام إلى ذلك أن هناك ثلاث مسائل تقلق الوزراء المصريين هي : (١) المراكب المصرية في البحر المتوسط . وهم يطلبون أن تقدم لها الأميرالية البريطانية ما تقدمه للمراكب البريطانية . (٢) وهم يرجون أن تقدم الحكومة البريطانية في سبيل إعادة المصريين الموجودين في الخارج مساعدة كالمساعدة التي تقدمها لرعاياها البريطانيين في نفس الظروف . (٣) هناك بواخر مصرية في الطريق إلى الإسكندرية وأخرى غادرتها إلى مرصليا ، دون أن تعلم شيئاً عن احتمال قيام حالة الحرب . وهم يطلبون العمل على إخطارها بالجوء إلى أقرب ميناء أو العودة إلى مصر ، حسب الحالة . وقد أجاب السفير على رسالة رئيس الوزراء بأنه سيعمل على الحصول على الخطاب المطلوب ، وأن الحكومة البريطانية ستبذل جهدها ، بالتأكيد ، لإجابة المطالب الأخرى(٢).

(1) Lampson to Halifax, telegram No. 555,7 September 1939, F.O. 407/223.

(2) Lampson to Halifax, telegram No. 557 A,8 September 1939, F.O. 407/223.

وقد خول هاليفاكس سفيره أن يوجه إلى الحكومة المصرية الخطاب المطلوب (١). لكنه حين توجه في مساء ٨ سبتمبر لمقابلة على ماهر وتسليمه رد حكومته فوجيء بتراجع رئيس الوزراء عن موقفه . ذلك أنه تلقى تلغرافياً من حسن نشأت باشا ، السفير المصري في لندن ، عن مقابلة تمت بينه وبين مستر بتلر في وزارة الخارجية في يوم ٦ سبتمبر . وقد تضمن التلغراف قول السفير أنه اقترح على مستر بتلر « شراء المواد الحربية من الولايات المتحدة عن طريق مصر التي يمكنها أن تقوم بذلك بسهولة باعتبارها غير محاربة . وقد استخف السرور مستر بتلر لهذا الاقتراح ، وقال انه سيتقدم به إلى لورد هاليفاكس .

وقد علق رئيس الوزراء على هذا الخبر بأنه يغير الوضع : فزملاؤه مصرحون على أنه يؤثر بشكل أساسي على قرار المجلس في الليلة السابقة بشأن إعلان حالة الحرب ، كما أن الملك فاروق بعث إليه بمذكرة عاجلة بنفس المعنى فقال السفير بغضب أنه يرجو ألا ينساق الملك إلى اتخاذ موقف تترتب عليه نتائج يوشك لها ، وعبر عن استيائه لموقف رئيس الوزراء ، وقال ان السفير المصري ربما أساء فهم مستر بتلر ، وأن المقابلة تمت من يومين وتعليقات لورد هاليفاكس جبت ما قبلها . لكن ذلك لم يقنع على ماهر بتغيير موقفه ، وقال انه « إزاء رسالة الملك وموقف زملائه ، لا يملك عمل شيء حتى يسوى التعارض بين تعليقات لامبسون وتقرير حسن نشأت » .

وعلق لامبسون على ذلك بأن ما أذاعه الراديو الفرنسي من أن الألمان في وارسو ربما يكون هو الذي غير الموقف (٢) . وقد عاد إلى الضغط على رئيس الوزراء في اليوم التالي ، لكن دون جدوى ، ذلك أن موقف الملك ، فيما يبدو ، قد حسم الأمر ، خاصة وقد أرسل إلى على ماهر فتوى من عبد الحميد بنوى بأن إعلان حالة الحرب يستلزم دعوة البرلمان ، وكان على ماهر يخشى قوة الوفد في مجلس الشيوخ (٣) .

(1) Halifax to Lampson, telegram No. 618,8 September 1939, F.O.407/223.

(2) Lampson to Halifax, telegram No. 562,8 September 1939, F.O.407/223.

(3) telegram No. 570,9 September 1939, F.O. 407/223.

وجد على ماهر نفسه في وضع مئىء ، فتحرك في ثلاثة اتجاهات : دعا مجلس الوزراء إلى الانعقاد في ٩ سبتمبر لمناقشة موضوع إعلان حالة الحرب ، وأرسل في نفس اليوم إلى لامبسون مذكرة يوضح موقفه من هذه الموضوع ، وأرسل إلى حسن نشأت ليتصل بالخارجية البريطانية يشكو ضغط السفير عليه . وقد رجع مجلس الوزراء في قراره السابق بإعلان حالة الحرب ، وقرر أنه يجب دعوة البرلمان إلى الانعقاد قبل إعلان الحرب أيا كانت طبيعة إعلانها . وهكذا ، حسم المجلس الموقف (١).

أما مذكرة على ماهر إلى السفير فقد تضمنت ست نقاط رئيسية هي : (أ) لا يمكن إعلان الحرب الهجومية دون موافقة البرلمان ، والحالة القائمة هي حالة حرب هجومية غير مباشرة ضد بريطانيا ، مما يثير الشكوك في اعتبار إعلان مصر الحرب يمكن أن يعتبر حرباً غير هجومية . (ب) حين تعهدت مصر قبل قيام الحرب بإعلان الحرب رسمياً كان ذلك على أساس أن إيطاليا ستدخل الحرب وتهاجم القوات البريطانية في مصر . ويستدل رئيس الوزراء على ذلك بطلبه المتكررة للأسلحة والتعزيزات . (ج) اتخذت مصر بالفعل جميع الاجراءات التي طلبت الحكومة البريطانية اتخاذها . وقد أعلنت السلطات العسكرية البريطانية في مصر رضاهن عن هذه الاجراءات التي يعتبرونها كافية . (د) إعلان حالة الحرب رسمياً لن يضيف شيئاً إلى السلطات التي تتمتع بها الحكومة ، وستتخذ الحكومة جميع الاجراءات اللازمة . (هـ) أن مصر ، باعتبارها محايدة من الوجهة الفنية ، يمكن أن تكون أكثر فائدة لبريطانيا ، إذ ستحتفظ بعلاقاتها التجارية مع الدول المحايدة . (و) لو نشأت حالة تستدعي اتخاذ اجراءات جديدة وضرورية لا يمكن اتخاذها دون إعلان حالة الحرب رسمياً ، فان رئيس الوزراء سينظر في اتخاذ أية خطوات دستورية لتحقيق ذلك (٢) . وقد كتب لامبسون إلى هاليفاكس في ١٢ سبتمبر

(١) محمد صبيح ، طريق الحرية ، ص ٣٢ . يقول محمد صبيح أن مجلس الوزراء قرر عدم دخول الحرب ضد ألمانيا . لكنه لا يوضح تاريخ القرار .

Lampson to Halifax, telegram No. 582, 12 September 1939, F.O. 407/223.

(2) Lampson to Halifax, telegram No. 575, 10 September 1939, F.O. 407/223.

انظر نصاً عربياً لخطاب برقم ٤-٩/١ بتاريخ ٩ سبتمبر يقول عبد الوهاب طلمت أن على ماهر =

معلقاً على هذه المذكرة وما تضمنته من نقاط فقال ان النقطة الثانية صحيحة ،
والنقطتان الثالثة والرابعة صحيحتان فيما عدا عدم إعلان مصر حالة الحرب ، كما أن
السلطات العسكرية البريطانية ترى أن عدم إعلان حالة الحرب قد أدى إلى بعض
العقبات . وقد يؤدى في المستقبل إلى قيام عقبات أخرى . وخلص من ذلك إلى
أن موقف الجانب البريطانى يتوقف على المقارنة بين المضار التى تترتب على هذه
العقبات وتلك التى تترتب على فقدان تعاون مصر قليباً وعن طيب خاطر ، ودفعها
إلى إعلان الحرب كارهة . وانتهى إلى أن تقديره للموقف ككل هو أنه يحس بالجانب
البريطانى أن يسلم بأن الحكومة المصرية ليست على استعداد لإعلان الحرب في هذا
الوقت(١) .

وقد انتهى هاليفاكس إلى نفس النتيجة ، وبخاصة بعد أن قابله حسن نشأت
يوم ١٢ سبتمبر وأبلغه شكوى على ماهر من ضغط السفارة ، فكتب إلى لامبسون
في اليوم التالى يقول انه يبدو أن فرصة الحصول على إجماع الوزراء على إعلان حالة
الحرب قد ولت ، وأن هذا الإعلان لن يتم إلا بعد أن يعرض على البرلمان ، وقد
ينتهى الأمر بالرفض . لهذا فانه لا جدوى من إعادة الضغط على الحكومة المصرية
في هذا الموضوع(٢) .

يمكن أن نستخلص الحقائق التالية من استعراض هذه الوثائق وأقوال المختصين
المصريين :

في يوم أول سبتمبر طلب لامبسون من على ماهر أن يفي بتعهداته لبتان
وبالزمامات مصر بمقتضى المعاهدة ، وذلك بأن تعلن مصر حالة الحرب حين تدخل
بريطانيا الحرب فعلاً . كان ذلك في المقابلة الثانية بين الرجلين التى تمت في ذلك
اليوم في المساء . وفي الاجتماع الثانى لمجلس الوزراء الذى عقد في مساء ذلك اليوم

=أرسله إلى السفير البريطانى وقد نشره في اهرام ١٦ مارس ١٩٧٣ ، والخطاب يتضمن تلك المقام
مع تفصيلات واختلافات بسيطة لا تحمل بها .

(1) Lampson to Halifax telegram No. 585, 2 September 1939, F.O. 407/223.

(2) Halifax to Lampson, telegram No. 651, 13 September 1939, F.O. 407/223.

أيضاً (١) ، عرض على ماهر الموضوع على زملائه : في هذا الاجتماع التزم على ماهر الصمت واكتفى بأن يعرض عبد الحميد بلوى ومؤيدو الحرب من السعديين وغيرهم وجهة النظر المؤيدة للحرب : ولا شك أن هذا الموقف أملتة وعوده للجانب البريطاني ورغبته في الاحتفاظ بعلاقات ودية معه من جهة ، وإحراكه لاتجاهات السراى من جهة أخرى . انتهى الأمر على أية حال بموافقة مجلس الوزراء على إعلان حالة الحرب بالأغلبية ، وهى الموافقة التى دفعت عبد الرحمن عزام إلى تقديم استقالته ، لكن على ماهر أقنعه بسحبها ، فقد كان يلزم خطورة ذلك على مركزه فى وقت لا يتمتع فيه فى البرلمان بأغلبية تمكنه من مواجهة العاصفة التى تتلوا استقالة كهذه . هذا الاجتماع ، وهذا القرار ، لا يظهر فيما لدينا من وثائق بريطانية . لكنه واضح فى تعهد على ماهر رسمياً وكتابه للسفير البريطانى فى اليوم التالى ، كما تقول الوثائق البريطانية ، بأن الحكومة المصرية مستعدة لإعلان حالة الحرب . ذلك أن على ماهر ما كان ليعطى هذا التعهد دون قرار من مجلس الوزراء (١) .

كان هذا فى اليوم الأول للحرب ، وكان التساؤل عاماً عن موقف إيطاليا وانخوف من هجوم تقوم به على مصر ، مع ضعف وسائل الدفاع عنها ، منتشرأ . وقد بدأ سفر الجنود المصرية إلى الحدود لتتخذ المواقع المحددة لها فى حالة الطوارئ ، وبدأ وعظهم البذل النفس للدفاع عن بلدهم . وبدأ أيضاً كثير من رجال مصر وشبانها يتقدمون للتطوع فى صفوف الجيش المصرى ، بينهم كثير من المهندسين والأطباء وخريجي المعاهد العليا وعلماء الأزهر (٢) . كل هذا توقعأ لدخول إيطاليا الحرب . لكن الأخبار أتت متأخرة عن قرار إيطاليا بعدم اتخاذ أى إجراء حربى . ولا شك أن الملك فاروق كان يعبر عن رأى الكثيرين عندما قال للامبسون حين قابله فى أصيل ذلك اليوم الأول للحرب أنه لا شك أن إيطاليا تريد أن تبقى على الحياد ، وأن تظل على أطراف الصراع الدائر ترقب الحالة حتى تحين اللحظة المناسبة فتدخل فيه (٣) .

(١) الأهرام ٢ سبتمبر ١٩٣٩ .

(٢) المصرى ، أول سبتمبر ، الأهرام ٥ و ٨ سبتمبر ، المقطم ٥ سبتمبر ١٩٣٩ .

(٣) Lampson to Halifax, telegram No. 507, 1 September 1939, F.O. 407/223.

في اليوم التالي اتضح موقف إيطاليا بشكل أكثر ، وبخاصة بعد أن قابل حاتروليني وزيرها المفوض في مصر على ماهر ، وأكد له ما تكنه إيطاليا لمصر من صداقة ومودة ، وأنها قد اعترمت الاحتفاظ بحيدتها فلن تبدأ الهجوم على أية دولة أخرى (١) . وبدأت الجرائد المصرية تكتب عن حياد إيطاليا وكيف أنه يبعد عن مصر شبح دخولها الحرب ، فيوفر عليها ملايين الجنيتات وعشرات الأرواح من زهرة شبابها ، ورجحت بعض الجرائد استمرار موقف الحياد هذا (٢) . ساعد هذا على بلورة الرأي العام واتجاهه إلى عدم دخول الحرب . وصرح عبد الرحمن عزام أن مصر ستكون « على حدود المعاهدة الإنجليزية » (٣) ، أي أنها لن تزيد على التزاماتها بمقتضى المعاهدة شيئاً .

كان هذا هو الجو العام في مصر حين أعلنت بريطانيا وفرنسا الحرب على ألمانيا في الثالث من سبتمبر ، وقابل لامبسون رئيس الوزراء (٤) ، ولا شك أنه طالبه بالوفاء بتعهداته وإعلان حالة الحرب . وهكذا أصبح على مصر أن تحدد موقفها ، فجمع على ماهر مجلس الوزراء في مساء ذلك اليوم ليناقد الأمر من جديد . كان طبعياً في هذه الظروف أن يتغلب المعارضون لإعلان الحرب ، وأن يرجع مجلس الوزراء عن قراره السابق ، وألا تعلن مصر حالة الحرب مع ألمانيا . واكتفى مجلس الوزراء بقطع العلاقات الدبلوماسية واعتقال الرعايا الألمان من الرجال : إلى هذا القرار يشير لامبسون حين يقول أنه قابل على ماهر صباح اليوم التالي ، وحضره بشدة من الآثار الحزنة التي تركها في لندن القرار الذي اتخذته مجلس الوزراء في الليلة السابقة ، وحثه على إقناع زملائه الأربعة المترددين بالموافقة على إعلان حالة الحرب (٥) .

تلك كانت بداية نصاعد الضغط على رئيس الوزراء لإعلان حالة الحرب . وقد أخذ هذا الضغط يتزايد ، فقابل لامبسون على ماهر يوم ٦ سبتمبر وحثه ثانية

(١) الأهرام ، ٣ سبتمبر ١٩٣٩ .

(٢) الأهرام ، ٢ و ٤ سبتمبر ، البلاغ ٣ سبتمبر ١٩٣٩ .

(٣) المقلم ، ٣ سبتمبر ١٩٣٩ .

(٤) الأهرام ، ٤ سبتمبر ١٩٣٩ .

(٥) أنظر عاليه ص ١١٣ .

على إعلان حالة الحرب . وعاد في صباح اليوم التالي ليزاول ضغطاً شديداً عليه للتغلب على معارضة زملائه - باعتباره رجلاً قوياً - وإعلان حالة الحرب . بل إنه تجاوز الضغط إلى التهديد بأنه من الأفضل أن يستجيب على أن يرغم على الاستجابة . (أو الاستقالة) نتيجة تعليقات قاطعة يتوقع لامبسون أن يتلقاها من لندن في أية لحظة (١) .

أثّر هذا الضغط الشديد والتهديد قرار مجلس الوزراء الذي بلغ إلى لامبسون قبيل صباح ٨ سبتمبر . وكان قراراً إجماعياً بالموافقة على إعلان حالة الحرب . لكنها كانت موافقة مقيدة بتحفظ ومصحوبة بمطالب . أما التحفظ فهو الحصول على خطاب من الحكومة البريطانية بعدم كفاية ما اتخذ من إجراءات ، وبضرورة إعلان حالة الحرب . هو القشة التي أراد أن يتعلق بها على ماهر ليصفو بعيداً عن الخطر الذي يتخاضه من دعوة البرلمان للموافقة على الإعلان . وهو يعتمد في ذلك على منطق عبد الحميد بدوى الذي بدأت به مشكلة إعلان الأحكام العرفية ، ويقضي بإمكان إصدار القرارات والقوانين المنفذة لالتزامات مصر بمقتضى المعاهدة دون الحاجة إلى موافقة البرلمان ، لأن البرلمان سبق أن وافق على القانون الذي صدرت به المعاهدة ، كما أنه اعتمد أيضاً على فتوى عبد الحميد بدوى التي قال بها في إجتماع مجلس الوزراء يوم أول سبتمبر بأن مصر ملتزمة بدخول الحرب إلى جانب بريطانيا بمقتضى المعاهدة . أما المطالب فكانت الثمن الذي قدم إلى الوزراء المعارضين للحصول على موافقتهم ، ولإرضاء الرأى العام ، وتتضمن المساعدة في عودة المصريين من الخارج ، وتأمين البواخر المصرية الموجودة حينئذ في البحر المتوسط (٢) .

إن أى طرف يتخذ قراراً تحت ضغط يتلمس الفرص للرجوع في هذا القرار ، خاصة إذا تغيرت الظروف بما يظهر الضرر منه . وهذا ما حدث ، ففي نفس اليوم الذي بلغ فيه لامبسون بالقرار وصل تلغراف من السفير المصرى في لندن عن مقابلة تمت بينه وبين مستر بتلر في وزارة الخارجية البريطانية يوم ٦ سبتمبر . وكان مضمون جانب من الحديث فيها ترحيب مستر بتلر بفكرة استفادة بريطانيا من وضع

(١) أنظر عاليه ص ١١٣ - ١١٥ .

(٢) أنظر عاليه ص ١١٦ .

مصر كئولة غير محاربة في شراء المواد الحربية من الولايات المتحدة عن طريقها ،^(١) وقوله أنه سيعرض ذلك على لورد هاليفاكس. يضاف إلى ذلك الأخبار التي وصلت عن انتصارات الألمان الكاسحة في بولندا ووصول قواتهم إلى ضواحي وارسو ، وقد قوى ذلك من موقف الفريق من الوزراء الذي كان معارضاً لإعلان حالة الحرب ، فرجع في موافقته على الإعلان . أما الفريق الموافق على الإعلان فقد آثر أن يتأني . لكن الحديد في الموضوع أن الملك أسفر عن موقفه فرمى بثقله إلى جانب المعارضين ، واستخلص فتوى من عبد الحميد بدوى بأن إعلان حالة الحرب يستلحق دعوة البرلمان . هذه الخطوة من الملك ، وفتوى عبد الحميد بدوى حسمت موقف على ماهر الذي كان يخشى عرض الموضوع على البرلمان (١) ، وما كان يمكنه^(٢) أن يتغاضى عن موقف الملك ووزارته ووزارة القصر .

يقول لامبسون في إيضاح مخاوف على ماهر تلك أنه متخوف من مجلس الشيوخ بالذات . لكن حسن نشأت ، في حديثه مع هاليفاكس ، حين أبلغه شكوى على ماهر من ضغط السفارة عليه ، يزيد هذا الأمر إيضاحاً فيقول ، معلناً على الموقف من إعلان حالة الحرب ، بأنه لا يمكن ضمان الموافقة على الإعلان في البرلمان بالإجماع ، وأن الاعتراض عليه - حتى لو كان من ١٠ ٪ من الأعضاء - سيكون أمراً يؤسف له . ولا شك أن حسن نشأت يقصد بذلك أن قرار إعلان حالة الحرب إلى جانب بريطانيا ، علوة الوطنية المصرية حتى معاهدة ١٩٣٦ ، يجب أن يكون بالإجماع ليكون ملازماً للجميع ، فلا تقوم معارضة تضعف موقف الحكومة وتحول دون قيام وحدة وطنية خلفها وإلى جانب بريطانيا . وقد أضاف حسن نشأت إلى قوله هذا أن الحقيقة هي أنه لا يمكن ضمان الموافقة عليه ، حتى بالأغلبية ، لأنه ليس لملي ماهر نفوذ على المستقلين ، وهم في حقيقة الأمر وفدين لا يكشفون عن وفديتهم^(٢) . تلك هي الأسباب التي جعلت المجلس في ٩ سبتمبر يرجع في القرار الذي اتخذته قبل ذلك بيومين بإعلان حالة الحرب ، وذلك بموافقة مختلف الأطراف في المجلس .

(١) أنظر عالية ص ١١٧ .

(2) Halifax to Lampson, No. 1038, 12 September 1939, F.O. 407/223.

هذه القرارات الأربع المتعارضة بين أيام ١ و ٩ سبتمبر ، والتي بدأت بالموافقة على إعلان حالة الحرب و انتهت برفض ذلك الإعلان ، توضح صراعاً داخل المجلس بين مؤيدي إعلان حالة الحرب والمعارضين . وكانت النتيجة المتغيرة لهذا الصراع هي مخصلة تفاعل عوامل ثلاث أساسية هي الموقف الدولي ، وبخاصة الموقف العسكري ، وقوة الضغط البريطاني . أما العامل الثالث فهو الموقف الداخلي وأثر العاملين السابقين عليه .

حين كان خطر الهجوم الإيطالي ماثلاً لم يكن أمام مصر ، بضعفها العسكري ، سوى أن تقف مع بريطانيا . وهكذا صدر قرار بإعلان حالة الحرب حين تعلنها بريطانيا . وحين وضح أن الخطر الإيطالي ليس داهماً ، وأن الأمر سيصبح زجاً بمصر في حرب لا شأن لها بها بين ألمانيا وبريطانيا ، العدو الحقيقي لأمان مصر القومية ، رجع المجلس عن قراره وأصبح الوضع ، كما قال عبد الرحمن عزام ، الوقوف « عند حد المعاهدة » . حينئذ أخذت انتصارات الألمان في بولندا تضغط على كل من الجانبين في اتجاه مضاد للاتجاه الذي تضغط به على الجانب الآخر . فالجانب البريطاني رأى ضرورة إدخال مصر بسرعة في الحرب إلى جانبه ، لأن أي تأخير في ذلك سيؤدي إلى زيادة ترددها وعدم دخولها في النهاية . أما الجانب المصري فانه إزاء هذه الانتصارات ، وإزاء التضحيات والمشكلات التي ستترتب على الحرب ومنها مشكلة المصريين المحتجزين في ألمانيا التي أصبح يخشى أن تؤثر على الرأي العام في مصر ، قد رأى أن تبقى مصر بعيداً عن الحرب خاصة وأنه سيكون من الصعب إقناع البرلمان والرأي العام بدخولها . وهكذا وقع على ماهر ضغط بريطاني عنيف ، بلغ حد التهديد ، بضرورة إعلان حالة الحرب ، فخفض مجلس الوزراء للضغط وصدر قراره بالموافقة على الإعلان ، لكن ذلك كان إلى حين ، فان وصول الألمان إلى ضواحي وارسو قوى من المعارضة في مجلس الوزراء ، ورمى فاروق بثقله إلى جانبه ، فعدل المجلس عن قراره نهائياً .

واضح من هذه الصورة لمشكلة إعلان حالة الحرب أن الاعتماد الأساسي في تكوينها على الوثائق البريطانية وأخبار الجرائد الصادرة ، مع الاستعانة بالمصادر المصرية الثلاث (على ماهر ومحمد صبيح وعبد الرحمن عزام) بتحفظ . ونلاحظ

أن المصدر الثاني يروى عن المصدر الأول وعن محمد صالح حرب . والحقيقة أن كلا من هذه المصادر الثلاث لا يصور سوى وضعاً واحداً ، هو الوضع الذي يناسبه ، من موقف متطور متغير . فعلى ماهر فى شهادته فى قضية أمين عثمان ، وفيما أدلى به إلى محمد صبيح من معلومات ، ينسب لنفسه فضلين ، هما تجنب مصر الدخول فى الحرب ، ومحاولة مساومة بريطانيا لاستكمال استقلال مصر مقابل دخولها الحرب . الوثيقة التى نشرها محمد صبيح - وسرى أن الوثائق البريطانية تؤكد صحتها ، وما نشره عبد الوهاب طلعت فى الأهرام ، والوثائق البريطانية التى أشرنا إليها . توضح أن على ماهر ليس له نصيب كبير من الفضل الأول ، وأن السبق فى هذا كان لغيره . فلك المصادر تثبت أنه أرسل فى يوم ٢ سبتمبر إلى السفير البريطانى رسمياً يوضح استعدادده لإعلان حالة الحرب ، كما أنه وافق على إعلان حالة الحرب فى اجتماع مجلس الوزراء يوم ٧ سبتمبر ، كما أنه عبر للاميسون عدة مرات عن استعدادده شخصياً لإعلان حالة الحرب ، وأن ما يعوقه هو حاجته إلى إجماع زملائه الوزراء . والحق أن على ماهر . كرئيس للوزراء ، قد اتخذ هذا الفضل لنفسه ، واستغله كرسيد سياسى يرتكن عليه ويباهى به فيما بعد حين تبلور الرأى العام واستقر على تجنب مصر أن تساق إلى دخول الحرب ، أما موضوع مساومة بريطانيا لاستكمال استقلال مصر فيغلب أنها لم تكن فكرة على ماهر ، بل فكرة عبد الرحمن عزام . يبلو هذا مما يقوله محمد صبيح ، بناء على معلوماته من على ماهر نفسه ، من أن عبد الرحمن عزام كان « يرى التفاهم للحصول على مكاسب من الإنجليز » (١) . يضاف إلى ذلك أن ما نحت يدنا من وثائق بريطانية يخلو من أية إشارة لمحاولة على ماهر القيام بهذه المساومة بنفسه ، وكل ما تتضمنه هو ما قاله لاميسون عن مقابلته لعل ماهر يوم ٤ سبتمبر من أن رئيس الوزراء « وافق على أن يطلب إلى عزام باشا [كان عزام حينئذ حائزاً على لقب بك فقط] أن يناقش فى الحال اعتراضاته [على إعلان حالة الحرب] مع مستر بيتان » (٢) .

(١) محمد صبيح ، طريق الحرية ، ص ٢٨ .

(٢) Lampson to Halifax, telegram No. 527, 4 September 1939, F.O. 407/223.

وهذا يعزز رواية عبد الرحمن عزام في مجلة آخر ساعة من أنه كان معارضاً لإعلان الحرب ، ولو أنه كان من رأيه أن ذلك قد يكون مقبولا لو كان هناك مقابل له ، كوعد بالخلاء وتوقيع عن الخسائر ، وأنه قام بناء على طلب على ماهر بالاتصال بالجانب البريطاني لإقناعه بعدم الإصرار على طلبه ، وأن الاتصالات أسفرت عن إصرار الجانب البريطاني على عدم تقديم أى تنازلات مقابل إعلان الحرب (١) . أى أن محاولة المساومة تمت ، لكن عن غير طريق رئيس الوزراء ولو أنها بعلقه ، وكانت ضمن جملة اعتراضات أثارها عبد الرحمن عزام . وربما كان هذا هو السبب في إهمال ذكرها تفصيلا في الوثائق البريطانية ، في عدم أخذها مأخذ الجد باعتبارها وجهة نظر فردية . هذا الموقف المتخاذل من على ماهر يرجع إلى ضعف موقف وزارته ، وحساسية العلاقات بينه وبين الجانب البريطاني .

لقد ركز على ماهر في أقواله في قضية مقتل أمين عثمان ، وفي معلوماته التي أبلج بها إلى محمد صبيح على قرار مجلس الوزراء يوم ٩ سبتمبر بعدم إعلان حالة الحرب ، واتخذ لنفسه الفضل في الوصول إلى هذا القرار ، وتجاهل تماماً قرارى الأول والسابع من سبتمبر بإعلان حالة الحرب ، بل أنه نفي صحة ما ورد في الوثيقة التي نشرها محمد صبيح عن إجتماع مجلس الوزراء في ٧ سبتمبر وما تضمنته من قرار ومن مواقف الوزراء المختلفين من موضوع الإعلان (٢) .

تلك الوثيقة صحيحة رغم تكذيب على ماهر وصالح حرب ما تضمنته من بيانات . يؤكد صحفها تليفراف لامبسون إلى هاليفاكس في ٨ سبتمبر متضمناً أخبار زيارة محمد كامل سليم سكرتير عام مجلس الوزراء وما أبلغه به من قرار مجلس الوزراء في مساء ٧ سبتمبر (٣) .

يتضح من هذا أنه لا يمكن الأخذ بما روى نقلا عن على ماهر وصالح حرب دون الاستناد إلى مصادر أخرى تؤيده .

(١) انظر عاليه ، ص ١١٢ .

(٢) محمد صبيح ، طريق الحرية ، ص ٣٠ .

(٣) انظر عاليه ص ١١٦ .

أما المصدر الثالث ، عبد الرحمن عزام ، فإن ما يرويه عن اعتراضه على إعلان حالة الحرب دون الحصول على مكاسب من بريطانيا تؤكده رواية محمد صبيح والوثائق البريطانية ، كما سبق أن أوضحنا . لكنه بدوره يركز في كلامه على إجتماع مجلس الوزراء أيام الأول والتاسع من سبتمبر ، ويتجاهل إجتماع السابع من سبتمبر الذى صدر فيه قرار المجلس بالإجتماع بإعلان حالة الحرب . كما أنه يقرر أنه وحده الذى اعترض على الإعلان ، بينما تثبت الوثيقة التى نشرها محمد صبيح ، وتثبت الوثائق البريطانية ، أنه كان هناك آخرون معارضون . وهذا يسوقنا إلى المعارضين والمؤيدين من الوزراء لإعلان حالة الحرب .

ناقشنا موقف على ماهر من موضوع الإعلان ، ويبقى موقف باقى الوزراء . عبد الرحمن عزام يشير إلى معارضته وحده للإعلان في إجتماع أول سبتمبر ، وإلى استمرار معارضته له . تقرير عبد الوهاب طلعت الذى نشره محمد صبيح عن إجتماع ٧ سبتمبر يشير إلى معارضة مصطفى الشوربجي بك وزير العدل للإعلان على أساس « أن ما تم فوق الكفاية وأن المعاهدة لا تلزمنا بشيء أكثر من ذلك . وليس للمصر شأن في الخلاف القائم الآن » . ويشير أيضاً إلى أن عبد الرحمن عزام مع موافقته لرأى الشوربجي ، يرى الانتظار على الأقل حتى يعود كل المصريين من الخارج ، وكذلك البواخر المصرية . كما يشير إلى وجود فريق يوافق على الإعلان ويتكون من حسين باشا سرى ومحمد على علوبة باشا وآخرين . أما الوثائق البريطانية فتشير إلى معارضة أربعة وزراء للإعلان ، ذكر منهم لامبسون عبد الرحمن عزام ومحمد صالح حرب (١) ، وأشار إلى أنه يقال أن عدم إعلان حالة الحرب يرجع إلى نفوذ عزام إلى حد كبير (٢) . ويذكر حسين سرى باشا وزير المالية للامبسون أن المعارضين هم عزام وغالب ، أى محمود غالب باشا وزير المواصلات . أما الموافقون على الإعلان فتذكر منهم تلك الوثائق حسين سرى ومحمود فهمى النقراشى وزير الأشغال (٣) .

(1) Lampson to Halifax, telegram No. 527, 4 September 1939, F.O. 407/223.

(2) Same to same, No. 145, 8 February 1940, F.O. 407/224.

(3) Sam to seams, telegram No. 559, 16 September 1939 F.O. 407/223.

يتضح من هذا أن المعارضة الأساسية النشطة كانت من عبد الرحمن عزام ومصطفى الشوربجي ، والأخير أصلاً حزب وطني ، وأن المعارضين الآخرين هم صالحي حرب ومحمود غالب . أما الموافقين فأبرزهم حسين سري والتقراشي وعلوبه لكن ينبغي أن نلاحظ أن المعارضة اضطرت إلى التخلي عن موقفها تحت التهديد البريطاني ، وذلك في إجتماع يوم ٧ سبتمبر الذي صدر فيه قرار الإعلان بالإجماع ، والملاحظة الأخيرة في هذا الموضوع هي استمرار ما أشرنا إليه من انقسام السعديين فيما يختص بالحرب ، يوضح ذلك موقف كل من التقراشي ومحمود غالب .

(يتبع)

الوثائق القانونية المشطورة

للدكتور حسن على حسن الحلوه

. استاذ الوثائق المساعد - قسم المكتبات والوثائق

كلية الآداب - جامعة القاهرة

جاءتنا من العصر الوسيط أمثلة كثيرة من لون من الوثائق القانونية يعرف باسم
الوثائق القانونية المشطورة (بالفرنسية chirographe أو charte partie) (١) .

(أولاً) شكلها : المثل (الأصول) والشاطر والقطع (٢) :

تتميز هذه الوثائق المشطورة عن غيرها من الوثائق بسمه من سمات الشكل
الخارجي اختصت بها ، فحق لها هذا الاسم الذي صار علماً عليها : فقد كانوا
يكتبون على ورقة واحدة من الرق عدة أصول من الفعل القانوني المراد توثيقه ،
ويتركون بينها يياًضاً يفصلها عن بعضها ، ويشغلون هذا اليأض بشاطر (٣) يتمثل
في كتابة (devise ، légende) يكتبونها بحروف كبيرة ، أو مونوجرام
(mongogramme) (٤) يخطونه ، أو رسم يرسمون ، ويقصون هذا الشاطر
بالمقص قصاً طويلاً في منتصفه ، ليفصلوا هذه الأصول عن بعضها واحدة واحدة ،
ويعطوا لكل صاحب شأن أصلاً منها . ومن هنا كانت تسميتها بالوثائق المشطورة .
وهي ، من هذا الوجه ، تشبه السجلات ذات القسام (registres à souche)
المنتشرة اليوم ، حيث يفصلون الصك (titre) عن قسمته (souche) .

(أ) المثل (الأصول) :

وعندما يكون عرض ورقة الرق أكبر من ارتفاعها ، كانوا يكتبون الأصول
عليها جنباً إلى جنب . وعندما يكون ارتفاعها أكبر من عرضها ، كانوا يكتبونها
الواحدة تلو الأخرى . وعندما تكون ورقة الرق مربعة ، كانوا يكتبونها في الأركان .

١٧٩

(١ - مجلة الآداب)

(ب) الشاطر :

ويغلب على الشاطر أن يكون كتابة (devise ، légende) (٥) . وتتنوع الكتابات الشاطرة تنوعاً لا حد له ، لكنه لا يسمح ، مع ذلك ، أن نصنفها تبعاً للزمان والمكان تصنيفاً يفيد النقد الدبلوماسيتي (٦) . ويغلب على الكتابات الشاطرة كتابتان ، هما : لفظة chirographum (أ) ، وسلسلة الحروف الألفبائية الأبجدية الأولى (ب) ، وتزاحمها كتابات أخرى كثيرة متنوعة لا تخضع للقاعدة وتظهر اتفاقاً تبعاً لهوى الكاتب وإهامه (ج) .

» لفظ chirographum

كان يطلق هذا اللفظ في العصر القديم الروماني على الوثيقة القانونية المكتوبة بخط يد الفاعل (auteur) أو بخط يد وكيله (mandataire) ، التي كانت تستمد موثوقيتها (oredibilite) من هذه الأوتوجرافية . والكبروجرافات الإيطالية في العصر الوسيط التزامت متبادلة كتبها كل متعاقد على ورقة واحدة من الرق تقسم بعد ذلك ليأخذ كل متعاقد المثل (الأصل) الخاص به (٧) . وهي بذلك حلقة اتصال واضحة بين الكبروجراف الروماني والوثائق القانونية المشطورة في العصر الوسيط .

وكانت الوثيقة القانونية الخاصة تسمى في خلال النصف الأول من العصر الوسيط testamentum و chirographum . وقد ظل مفهوم اللفظ الأخير عاماً جداً حتى نهاية القرن الحادى عشر ، ثم أخذ يضيق إلى أن أصبح يطلق اللفظ على نوع خاص من الوثائق القانونية وهو الوثائق المشطورة التي نحن بصدددها .

وكان لفظ chirographum في الوثائق المشطورة يكتب وحده ، أو مصحوباً بصفة مثل هذه الصفات : chirographum pactum و chirographum memorile و (٨) chirographum manuscriptum ، chirographum comune . أو مصحوباً بمضاف إليه (génitif) يحدد طبيعة الوثيقة القانونية ، مثل chirographum venditionis و chirographum recognitionis ، أو يعين الطرف صاحب الشأن ، مثل chirographum Sancti Deodati . أو مصحوباً بمفعول ظرفي (ablatif)

يعين موضوع العقد ، مثل *chirographum de molendino* . وقد ترتب على هذا أن لفظة *cirographum* التي كانت تعبر في بداية الأمر عن جميع أنواع العقود أخذت تتخذ شيئاً فشيئاً مفهوماً أضيق ، ولم تعد تعني سوى الوثائق القانونية التي أنشئت في مثل (أصول) كثيرة. وصارت كلمة *cirographum* نفسها هي الكتابة الشاطرة في هذه الوثائق . وفي هذا المعنى يستخدمها كثير من مصنفى العصر الوسيط منذ نهاية القرن الثاني عشر . وفي هذا المعنى أيضاً نجدتها في عدد كبير من وثائق صهيحية (٩) . وإن كانوا يفضلون أن يقولوا في إنجلترا *charta cyrographata* .

سلسلة الحروف الأبجدية الأولى :

كانت هذه السلسلة الشاطرة شائعة شيوعاً لفظة *cirographum* ، وبخاصة في جنوب فرنسا . ومن هنا جاء اسم *littera per alphabetum divisa* في اللغة اللاتينية ، واسم *carta partida per ABC* في اللغة البروفانصالية ، الذي كثيراً ما كان يطلق على هذه الوثائق القانونية .

كتابات شاطرة أخرى :

وهناك كتابات كثيرة مختلفة لاتخضع لقاعدة وتظهر اتفاقاً تبعاً لمهوى الكاتب وإلهامه ، ومنها أسماء الفاعلين (*auteurs*) أو الأطراف المتعاقدة أو الحروف الأولى (*initiales*) من أسمائهم ، والإشارة إلى طريقة التوثيق (*clavis*) (١٠) ، (*cyrographi*) ، والبسملات (١١) (*invocations*) ، والصيغ الدينية (١٢) ، وأسماء القديسين وخاصة شفعاء الكنائس (١٣) ، وكلمة « قطع » (*sectio*) (١٤) . وقد يتفنن الكاتب في تركيب الكتابة الشاطرة ، ليجعل منها لغزاً طريفاً يعطينا مفتاحه في الوثيقة نفسها (١٥) .

الرسم :

وقد يكون الشاطر رسماً ، مثل الصليب (١٦) والأستان التي تشبه أسنان المنشار

مكان الشاطر :

وتشغل الكتابات الشاطرة ، والرسومات ، الحافة العليا أحياناً ، أو الحافة

السفلى أو الحافتين العليا والسفلى أحياناً ، أو إحدى الحافتين الجانبيتين أو كليهما معاً أحياناً ، أو إحدى الحافتين العليا والسفلى وإحدى الحافتين الجانبيتين أحياناً ، وذلك تبعاً لتنظيم المثل على ورقة الرق ، وتبعاً لمكان كل منها فيها ، وتبعاً لعدددها .

(ج) القطع :

قد يكون القطع الذى يقسم الشاطر فى منتصفه خطأ مستقيماً . وقد يكون خطأ منكسراً يحدث سلسلة من الأسنان تشبه أسنان المنشار . ويلاحظ هذا منذ القرن الثالث عشر ، فى إنجلترا على وجه الخصوص ، حيث سميت الوثائق المشطورة لهذا السبب باسم « الوثائق المسننة » (chartae indentatae) أو « المسننات » (indenturae) باللاتينية و (endentures) بالفرنسية (١٧) . وقد يكون خطأ متموجاً ، ومن هنا سميت الوثائق المشطورة باسم « وثيقة قانونية متموجة » (charta undulata) فى بعض الأحيان (١٨) . والأسلوبان الأخيران من أحدث الأساليب ، وكانا يحققان ضماناً أكبر . وهما يظهران فى « فلاندر » (Plandre) فى بداية القرن الثانى عشر . بينما غلب القطع المستقيم فى فرنسا بوجه عام .

(ثانياً) وظيفتها (١٩) :

الوثيقة المشطورة طريقة من طرق التوثيق فى العصر الوسيط — مثل الاختتام والتوقيعات وشهادات الشهود — لها قوة إثباتية كبيرة جداً : إذ كانوا عند الحاجة يثبتون صحة كل أصل من أصول الوثائق القانونية المشطورة بتقريب هذه الأصول بعضها من بعض ، فيكتمل بذلك الشاطر — كتابة كان أو رسماً — الذى كان يشغل الفاصل بين الأصول الملونة على ورقة الرق ، وتعود إليه صورته الأولى التى كان عليها قبل أن يقص بالمقص من منتصفه ، وتثبت بذلك صحة الأصول التى ضمت إلى بعضها على هذا النحو .

(ثالثاً) نشأتها (٢٠) :

لسنا نعرف على وجه التحديد متى ظهرت هذه الطريقة من طرق التوثيق . وهناك شك فى أن تكون ظهرت فى العصر المبروفنجى ، على الرغم من وجود

إشارات إلى أصول عدة، ونسخ وثائق قانونية لها نص واحد (chartae paricolae eodem tenore conscriptae) ، ومثل تعطى لكل طرف من الأطراف صاحبة الشأن . وعلى الرغم مما يشير إليه ويشي (Richer) في قصته (Historiarum lib. 1V, 29) عن تنصيب أرنو (Arnould) رئيساً لأساقفة رانس (Reins) عام ٩٨٩ م ، من أنه أنشئت وثيقة مقسومة أى مشطورة (cirographum bipertitum) تحتوى على التزاماته نحو ملك فرنسا، لأن كل هذه الإشارات تخلو من الإشارة إلى وجود «كتابة شـ ر ه» (devise) ، كما أنه لا يوجد لدينا من هذه الفترة أصل واحد له هيئة الوثيقة القانونية المشطورة .

وعلى كل حال ، يمكن القول ، على وجه العموم ، أن هذه الطريقة ظهرت عندما شاع الجهل بالكتابة . وأمحت بالتالى من الأذهان كل قيمة للتوقيع بخط اليد ، وقبل أن يفرض الختم نفسه على جميع الأوساط .

أقدم الأمثلة

ومن أقدم الأمثلة على الوثائق القانونية المشطورة ، وثيقة من فرنسا ، من عام ١٠١٣ م ، تشتمل على كتابة شاطرة تتألف من كلمة (signum) أى علامة ، يحيط بها صليبان (٢١) . ودبلوم لا يحمل تاريخاً صادر عن ملك فرنسا، هنرى الأول (Henri I) (١٠٣١ - ١٠٦٠ م) إلى دير سانت جنييف (abbaye de Sainte—Geneviève) ، يوجد فى أسفله ، فى المثال الذى وصل إلينا (٢٢) ، القسم الأسفل من حروف أبجدية كبيرة فى كتابة شاطرة تتكون من ثلاثة أسماء ، هى : PETRUS ، PAULUS ، GENOVEFA . واتفاق من نفس العصر تقريباً بين أسقف جبرون (évêque de Gérône) وروجر الأول (Roger 1) ، كومت فوا (comte de Foix) ، حيث تتألف الكتابة الشاطرة من حروف الأبجدية، من حرف A إلى حرف R ، ولم يحفظ المثال منها سوى القسم العلوى (٢٣) .

آراء مختلفة فى أصل الطريقة :

وقد اختلفت الآراء فى أصل هذه الطريقة من طرق التوثيق والإثبات . فالبيض (٢٤) يجعلها بدعة أنجلوساكسونية ، ابتدعها الأنجلوساكسون ، الذين كانوا

لا يعرفون نظام الموثقين ، لتوثيق وثائقهم القانونية . والبعض (٢٥) يلحقها بالـ Syngraphac الرومانية ، وهو رأي يثير من حوله جدلاً شديداً (٢٦) ، كما أنه ليس بجديد ، فقد سبق أن ناقشه البندكتيون في القرن الثامن عشر (٢٧) . والحقيقة أنه ليس هناك ما يثبت أن المثل المتعددة التي كان ينشوها الرومان لتكون مستندات لأكثر من مكتوب إليه — تشتمل على الشاطر الذي يضمن على وثائق العصر الوسيط المشطورة قوتها الإثباتية (٢٨) . والبعض (٢٩) يلحقها بالرمز الجرمانى القديم *festuca notata* ، مرجعاً بذلك أصلها إلى العصر الوسيط . والبعض (٣٠) يسلم بأن القدماء عرفوا طريقة الإثبات القائمة على التقريب بين عدة أجزاء مفصولة من قطعة واحدة (٣١) وأن هذه الطريقة ، عندما طبقت على الوثائق المكتوبة أنتجت الوثيقة القانونية المشطورة .

(رابعاً) انتشارها (٣٢) واطمئنانها (٣٣) :

انتشرت الوثائق القانونية المشطورة في عصر كانت فيه ذاكرة الشهود الأحياء هي وحدها السبيل إلى إثبات صحة عدد كبير من التصرفات القانونية . فنذ القرن الثاني عشر اتخذها السادة العلمانيون والأساقفة والملوك (٣٤) وسيلة للتوثيق ، وكانت تعتبر حينئذ في نظر الناس أفضل مستند يمكن الاعتماد عليه في نض المنازعات (٣٥) . ووثقوا بها أنواع مختلفة من التصرفات القانونية مثل الامتيازات (*privilèges*) والهبات (*donations*) ووثائق الكوميونات (*chartes de communes*) ووثائق الاعتراف الاقطاعي (*chartes d'aveu*) ، وغيرها ، وعلى وجه الخصوص التصرفات القانونية التي تقتضى أن ينشأ عدد من الأصول بقدر ما هناك من أطراف ، مثل الاتفاقات (*accords*) ، والمواثيق (*conventions*) والاستبدالات (*échanges*) ، ولا سيما العقود التي يحفظون منها أصلاً في مقر الهيئة القضائية التي عملتها .

نصورها :

وبعبارة أخرى هذه الطريقة من طرق الإثبات أن صاحب الوثيقة المشطورة لا يستطيع أن يثبت بحسبها ، أى صحة المثال الذى بين يديه إلا إذا وجد المثال المقابل ، ولم يرفض

صاحبه تقديمه . أما إذا لم يوجد المثال المقابل ، أو وجد ورفض صاحبه أن يقدمه ، ضاعت كل قيمة إثباتية للوثيقة المشطوبة .

علاج القصور :

وكي يتجنبوا الأضرار التي تترتب على هذا القصور ، لجأوا إلى الختم (٣٦) ، فختموا معظم الوثائق المشطوبة ، وكانت لهم في ختمها طريقتان : أن يختموا المثل (الأصول) كلها بختم واحد معتمد ، أو أن يختم كل من المتعاقدين بختمه الخاص مثل المتعاقدين الآخرين (٣٧) .

الإضمحلال :

وكان استعمال الختم في الوثائق القانونية المشطوبة إيداعاً بتدهورها ، بما هي طريقة من طرق التوثيق والإثبات . فقد أخذت تراجع ، منذ القرن الثاني عشر ، تدريجياً ، أمام تعاظم سلطان الختم ، واشتد تراجعها في بداية القرن الثالث عشر (٣٨) ، وأصبحت في النصف الثاني من نفس القرن مجرد وسيلة عديمة القيمة (٣٩) . ولم يكن هذا التراجع قاصراً على فرنسا (٤٠) وحدها ، بل امتد أيضاً إلى ألمانيا منذ القرن الرابع عشر ، حيث أخذ يغفل الوثيقة القانونية للمشطوبة كل شخص أو كل هيئة يملك ختماً أو يستطيع أن يحصل على وثيقة قانونية مخنومة ، إلا في الريف ولتوثيق مسائل قليلة الأهمية . أما إنجلترا ، التي ظلت محرومة من نظام الموثقين فترة طويلة من الزمن ، فقد احتفظت باستخدام « المسننات » ، وهي كثيرة في الـ Ancient Deeds في الـ Public Record Office .

(خامساً) تسميتها :

كانت الوثائق القانونية المشطوبة تسمى في العصر الوسيط بأسماء مختلفة تبعاً لظروف كل وثيقة ، وتبعاً للمكان الذي أنشئت فيه ، دون أن نستطيع أن نستخلص قاعدة محددة تماماً في هذا الشأن . وهذه الأسماء هي :

(٤١) chartae chirographatae أو cirographum . charta cyrographata أو chirographa أو cyrographa أو cyrographi . chartae partitae أو

littera per alphabetum divisa . chartes parties وبالفرنسية^(٤٢) chartae divisae
 charta indentatae أو indenturae . carta partida per ABC وباللغة البروفانصالية
 charates per cyrographum . charta undulata . endentures وبالفرنسية
 chartae per cyrographum partitae أو divisiae
 وقد بينا مفاهيم هذه الأسماء في صلب المقال .

الحواشي

- (١) أنظر على سبيل المثال لا الحصر الأمثلة التي أوردها دي بوار ، ١ ص ٣٦٥ - ٣٧١ ، جيرى ، ص ٥١٠ - ٥١٣ ، برسلو ، ١ ، ص ٦٦٨ - ٦٧٧ ، لوياج .
- (٢) دي بوار ، ١ ص ٣٦٥ - ٣٦٨ ، جيرى ، ص ٥١٠ - ٥١١ .
- (٣) شطر الثي' يشطره شطرأ فهو شاطر ، أى جسه نصفين .
- (٤) شكل يشتمل على الحروف الرئيسية في اسم من الأسماء .
- (٥) وقد يكون مونوجراما ، أو رسما مثل أسنان المنشار ، أو صورة صليب ، أو مجرد شكل من الأشكال الهندسية . (أنظر Album belge, pl. XXX^B) .
- (٦) غاية ما يمكن ملاحظته ، في ألمانيا مثلا ، في هذا الشأن ، هو أن الكتابات الشاطرة الأولى (القرن العاشر) في غرب ألمانيا تتألف من أسم الفاعل (auteurs) ، أو من اسم الموظف المستول عن الاستنساخ . وأنه قد حدث انتقال من كتابة الاسم إلى رسم المونوجرام (القرن الحادى عشر) - يوجد مونوجرام مزدوج للأطراف المتصادمة يقوم مقام الكتابة المشطورة في وثيقة مشطورة من عام ١٠٣٠م 58 Bibl. nat., ms. lat. 17715 no أنظر لوحة ٢ . وإن هذه العلاقة بين الكتابة الشاطرة والتوقيع (souscription) تتبين على نحو أوضح في كلمة signum (علامة) المحاطة بصليبين ، التي استخدمت بمثابة كتابة شاطرة في وثيقة مشطورة من عام ١٠١٣ ، وهي من أقدم الوثائق المشطورة المعروفة في فرنسا (أنظر Archives de la Vienne, Fonds de Nouaillé, cart. 9 no. 77) أنظر لوحة ١ .
- (٧) باولى ، ص ٣٥ .
- (٨) منحه كومت فلاندر (comte de Flandre) ، جيمو كليتون (Guillaume Cliton) وثيقة مدينة (charte de commune) في صورة وثيقة مشطورة ، كتابتها الشاطرة هي : CIROGRAPHUM ET CONCESTATIO PRESENTIS KARTAE (أنظر الأصل في Arch. mun. de St-Omer) .
- (٩) أنظر معنى كلمة Chirographum في قاموس دو كاتج .
- (١٠) أنظر برلان .
- (١١) In nomine Domini nostri في وثيقة مشطورة من عام ١١٣١ - ١١٤٠ . وهي عبارة عن اتفاق بين رئيس دير Toussaint-en-l'Isle وأحد الفرسان (أنظر Mus. des arch. dép., no. 36, pl. XXIII) .

(١٢) Pax hominibus bone voluntatis أو Pacem habet inter vos . ونجد في
 هبة من عام ١١٢٤ م وهبا جيوم التاسع ، دوق أكيين (Guillaume IX, duc d'Aquitaine)
 إلى دير فونتفرو (abbaye de Fontevraud) الكتابة الشاطرة Datum optimum et omne
 bonum (أنظر مارشبي ، ص ٣٢٢) . ونجد في غالب الأحيان الكتابة الشاطرة Testimonium
 أو Testimonium veritatis .

(١٣) توجد وثيقة أشارك في الدعوات بين دير ايبنال (abbaye d'Epinal) ، من عام
 ١١٧٢ م ، تحمل الكتابة الشاطرة Sanctus Georricus episcopus (أنظر Mus. des arch.
 dép., no. 47, pl. XXVII) . ويوجد اتفاق من عام ١١٠٧ م أو ١١٠٨ م بين دير سان ليون
 (abbaye de St-Léon) وشخص يدعى شارل (Charles) يحمل الكتابة الشاطرة (Sanctus
 Leo pp (papa) حيث يدخل الحرفان p في الحرف o (أنظر لوباج ، ص ١٦٥) .

(١٤) وهكذا تقوم هذه الكلمة بدور الكتابة الشاطرة كما أنها تبين المقص مكان القص في نفس
 الوقت (انظر الوثيقة التي تحمل هذه الكلمة في فيليب ، ص ١٨٥ ، رقم ١٧) .

(١٥) من الأمثلة على ذلك وثيقة من وثائق Archives de la Meurthe وناقى prémontrés de Flabémont وهي عبارة عن تسوية من عام ١١٧٤ م للزراع بين جماعة الـ
 وجماعة الـ cisterciens de Beaupré . وتشتمل على كتابة شاطرة تتألف من حروف حمراء وأخرى
 سوداء بالتناوب ، بحيث تكون الحروف الحمراء الكلمة الأولى من اللفظ : AUGUSTINUS
 وتكون الحروف السوداء الكلمة الثانية من اللفظ : BENEDICTUS . ونحن نقدم هنا السلسلتين
 من الحروف مع وضع خط أحمر تحت الحروف الحمراء :

ABVEGNVESDTIICNTVVSSKARTAMCONFIRMANT

وتبين الفقرة الختامية في الوثيقة مفتاح هذا اللغو فنقول :

Et ut ista compositio rata teneatur, cyrographum fieri decrevimus cujus partes,
 sigillis nostris premunite, in eisdem ecclesiis coserventur in testimonium, ut
 si quando ceperit oboriri redivina contentio, presentis cyrographi conjunctio
 totam controversiam deleat reddatque sopitam, sed et patrum utriusque ordinis
 confirmatio, Augustini scilicet et Benedicti, in eodem conscripta faciat pacem que
 tanta auctoritate roborata, firmiter teneatur a modo usque in sempiternam."

« ولكي توثق هذه التسوية ، أمرنا بإنشاء وثيقة مشطورة ، أجزاها (أي أصولها) محتومة
 بأختامنا ، وحفوظة في هذه الكنائس ، شهادة على ماتم ، فإذا ماثار النزاع مرة أخرى ، قضت هذه
 الوثيقة المشطورة ، بضم اجزائها بعضها إلى بعض ، على كل خلاف واحدته ، ونرجو أن نقيم ترقية
 صاحبى هاتين الرهبانيتين ، أقصد أوغوستينوس وبندكتوس ، الملون أسماءها في هذا الكتاب ، سلاماً بيوم
 قويا من اليوم إلى ألبه الأبدن لأنه مدغم بهذه السلطة الكبيرة » (أنظر جيري ، ص ٥١٢ ، حاشية ٢) .

(١٦) هناك وثيقة أستبدال عقدت بين ماتيو ، كونت بومون (Mathieu, comte de)
 ودير سان مارتان دي بونتواز (abbaye de St-Martin de Pontoise)

تشتمل على صليب بين قسمي كلمة *ciro + graphum* (أنظر الأصل في Archibves nationales, J 168, no. 2) (وانظر نسخة من الأصل في Fac-sim. lithor. de l'Éc. des chartes, no. 347) . وهناك فقرة ختامية في وثيقة قانونية (cartul. de St-Jean-d'Angely) لا تحمل تاريخاً ، ولكنها ترجع إلى السنوات الأولى من القرن الثاني عشر ، يبدو أنها تشير إلى رسم استخدم شاطراً فهي تقول :

"Sciant posteri nostri quod similis charta data est Constantino molendinario continens similia huic, unde scissa est pictura quae jungebat utramque, et partita est utrique" (Bibl. nat., ms. lat. 5451, fol. 171).

« لتعلم أجيالنا القادمة أن وثيقة مماثلة أعطيت إلى كونستا تينوس الطحان ، تحتوي على نفس النص الذي في تلك الوثيقة التي قصت فيها بصورة كانت تضم الوثيقتين إلى بعضهما ، ووزع قباها عليهما .»

(١٧) انظر كلمة Indentura في قاموس دوكانج . ومن الأمثلة على « المستندات » وثيقة اقتطاع من عام ١٢١٤م ، أنشأها موثق فلماج (Villemage) (أنظر Rec. de fac-sim. à l'us. de l'Éc. des chartes, no. 174) ، وإجاره ممتلكات لدير Trinité de Caen ، عام ١٢٩٩ (Fac sim. lith. de l'Ec. des chartes, no. 271) ووعده بدعاء من رئيس دير سمبرنجهام (Sempringham) لأسرة مارميون (Marmion) ، ويحتمل أن تكون هذه الوثيقة قد أنشئت من أربعة مثل ، وهي مستندة على اليسار في حافتيها العليا في نفس الوقت (Palaeogr. Society, lère série,) . وثيقة تبعية (hommage) حصن أورث (château d'Orthez) لكونتس فوا (comtesse de Foix Pl. 256.) (أنظر Rec. de fac-sim. à l'usage de l'Ec. des chartes, no. 212) .

وعندما ابتدعت الأستان ، أصبحت الكتابة الشاطرة عديمة الفائدة . وإننا لنجد في الواقع كثيراً من الوثائق القانونية المشطورة خالية منها . ولكن في العادة لم يحملوا هذا الضمان المساعد . ولهذا فإننا نجد أن الوثيقة المشطورة ، وإن كانت أحياناً العنصر الوحيد للتوثيق (فيليب ، ص ١٦١ ، رقم ٢) ، إلا أنها لا تستبعد صيغ اللعنات (imprécations) ، أو صيغ التصور الجزائية (stipulations pénales) ، أو قوائم الشهود . ومن الأمثلة على ذلك ، وثيقة رئيس دير سانت آمان آن بيغيل (abbé de S.-Amand en Pévèle) ، بدء عام ١١٢٣ م ، التي تشتمل على صيغة التديم (formule de corroboration) التالية :

"Quoniam igitur funiculus triplex difficile rumpitur, ad confirmandam hujus nostre concessionis paginam cyrographum scripsimus, testes notavimus, sigillum Beati Amandi apposuimus" (Chartes de S.-Martin de Tournai, éd. d'Herbomez, I, no. 39 (Coll. des chron. belges inédites).

« حيث أن الحبل الثلاثي يصعب قطعه ، فإننا ، لتديم وثيقتنا هذه ، كتبنا وثيقة مشطورة ، ودونا أسماء شهود ، ووضعنا ختم الطوباوي أماندوس .»

ومن الأمثلة على ذلك أيضاً ، وثيقة هبة وهبا أحد الأشخاص إلى دير شالي (Chalais) ، وغخومة ختم أسقف بوني (Beauvais) ، وهي من عام ١١٥٦ م :

"Hoc igitur ne possint vel oblivione deleri aliquando, vel quoquomodo perturbari, hoc inde fieri *cyrographum* volui et *sigilli* nostri auctoritate muniri, *testiumque* prescriptorum *astipulatione* corroboravi" (Archives de Chalais, fonds de Tranloy, I, no. 9).

« وحتى لا تنسخ هذه الوثيقة في طي النسيان ، أو يظن فيها على أى نحو من الأنحاء ، أردنا ان نعمل وثيقة مشطوبة ، وان تزود بسلطة ختمنا ، ودعمها بتوقيعات الشهود » .
والوثائق المزودة بهذا التوثيق الثلاثي كثيرة في بداية القرن الثاني عشر (دى بوار ، ١ ، ص ٣٥٨) .

(١٨) من الأمثلة على ذلك ، وثيقة إستيدال بين دير بتسدن (abb. de Bittesden) وروجي فوليو (Roger Foliot) ، من عام ١٢٥١م (أنظر Palaeogr. Society, 2e série, no. 118) .

(١٩) جيرى ، ص ٥١٠ . دى بوار ، ١ ، ص ٣٦٥ .

(٢٠) جيرى ، ص ٥١٠ . دى بوار ، ١ ، ص ٣٦٦ ، ٣٧٠ - ٣٧١ .

(٢١) لوحة ١ (Arch. de la Vienne, Fonds de Nouaillé, cart. 9 no. 77.)

Rec. de Fac-sim. à l'us. de l'Ec. des chartes, no. 39. (٢٢)

Musée des archives départementales, no. 24, pl. XVII (٢٣)

(٢٤) كان هذا هو الرأي السائد الذى دعا إليه أصحاب «مقال جديد في الدبلوماسية» . (Nouveau traité de diplomatique, I, p. 332) . أنظر برسلاو ، ١ ، ص ٦٦٨ وما بعدها .

(٢٥) أنظر فوسكو .

(٢٦) أنظر (Revue hist. de droit francais et étranger, XLIII (1919) حيث ينقد دى بوار (ص ١١٤ وما بعدها) مقال « فوسكو » المشار إليه في الحاشية ٢٥ . قارن برسلاو ، ١ ، ص ٧٤٥ .

(٢٧) Nouveau traité, I, p. 356 et suiv. (٢٨) دى بوار ، ص ٣٧١ .

(٢٩) برسلاو ، ١ ، ص ٦٧٧ .

(٣٠) دى بوار ، ١ ، ص ٣٧١ .

(٣١) جاء في Istidore, Orig., V, 24, 30. ، ما يأتى :

"Stipulatio est promissio vel sponsio, unde et promissores stipulatores vocantur; dicta autem stipulatio a stipula: veteres enim, quando aliquid sibi promittebant, stipulam tenentes frangebant, quam iterum jungentes sponsiones suas agnoscebant" (Bruns, Fontes juris romani, II, Scriptores, Tubingen, 1909, in-8, p. 81).

والا لزام (stipulatio) وعد (promissio) أو تمهد (sponsio) ، ومن هنا يسمى

الواعون (promissores) ملتزمين (stipulatores) . ولغة الالتزام (stipulatio) مشتقة من لفظة قشة (stipula) ، ذلك أن القدماء كانوا عندما يمدون بشئ يكسرون قشة (stipula) يمسكونها ، ثم يصلونها مرة أخرى ويقرون بتمهلاتهم وهم واصلوها .

(٣٢) دى يوار ، ١ ، ص ٣٦٨ - ٣٦٩ . جيرى ، ص ٥١١ .

(٣٣) دى يوار ، ١ ، ص ٣٦٩ - ٣٧٠ . جيرى ، ص ٥١٢ - ٥١٣ .

(٣٤) توجد وثيقة قانونية مشطوبة صادرة عن هنرى الأول ، ملك فرنسا ، سبقت الإشارة إليها في الكلام عن أقدم الأمثلة (أنظر جيرى ، ص ١٥٠ . وجيار ، ص ٢٠١ وما بعدها .

(٣٥) تشهد على ذلك بعض الصيغ الواردة في الوثائق المشطوبة من القرن الثاني عشر مثل هذه الصيغة الواردة في وثيقة من عام ١١٧٤ م :

“Et ut ista compositio ratateneatur, cyrographum fieri decrevimus..., ut si quando cepit oboriri rediviva contentio, presentis cyrographi conjunctio totam controversiam debeat reddatque sopitam”.

أنظر ترجمتنا لهذا النص إلى العربية في حاشية رقم ١٥ :

ومثل هذه الصيغة الواردة في وثيقة من عام ١١٧٨ م :

“Et ne deinceps per alicujus improvidentiam rediviva contentio pullularet, hec omnia scripto notari et cirografo insigniri, sibique partem illius custodiendam ad cautelam futurorum tradi voluit” (Fac-sim. à l'us. de l'Ec. des chartes, Héliogr., no. 128).

« وحتى لا ينشب نزاع من جديد ، بسبب غفلة أحد ، اراد (المثني) ان يكون كل هذا كتابة ويسجل في وثيقة مشطوبة ، ويأخذ منها مثالا ، ليحفظه تحوطاً للمستقبل .

(٣٦) لم يكن وضع الختم سهلاً عندما تشغل الكتابة الشاطرة الحافة العليا من الرق . وكانوا يحتالون لذلك ، فيثنون الثانية ، التي سيدل منها الختم ، في جانب من الهامش الأسفل ، ويصلون طولها بضمة ستيمرات فقط ، وكانوا لهذا الغرض يمدون عند التقطع بروزا فتكون الكتابة الشاطرة التي تشغل وسط الهامش محاملة هذا البروز من جانب ، وتجويف يقابل البروز في المثال المقابل من جانب آخر (أنظر لوحة ٣ ، شكل ٢) . أو كانوا يتخلون عن الثانية تماماً ، ويمدنون الشق ، الذي سيتدل منه شريط الرق ، فوق الكتابة الشاطرة ، ويتركون وسطها فراغاً يساوى عرض ذيل الرق حتى تبقى الكتابة الشاطرة كلها ظاهرة (أنظر لوحة ٣ ، شكل ١) .

“Vel possunt sigilla authenticorum virorum appendi, vel, si habent sigilla, unus appendat sigillum suum in cirographo alterius” (J. Langlois, Poetria, dans Rockinger, Briefsteller, p. 508).

(وانظر في نسبة « Poetria » إلى Jean de Garlande بدلاً من نسبتها إلى J. Langlois ما جاء في فارال ، ص ٤٠ .

« ويمكن أن تكل اختتام أشخاص مصدقين ، أو إذا كان لديهم (المصدقين) اختتام ، فل كل منهم أن يدل ختمه من مثال الآخر » .

(٣٨) يتبين من إحصاء الوثائق المشطورة المحفوظة في أرشيف مورت (Archives de la Meurthe) ، وهو من أغنى المستودعات الأرشيفية بالأصول ، أنه يشتمل على ٣١ وثيقة مشطورة أصلية ، ٢٦ منها من القرن الثاني عشر ، وخمسة فقط من القرن الثالث عشر (أنظر لوباج ، ص ١٦٥ ومابعدها) . كذلك يتبين من إحصاء الوثائق المشطورة المحفوظة في أرشيف فوج (Archives des Vosges) ، وهو أيضاً من أغنى المستودعات الأرشيفية بالأصول ، أنه يشتمل على ٣٠ وثيقة مشطورة مابين أصل ونسخة ، واحدة منها ترجع إلى القرن الحادى عشر ، و ١٩ منها إلى القرن الثانى عشر ، و ١٠ منها فقط إلى القرن الثالث عشر (أنظر فيليب ص ١٦١) .

(٣٩) كتب كونراد دى مور (Conrad de Mure) في النصف الثانى من القرن الثالث عشر

يقول :

“Privilegia seu instrumenta super contractibus aliquibus duplicata in unam cartam solebant olim scribi, et in medio ipsorum instrumentorum aliquae littere capitales linealiter ordinate, quae littere per medium dividebantur, ut neutrum privilegium posset falsificari et unum esset probatio alterius,” (Rockinger, Brifsteller, p. 457).

« جرت العادة في الماضي ان تكتب وثائق الامتيازات أو بعض المقود من مثالين في صحيفة واحدة ، وترتب بعض حروف الأبجدية الكبيرة في خط مستقيم بين هذين المثالين ، وتقص الحروف من منتصفها ، حتى يتخذ تزوير أى مثال منهما ، وليكون كل مثال برهان على الآخر » .
والذى يلفت ينظر هنا هو عبارة « في الماضي » .

(٤٠) ظلت الوثائق المشطورة ، حتى وقت متقدم جداً ، أى حتى عصر نشأة الموثقين الملكيين ، الشكل المعتاد للمقود المبرمة أمم « colléges d'échevins » في شمال فرنسا ، لأنها كانت تمثل وحدها وسيلة للإثبات كاملة (دى بوار ، ١ ، ص ٣٧٠) . وظلت موجودة في الأقاليم التى كانت تؤلف جزءاً من الأراضي المنخفضة الأسبانية حتى عصر الغزو الفرنسى (أنظر جبرى ، ص ٥١٢) ، وفى أرغوا (pays de l'Alloeu) حتى نهاية العهد القديم . (أنظر درامار ، ص ٢٩٩) .
(٤١) كانوا يفضلون هذه التسمية في إنجلترا .

(٤٢) يفضل جبرى هذه اللفظة ويتخذها عنواناً (جبرى ، ص ٥١٠ - ٥١٣) ، لأنها اضبط واقل مدعاة للبس . في حين يستخدم دى بوار كلمتي « كبروجراف » charte partie, chirographe عنواناً (دى بوار ، ١ ، ص ٣٦٤ - ٣٧١) ، ويتحدث برسلو عن « chirographierung » ، ويتخذها عنواناً (برسلو ، ١ ، ص ٦٦٨ - ٦٧٧) .

المراجع

1. Berland (J.), Une devise inédite de chirographe (extr. des Mémoires de la Soc. d'agriculture, commerce, sciences et arts du département de la Marne), Châlons-sur-Marne, 1923, in—8.
2. Bouard (A. de), Manuel de diplomatique française et pontificale. I. Diplomatique générale. II. L'acte privé, Paris, 1929—1948, 2 vol. in—8 et 2 albums de LII et XXXIV planches.
3. Bresslau (Harry), Handbuch der Urkundenlehre für Deutschland und Italien, 2e éd., Leipzig, 1912—1931, 2 vol. in—8.
4. Dramard, Charte-partie passé devant les échevins du pays de l'Alloeu (2 janvier 1664), dans Bulletin du comité des travaux historiques, sec. d'hist. (1884).
5. Du Cange, Glossarium mediae et infimae latinitatis (éd. Didot en 7 vol. in—4, Paris, 1840—1850, éd. Favre, en 10 vol. in—4, Niort, 1883—1887).
6. Faral, Les arts poétiques du XII et XIII siècle.
7. Fosco (C.), La pluralità degli esemplari ed il valore giuridico della singrafa nel medioevo (estr. dal Circolo giuridico, XLI, Palermo, 1910. in—8).
8. Giard, dans la Bibl. de l'Ec. des chartes, LXI, .
9. Giry (A.) Manuel de diplomatique, Paris, 1893, in —8. Nouveau tirage, sans aucune modification Paris, 1925, in—8.
10. Ilgen (Th.), Sphragistik (Grundriss d'A Meister, I,4).
11. Langlois (J.), Poetria, dans Rockinger, Briefsteller und Formelbücher des XI bis XIV Jahrhunderts (Quellen und Erörterungen zur bayerischen und deutschen Geschichte, IX, 1863—1864).
12. Lepage (H.), Sur des cyrographes conservés aux archives de la Meurthe (XII et XIII s.), dans Journal de la Soc. d'archéol. et du comité du Musée Lorrain, 21e l'année (1972) et 28e année (1978).
13. Nouveau traité de diplomatique ... par deux religieux bénédictins Paris 1750—1765, 6vol. in—4.
14. Paoli (Ces.), Programma di paleografia latina e di diplomatica, Florence, 1883, in —8.
15. Philippe (A.), Les chartes parties des Archives départementales des Vosges, dans le Bulletin philologique et historique, année 1921, Paris, 1923, in—8.

اللوحات

هذه اللوحات مأخوذة من ا. دى بوار ، كتاب فى الدبلوماسية الفرنسية
والبابوية ، ج ١ (مرجع رقم ٢) .

رقم اللوحة فى المقال	رقم اللوحة فى ا. دى بوار
١	٥٠
٢	٥١
٣	٥٢
٤	٥٠ مكرر

STAMPED IN THE
GIVEN

E. coli

714.107.968.1

...the ... of ...

1870

1870

...and the ...

[Faint, illegible handwritten text]

THE UNIVERSITY OF CHICAGO

10

10

10

1

1
2
3
4

1
2
3
4
5

Handwritten text in Arabic script, likely a historical document or manuscript. The text is written in a cursive style and is partially obscured by a large, irregular, light-colored stain or tear in the center of the page. The visible text appears to be a list or a series of entries, possibly related to a historical record or a collection of items. The script is dense and fills most of the page area, with some lines being more legible than others due to the staining.

« دراسة في أكلوجية النوبة المصرية » « كميّة في طور التكوين » (*)

فاروق عبد الجواد شويقه (**)

الكلمات الدالة : الاكلوجيا البشرية ، النوبة المصرية :

AN ECOLOGICAL STUDY OF THE EGYPTIAN NUBIA. AS AN ENVIRONMENT IN THE MAKING

Abstract :

This paper deals primarily within the scop of the historical ecology of the Egyptian Nubia, and its potentislites in the future. The subject accordingly enters the scope of geographical and anthropological studies. The Egyptian Nubia lies in the southern part of the Nile valley in Egypt, in the region extending southwards from Aswanci ty till the southern Egyptian boundaries. The study suggests a second Nile course on the west bank river. The old land of Egyptian Nubia must be rehabilitated by the Nubians. A number of productive economical and tourist projects must take place in it.

F.A. Shewika Gawad,

(*) رقم تصنيف موضوع المقال :

L.C.C. Class G (3rd. ed.) — GF 711.S45

D.D.C. (18th. ed.) — 301. S45

أعدت هذه الدراسة في نهاية عام ١٩٧٤ حيث قبلت للنشر ، ثم أضيفت لها بعض الإضافات الطفيفة في عام ١٩٧٦ .

(**) فاروق عبد الجواد شويقه Shuwayqah, F.A.G. مدرس الأنثروبولوجيا الطبيعية بمعهد البحوث والدراسات الأفريقية جامعة القاهرة . ولد بالقاهرة عام ١٩٣٣ ودرس بجامعة القاهرة حتى حصل منها على درجة دكتوراه الفلسفة في الدراسات الأفريقية عام ١٩٧٤ ، يتركز اهتمامه في مجال بحوث الأكلوجيا البشرية والأنثروبولوجيا الاكلوجية .
محلّة كلية الآداب جامعة القاهرة (١٩٧٠) .

مدخل

يدخل موضوع هذا المقال في نطاق دراسة الاكلوجية البشرية التي تهتم بدراسة تفاعل الإنسان والبيئة ، ويدخل الموضوع بذلك في نطاق الدراسات الجغرافية والانثروبولوجية . وقد اتخذ المنهج الجغرافي التاريخي أساساً للدراسة باعتبار أن أفضل من يدرس موضوع الاكلوجيا البشرية هو الجغرافي التاريخي (١) ، وخاصة إذا كان ذا اهتمام بالدراسات الانثروبولوجية ، باعتبار أن الاكلوجيا تدرس الأرض ، والانثروبولوجيا تدرس الإنسان .

ولقد قيل أن الجغرافي الحيد فيلسوف (٢) ، والحق أقول أنه مخطط إقليمي من الدرجة الأولى ، ذلك أن الجغرافيا لها أكبر الأثر في تحديد أسلوب التخطيط الإقليمي ومعالجة مشاكله (٣) ، والمثل يمكن أن يقال أيضاً على الانثروبولوجيا .

وتهدف الدراسات الاكلوجية إلى التوصل إلى حل المعادلة الأساسية — ولا أقول الصعبة — في الاستعمال الأفضل للبيئة ، بغرض إعطاء أكبر عائد بأقل جهد في أسرع وقت ، وبالتطبيق اقتضح أن التكنولوجيا تمثل الطاقة الموجهة للموارد الطبيعية بل إنها صانعة التنمية الاقتصادية والتقدم المادي (٤) . وعلى ذلك فإن الرخاء يرتبط بالطاقة وبالموهبة الإنسانية بنفس الدرجة وربما أكثر — من ارتباطه بالموارد الطبيعية . وفي مصر حيث الأرض المنتجة والمسكونة محدودة لأقصى حد ، يجب أن يكون تخطيط الأرض هو أساس التخطيط الإقليمي ، بهدف الوصول إلى الاستعمال الأنسب والمتعدد والأقصى (٥) .

(١) فيفر ، لوسيان : الأرض والتطور البشرى ، ترجمة محمد السيد غلاب . ط ٢ . الإسكندرية ، دار المطبوعات الجديدة ، ١٩٧٣ ، ص ١١ .

Coon, C.S.:Caravan;The Study of Middle East. New York, Henry (٢)
Holt & co., 1951, p. 10

(٣) فؤاد محمد الصقار : التخطيط الأقليمي . الإسكندرية ، منشأة المعارف ، ١٩٦٩ ، ص ١٧

Cole, John P.:Geography of World Affairs. 2nd. ed.Baltimre, (٤)
Penguin Books, 1959, pp. 66—70

Stamp, L.Dudley : "Land Use Surveys with Special Referce to Britain".(٥)
In : Taylor, G. (ed.) : Geography in the Twentieth Century. London,
Methuen, 1962, p. 373

وتعتمد المقترحات والأفكار التي يحتويها هذا المقال على جزء من المادة العلمية التي تضمنتها رسالة في الالكولوجية البشرية (١)، ثم أضيفت لها وربطتها ببعض الأفكار الجديدة التي ظهرت أخيراً عند مناقشة تصور خلق مصر عام ألفين .

ولا تخرج المقترحات المقدمة عن حيز الممكن فكلها أفكار ممكنة التنفيذ ، ولا تنتظر إلا المال والعزيمة والأمل وهي أمور باتت في متناول اليد أو تكاد .

أن التفاعل السليم المنتج بين الإنسان والبيئة يمكن في الاستعمال الأنسب للعلم والتكنولوجيا ، لاستخلاص أقصى الإمكانيات الطبيعية المتاحة . وتزخر النوبة بتلك الإمكانيات فأمامها التوسع الزراعي الأفقي في أرض بكر جديدة ، والرأسي في محاصيل وغللات ونباتات أيضاً جديدة ، يمكن أن تسد حاجات الصناعة الحالية والمتوسعة لأغراض التصدير ، ويساعد على ذلك إمكانات الطاقة المتدفقة بغزارة وبكرم لا ينفد من مياه النيل والإشعاع الشمسي .



تتكون النوبة المصرية من البلاد التي يقطنها النوبيون في مصر ، وهي التي كانت تمتد قبل التهجير الأخير في وادي النيل الضيق الصخري مسافة ٣٢٠ كيلومتر من شمال مدينة أسوان حتى قرية أدندان في الجنوب ، أما الآن فقد أصبح وطن النوبيين في مصر يشغل الأراضي التي تحف وتحيط بوادي كوم أمبو الذي يقع شمالى مدينة أسوان بنحو ٦٠ كيلومتر .

وكان يسكن النوبة المصرية القديمة ثلاث مجموعات أثنوجرافية ، هم الكنوز في ١٧ قرية في المنطقة الممتدة من أسوان حتى نهاية عمدية المضيق ، يليهم العرب الذين كانوا يقطنون خمس قرى هي : المالكي ، وادي العرب ، السبوع ، شاترمة ، السفاري ، أما الفديجة فكانوا يقطنون ١٨ قرية في المنطقة الجنوبية حتى أدندان التي كانت آخر القرى المصرية على الحدود بين مصر والسودان .

وتمثل النوبة بيئة مثالية لدراسة التفاعل المتغير بين الأرض والإنسان وبين الأرض والتكنولوجيا عبر العصور المختلفة .

(١) فاروق عبد الجواد شويقه : النوبة المصرية ؛ دراسة في تفاعل الإنسان والبيئة . رسالة دكتوراه ، غير منشورة ، قدمت إلى قسم الأنثروبولوجيا بمعهد البحوث والدراسات الأفريقية بجامعة القاهرة . القاهرة ، ١٩٧٤ . ٢٠ مج . مصر ، ٣٦ سم ، ببليوجرافية ، مج ١ ، ص ٤٤٤ - ٤٧١

ولم تكن أوالنوبة مجرد محجر أو منجم لمصر كما يقول البعض (١)، بل أنها ساهمت في إعطاء مصر النمو الاقتصادي وما تبعه من تضخم سكاني وتزايد وتعاظم في القيمة والوزن السياسي ، يتضح ذلك من المعادلة التالية :

$$\begin{aligned} \text{مصر} &= \text{النيل} \\ \text{النيل} &= \text{التخزين} \\ \text{التخزين} &= \text{النوبة} . \end{aligned}$$

وعلى هذا يتضح وزن النوبة ومكانتها التي يجب أن تحتلها في تخطيط المستقبل ببناء مصر القرن الحادى والعشرين .

النوبة القديمة

المدخل الجنوبي لمصر :

تقوم النوبة بدور المدخل الجنوبي لمصر ، وكما يقوم الشريط الساحلى الشمالى من سيناء بدور البوابة والمدخل الشرقى لمصر ، يقوم وادى النيل فى جنوب مصر وهو المكون لبلاد النوبة بنفس الوظيفة ، وتلك حقيقة تصدق من حيث الموقع والعلاقات إلى درجة ملموسة ، ومع ذلك فإنه يختلف عنه فى أنه يؤدى — شأنه شأن حدود مصر الغربية — إلى بلاد كانت قليلة الموارد الطبيعية ومحدودة الأعداد البشرية وبالتالى القوة والخطر .

وترتبط النوبة فى فكر المصرى بأنها بداية ونهاية الوطن ، فقد سميت أثناء لحكم الفرعونى بالإقليم الأول إذ كانت تبدأ الجهات الأصلية عندهم بالجنوب حيث كان يأتى حابى العظم ، وأطلق عليها أيضاً الإقليم الثانى عشر أثناء الحكم الرومانى (دوديكاشينوس) باعتبارها آخر أقاليم مصر ، وقد استمر هذا الشعور إلى عهد قريب لدى المصرين .

وكانت النوبة المصرية فى العصور القديمة تشمل جميع الأراضى الجنوبية التى تبدأ من منبى (أسوان) موغلة فى حوض النيل الأوسط حتى قرب موضع التقاء

(١) جمال خندان : شخصية مصر . الطبعة المزيبة . القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٧٠ ،

النيل الأزرق بالنيل الأبيض بل شملت كل الأقاليم المتاخمة لمصر من ناحية الجنوب بما فيها بلاد بنت والنوبة وجنوب ليبيا (١) .

وكانت النوبة (السفلى) تعتبر جزءاً من مصر فقد كان النوبيون باعتبارهم مواطنين مصريين يتقلدون أعلى المناصب ، حيث ما كان يشغل وظيفة « رئيس رماه كوش » وهو المنصب التالى مباشرة لنائب الملك فى النوبة إلا مواطناً نوبياً (٢) . وفى هذا دليل على خطأ الرأى القائل بأن الحكم المصرى للنوبة إبان الدولة الحديثة الفرعونية كان حكماً عسكرياً (٣) .

وقد قامت النوبة بدور حلقة الوصل بين مصر ووسط أفريقيا منذ أقدم العصور وذلك عن طريق درب الأربعين الذى كان وما يزال يدعم صلة مصر بالسودان (٤) ، هذا الطريق الذى يمر بأطراف النوبة حيث تعتبر واحة سليمة محطة مرحلية هامة ، فمنها تخرج عدة طرق فرعية إلى النوبة فى مصر والسودان .

وتتمثل النوبة منطقة حدود بما تحمله هذه الدلالة من معنى ، فهى على طرف المسكون المصرى ، بل إنها عقب إختلاطها الكامل بعد إنشاء السد العالى أخرجت من المعمور المصرى ، رغم ما فى ذلك من عدم التوافق من النواحي الجغرافية والاقتصادية والسياسية ، وهى عوامل تفرض إعادة النظر فى الموضوع ، بحيث تعود النوبة المصرية إلى نطاق دراسة الانثروبولوجيا والجغرافيا البشرية بعد أن كانت قد دخلت المجال التاريخى لكل منهما منذ أكثر من عشر سنوات .

الكيان والشخصية :

كان وما زال التفاعل قوياً ودائماً بين النيل والمصريين منذ أقدم العصور حيث

(١) Reisner, G.A. : "Outline of the History of the Sudan ; Part I, Early Trading Caravans 4000—2000 B.C. "In : S.N.R., Vol. 1, 1918, p. 3

(٢) سليم حسن : مصر القديمة . ج ١ . القاهرة ، دار الكتب ، ١٩٤٨ ، ص ١٧٦ .

Kees, H. : Ancient Egypt ; a cultural Topography. London, Faber, 1951, (٣) p. 337

(٤) محمد محمود الصياد ، محمد عبد الفتى سمودى : السودان . القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ،

كان له أكبر الأثر على أوضاعهم ليس فقط السياسية^(١) بل والاجتماعية والاقتصادية أيضاً ، وتما يعتبر النيل العمود الفقارى للكيان المصرى ، إذ أنه مصدر الحياة والوجود ، وعليه تقوم كل الخطط والمشروعات ، فانه والموقع يقومان أيضاً بتوجيه التاريخ ، وبالمثل يقال عن النوبة المصرية فقد حددت شخصيتها ، الموقع والنيل ، حيث بلورها في الغزلة والهامشية ومحدودية الانتاج .

وتظهر درجة الترابط العضوى بين النوبة ومصر في اهتمام مصر المتزايد بالنوبة منذ اللولة الوسطى الفرعونية وأيضاً الحديثة^(٢) ، إذ كانوا يعتبرونها خط الدفاع الأول - وهو في الحقيقة الأخير - من الجنوب .

ورغم التقارب الحضارى بين النوبة ومصر ، إلا أن حضارة كرمه كانت تعد نسيجاً مستقلاً في حد ذاته بعد أن أخذت بلورها الأولى من الحضارة المصرية ، ويتضح ذلك من التابع الحضارى^(٣) ، في كل من النوبة ومصر .

وعن طريق النوبة المصرية عبرت النجيدات والمساعدات جنوباً إلى السودان وشمالاً إلى مصر ، تعبيراً عن الترابط الدائم بين الأرضين والشعبين ، وقد أخذ هذا التعاون أكثر من صورة ، فمن مساعدات عسكرية صورها البعض على أنها حملات وفتوحات ، إلى تبادل تجارى ولجوء سياسى وفكرى ، ثم أخيراً تعاون إقتصادى وفقى وعلمى وتكنيكى .

والجدير بالذكر أن هذا التعاون كان يتبادل الاتجاه مصدرأ وهدفاً ، وفي هذا رد كافي على أية استنتاجات تاريخية غير صادقة ، ولعل في معاونات السودان التي قدمت لمصر منذ الأسرة الخامسة والعشرين الفرعونية (النوبة الأصل السلاى) والتي عاونت في طرد الحكم الآشورى من مصر ، إلى محاولة عبد الله التعايشى مساعدة مصر على طرد الاحتلال البريطانى ، ثم أخيراً المعاونات العملية التي قدمت أثناء الاشتباكات المصرية - الإسرائيلية في عامى ١٩٦٧ و ١٩٧٣ ، كل هذا دليل على

(١) عبد العزيز كامل : في أرض النيل . القاهرة ، عالم الكتب ، ١٩٧٠ ، ص ٣

(٢) Crawford, O.G.S. : The Fung Kingdom of Sennar. Gloucester,

John Bellows, 1951, p. 2

(٣) Emery, W.B. : Egypt in Nubia. London, Hutchinson, 1965, p. 44

ذلك، وعلى الضرورة الملحة لإعادة كتابة جميع مراحل تاريخ وادي النيل في ضوء الوثائق والأدلة الاكلوجية الصحيحة .

وقد تجلّت هامشية وعزلة النوبة في استمرار وجود المسيحية فيها مدة طويلة بعد الفتح العربي الإسلامي لمصر(*) ، بل وأيضاً في اختلاف المذاهب المسيحية ذاتها فيها ، حيث كانت تتبع كل من مملكة نوباتيا في النوبة السفلى وعلوة في النوبة العليا المذهب البعقوبي ، بينما كانت تتبع مفره في النوبة الوسطى المذهب الملكاني ، ويرجع هذا مع ما يرجع إلى العزلة الاكلوجية السائدة في داخل هذه البيئة .

وقد تجلّت هذه العزلة أيضاً في أنه كان في النوبة المصرية آخر معاقل الوثنية في جزيرة أنس، الوجود حيث استمرت القبائل البليمية على عبادة إيزيس وأوزوريس حتى بداية القرن السادس الميلادي(١) .

وتظهر عزلة النوبة كذلك منذ أحداث التاريخ الوسيط عندما استقر فيها بعض الجنود الفزاة من الأتراك العثمانيين الذين أرسلهم السلطان سليم سنة ١٥٢٠ م بقيادة حسن قوسى لفتحها(٢) ، حيث استقروا في منطقة أبريم والدر وجزيرة صاى وعرفوا باسم الكشاف(٣) ، وكان لهم مع بعض العناصر النوردية المهاجرة أو الفارة إلى النوبة تأثير واضح في بعض السمات الطبيعية للأهالي خاصة الفديجة(٤) ، كما كان لهم أيضاً دور بارز في الحكم واستقرار الأوضاع في البلاد إلى عهد قريب .

وقد هرب إلى النوبة بعد ذلك بقية الممالك الذين فروا من محمد علي ، بعد

(٥) فتح العرب لمصر كان عام ٦٤٠ م ، أما أتمام فتح النوبة فكان عام ٦٤٢ م ، وفتحت بمعاونة البقظ التي حافظت على استمرار وجود المسيحية بها .

(١) مصطفى مسد : الإسلام والنوبة في العصور الوسطى . القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ،

١٩٦٠ ، ص ٣٨

Holt, P.M. : "Sultan Selim and the Sudan". In : Journal of African History. Vol. 8, 1967, p. 20

(٣) نعم شقير : تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافية . ج ١ . القاهرة ، مطبعة المعارف

بمصر ، ١٩٠٣ ، ص ٦٦ .

(٤) فاروق عبد الجواد شويقة : النوبة المصرية ، دراسة في تفاعل الإنسان والبيئة ، ص ٢٤٢

مذبحة القلعة سنة ١٨١١ م ، حيث دخلوا في حرب وصراع مع الأهالي ، ثم استقروا هناك أخيراً بعد نجاحهم في التفوق عليهم (١) .

وكانت النوبة بحكم موقعها المتطرف هي المأمن لإقامة المشروعات ذات الطابع العسكري عرف هذا عنامند مدة طويلة ، فقد أنشئت في أسوان أول مدرسة حربية في عهد إسماعيل وكان معظم مدرسوها من الفرنسيين والأمريكان ، وحدث هذا أيضاً منذ عهد قريب عندما انتقلت معظم المعاهد العسكرية إلى أسوان .

وبالتغيرات الاكولوجية الحديثة ، أصبحت النوبة إقليم وصل وربط بين شمال وجنوب حوض النيل ، بعد أن كانت إقليم فصل وعزل ، ذلك أن مشروعات التخزين قد أفادت الملاحة في النيل ، حيث رفعت منسوب المياه إلى المستوى الملاحي الملائم لحركة السفن الكبيرة طوال العام ، تلك الحركة التي تتزايد باستمرار مع تزايد حركة التجارة ، يضاف إلى ذلك الاستفادة المزدوجة من مشروعات التخزين لكل من مصر والسودان (نصيب مصر من مخزون السد العالي ٧٥ مليار متر مكعب سنوياً ونصيب السودان ١٤٥ مليار متر مكعب سنوياً) (٥) .

الهجرة والتهجير

خزان أسوان وهجرة النوبيين :

كان فقر البيئة ونظرفها وهامشيتها ، هي العناصر الرئيسية التي فرضت على النوبيين بمجموعاتهم الاثنولوجية الثلاث الهجرة خارج الوطن ، وقد تزايدت هذه الهجرة بعد إقامة مشروعات التخزين التي عملت على إغراق النوبة تدريجياً .

ومحسب بناء سد أسوان في بداية القرن الحالي (١٨٩٧ - ١٩٠٢) تغيراً كبيراً في جغرافية مصر وبخاصة في بلاد النوبة ، حيث تزايد طرد البيئة للعناصر النشطة من السكان . نظراً لغمر أجزاء كبيرة من الأراضي الزراعية القليلة بطبيعتها حتى منسوب ١٠٦ متراً ، وقد تزايد هذا الطرد مع إتمام التعلية الأولى (١٩١٣) ، وهي التي بلغ الغمر بعدها حتى المنسوب ١١٣ متراً ، ثم بلغ مداه عام ١٩٣٣ ، مع إتمام التعلية الثانية التي وصل منسوب الغمر بعدها إلى ١٢٢ متراً .

Robinson, A.E. : "The Mamelukes in the Sudan." In : S.N.R. (١)
Vol. 5, 1922, p. 93

(٥) اتفاقية مياه النيل عام ١٩٥٩ بين مصر والسودان .

ومع أن النوبة المصرية كانت تتكون من مجموعة من البيئات الزراعية الصغيرة ، إلا أنها في جملتها أقرب إلى التماثل والتشابه ، مما ظهر أثره على المجتمع وتركيبه ، فجعله وحدة متجانسة إجتماعياً وثقافياً إلى حد ما ، ويولوجياً إلى حد كبير (١) .

وقد كانت الأراضي تتركز في الوطن القديم قبل بناء السد العالي في الحزر التي كانت تمتد أمام بعض القرى ، وفي السهل الفيضي الذي كان يتسع ويضيق من موضع إلى آخر تبعاً للظروف الطبوغرافية المحلية .

فقد بلغت مساحة الأراضي التي زودت بمشروعات الري والصرف ببلاد النوبة منذ التعلية الثانية لسد أسوان مساحة ١١٥٣٠ فداناً ، يضاف إليها نحو ٢٠٠٠ فدان كان يروها الأهالي بالطرق الأولية البدائية .

جول ١ - مساحة المشروعات الزراعية في النوبة المصرية ١٩٦٠ (٢)

المساحة بالفدان	المشروعات والمنطقة	المساحة بالفدان	المشروعات والمنطقة
	مشروعات الري المستديم :		مشروعات الري المستديم :
	الدكا القديمة	٦٠٠	أبو سمبل
	بلانة	٦٠٠	جملة
٦٠٠	قورته السفلى	٢٢٠٠	مشروعات التوسع الزراعي :
٦٠٠	توماس	٣٤٠٠	الدكا الجديدة
١٢٠٠	عنية السفلى		العلاق (تحويل للري الدائم)
٥٠٠	توشكى شرق	٦٠٠	أبريم
٧٠٠	توشكى غرب	٧٣٠	عنية
٥٠٠	أرمن السفلى	١٢٠٠	أرمن العليا
		٨٠٠	جملة
		٧٠٠	
٤١٠٠	جملة	٤٠٣٠	

(١) فاروق عبد الجواد شويقة : النوبة المصرية ؛ دراسة في تفاعل الإنسان والبيئة . ص ٢٤١ ،

ولما كان المجتمع النوبي يعتمد على الزراعة في حياته الاقتصادية ، مما عكس أنماطها وعاداتها على حياة الأهالي الاجتماعية ، فقد كان نحو ٨٠,٣% من السكان يزاولون الزراعة في النوبة القديمة ، كانت تمثل الإناث منهم ٥٤% (١) ، وفي هذا دليل على أن هذا المجتمع كان مجتمعاً طارداً للذكور ، وتلك سمة قديمة ظاهرة فيه منذ ما قبل مشروعات التخزين ، مما يدل على التأثير الكبير للظروف ام كلوجية التي تعكس فقر البيئة .

وقد حاولت كل جماعة من الجماعات النوبية المصرية الثلاث أن تميز عن الجماعتين الأخريين ، حيث كان يعتقد النوبيون (القديمة) ، أنهم أكثر غنى وأعلى مكانة إقتصادية ، وما ذلك إلا نتيجة الغنى النسبي لبيئتهم (القديمة) ، خاصة بعد التعلية الثانية لسد أسوان ، أما الكنوز والعرب فان تميزهم كان يرتكز إلى أساس قرابي ، وهو الذي يدعمه الأساس الديني (٢) .

السد العالي والوطن الجديد

يهدف التخطيط الزراعي في مصر إلى زيادة الرقعة الزراعية أفقياً إلى نحو ٧ر٧ مليون فدان ، ولم يكن أمام مصر بعد إقامة سد أسوان وتعليته الأولى والثانية ؛ إلا بناء السد العالي الذي يحقق لمصر فوائد التخزين القرني ، وهو بذلك يقوم بدور البنك المركزي المائي لمصر بل والسودان أيضاً .

وكان لبناء السد العالي آثاراً جغرافية واسعة المدى في مصر ، وتظهر هذه الآثار بصورة ملموسة في بلاد النوبة تلك التي شهدت إعادة تشكيل الفيزيوجرافيا المحلية من أساسها (٣) .

وبالشروع في إقامة السد العالي (١٩٦٠) ، بدء في دراسة مكان الوطن الجديد للنوبيين حيث تقرر تهجيرهم عن أوطانهم القديمة التي أغرقها مياه التخزين ، حيث

(١) وزارة الشؤون الإجتماعية : تهجير أهالي النوبة . القاهرة ، الوزارة ، ١٩٦٤ ، ص ٥١

(٢) السيد أحمد حامد : النوبة الجديدة ؛ دراسة في الأثرولوجيا الإجتماعية . الإسكندرية ،

المجلة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٣ ، ص ٣٩

Abou El-Ezz, M.S. : "The Evolution of Landscape in Lower Nubia" (٣)

Extrait du Bulletin de la Société de Géographie d'Egypte. Tom. 38, 1965, p. 5

أخذ يتزايد منسوبها عاماً بعد آخر ، حيث تصل إلى أقصى منسوب لها وهو ١٨٠ متراً (٥) ، عند اكتمال مليء الخزان .

ولقد بلغ عدد التوطين المصريين في عام ١٩٦٠ ، ٩٨٦٠٩ نسمة منهم ٤٨٠٢٨ نسمة مقيمة بالوطن النوبي يكونون ١٦٨٦١ أسرة (٥٥) (١) .

وقد اتضح من الحصر العام الذى أجرى قبل التهجير أن مساحة الأرض المتزرعة كانت تبلغ نحو ١١٢٨٥ فداناً ، كان يوجد بها ١٠١٧٩٥٢ نخلة وشجرة تتركز بخاصة في نواحي عنيبة ، وتوماس وعافية ، وبلانة ، وأرمنا ، وأبريم (٢) .

والجدير بالذكر أن الظروف الاكولوجية كانت لها تأثير ملموس من موضع لآخر ويظهر ذلك من تأثير الطبوغرافية ومنسوب التخزين ، فقد أصاب التحسن المنطقة التي كانت تحيط بتوشكى القديمة ، بسبب ارتفاع مياه الخزان وتقليل مدى الرفع ، بينما لم يواجه منطقة عنيبة تحسن واضح بسبب اتساعها ، ووجود حذب عال من الرمال السافية مجاوراً للنيل ، لذا فقد ظلت معظم أراضيها بوراً ، إلا ما تيسر زراعتها على الآبار (٣) ، وهي التي كانت تنتشر في كل النجوع تقريباً ، نظراً لأنها كانت تبعد عن النهر ابتعاداً كبيراً وعن مناطق السكن إلى ما بين ١٥٠ - ٤٠٠ متراً ، ولقد كانت توجد ١٥ بئراً في قرية سياله يبلغ متوسط عمقها من ٢٠ - ٢٨ متراً موزعة على النجوع مما يسهل للسكان الحصول على الماء في فصل انحسار مياه الخزان على وجه الخصوص (٤) .

(٥) ثم زرع ملكية الأراضي حتى منسوب ١٨٢ متراً .

(٥) أما التوطين في أنحاء الوطن المصرى فقد بلغوا في عام (١٩٦٠) ٥٠٥٨١ نسمة يكونون

-١٨٤٦٧ أسرة .

(١) وزارة الشؤون الإجتماعية : تهجير أهالي النوبة . القاهرة ، الوزارة ، ١٩٦٤ ، ص ٢١

(٢) وزارة الري : مصلحة الري ، يوليو ١٩٦٦ ، ص ٤

(٣) محمد فالح عقيل : « بعض المظاهر الجرفية في بلاد النوبة المصرية » . في : الموسم الثقافي ،

١٩٥٩ ، الجمعية الجغرافية المصرية . القاهرة ، الجمعية ١٩٥٩ ، ص ١١٥

(٤) محمد رياض ، كوثر عبد الرسول : « سيالة ، مساهمة في دراسة أيكولوجية النوبة المصرية »

في : حويلات كلية الآداب بجامعة عين شمس ، مج ٧ ، ١٩٦٢ القاهرة ، مطبعة جامعة عين شمس ، ١٩٦٢ ،

ص ٧٠

وقد ظهر أثر هذه الظروف أيضاً في تزايد فرص زراعة أراضي واسعة في المنطقة التي كانت تلى توماس وعافية جنوباً حتى حدود السودان حيث كانت تتمتع بزراعة صيفية ونيلية كاملة نتيجة للمشروعات التي أقيمت ، خاصة الحسور الحاجزة (١).

وكانت هناك عدة مناطق كبدايل لتهجير النوبيين إلى إحداها : كلابشة (٦٦ ألف فدان) ، السيالة (١٠٥ ألف فدان) ، توشكى (١٢٠ ألف فدان) ، ولكن أمام بعد هذه المناطق عن النيل مما كان يفرض إتمام التهجير على مرحلتين الأولى يكون توطناً مؤقتاً على منسوب ١٥٠ - ١٦٠ متراً حتى يرتفع منسوب التخزين ليتم بعد ذلك التهجير إلى منطقة التهجير الدائم على منسوب ١٨٥ متراً ، فقد روى تفضيل إتمام التهجير إلى منطقة أطراف وهوامش وادى كوم أمبو في الأراضي المستصلحة (٥٢٥٥٠ فداناً) .

حيث أقيمت مشروعات الرى التالية :-

- ١ - منطقة جنائية كاسل .
- ٢ - منطقة طللمبات العباسية لرى جنايات بلانة بصفة مؤقتة لحين ريهها من منطقة الطويسة .
- ٣ - منطقة طللمبات العطمور لرى مناطق أبريم والجزيرة .
- وهذه المناطق الثلاث مخصصة لتوطين القديجة .
- ٤ - منطقة طللمبات البيارة الجديدة وتغذيها ترعة كاسل .
- ٥ - منطقة طللمبات السلسلة وفروعها .
- وهاتان المنطقتان لخدمة كل من الكنوز والعرب .
- كما أقيمت مشروعات صرف لخدمة هذه المناطق تخدمها مصارف فطيرة وفروعه ، وخور السيل وفروعه . و دراو وفروعه . بالإضافة إلى مصارف صغيرة متنوعة بالمنطقة الوسطى والقبليّة .

(٢) محمد فاتح عقيل : المصدر السابق ، ص ١١٦

وقد شملت أراضي النوبيين في الوطن الجديد عدة مشروعات زراعية أقيمت في أراضي الاستصلاح المحيطة بوادي كوم أمبو وهي التي خصص لها منها نحواً من ٢٠ ألف فدان (١) .

وقد بلغت قيمة التعويضات المستحقة أكثر من ستة ملايين جنيه (جدول ٢) .
 جدول ٢ - بيان بالمتلكات في النوبة القديمة وقيمة التعويضات المستحقة (٢)

النوع	عدد المتلكات	قيمة التعويضات بالجنيه
الأطيان	١٥٩٥٧ فداناً	٢ ١٥٥ ٧٢٠
النخيل	١٠٤٤٣٨٠ نخلة	١ ٩٧٣ ٤٧٨
السواقي	١٠٦٤ ساقية	٢٠ ٩٢٠
المباني	٣٥٩٦٦ مبنى	١ ٨٨٦ ٧٠٠
		<hr/> ٦ ٠٣٦ ٨١٨

وقد بدء تهجير النوبيين إلى الوطن الجديد في كوم أمبو (٥) يوم ١٨-١٠-١٩٦٣ (قرية دابود) وانتهى يوم ٢١-٦-١٩٦٤ (بلاتة وأبو حنضل) وتم خلال هذه الفترة نقل ١٤٦٧٣ أسرة تضم ٤٧٠٨٤ فرداً .

وقد روعي في عملية التوطين في كوم أمبو المحافظة على العلاقات المكانية بين المجموعات الاثنولوجية الثلاث ، بحيث تم توطين الكنوز في الجزء الشمالي بجوار المزرعة البحرية ، أما الفديجة فكان نصيبهم الجزء الجنوبي حيث خصصت لهم المزرعة القبلية ، وكان توطين العرب في المنطقة الوسطى بين المجموعتين . كما روعي المحافظة على أسماء القرى القديمة بل حوفظ على العلاقات المكانية بين قرى كل مجموعة خاصة الفديجة (جدول رقم ٣) (خريطة ١) .

(١) ديانس على سليمان : « مشروعات الري المرتبة على السد العالي » . المجمع المصري للثقافة

الملكية . ك ١٩ . القاهرة ١٩٥٩ ، ص ٣٧

(٢) وزارة الشؤون الإجتماعية : تهجير أهالي النوبة . القاهرة ، الوزارة ، ١٩٦٤ ، ص ٧٠

(٥) فضل منظم أهالي توماس وعافية بعد اجراء استفتاء بينهم أن يكون تهجيرهم إلى الأراضي

المستصلحة في أسنا .

جدول رقم ٣ — مقارنة بين تجمعات سكن القديمة في الوطن القديم والوطن الجديد

ترتيب المناطق من الشمال إلى الجنوب	في الوطن القديم	في الوطن الجديد بكم أمبو
الأولى	أبو حنضل — الديوان — الدروتنقالة — توماس وعافية	مجموعة الديوان — الحنينة الشباك — أبريم والجزيرة
الثانية	قته — أبريم والجزيرة — عنية الحنينة والشباك — مصمص — توشكي شرق — توشكي غرب — أرمننا .	مصمص — عنية — أرمننا
الثالثة	أبو سمبل — قسطل — بلانة — أدندان .	توشكي شرق وغرب — أبو سمبل ١ و ٢ — توماس وعافية — قسطل — أدندان ١ و ٢ — بلانة ١ — بلانة ٢ و ٣ .

ويبلغ منسوب أراضي الوطن الجديد ١٢٠ مترًا في الجنوب حيث أراضي القديمة ١١٠ مترًا في الشمال حيث أراضي الكنوز ، ولما كان منسوب النيل أمام كل منهما هو ٨١ و ٧٨ مترًا على التوالي ، فقد أقيمت محطات لرفع مياه الري بمقدار ٣٩ مترًا لخدمة مناطق ترعة الطويسة (*) في المنطقة الجنوبية . ومحطات أخرى لرفع المياه بمقدار ٣٢ مترًا لخدمة مناطق ترعة السلسلة (**) في المنطقة الشمالية .

لذلك فإن أراضي النوبة الجديدة في كوم أمبو تعتمد في زراعتها على الري بالرفع ونظرًا لكثرة تكلفته فيجب أن تتجه هذه الأراضي ، وما يستصلح حولها نحو إنتاج المحاصيل النقدية المربحة ، ولذلك فإن توجيه هذه الأراضي لزراعة قصب

(*) هذه المحطات هي : أدندان ، بلانة ، أبريم ، قسطل ، الخريت السفلى ، الخريت العليا وهي تروى ما يقرب من ٣٠ ألف فدان .

(**) وهذه المحطات هي : الدكة ، قورته ، وادي العرب ، عنية . وهي تروى ما يقرب من ٢٠ ألف فدان .

السكر باعتباره المحصول المناسب اكلوجياً فيه تحقيق كبير لأهداف الخطة الاقتصادية والاجتماعية .

وقد كان من نصيب الكنوز طبقاً للاسكان المخطط أن يوطنوا في شمال منطقة التهجير ، وهي منطقة تعرف حالياً بالمرعة البحرية ، وتقوم على خدمة الأهالي أربع جمعيات زراعية تتبع مؤسسة استزراع وتنمية الأراضي .

جدول ٤ - زمام الجمعيات الزراعية في منطقة تهجير الكنوز عام ١٩٧٣

رقم	الجمعية	الزمام بالفدان
١	دكا	١٦١٢
٢	دابود	١٣٦٨
٣	كلابشة	٩١٦
٤	قوزقة	١٢٥٠

وتلك المساحات هي التي ملكت للنوبيين ، وقد بلغت هذه المزرعة أقصى توسع زراعي ممكن في المنطقة حيث بلغت جملة مساحتها ٥٧٧٤ فداناً ، ملكت منها مساحة ٥١٤٨ فداناً وجاري حالياً إتمام إجراءات تمليك الباقي .

أما العليقات فقد كان نصيبهم جزءاً كبيراً من مزرعة نصر التي كانت تشرف في عام ١٩٧٣ على مساحة ٦٣٤٤ فداناً منها ٢٣٤٧ فداناً سلمت للأهالي كعاشة وتأجير ، وينتظر أن تصل مساحة هذه المزرعة بعد التوسعات المتوقعة إلى ٨٨٤٩ فداناً .

جدول ٥ - زمام الجمعيات الزراعية في منطقة تهجير العليقات عام ١٩٧٣

رقم	الجمعية	الزمام بالفدان
١	وادي العرب	٣٢٠
٢	السبوع	١١١
٣	المالكى	٢٠٠
٤	الستقارى	١٤٤
٥	شائمة	١٢٨

وبلغت مساحة الأراضي التي كان يزرعها الفديجة عام ١٩٧٣ كل أراضي المزرعة القبلية (٦٤٨٧ فداناً) وكل أراضي منطقة عنية (٧٤٩٩ فداناً) ومعظم أراضي مزرعة نصر (٦٣٤٤ فداناً وبعد التوسع ٨٨٤٩ فداناً يؤخذ منها جزء للعليقات) ثم مزرعة وادي خريط (٧٠٢ فداناً وتوسعات المستقبل تصل إلى ٥٠٢٠ فداناً) وتقوم حالياً على خدمة أهالي الفديجة عدة جمعيات زراعية (جول ٦)

جول ٦ - زمام الجمعيات الزراعية في منطقة تهجير الفديجة عام ١٩٧٣

المزرعة	الجمعية	الزمام بالفدان
نصر (جزء منها تحت التوسع)	كروسكو	١٢٤
	نصر	٨٣٢
	أبريم	٥٥٦
	الحنينة والشباك	٣٢٦
عنية	أرمنا	١٠٥٨
	عنية	٨٥٧
القبلية	توشكي غرب	١١٩٧
	بلانة	٢٣٨٥
	أدنمان	٨٤٨
	قسطل	٦٧٩
	أبوسميل	١١٣٩
وادي خريط (تحت التوسع)	توشكي شرق	٧٠٢

وكان للتربة الزراعية الغنية السهلة في الوطن القديم أثرها في جعل الزراعة «بالنقرة» ، مما سهل على الإناث مزاولةها ، مما خلق توافقاً كاملاً مع تركيب المجتمع . أما في الوطن الجديد وحيث الأرض الزراعية تحتاج إلى مجهود أكبر لاستصلاحها ، فقد فرض على المجتمع التوحي الاعتماد على سواعد العمال الزراعيين

النازحين من ريف الصعيد ، وكان لهذا آثاره الاجتماعية البعيدة المدى على تركيب المجتمع وعاداته وتقاليده التي كانت مستقرة ومسالمة وهادئة .

وقد ساعد احتفاظ المنطقة النوبية في الوطن الجديد بالتقسيم الإقليمي الذي كان سائداً في بلاد النوبة القديمة على استمرار شعور كل من الكنوز والفديجة بوحدة الجماعة وانفصالها وتباعدها اجتماعياً عن كل من الجماعتين الأخريين . وقد ساعد هذا على تزايد الشعور بالانتماء لدى أفراد كل جماعة ، وبالتالي ازدادت الجماعة تماسكاً عما كانت عليه في الوطن القديم (١) .

ورغم وجود التقارب المكاني في الوطن الجديد بين كل جماعة وأخرى ، وسهولة الاتصال فيما بينها ، إلا أن العلاقات ما زالت ضعيفة بين كل من المجموعات الثلاث ، فما يزال التبادل الاقتصادي متعدياً بين سكان كل قرية وأخرى نتيجة عدم استكمال استصلاح الأراضي الزراعية ، ولقلة إنتاجية الأراضي التي وزعت فضلاً عن زراعة نصف مساحة الأراضي الزراعية بصفة عامة قصياً ، مما ظهر أثره في وجود مصالح اقتصادية مشتركة تساعد على ربط الجماعات (٢) .

ومع أن النوبيين يحظون باهتمام كبير في العمالة والتشغيل في مشروعات الوطن الجديد ، ويتساوى في ذلك إلى حد كبير الذكور والإناث ، وهي أمور جديدة لم تكن متوافرة في الوطن القديم ، إلا أن الملاحظ حتى الآن كثرة إحجام النوبيين المثقفين عن المعيشة في وطنهم الجديد تماماً كما كان يحدث في الوطن القديم إذ يفضلون العمل خارجه في أول فرصة متاحة .

ورغم الإنجازات والتسهيلات التي قدمه للنوبيين المهاجرين إلى الوطن الجديد ، إلا أنهم ما زالوا وبعد مرور أكثر من عشر سنوات غير مستقرين وغير راضين عن حياتهم الجديدة . وقد اتضح من الدراسة الميدانية التي قام بها الباحث خلال ربيع ١٩٧٣ ، أن سبب هذا الإحساس يرجع إلى عدة عوامل منها صعوبة الأرض الزراعية واحتياجها لجهود مضاعفة إذا ما قورنت بمثلتها في الوطن القديم ، ويزيد

(١) السيد أحمد حامد : النوبة الجديدة ؛ دراسة في الأنثروبولوجيا الاجتماعية ، ص ٤٢

(٢) نفس المصدر ، ص ٤١

من صعوبة الحياة أيضاً بعد الأرض الزراعية عن قرى التوطين مما يكبد الأهالي الكثير من المشاق خاصة مع عدم توافر وسائل المواصلات السهلة السريعة .

ويزيد من الآلام أنهم دائماً ما يجرون مقارنة بين حياتهم القديمة وحياتهم الحالية مما خلق لديهم حالة من عدم الاستقرار والرضى ، ولكن يبدو أنه بمرور الزمن وتزايد ارتباطهم بالأراضي الجديدة سيبدأ تأقلمهم الكامل مع الوطن الجديد .

١٠ النوبة الجديدة المقترحة

إعادة التعمير

ساهمت النوبة المصرية في تجديد شباب مصر الحديثة ، وعلى ذلك فن الواجب دراسة خير السبل لتحقيق رغبة غالبية أهلها بالعودة لوطن القديم (١) ، ويزيد هذا الواجب بالحاجة القومية لهذا التعمير ، تلك الحاجة التي تفرضها الظروف الجغرافية والاستراتيجية والتخطيطية .

ولقد ساهم السد العالي في زيادة كثافة الرقعة الزراعية في مصر أفقياً ورأسياً كماً وكيفاً ، ولكن صحب إقامته إخراج النوبة من المزروع والمعمور المصري ، وكان ذلك نتيجة عدم وضع خطة للاستغلال الزراعي لمناطق حوض التخزين ، شأنها شأن مناطق أحواض التخزين البحرية التي ينشؤها الإنسان (٢) .

ويمكن أن تمتد مناطق الزراعة على شواطئ بحيرة السد العالي فيما بين خطي كتور ١٥٠ - ١٨٣ ، حيث ترك ذبذبة المياه مساحات كبيرة من الأراضي تشبه أراضي الحياض ، كما يمكن زراعة الأراضي المرتفعة فيما بين منسوبي ١٨٢ - ٢٠٠ بالرفع الاقتصادي (٣) .

(١) فاروق عبد الجواد شويقة : المصدر السابق ، ص ٣٧٢

(٢) Man-Made Lakes as modified Ecosystems.Scop Report 2. International Council of Scientific Unions Scientific Committee on Problems of the Environment. Paris, 1972, p. 31

Rizkana. I. & Abou El-Ezz, M.S. : "The High Dam Lake in Aswan a new (٢) environment in the making". In: Bulletin de la Société de Géographie d'Egypte Tom 37, 1964, p. 107

ومع صلاحية كل أراضي شواطئ بحيرة السد العالي للزراعة ، إلا أن هناك مناطق أخرى متسعة تصلح لتكون مناطق استقرار رئيسية تلك هي (١) :-

١- وادى كركر : حيث تصله مياه البحيرة ذات المنسوب العالى .

٢- وادى كلايشة : حيث تغمر مياه البحيرة مسافة ١٤ كم ، ويعرض ١-٣ كم ، وتترك مساحة ١٢ ألف فدان صالحة للزراعة الدائمة ، بالإضافة إلى مساحة ٩٦ ألف فدان صالحة للزراعة الحوضية .

٣- وادى العلاق : حيث يصلح جانبيه الشرق والغربى للزراعة الدائمة في مساحة ٥٢ ألف فدان ، تنحصر عنها المياه تدريجياً عند نهاية الوادى (٣) ، كما توجد مساحة ٤٥ ألف فدان يمكن زراعتها حوضياً .

٤- وادى توشكا : حيث يمكن زراعة أراضى شاسعة يبلغ مساحتها ٧٥ ألف فدان فوق كتور ١٨٢ متراً .

وبذلك تصل مساحة الأراضي الصالحة للزراعة حول البحيرة إلى أكثر من ٣٠٠ ألف فدان موزعة على منطقتين : الأولى فوق كتور ١٨٢ متراً وهى تحتاج إلى رفع المياه ، وفى هذه المنطقة يمكن أن تزرع الأشجار المستديمة الكبيرة كأشجار البساتين والأشجار الخشبية . والمنطقة الثانية هى المحصورة فيما بين خطى ١٨٢-١٦٥ متراً أو أدنى من ذلك ، حيث تنحصر عنها المياه تدريجياً سنوياً (٣) .

وأن فى خلق وفى قامة قرى ومناطق سكنية جديدة فى النوبة القديمة ، وإعادة تعميرها ، يحقق كثير من آمال النوبيين ، كما أنه يحقق الكثير من خطط التنمية القومية ، بالإضافة إلى أن الظروف الاستراتيجية تفرض إعادة تعمير المنطقة ، بعد أن ظلت خالية من الحياة الإنسانية أكثر من عشر سنوات .

(١) عبد المنعم المهدي : « الفئات الحارة على شواطئ بحيرة ناصر » . فى : محاضرات الجمعية الجغرافية المصرية موسم عام ١٩٦٤ . القاهرة ، ص ٤٠

(٢) محمد رياض : « النوبة المصرية - كروسكو » . فى : حوليات كلية الآداب جامعة عين شمس ، مج ٩ ، ١٩٦٤ ، ص ص ٢٢٥ - ١١٦

(٣) أحمد عبد العظيم : « الزراعة حول بحيرة ناصر » . فى : الصحيفة الزراعية . القاهرة ، مصلحة الثقافة الزراعية ، مايو ١٩٦٤ ، ص ص ٤٧ - ١٨

ومما يساعد على إعادة التعمير توافر مصادر الثروة المعدنية ، وأيضاً توافر مصادر الطاقة ممثلة في كهرباء خزان أسوان والسد العالي وغيرها من مصادر الطاقة الأخرى .

وباستصلاح الأراضي القابلة للزراعة حول بحيرة السد العالي ، حيث التربة الصفراء الصالحة والأراضي اقتصادية الري بالرفع الآلى ، يمكن أن يخلق مجتمع زراعى مستقر جديد يعتمد في حياته على زراعة محاصيل غذائية وتقديية مناسبة ، بل إن هذا المجتمع يمكن أن يعمل على خلق بيئة جديدة في الثوبة القديمة تعتمد على المشروعات الصناعية والسياحية بقلر اعتمادها على المشروعات الزراعية .

ويمكن الاعتماد في إعادة التعمير والتوطين على المناطق الزراعية في كلابشة وسيالة وتوشكى ، وهى التى كانت محل دراسة لإتمام التهجير إليها بدلا من التهجير إلى كوم أمبو ، خاصة وأن منسوب تخزين بحيرة السد العالي قد استقر الآن ، مما يسمح بالتوطين المستقر على منسوب ١٨٥ متراً .

وقد بدء التخطيط لإعادة تعمير الثوبة القديمة بأن خطط لقرية أبو سمبل الجديدة ، وهى التى ستشمل المنطقة السكنية المحيطة بفندق أبو سمبل وتلك المنطقة يعطيها الموقع والمناخ والهدوء ، كما يعطيها المعبدين الأثرين بعد رفعهما مميزات كثيرة تفرض خلق مثل هذه المنطقة العمرانية السياحية ، ومن ذلك يتضح مدى دور الجغرافيا بعناصرها المتعددة في تحقيق هدف التخطيط ، الذى يهدف على كافة المستويات ، وعلى امتداد كل المحاور ، خدمة للإنسان (١) .

مشروعات المستقبل :

دخلت دراسة المستقبل والتخطيط لمشروعاته في مجال علم المستقبل Futurology ، وهو أحد علوم ومجالات التخطيط . فلقد أصبح التنبؤ بالمستقبل والتخطيط له ، علم تهتم به كل الدول المتقدمة اهتماماً كبيراً ، بل لقد وضعت الدراسات التفصيلية كى يخدم العلم وتطبيقاته الإنسان (٢) .

(١) صلاح الدين الشامى : الجغرافيا دعامة التخطيط . الاسكندرية ، منشاة المعارف ،

وتعتمد مشروعات المستقبل على التخطيط الإقليمي، الذي يعتبر بدوره التوزيع الجغرافي لخطة التنمية القومية. ومن مشروعات المستقبل في النوبة الجديدة المقترحة، تعمير شواطئ بحيرة السد العالي بالزراعة الدائمة والحوضية طبقاً لما تفرضه خطوط الكنتور وذات التخزين.

ولقد شهدت الـأكولوجية المصرية في مجال الري ثلاث مراحل من الري التهرى، فقد بدأت بالري الحوضي الذي بدأ منذ اكتشاف الزراعة ولم ينتهي إلا منذ سنين قليلة، ثم تلاه الري الدائم الانسيابي (بالراحة)، الذي بدأ منذ نهضة مصر الحديثة، وما زال سائداً في الدلتا والصعيد، وأخيراً ظهر الري الدائم بالرفع وهو الذي تعتمد عليه خطة التوسع الزراعي على أطراف الدلتا والصعيد وعليه أيضاً تعتمد خطة التوسع الزراعي في النوبة بالإضافة إلى النوعين الآخرين.

ويمكن زيادة الأراضي الزراعية في النوبة إذا ما نفذ مشروع الدكتور أبانبا (١)، الذي يرمي إلى مد زراع من النيل يشمل وادي الشيخ الذي يصب في وادي النيل شمال أبو حمد، ثم وادي قبة ووادي العلاقي، ليصب في بحيرة السد العالي عند موضع المحرقة القديمة.

ومن فوائد هذا المشروع أنه يعمل على زيادة المخزون من المياه بالتخزين المعادل (X)، مع السد العالي، حيث يصل التخزين في جزئه الأدنى إلى منسوب ٢٥٠ متراً، بما يسمح بقدرة تخزينية تصل إلى نحو ١٧ مليار متر مكعب سنوياً (٢)،

Abbate, O. : "Dongola et la Nubie". In : Bulletin de la Société (١) Khediviale de Géographie. T. IV, Le Coire, 1897, pp. 745—765

(X) التخزين المعادل يعني خصم جز من الحصة التي تصرف من المياه في حوض التخزين المستمر معادلة لبعض المياه التي تصل عن طريق روافده أخرى، ويمكن التخزين المعادل من السيطرة والتحكم في إيراد النهر بطريقة معادلة، كما يمكن معه من رفع منسوب المخزون في حوض التخزين المستمر، وضمان كميات إضافية في السنين شحيحة الإيراد.

(صلاح الشامي : مياه النيل ؛ دراسة موضوعية ، ص ٩٥) .

(٢) صلاح الدين الشامي : « مجرى جديد للنيل في الطمور ؛ مشروع مقترح للتخزين السنوي المعادل » في : مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة . مج ٢٣ ، ٢٤ ، ديسمبر ١٩٦١ . القاهرة ، مطبعة جامعة القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص ٢٠٣

كما يعمل هذا المشروع على تقليل الاطءاء في حوض تخزين السد العالى بمقدار ما يخص هذه الكمية من طمى المياه الجبشية ، مما يعطى الفرصة لخزان السد العالى لأن يمتلئ بمياه من الهضبة الاستوائية التى تتميز بقله رواسبها .

ويعطى هذا المشروع أيضاً الفرصة لمصر والسودان بأن تخلق منطقة عمرانية واسعة تعتمد على الأراضى المستصلحة حول حوض تخزينه ، وفي تزايد العمل في مناجم النوبة (١) .

ومن المشروعات المكتملة - أيضاً - للسد العالى في بلاد النوبة والتي تساهم في إضافة تغيير كبير على اللاندسكيب (X) ، مشروع خزان مروى وهو المشروع الذى لقي عناية كبيرة في عام ١٩٤٢ ، حيث جرى البحث عن موقع له على النيل فيما بين وادى حلفا والخروط شمالى اتصال العظيرة بالنيل ، وقد دلت الأبحاث على وجود موقعين صالحين للتخزين السنوى : الأول يقع على مسافة ٢٧ كيلو متر أمام حلفا (٢) ، والموقع الثانى على مسافة ٣٠ متراً أمام مروى . وكلا الموقعين صالحين من حيث طبيعة تكوين قاع النيل ، ولكن يفضل الموقع الأول عن الثانى نظراً لقله عدد السكان المطلوب تعويضهم ، وفي هذا الموقع يسع انخزان ثمانية مليارات من الأمتار المكعبة خلال فترة الفيضان تزداد إلى تسعة مليارات مدة الصيف (٣) .

ومع إقامة السد العالى بتخزينه القرنى المستمر . يمكن أيضاً الاستفادة من إقامة مثل هذا المشروع الذى يحقق بالإضافة إلى التخزين السنوى للنوبة السودانية ، يحقق التخزين المعادل للسد العالى ومشروع خزان العظمو (مشروع خزان أباتا باشا) ويعمل على إمكانية تنفيذه وزيادة كفاءته .

ويمكن للسد العالى وخزان مروى وخزان العظمو أن يكونوا رؤوس مثلث التنمية الاقتصادية في حوض النيل الأوسط خاصة بلاد النوبة في كل من مصر والسودان .

(١) نفس المصدر ، ص ٢٠٩ .

(X) مما سيكون له أثر وانعكاس على اللاندسكيب Manscape (إن صح هذا الاشتقاق) .

(٢) Hurst, H.E. : The Nile Basin, Vol. 7, p. 101

(٣) صلاح الدين الشاى : مياه النيل ؛ دراسة موضوعية . القاهرة ، مكتبة مصر ، ١٩٥٨ ،

ولعل أهم ما يقدم هنا هو الاقتراح الخاص بمجرى تحويل النيل في النوبة المصرية ، بواسطة قناة تكون مكشوفة في بعض أجزائها ومنحوتة في الصخر على هيئة نفق في بعضها الآخر . ويفضل أن يبدأ من منطقة بعيدة عن السد ومتعمقة في الخزان صوب الجنوب . حتى يكون منسوب بدايته أو مخرجه مرتفعاً مما يسمح ويسهل الانحدار الطبيعي للمياه . ويقترح موضع على الضفة الغربية أمام بلدة توشكى القديمة حيث سيتكون في هذه المنطقة خليج كبير متبعاً خطوط الكتور .

ويمكن إنشاء نفق أو أنفاق تحويل في الصخر لمسافة لا تزيد عن ٤٠ كيلو متر حيث تنتهى إلى منخفض الواحات الداخلة . وما يسهل إنجاز هذا العمل أن تكوينات الصخور من الحجر الرملي النوبي وليست من الجرانيت . لذلك يجب تكسية الأنفاق بطبقة خرسانية ومواد عازلة حتى يقل التسرب إلى أدنى قدر ممكن . وما يسهل العملية الإنشائية أيضاً أن تلك المنطقة لا يبلغ ارتفاعها أكثر من ٢٥٠ متراً في المتوسط (١) ولا يوجد بها جبال سوى جبل العصر (٢٦٤ متراً) (X) مما يقلل جهد محطات الرفع التي ستقام في بعض النقاط على مسار قناة التحويل .

هذا وقد قدم إقترح مشابه (المهندس الزنائى) في الندوة العلمية التي عقدها المركز القومى للبحوث بالقاهرة خلال المدة من ٢ - ٥ مارس ١٩٧٦ للدراسة الآثار المترتبة على بناء السد العالى . وإن كان الاهتمام يتركز الآن على حفر مفيض للمياه الزائدة عن السعة الحية لخزان السد العالى .

بعد ذلك يمكن حفر قناة تسير في منخفض الواحات صوب الشمال ثم الشمال الشرقى ، كما يمكن أيضاً شق قناة أخرى تتجه صوب الجنوب الغربى ثم نحو الشمال لتغذى كل منخفض الواحات الداخلة بمياه النيل مما يسمح بقيام زراعة دائمة ومستقرة ذات نمط اقتصادى متقدم مما يتيح فرصة حقيقية لخلق واد جديد أخضر .

أما مجرى التحويل الحديد المقترح فيمكن أن يمتد بعد انجازه صوب الشمال

(١) فاروق عبد الجواد شويقة : النوبة المصرية ، ص ٣٥٦

(X) هذا في المراحل القديمة ، أما بعد المليات الساحية الحديثة فقد اتضح عدم وجود هذا الجبل مما يدل على خطأ الرفع الأول (من مناقشات ندوة المركز القومى للبحوث في مارس ١٩٧٦) وهذا يسهل تنفيذ الاقتراح المقدم في هذا البحث .

الشرق وعند نهاية الطرف الشرقى لمنخفض الواحات الداخلة حيث يدخل المجرى منطقة مرتفعة (١) يضطر فيها إلى الاتجاه نحو الشرق بانحراف قليل نحو الشمال لمسافة نحو ٦٠ كيلو متر حتى يصل إلى أعلى وادى كلابشة ، ثم يتجه نحو الشمال بانحراف قليل نحو الشرق لمسافة نحو ٧٠ كيلو متر إلى أن يصل إلى وادى الحميزة حيث ينساب فيه حتى مصبه فى النيل أمام بلدة الخطارة شمال مدينة أسوان بنحو ١٧ كيلو متر . ويمكن توصيل أعلى وادى الحميزة بواسطة قناة مكشوفة أخرى أو بنفق فنجعل بذلك المجرى التحويل المقترح مخرجين ، الأول والرئيسى أمام بلدة الخطارة والثانى بجوار بلدة السبخاية أمام مدينة دراو . (خريطة ٢) .

هذا ويجب أن نتحكم فى مياه هذا المجرى مجموعة من القناطر التى تنظم التصريف وتوجهه خاصة فى الجزء الأوسط من المجرى أثناء سيره فى منخفض الواحات الداخلة ويشجع نجاح مصر فى عبور المراحل الحرجة فى التصنيع من مرحلة ما قبل الصناعة إلى مرحلة الاتجاه إلى الصناعة فرحلة شبه الصناعة ثم مرحلة الصناعة (١) ، أن يأمل معه اكلوجى التخطيط فى خلق بيئة صناعية كبيرة فى المدخل الجنوبى لمصر ، تخلق توازناً كاملاً مع آخرتها فى منطقة القاهرة وشرق الدلتا ووسطها وغربها . والمعتقد أنه يجب وضع مشروعات لإقامة صناعات كبرى فى منطقة أسوان مستفيدة من الطاقة الكهربائية الهائلة المتوافرة من محطة السد العالى وخزان أسوان ، فىمكن إضافة صناعة الألمنيوم وصناعة النحاس خاصة وإن خاماتها قريبة ، هذا بالإضافة إلى التوسعات الواجب تنفيذها على صناعة الأسمدة الأزوتية .

ويضاف إلى ذلك توافر خام الحديد الهيماتينى فى مناجم أسوان حيث يبلغ ٤٦٠ ألف طن عام ٦٨-١٩٦٩ بعد أن كان ٢٤٠ ألفاً فى عام ٦٠-١٩٦١ أى وصل معدل الزيادة إلى ١٩١,٧ ٪ ، مما يعطى الفرصة لخلق صناعة جديدة للحديد والصلب بمصانعها ومجمعاتها الكاملة فى أسوان (٢) بحيث يخصص إنتاجها أو الجزء الأكبر

(خ) فى هذا الموضع تقام محطة رفع كهربائية .

(١) جمال حمدان : شخصية مصر ، ١٩٧٠ ، ص ص ١٠٦ - ٣٠٧

(٢) وفى هذه الحالة يمكن تخصيص مناجم الواحات البحرية بما فيها من خام الحديد بأنواعه الثلاث لتنفيذ مصانع ومجمع الحديد والصلب فى حلوان والذي يمكن تخصيص إنتاجه كله للاستهلاك الداخلى

منه ومن غيره من المعادن ، والمنتجات الصناعية والزراعية الأخرى للتصدير عن طريق ميناء برنيس الحديد المقترح إنشاؤه ، والذي يجب أن تخدeme شبكة من الطرق البرية والحديدية لربطه باقليم وادى النيل وباقليم البحر الأحمر .

ويجب أن تتميز وتتمايز منطقة النوبة الصناعية باعتمادها على الحاصلات الزراعية والسكنية المحلية (قصب السكر - النخيل : البلح والزيت ومتجاتها - والفواكه والخضروات المدارية والإستوائية) ، وعلى المواد المستوردة من الدول الإفريقية المجاورة (الأخشاب - المطاط - الزيوت - اللحوم) ، بحيث تخلق صناعات جديدة (السكر والحاوى - المأكولات المعلبة - الأثاث - المصنوعات المطاطية) الاستهلاك المحلى وللتصدير .

ولتنشأ ميناء حديثة فى برنيس تخدم الجزء الجنوبي من مصر وليبيا ، بحيث تصبح منفذ الأخيرة الشرقى على البحر الأحمر ، ونافذتها على عالم آسيا الموصى ، وتمتد خطوط أنابيب البترول إليها لتصديره إلى أسواق اليابان وأستراليا وشرق أفريقيا ، ويمكن إنشاء منطقة حرة فيها ولتكن برنيس هونج كونج أفريقيا الجديدة .

ومن أهم مشروعات التخطيط للمستقبل إستغلال مصادر الطاقة المتوافرة فى هذه البيئة الفريدة ، حيث تعتبر النوبة من أنسب المناطق فى مصر لإقامة محطات توليد الطاقة الكهربائية من الأشعة الشمسية (X) ، التى يجب أن نأجأ إليها للحصول على مصادر الطاقة والغذاء . وتتلزمت الحياة (١) ، ومما يساعد على ذلك طول ساعات سطوع الشمس فى مصر إذ تبلغ ثلاث آلاف ساعة سنوياً (٢) ، بينما هى فى أوديلو على البرانس الفرنسية حيث يوجد أكبر فرن شمسي فى العالم (XX) نحو ألف ساعة فقط .

(X) من المعروف أن توليد الطاقة الكهربائية من الإشعاع الشمسي يمثل ارفع واسهل طريقة لتوليد الطاقة بما فى ذلك الكهرباء المائية وكهرباء الطاقة النووية .

(١) Kenneth, F. Weaver : "The Search for Tomorrow's Power". In : National Geographic Magazine. November 1972, p. 677

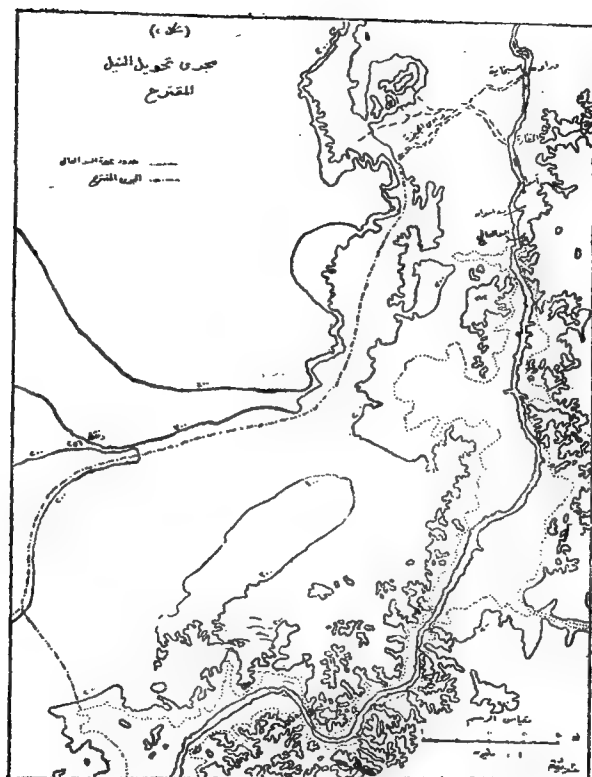
(٢) ابرهيم حلمى عبد الرحمن : « الشمس كمصدر للطاقة فى البقاع الصحراوية » . المجمع المصرى للثقافة العلمية ، مؤتمر الصحارى ، ١٩٥٠ . القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٥٠ ، ص ص ١٧٩ - ١٨٦

(XX) انشئ عام ١٩٦٩ وبصل درجة الحرارة المولدة فيه إلى ٣٥٠٠ م ، كما توجد فى طشقند مرآة قطرها ١٠ أمتار من الزجاج فى يورتها غلاية تنتج ٦٠ كيلو بخار - ساعة تحت ضغط ٧ جو وكثافتها =

أما مجال السياحة فيمكن لمصر أن تجعل منه مصدراً تمويلياً ضخماً ، فيما تملكه النوبة من كنوز أثرية ممثلة في المعابد القديمة ، التي أنقذت بعمليات هندسية حديثة ، يمكن أن تجذب الأنواع السياحية لزيارتها ، لمشاهدة معجزات الآثار القديمة والإنجازات الهندسية المتقدمة ، ولكي يتم هذا العمل يجب التوسع في إنشاء شبكة من المواصلات البرية والنهرية والبحوية تربط أجزاء النوبة بعضها ببعض وبالقاهرة وبالعالم الخارجى .

ويكل هذا يمكن أن تخلق بيئة جديدة متكاملة من حيث الإنتاج الزراعى والتعدينى والصناعى والسياحى : وتقوم على خدمتها شبكة من المواصلات والموانى البحرية والبحوية ، تربطها بكافة أجزاء العالم الخارجى خاصة فى آسيا وأفريقيا . وفى الحقيقة ، أنه يمثل هذه الدراسات وتطبيقاتها التفصيلية المتعمقة الدقيقة ، على المجتمعات الجديدة التى تمر فى طور التكوين ، يمكن أن يظهر مجال جديد من مجالات إهتمام الأنثروبولوجيا ، هو : « أنثروبولوجية التخطيط » . مثلاً ظهرت أخيراً أنثروبولوجية المدن . وبذلك - وفى هذا المجال - تلحق الأنثروبولوجيا بالجغرافيا .

٦٠٪ ، وهى تنبع نحو الشمس اوتوماتيكياً وتستخدم الطاقة المستخرجة منها فى مختلف الأغراض ، وفى استراليا الآن تنتج المياه العذبة فى بعض مناطقها باستعمال اشعة الشمس .



18. Man-Made Lakes as modified Ecosystems. Scope Report 2. International Council of Scientific Committee on Problems of the Environment. Paris, 1972.
19. MUS'D, M. : الإسلام والنوبة في المصور الوسطى . القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٦٠
20. REISNER, G.A. : "Outline of the history of the Sudan ; part I, Early Trading Caravans 4000—2000 B.C." In : S.N.R., Vol. 1, 1918
21. RIZKANA, I ; ABOU EL-EZZ, M.S. : "The High Dam Lake in Aswn: a new environment in the making". Bulletin de la Société de Géog. d'Egypte. Tom 37, 1964.
22. RY'D, M. : النوبة المصرية - كروسكو . في : حوليات كلية الآداب . جامعة عين شمس . المجلد التاسع ، ١٩٦٤ . القاهرة ، الجامعة ، ١٩٦٤
23. ABD AL-RASUL, K. : سيالة ؛ مساهمة في دراسة
البيكولوجية النوبة المصرية ؛ في : حوليات
كلية الآداب بجامعة عين شمس . المجلد السابع .
١٩٦٢ . القاهرة ، مطبعة جامعة عين شمس ، ١٩٦٢
24. SHUWAYQAH, F.A.G. : النوبة المصرية ؛ دراسة في تفاعل الإنسان والبيئة .
رسالة دكتوراة ، غير منشورة ، قدمت إلى قسم الأنثروبولوجيا
بمعهد البحوث والدراسات الأفريقية جامعة القاهرة
القاهرة ، ١٩٧٤
25. VIVER, L. : الأرض والتطور البشرى ، ترجمة محمد السيد غلاب .
ط ٢ . الاسكندرية ، دار للطبوعات الجديدة ، ١٩٧٣

الفروق الجنسية في التوتر

للدكتورة/سلوى الملا

مدرسة علم النفس بكلية الآداب - جامعة القاهرة

لاقت بحوث الفروق بين الجنسين فيما مضى قدرا ضئيلا من الاهتمام من السيكولوجيين الذين أغفلوها وذهبوا الى اعتبارها أى الفروق بين الجنسين نوعا من الخطأ المنهجي مما يتعين اجتنابه وهو ما كان يتجه اليه بعض التجريبيين الاوائل أمثال قونت وتلامذته .

ولعل البداية المناسبة للاهتمام بالفروق الجنسية نجدها تقوم في دراسات جالتون R.B. Galton في بريطانيا وكاتل R. Cattle وجاسترو Gastrow وجيلبرت Gilbirth في الولايات المتحدة الامريكية الذين أخذوا على عاتقهم اجراء العديد من الدراسات والبحوث التي تناولت الفروق بين الجنسين وبالرغم مما نراه الآن من نمو الاهتمام بهذا المجال الذى اكتسب اهمية نتيجة لبحوث الفروق الفردية بوجه عام الا أنه لم ينمو بقدر كاف وخاصة في ميدان دراسات علم النفس الاجتماعى والشخصية . ويتضح ذلك من خلال الحقائق الآتية :

(أولا) نلاحظ ذلك القدر من عدم التوازن في اختيار عينات البحوث اذ تتجه أغلب الدراسات لتفضيل عينات ذكورية .

(ثانيا) عدم الاهتمام بتصميم اختبارات جديدة تهدف للكشف بوضوح عن الفروق الجنسية .

(ثالثا) اغفال اجراء تحليل للنتائج الخاصة بكل جنس على حده في العينات المشتركة (ناهد رمزي ١٩٧١) •

وقد تعددت الدراسات العلمية في موضوع الفروق بين الجنسين وتنوعت فشملت الفروق في الذكاء والقدرات الخاصة والتحصيل والميول والاتجاهات والقيم والوظائف الحسية الحركية والتوافق الاجتماعي والوجداني ، فضلا عن الدراسات الفسيولوجية والفروق في معدل النضج •

الا أن الكثير من هذه الدراسات يوجه اليه نقد منهجي من عدة جوانب منها تأثير العوامل الانتقائية في اختيار العينات من الجنسين التي تجرى المقارنة بينها وكذلك غدم التأكد من الدلالة الاحصائية للفروق • وتجاهل التداخل الكبير بين منحنيات توزيع الدرجات في الجنسين ، وقصور الأدوات المستخدمة في قياس مختلف السمات •

وينقسم الباحثون في تفسيرهم لنتائج البحوث ، وبخاصة فيما يتصل بالفرق بين الجنسين في التوافق الوجداني الى فئتين :

تفسر الفئة الاولى النتائج على أساس العوامل التكوينية ، وتفسر الفئة الثانية النتائج على أساس العوامل الحضارية • ويستند أفراد الفئة الاولى في تأكيد تفسيرهم الى أن العادات (العصبية) تظهر بدرجة أكبر في الاناث عنها في الذكور في مرحلة مبكرة من السن وأن الفروق في درجة العصبية لا زالت قائمة بالرغم من تزايد الاتجاه نحو المساواة بين الجنسين ، كما أن الفروق في الانفعالية بين الجنسين توجد بنفس القدر بين الأطفال المكفوفين والأيتام المقيمين في ملاجئ • بالرغم من تساوى الظروف البيئية بين الجنسين ، وأخيرا فانهم يستندون الى أن أغلب مظاهر السلوك العصبي تتفق غالبا مع التغيرات الفسيولوجية وسن اليأس • الا أن أفراد الفئة الثانية يشككون في قيمة هذه الأدلة ، ففترات البلوغ وسن اليأس هي نفسها أزمنة اجتماعية حادة والمساواة بين الجنسين لا تساوى

بين الجنسين فعلا ما دامت هناك مصادر أخرى للتحيز والاحباط

ولا يوجد ما يؤيد هذا الزعم بأن البيئة في الملاجئ وبالنسبة للمكفوفين واحدة بالنسبة للجنسين ، والمعادن العصبية وحدها ليست دليلا على الانفعالية (ل. كامل ١٩٦٣) .

ومن الجلي أن بحوث الفروق بين الجنسين توضح لنا أن شخصية كل من الذكر والأنثى لا يمكن فهمها إلا في ضوء تفاعل عدد من العوامل المحددة ، هي العوامل التكوينية وعضوية الجماعات المختلفة التي ينتمى إليها الفرد بما فيها أنماط التنشئة الاجتماعية والأدوار المختلفة التي يقوم بها الفرد بما فيها دور الذكر والأنثى .

ومهما يكن النقد الذي يوجه إلى دراسات الفروق بين الجنسين فإن تكرار هذه الدراسات في مجتمعات مختلفة سوف يسهم ولا شك في إلقاء مزيد من الضوء على طبيعة ومصدر هذه الفروق ومن الناحية العملية فإنه يصعب في وصف أى جماعة بشرية أن تتجاهل دور الفروق بين الجنسين سواء كانت هذه الفروق تحددها عوامل تكوينية أو حضارية .

تاريخ البحث وأهدافه

قامت الباحثة عام ١٩٧١ ببحث للحصول على درجة الدكتوراه بعنوان (الإبداع والتوتر النفسى) وقد شملت عينة البحث ١٠٠ ذكر و ١٠٠ أنثى وقد كان الهدف الأساسى للبحث كشف طبيعة العلاقة بين الإبداع والتوتر النفسى ، وقد تبين لنا أن قدرا أمثل من التوتر النفسى لازم للأداء الإبداعى وأنه إذا زاد التوتر عن هذا القدر وكذلك إذا قل عنه أصبح معطلا لنمو وخصوبة القدرات الإبداعية .

ثم أسفر البحث عن نتيجة جانبية استحققت أن نوليها جهدا واهتماما خاصا ، وهى مشكلة الفروق الجنسية في التوتر . ذلك أنه قد تبين من نتائج البحث أن تنظيم سمة التوتر لدى الإناث تختلف عنها بالنسبة للذكور ... فقد ارتبط

التوتر بالابداع لدى الاناث في اتجاه التصلب أو الجمود بينما ارتبط لدى الذكور في اتجاه الدافعية أو حالة النشاط العامة للفرد . وقد كان من المتوقع بناء على كثير من الدراسات السابقة أن يختلف التوتر بين الاناث والذكور نتيجة للكثير من الأسباب البيئية والنفسية التي يمر بها كل منهم . الا أن الأمر كان محتاجا لمحاولة التأكد من طبيعة الاختلاف في التوتر بين الجنسين فربما كان الاختلاف في طبيعة التوتر وليس في وجوده أى أن الجنسين يخبران شعورا بالتوتر الدافع ولكن طبيعته تختلف في الاناث عنها في الذكور ولهذا فقد حاولنا من خلال البحث أن تبيين هذا الاختلاف وان كانت الاجابة على هذه الأسئلة تحتاج الى بحث خاص ليرزها ويوضح طبيعة هذه الاختلافات (س . الملا ١٩٧١) .

الاختبارات التي استخدمت :

استخدمنا مجموعة من الاختبارات لقياس مستوى التوتر النفسى العام في الشخصية كان بعض منها يقيس التوتر عن طريق الاستجابات المتطرفة . ويجدر بنا في هذا المقام وقبل أن نعرض لاختبارات التوتر النفسى أن نشير الى أن هناك عددا من الدراسات التي أجريت سواء في البيئة المحلية أو الخارجية قد استخدمت بالفعل مفهوم التطرف كقياس لمستوى التوتر النفسى - نعرض الآن لبعض منها بإيجاز على سبيل المثال .

أجرى البحث الأول الدكتور سويف وكان ذلك سنة ١٩٥٢ م (م . سويف ١٩٦٨) واهتم فيه ببيان أثر عضوية الفرد في فئة اجتماعية معينة على مقدار توتره النفسى مقدرا بعدد الاستجابات المتطرفة التي تصدر عنه في موقف الاختبار . وقد اتخذ من مفهوم النفور من الغموض جسرا يصل بين التوتر وبين تطرف الاستجابة وكان الفرض العام للبحث هو أن « الفئات الاجتماعية المتفاوتة من حيث مستوى توترها العام تختلف بحيث أنه اذا تساوت سائر الشروط فان الفئة الاجتماعية ذات المستوى المرتفع من التوتر تميل الى اصدار عدد من الاستجابات المتطرفة أكبر مما تميل الى اصداره فئة أخرى ذات مستوى منخفض من التوتر » .

وللتحقق من هذا الفرض طبق مقياس الاستجابات المتطرفة على ١٠٢٨ مواطنة ومواطنة من المصريين تتراوح أعمارهم بين ١٢ الى ٤٦ سنة بوسيط قدره ١٧ سنة وانحراف ربيعي ٢١٦ وقد تحققت فروض البحث في معظمها بحيث أظهرت النتائج ارتباطا واضحا بين انتماء الفرد الى فئة اجتماعية معينة وبين مقدار توتره النفسي مقدار باستجاباته المتطرفة .

وعلى ضوء نتائج هذا البحث أجرت صفاء الأعسر دراسة حول أثر البيئة الدراسية على رفع مستوى التوتر النفسي (المرجع السابق ص ٥٥) وكان الفرض الأساسي على النحو الآتي : « هناك علاقة بين درجة التوتر النفسي وعضوية مجتمعات تربوية مختلفة يسود كلا منها نظم ، اجتماعية وتربوية خاصة ، وذلك عندما تميل البيئة التربوية الى الأخذ بالاتجاه المحافظ في مجتمع توجد فيه نماذج أخرى لبيئات تربوية أكثر تحرا يزد من مستوى التوتر لدى الأفراد » فإذا صح أن كلية البنات تعتبر بيئة تربوية مقيدة لحرية الحركة اذا ما قورنت بكلية الآداب . فقد يكون هذا التقيد هو السبب الرئيسى لارتفاع مستوى التوتر عند طالبات كلية البنات .

وللتحقق من هذا الفرض قامت الباحثة بتطبيق اختبار الاستجابات المتطرفة على مجموعتين من طالبات السنة الاولى بكلية الآداب وكلية البنات ومجموعتين من السنة الرابعة من طالبات كلية الآداب وكلية البنات وقد تبين من البحث أن الفرق بين الاستجابات المتطرفة في عنتى السنة الاولى لم يكن جوهريا في حين كان الفرق بين الاستجابات المتطرفة في عنتى السنة الرابعة ذا دلالة احصائية واستنتجت الباحثة من ذلك أن الطالبات قبل الالتحاق باحدى الكليتين كن على درجات متقاربة من التوتر أى أنه ليس هناك ما يبدل على أهما من مجتمعين اصلين مختلفين . ولكن بعد مضى أربع سنوات في مجتمعين تربويين يسود كلا منهما قيم خاصة تبين أن هناك فرقا ذا دلالة بين المجموعتين مما يؤيد الافتراض الأساسى الذى بدأت به البحث .

وأجرى الدكتور سويف ١٩٥٨ (م سويف ١٩٥٨) بحثاً يهدف للمقارنة بين مجموعتين ، أحدهما من الجانحين والأخرى من غير الجانحين • وكان من بين أهداف البحث محاولة الإجابة على السؤال الآتى :

« هل يفوق الأحداث الجانحون الأحداث غير الجانحين من حيث تفضيل الاستجابة المتطرفة بحيث تستدل منه على ارتفاع مستوى التوتر العام في شخصية الجانح •

وقد استخدم نفس الاختبار على مجموعتين من الشبان أحدهما من الجانحين والثانية مجموعة ضابطة ولكن النتيجة جاءت سلبية ، فلم تظهر التجربة أية فروق دالة بين الجانحين وغير الجانحين في طرف الاستجابة وبالتالي في مقدار توتره النفسى •

كما قام برنجلمان (م • سويف ١٩٦٨) بأجراء عدة بحوث استخدم فيها اختبار الاستجابات المتطرفة المصرى (بصورة معدلة) لعرض الآن لبحث منها • كان اهتمام الباحث يدور حول شعور الشخص بالثقة في حكمه أو التأكد من صحة هذا الحكم تحت شروط تجريبية محددة هي أن يكون الحكم متعلقاً بصحة أداء الشخص على اختبار للتذكر ، واختبار للتعرف ، وأن يكون المتطوع من العصائين أو القساميين •

والتحقق من هذا الفرض استخدم برنجلمان اختبار درجات اليقين الذى قام هو بإعداده • وفيما يتعلق باختبارات الشخصية فقد استخدم الباحث مقياس الانطواء والعصائية لأيزيك ومقياس التصلب لنجنو تسكى • ومن أهم النتائج التى انتهى إليها برنجلمان وجود نوع من الارتباطات النحنية بين الشعور بالثقة وبين بعض متغيرات الشخصية كما تقيسها الاختبارات •

وأجرى مصرى عبد الحميد (م • سويف ١٩٦٨) دراسة حول الارتباط بين الحياة في الريف والحضر وبين مستوى التوتر النفسى وكان الفرض العام للدراسة

هو « أن الحياة في المدينة الكبيرة تكون مصحوبة بقدر من التوتر النفسى العام يفوق ماثيره الحياة في الريف أو في المدينة الصغيرة شبه الريفية وأن هذه الحقيقة يمكن الكشف عنها بتطبيق اختبار الاستجابات المتطرفة على عينات من هذه البيئات الثلاث داخل المجتمع المصرى » . وللتحقق من هذا التنبؤ طبق الباحث اختبار الاستجابات المتطرفة على ثلاث مجموعات من الذكور المصريين تمثل ثلاثة مستويات على بعد « الريف الحضر » . وقد اتضح من نتائج البحث أن أبناء الحضر يكشفون عن مستوى عال من التوتر والنفور من الغموض يتبين من حصولهم على درجات مرتفعة على متغير الاستجابة المتطرفة وعلى درجات منخفضة على متغير الاعتدال . في حين أن أبناء الريف يكشفون عن مستوى منخفض من التوتر يبدو في حصولهم على درجات منخفضة من الاستجابات المتطرفة العامة والايجابية وعلى درجات مرتفعة على متغير الاعتدال .

وأجرى م . فرغلى بحثا سنة ١٩٦٥ (م . فرغلى ١٩٦٥) بعنوان « الاستجابات المتطرفة عند فئات من المرضى النفسيين ، دراسة بواسطة التحليل العالمى » وقد كان الهدف الأول من الدراسة هو دراسة نمط الاستجابات المتطرفة لدى فئات من الذهانين والعصابين والأسوياء .

وقد أظهرت نتائج البحث فروقا في استجابات المجموعات الثلاث ، كما بين البحث وجود تشبعات على عامل أمكن أن يطلق عليه اسم عامل التوتر النفسى العام . لا يتعلق بمضمون بنود الاختبار بل يتعلق بماثيره هذه البنود من توترات يظهر أثرها في الشكل المتطرف أو غير المتطرف من الاستجابة . أى أن الاستجابة المتطرفة يمكن أن تعتبر نتيجة لما يشعر به الشخص من توتر في الموقف يجعله يلجأ الى التطرف ... وبهذا أعطى مفهوم التوتر النفسى العام أساسا ديناميا للتصلب .

وفي ضوء كل هذه البحوث التى أوضحت مفهوم التوتر النفسى وطريقة قياسه استخدمنا الاختبارات التالية .

اولا - الاختبارات التي تقيس التوتر النفسى عن طريق تطرف الاستجابة:

١ - اختبار الصداقة الشخصية (الاستجابات المتطرفة اللفظى) للدكتور

سوف E. R. W.

٢ - اختبار الاشكال المفضلة (الاستجابات المتطرفة الشكلى) للدكتور

سوف E.R.F.

٣ - اختبار درجات اليقين لبرنجلمان The figure reconstruction test

(س • الملا ١٩٧١) •

ثانيا - الاختبارات التي تقيس التوتر عن طريق درجة التصلب :

يرتبط التوتر النفسى بالجمود أو بالتصلب • وقد أجريت كثير من البحوث حول هذه الفكرة حيث تناول بعض منها علاقة التوتر بالجمود وحاول البعض الآخر استخدام التوتر للتأثير على الجمود • فقام Lunchin سنة ١٩٥٢ (ص • الأعر ١٩٦٤) بدراسة كان الغرض الأول فيها أنه « كلما ازدادت درجة التوتر في الموقف كان السلوك أكثر جمودا ، واستخدام الباحث في هذه الدراسة اختبار Luckin في الجمود وقد قسم العينة الى ثلاث عينات فرعية كالآتى :

العينة الأولى : عينة ضابطة ولا يثير الباحث فيها أى توتر أثناء الموقف التجريى •

العينة الثانية : يعطى الباحث فى وسط الاختبار المستخدم وهو عبارة عن حل بعض المسائل الحسابية بعض مسائل لا يمكن حلها مما يثير التوتر لدى أفراد العينة •

العينة الثالثة : وقد استغرق اختبارها جلستين • كان الباحث يقدم فى الجلسة الأولى اختيارا اسقاطيا وفى الجلسة الثانية يقدم الاختبار الذى استخدمه فى العيتين السابقتين بعد أن يخبرهم (العينة الثالثة) أنه سيضطر لاجراء اختبار ثان لأن الفاحص الاكلينكى يحتاج لمزيد من المعلومات لتفسير بعض العلامات المرضية التى ظهرت فى الاختبار الأول • وهكذا يثير لديهم قدرا كبيرا من التوتر لأن كل

فرد في العينة يشك في أنه المقصود بالاحاطة بالاضطرابات النفسية وقد وجد الباحث أن الجمود يتزايد فعلا بتزايد التوتر النفسى فقد كان الأفراد في الموقف الأول الخالي من التوتر أكثر قدرة على التعلم وعلى فهم المسائل بطلائية أكثر بينما كان الأفراد في موقف التوتر أكثر جمودا في أفكارهم •

وفي بحث آخر حاول Cowen أن يحقق الفرض الآتى : « ان تخفيض درجة التوتر يؤدي الى تخفيض درجة الجمود • وتكونت العينة من ٥٧ طالبا واستخدم الباحث اختبار Levey للشخصية بالنسبة للعينة كلها » وقد قسم العينة قسمين أيضا كما في التجربة السابقة •

العينة الأولى : موقف التوتر حيث يقرأ الباحث بها مجموعة من التعليقات السيئة التى تشير الى عدم الرضا عن نتائج الاختبار السابق ثم يلى ذلك اجراء اختبار لابين في الجمود •

العينة الثانية / موقف التسامح حيث يقرأ الباحث تعليقات مشجعة تشير الى اعجابه بأداء العينة على الاختبار السابق كما يذكر النتائج التى تدل على توافق ممتاز ثم يلى ذلك اجراء اختبار لابين في الجمود • وقد وجد الباحث فرقا ذا دلالة احصائية عند مستوى ٠.٠١ • بين العيتين مما يشير الى أن هناك علاقة موجبة بين الجمود ودرجة التوتر • (ص • الأعر ١٩٦٤) •

وقام فرنش French سنة ١٩٥٥ يبحث يهدف الى التحقق من الفروض الآتية : ١ — المواقف المشحونة بالتوتر تزيد درجة الجمود •

٢ — التوتر يقوى العلاقة بين أوجه السلوك الجامد المختلفة • أى أن معاملات الارتباط بين اختبارات الجمود المختلفة ترتفع في الظروف التى تثير التوتر وكانت العينة ١٠٠ جندي من سلاح البحرية الامريكية • وقد قسم الباحث العينة الى عيتين خضعت كل منهما لظروف تجريبية تختلف عن الأخرى • العينة الأولى يتحدث فيها الباحث عن خطورة وأهمية الاختبار مما يثير القلق والتوتر وخاصة بالنسبة للنظام العسكرى بينما تعطى الاختبارات في العينة الثانية في جو من التسامح • وقد بينت النتائج أن الباحث لم يجد فرقا بين العيتين ولكن هناك علاقة موجبة بين اثاره الدافع في الموقف والأداء على الاختبار •

وفي ضوء ارتباط مفهوم التوتر بمفهوم الجمود أو بعبارة أخرى امكان قياس التوتر عن طريق الجمود •

استخدمنا الاختبارين التاليين :

٤ - اختبار التصلب لنجنوتسكى R.N.

٥ - اختبار التصلب المشتق من بطارية كاليفورنيا R.C.P.I

وبالاضافة الى هذه الاختبارات التي استخدمنا فيها الاستجابات المتطرفة او الجمود كمقياس لمستوى التوتر النفسى استخدمنا الاختبارين التاليين تقياس التوتر بمعنى الدفع أو الطاقة أو حالة النشاط العامة للفرد •

٦ - اختبار شدة الدفع لبرنجلمان

٧ - اختبار مستوى النشاط العام لجيلفورد

وبعد ترجمة هذه الاختبارات طبقت بدون ذكر اسم الاختبار بل كان يذكر للمفحوص (أمامك مجموعة من الاسئلة والمطلوب أن تجيب بوضع دائرة حول كلمة نعم أو كلمة لا) ويتوالى عرض الاختبارات وكان الزمن اللازم لأداء اختبارات التوتر ساعة كاملة • -

٨ - بالاضافة الى هذه الاختبارات استخدمنا السيكلوجلفانوميتر Psycho-galvananometer لقياس التوتر النفسى عن طريق افرازات العرق في منطقة من كف اليد قريبة من قاعدة الابهام على أن يؤخذ لكل فرد ثلاث قراءات يفصل بين كل منها دقيقة • ثم يحسب متوسط القراءات الثلاث بحيث يحصل كل فرد على درجة واحدة تمثل مستوى توتره العام (س • المالا ١٩٧١) •

عرضنا الآن الاختبارات التي استخدمت في البحث وهي ثمانية اختبارات تغطى أربعة عشر متغيرا من متغيرات التوتر •

العينة :

تكونت العينة من ٢٠٠ طالب وطالبة من طلبة كلية الآداب جامعة القاهرة (١٠٠ طالب ١٠٠ طالبة) في السن من ١٧ الى ٢٥ وقد راعينا تكافؤ المجموعتين بوجه عام من حيث فئة السن والمستوى التعليمى باعتبارهما من المتغيرات الهامة وكذلك راعينا بتدر الامكان نسبة التوزيع على الاقسام المختلفة •

تطبيق الاختبارات :

طبقت الاختبارات طريقتين حسب مقتضيات كل منها وذلك على النحو الآتى:

أولاً - التطبيق الجمعى :

طبقت البطارية الجمعية فى مجموعات صغيرة بحيث أم يكن حجم الجماعة يزيد فى الجلسة الواحدة عن خمسة أفراد وقد كان التطبيق الفردى والجمعى يتم بمعمل علم النفس بكلية الآداب بجامعة القاهرة حتى يمكن التحكم الى أقصى درجة ممكنة فى كافة الظروف التى من شأنها أن تزيد من الضبط التجريبى . وبعد أن تنتهى الجماعة من أداء الاختبارات الجمعية يشرح الباحث الموقف للأفراد ذاكراً أن هذه الاختبارات لم تنته بعد وأنه سوف يسمح لأفراد التجربة بالراحة لمدة ربع ساعة خارج المعمل على أن يتوافدوا ثانياً فرادى فى جلسة أخرى تستغرق حوالى ربع الساعة لاستكمال تطبيق الاختبارات أى أن البطارية كلها سواء فى ذلك الاختبارات الجمعية أم الفردية قد طبقت فى يوم واحد على كل مجموعة بل وتكاد الفترة الزمنية أن تكون واحدة وذلك حتى تمنح لأقصى درجة ممكنة تدخل انعوامل التى يمكن أن تؤثر على النتائج وحتى نضمن حضور الأفراد (س . الملا ١٩٧١) •

ثانياً - التطبيق الفردى :

طبقت الاختبارات الآتية تطبيقاً فردياً :

- ١ - اختبار تفضيل الأشكال •
- ٢ - اختبار درجات اليقين لبرنجلمان •
- ٣ - مقياس السيكونجلفنوميتر •

المعالجة الإحصائية للنتائج :

- ١ - اتبعت طريقة حساب معامل الثبات النصفى لعينة مكونة من ٤٠ طالباً وطالبة ، (٢٠ ذكور ، ٢٠ اناث) وهى العينة الاستطلاعية للبحث وذلك بالنسبة لجميع اختبارات البطارية الخاصة بالتوتر سواء منها تلك التى تستخدم لأول مرة أو التى سبق استخدامها فقد أعيد حساب اختبارات التطرف المنطقى

والشكلى وذلك للتأكد من ملاءمتها لهذا البحث .. ما عدا مقياس
السيكوجلفانوميتر الذى حسبنا ثباته بطريقة اعادة الاختبار .

٢ - بالنسبة لصدق الاختبارات . نلاحظ أننا استخدمنا فى بطارية التوتر
عددا من الاختبارات التى سبق استخدام بعض منها فى كثير من البحوث التى
عرضنا لها بفرض قياس مستوى التوتر النفسى . وقد ظهر من عرضنا لهذه
البحوث أن اختبارات الطرف استطاعت التميز بين الفئات المختلفة من حيث
توترها ولهذا فاذا تبين أن الاختبارات فى مجموعها كانت مرتبطة داخليا ومرتفعة
مع اختبارات التوتر كان معنى ذلك أنها فى المتوسط صالحة لقياس التوتر
النفسى .

٣ - قمنا بحساب الارتباطات الداخلية بين كل متغيرات التوتر وذلك للتحقق
مما اذا كانت كل المتغيرات تقيس فى المتوسط شيئا واحدا يمكن أن يطلق عليه اسم
عامل التوتر النفسى هذا وقد كان عدد المتغيرات التى حسب عليها الارتباط ١٤
متغيرا من متغيرات التوتر فى كل عينة من عينتى البحث على حده .

٤ - للتحقق من أن التوتر سمة عامة من سمات الشخصية تظهر فى المواقف
المختلفة ولا يقتصر ظهورها على موقف معين استخدمنا منهج التحليل العاملى
لإثبات أن بطارية الاختبارات المستخدمة تتضمن عاملا عاما وأن جميع الاختبارات
فى المتوسط مشبعة بهذا العامل بحيث يمكن أن نطلق عليه عامل التوتر .

٥ - لالقاء الضوء على فروق التوتر بين البنين البنات استخرجنا المتوسط
الحسابى والانحراف المعيارى لكل متغير من متغيرات التوتر داخل كل من عينتى
البحث ، الذكور والاناث ، ثم قارنا بينهما باستخدام اختبار « ت » بين
المتوسطات .

عرض نتائج البحث

قمنا أولاً بحساب معامل الثبات النصفى لاختبارات التوتر النفسى وقد كانت النتيجة بعد استخدام معادلة سيرمان براون لتصحيح طول الاختبار كالآتى لكل من الجنسين أ

جدول رقم (١) بين معامل الثبات لبطارية التوتر *

رقم	اسم المقياس	عينة الذكور		عينة الإناث	
		قبل التعويض	بعد التعويض	قبل التعويض	بعد التعويض
١	E.R.W.T.	٠٠,٦٩	٠٠,٨٢	٠٠,٥٣	٠٠,٦٩
٢	E.R.W.+2	٠٠,٨٩	٠٠,٩٢	٠٠,٧٠	٠٠,٨٢
٣	E.R.W.-2	٠,٤٦	٠٠,٦٢	٠,٣٦	٠٠,٥٣
٤	R.N.	٠٠,٩٠	٠٠,٩٥	٠,٢٢	٠,٣٣
٥	R, CPI	٠,٢٨	٠,٤٤	٠,٤١	٠٠,٥٧
٦	Drive	٠٠,٧٧	٠٠,٨٦	٠,٣٧	٠٠,٥٥
٧	"G"	٠٠,٨٣	٠٠,٩٢	٠٠,٨٠	٠٠,٨٩
٨	E.R.F.T.	٠٠,٦١	٠٠,٧٥	٠٠,٩٠	٠٠,٩٥
٩	E.R.F.+2	٠,٣٩	٠٠,٥٧	٠,٤٥	٠٠,٥٧
١٠	E.R.F.-2	٠٠,٧٠	٠٠,٨٢	٠٠,٦٥	٠٠,٧٩
١١	T برنجلمان	٠٠,٨٨	٠٠,٩٢	٠٠,٨٧	٠٠,٩٢
١٢	+2 برنجلمان	٠٠,٨١	٠٠,٨٩	٠٠,٨٩	٠٠,٩٣
١٣	-2 برنجلمان				
١٤	Psycho-Galvanometer	٠٠,٦٠		٠٠,٦٢	

* له دلالة احصائية عند درجة ٠.٥ ر.

** له دلالة احصائية عند درجة ٠.١ ر.

(١) جميع معاملات الثبات محسوبة بطريقة الارتباط بين نصفين حكمائين - فيما عدا ثبات مقياس السيكلوجلفانوميتر فقد حسب بطريقة اعادة تطبيق الاختبار .

يتضح من حساب الثبات لبطارية الاختبارات أن المعاملات كانت في المتوسط مرتفعة بصورة واضحة مما يجعلنا نطمئن لاستخدام اختبارات التوتر في قياس هذه السمة . كما نلاحظ أن المعاملات قد اختلفت في عينة الاناث قليلا عنها في عينة الذكور . ذلك أن كل معاملات الثبات لعينة الذكور كانت مرتفعة ارتفاعا واضحا سواء أكان ذلك قبل التعويض عن الطول أم بعده . ما عدا اختبار التصلب المشتق من بطارية كاليفورنيا R.C.P.I. إذ لم يرتفع معاملها الا بعد التعويض ارتفاعا جعل له دلالة عند درجة ٥٠. فقط الا أن باقي المعاملات داخل عينة الذكور كانت مرتفعة ارتفاعا يجعلها كلها صالحة للاستخدام .

أما بالنسبة لعينة الاناث فرغم أن الارتباطات كانت أيضا مرتفعة الا أن اختبار التصلب لنجنوتسكي R.N. لم يكن ذا دلالة احصائية لا قبل التعويض ولا بعده كما أن اختبار التصلب المشتق من بطارية كاليفورنيا لم تكن له دلالة احصائية قبل التعويض وان كان المعامل عليه قد ارتفع بعد التعويض وأصبحت له دلالة احصائية عند درجة ٥٠.٥ ، ٠١.٠ وكانت بقية المعاملات بعد ذلك في عينة الاناث في مجموعها مرتفعة . كما لم يكن اختبار شدة الدافع Drive مرتفعا الا بعد التعويض على عكس عينة الذكور حيث كان لهذا الاختبار والاختبار النشاط العام G معامل ثبات مرتفع .

وبلاحظ أننا لم نستطع حساب درجة ثبات لاختبار درجات اليقين لبرنجلمان في التغير الثالث به وهو - ٢ وذلك لأن معظم الدرجات عليه كانت صفرا وهذا ما لا يتيح فرصة تقسيمها الى قسمين .

ثانيا : قمنا بحساب الارتباطات الداخلية بين المتغيرات لنتبين ما اذا كانت تقيس كلها شيئا واحدا يمكن أن نطلق عليه بعد استخدام التحليل العاملي اسم عامل التوتر النفسي وقد كانت النتيجة كالآتي .

لبطارية التوتر داخل عينه الاناث

C.I.S.							Z.R.N						Z.R.N
-2	-2	.	-2	+2	?	G	Drive	R,CPI	R,N	-2	+2	T	Z.R.N -2
											c rY rX rA		
									rY	rY	rY		R,N
									rY	rY	rY		R,CPI
									rY	rY	rY		Drive
									rY	rY	rY		"B"
									rY	rY	rY		Z.R.P +2
									rY	rY	rY		-2
									rY	rY	rY		T
									rY	rY	rY		+2
									rY	rY	rY		-2
									rY	rY	rY		Sycho- galvano-

**جداول رقم (٣) بين مصفوفة ارتباطية
لبطارية التوتّر داخل عينة الذكور**

[illegible]

يتضح لنا من فحص نتيجة معاملات الارتباط أن الارتباطات بين الاختبارات مرتفعة ومقبولة احصائيا كما دل الارتباط بين اختبارات سبق استخدامها في البحوث لقياس التوتر النفسى وبين غيرها من الاختبارات على صلاحية البطارية لقياس مستوى التوتر النفسى العام علما بأن اختيارنا لهذه الاختبارات كان من واقع البحوث والدراسات السابقة التى استخدمت سواء قس هذه الاختبارات أو اختبارات مشابهة لها . كما قامت على قس الفكرة العامة التى كانت فى ذهن الباحث عن مستوى التوتر النفسى العام .

ولكن اذا ألقينا نظرة سريعة على معاملات الارتباط بين مصفوفتى الارتباط داخل عينة الاناث وعينة الذكور . اتضح لنا أن الاختبارات أو المصفوفة وكأنها تنقسم الى قسمين واضحين قسم الاختبارات اللفظية وقسم للاختبارات الادائية حيث اختلف الارتباط بينهما اختلافا واضحا بحيث نستطيع أن نقول فى المتوسط بأن الارتباطات بين الاختبارات اللفظية كلها (تلك التى كانت من نوع الورقة والقلم والتى طبقت جمعية) كانت مرتفعة ومقبولة احصائيا . . حقيقة أنها كانت داخل عينة الذكور أوضح منها فى عينة الاناث الا أن هذا لا ينفي حقيقة أنها كانت فى المتوسط مرتفعة ومقبولة وذلك فى مقابل الاختبارات الادائية التى انخفضت الارتباطات فيها بشكل واضح (س . الملا ١٩٧١) .

وقد وجدنا أنفسنا أمام حقيقة تدعونا للتساؤل : هل يعنى هذا أن الاختبارات اللفظية كانت أصلح لقياس التوتر النفسى من الاختبارات الادائية . بحيث تكون بطارية من هذه الاختبارات ونعتبرها صالحة لقياس التوتر النفسى والواقع أن ما يحسم لنا الإجابة على هذا السؤال هو ، هل يوجد بينها عامل عام وأى الاختبارات كانت أكثر تشبها به بحيث نستطيع أن نعتمد عليها ونكون منها بطارية لقياس التوتر .

نتيجة التحليل العاملي : تكونت البطارية المستخدمة فى حساب التحليل العاملي من ١٤ متغيرا فى كل عينة من عيسى البحث وهو عدد كاف من العوامل لأن هدفنا هو التحقق من وجود عامل عام يمكن أن يطلق عليه اسم عامل التوتر النفسى العام . وقد سبق أن أجريت بحوث تجريبية على هذه الاختبارات للتأكد

من صلاحيتها كأداة تجريبية كما تضمنت البطارية اختبارين سبق استخدامها بنجاح وهما اختبار الصداقة الشخصية واختبار تفضيل الأشكال . وهذا وقد كانت معظم معاملات الارتباط التي تكونت منها المصفوفة الارتباطية التي استخلص منها التحليل العاملي ذات دلالة إحصائية . وقد أدى التحليل العاملي الى استخلاص ستة عوامل لدى كل من عيّنتي البحث ويوضح الجدول الآتي مصفوفة العوامل المستخلصة في عيّنتي البحث دون تدوير .

جدول رقم (٤) يبين مصفوفة العوامل لدى
عينة الاناث دون تدوير

العامل المركزي اسم القياس	١	٢	٣	٤	٥	٦	قيمة الشيوع
E.R.W.T.	٧٥	٢٤	٠٢	٣١	٤٢	١٥	١١٠
E.R.W.+2	٦٤	١١	٠١	٠٠٤	٤١	٢٩	٦٨٣
E.R.W.-2	٥٦	٢٤	٣٠	٣٧	٢٣	٣٩	٨١٨
R.N.	٦١	٢٢	٢٤	٠٣	٤١	١٤	٦٦١
R,CPI	٤٧	٣٩	٣٤	٢٧	٢٧	١١	٦٥٧
Drive	٥١	٢٨	٢٤	٢١	٢٧	٣٦	٦٣٥
"G"	٥٩	٠٣	٠٤	٣٥	٠٨	٢٧	٥٤٦
E.R.F.T.	٤٩	٢٢	٧٩	٢٠	٠١	١٣	٩٧٥
E.R.F.+2	٣١	٢١	٤٧	٥٨	٠٣	٤٤	٩٠٢
E.R.F.-2	٣٧	٠٧	٦٢	٣٨	٠٦	٣٣	٧٨٦
T	١١	٩١	٢٢	٢٢	١٣	١٣	٩٧٠
+2	٠٦	٩٢	١٦	٠٩	٢٢	١٦	٩٦٠
-2	١٨	٠٤	٢٦	٥٩	٣٤	١٦	٥٩٠
Psycho galvanometer	١٠	٢٧	٠٦	٣٧	٤٨	٣٢	٥٦١

جدول رقم (٥) بين مصفوفة العوامل لدى
عينة اللائقون تدوير

قيمة الشبح	٦	٥	٤	٣	٢	١	العامل المركزى اسم المقياس
,٩٧٩	,١٦	,٣٢	,١٥	,٠٠٧	,٣٨	,٨٣	E.R.W.T.
,٦٤٧	,١٠	,١٥	,١٤	,١٠	,١٤	,٧٥	E.R.W.+2
,٧٩٨	,١٥	,٣٦	,١٢	,٠٧	,٤٥	,٦٥	E.R.W.-2
,٦٣٨	,٠١	,٤٦	,١٢	,٠١	,٠٤	,٦٤	R.N.
,٧٥٥	,٢٨	,٤١	,٢٠	,٠١	,٢٧	,٦٣	R. CPI
,٥٤٧	,٢٣	,٣٢	,٢١	,١١	,١١	,٥٦	Drive
,٣٣٣	,٣٠	,٠٧	,١٥	,٠٣	,٠٩	,٤٥	"G"
,٩٦٥	,٠٨	,٠٨	,١٨	,٥٤	,٧٣	,٣١	E.R.F.T.
,٩١٢	,٢٠	,٠٣	,٥٩	,٢٣	,٥٨	,٣٧	E.R.F.+2
,٨١٦	,٣٩	,٢١	,٤٦	,٥٢	,٣٦	,٠٢	E.R.F.-2
,٩٨٦	,٠٣	,١٦	,٢٥	,٦٤	,٥٨	,٣٩	T رنجلان
,٩٩٧	,٠٩	,٠٦	,١٧	,٦٩	,٥٦	,٣٩	+2 رنجلان
,٩٤٩	,٦٧	,٥١	,٣٦	,٣٣	,٠٣	,٠٢	-2 رنجلان
,٣٩٢	,٣٤	,٠٥	,٣٣	,٣٥	,٠٦	,١٨	Psycho galvanometer

وعند محاولتنا تفسير العوامل اتضح أن العامل الأول المستخلص في كل عينة من عينتي البحث واضح المعالم من ناحية معناه ودلالته أما بقية العوامل فقد أظهرت غموضاً جعلت تفسيرها دون تدوير للمحاور أمراً غير متيسر وقد دعانا ذلك إلى القيام بعملية تدوير للمحاور في كلتا العينتين وتم تدوير المحاور تدويراً متعامداً بطريقة الفارماكس .

جدول رقم (٦) يبين العوامل في عينة الاناث
بعد تدوير المحاور تدويراً متعامداً بطريقة
الفارماكس

العامل المركزي	اسم المقياس						قيمة الشيوع
	١	٢	٣	٤	٥	٦	
E.R.W.T.	٥٣	١٦	٣٧	٥١	٣٩	٣٨	١١١
E.R.W.+2	٧٤	١٥	١٣	٢٤	١٢	١٣	٦٨٤
E.R.W.-2	٤٦	٠٧	١٤	٨٥	٠٤	٢٣	٨١٨
R.N.	٧٥	١٠	٠٣	٠٣	١٥	٢٣	٦٦١
R, CPI	٣٥	٤٤	٢٨	٢٥	٣٦	٢٥	٦٥٨
Dirve	٧٧	١٨	٠٢	٠٥	٠٧	٠٤	٦٣٥
"G"	٣٩	٠٦	٠٦	٢٠	١٢	٦٧	٥٤٦
E.R.F.T.	٠٧	٠١	٨٧	٤٥	٠٦	٠٧	٩٧٥
E.R.F.+2	٠١	٠٥	١٤	٨٧	٣٢	٠٨	٩٠٢
E.R.F.-2	٠٦	١٦	٤٠	٧١	٣١	٠٩	٧٨٦
T برنجلان	٠٥	٩٧	٠١	٠٥	١١	٠٧	٩٧١
+2 برنجلان	٠٥	٩٨	٠٢	٠١	٠٤	٠٩	٩٦٧
-2 برنجلان	٠١	٠٤	٠٨	٢٤	٦٢	٣٧	٥٩١
Psycho galvanometer	٣٩	٢٢	١٧	١٣	٥٤	٠٨	٥٦١

جدول رقم (٧) يبين العوامل في عينة الذكور
بعد تدوير المحاور تدويراً متعامداً بطريقة الفاريماكس

قيمة الشيوع	٦	٥	٤	٣	٢	١	العامل المركزي اسم المقياس
٩٧٦	٠٩	١١	٠١	٠١	٠٣	٩٨	E.R.W.T.
٦٤٧	٠٦	٢٠	٠٢	١٦	٠٥	٧٦	E.R.W.±2
٧٩١	١٢	٠٢	٥١	٤٧	٠٨	٥٣	E.R.W.—2
٦٣٨	٠٢	٧٢	٠٣	٠٨	٠٥	٣١	R.N.
٧٥٢	٣٨	٠٤	٥١	٢٣	١٣	٥٢	R, CPI
٥٤٣	٤١	٠٨	١٧	٠٤	٤١	٥٨	Drive
٣٣٣	١٢	١٢	٠٧	٠٣	٣٤	٤٢	"G"
٩٦٢	٠٤	٠١	٠٩	٩٦	٥٥	٠٧	E.R.F.T.
٩١٥	٥٤	٣٧	٤٤	٥١	١١	٠٣	E.R.F.±2
٨١٦	٧٧	٠٢	٠٩	٤٤	٠٤	٠٩	E.R.F.—2
٩٨٦	٤٤	١٠	١٣	٨٥	٠٨	١٦	T برنجلان
٩٨٦	٣١	١٤	٥٣	٩١	١١	١٤	±2 برنجلان
٩٤٨	٩١	٢٩	٠٨	٠٤	١٣	٠٨	—2 برنجلان
٣٩٣	٥٥	٢٤	٠٤	١٨	٠٣	٠٣	Psycho galvanometer

ومحاولة لالقاء الضوء على فروق التوتر بين البنين والبنات استخرجنا
المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لكل متغير من متغيرات التوتر داخل
كل عينة من عينتي البحث وقد كانت النتيجة كالآتي :

جدول رقم (٨) بين المتوسط الحسابي والانحراف
المعياري وقيمة «ت» لعينة الذكور وعينة الإناث

قيمة «ت»	عينة الذكور		عينة الاناث		اسم الاختبار
	ع	م	ع	م	
٠,٦٨	١٢,٥٩	٣٠,٧١	٩,٨٥	٢٩,٦١	E.R.W.T.
١,٦٨	٦,٧٧	١٣,٨٢	٥,٩١	١٢,٢٩	E.R.W.±2
٠,٣٩	٨,٣٢	١٦,٨٩	٧,٠٨	١٧,٣٢	E.R.W.—2
٠,١٣	٧,٦٨	٣٤,٦٨	٦,٤٨	٣٤,٨٣	R.N.
١,٥٥	٤,٩٨	٢١,٠١	٣,٣٤	٢٢,٠٢	R, CPI
٠٠ ٤,٣٥	٥,١٣	٢٠,٨٥	٤,٦٧	١٧,٥٧	Drive
٠٠ ٣,٦٥	٤,٢١	١٣,٦٧	٤,٢١	١١,٤٨	"G"
٠,٢٨	٨,٩٧	٢٠,٣١	٨,٣٥	٢٠,٦٧	E.R.F.T.
٠,٣٣	٧,٣٨	١٤,٢٧	٦,٦١	١٣,٩٥	E.R.F.±2
٠,٨٤	٥,٩٧	٦,٠٤	٥,٥٩	٦,٧٢	E.R.F.—2
٠,٣٨	٢,٤٥	٣,٨٤	٢,٧٣	٣,٤٢	T
١,٢٢	٢,٤٩	٣,٦٧	٢,٧٢	٣,٢٣	±2
٠,٢٨	٠,٤٧	٠,١٧	٠,٦٧	٠,١٩	—2
٠ ٢,١٦	٣٩,٣٨	٦٥,٣٥	٤٩,٩٨	٧٩,١٥	Psycho-galvanometer

* له دلالة احصائية عند درجة ٠.٥ ر

* * له دلالة احصائية عند درجة ٠.١ ر

هذا وقد جرى حساب المتوسطات والانحرافات المعيارية ومربعات الانحرافات
على الحساب الالكتروني التابع لجامعة القاهرة وقامت الباحثة باستخراج قيمة
« ت » .

أظهرت نتائج التحليل العاملي أن هناك عاملا عاما يمكن أن يطلق عليه اسم عامل التوتر النفسى ذلك لأن جميع الاختبارات تقريبا كانت مشبعة به وذلك بالنسبة لعينتى البحث مما يؤكد صحة النتائج وبناء على المقدمات السابقة يمكن أن تفسر هذا العامل بأنه عامل التوتر .

وقد اتفقت هذه النتيجة مع دراسات Duffey ودراسات Freeman, wengir ودراسات الدكتور سوف ١٩٦٢ - ١٩٦٨ وبحوث الدكتور فرغلي ١٩٦٥، ١٩٦٩ وبحث عبد الحليم محمود (١٩٦٨ س . الملا ١٩٧١) .

هذا وقد كانت التشبعات على العامل الأول فى عينتى البحث ، الذكور والاناث تشير الى وجود عامل يمكن أن نصفه بأنه عامل التوتر النفسى هذا من ناحية ومن ناحية أخرى نلاحظ أن طبيعة العوامل قد اختلفت بعد التدوير عنها قبل التدوير اختلافا جعلنا نستطيع أن نحسم الاجابة على السؤال الذى أثرناه الخاص بالفروق بين الاختبارات اللفظية والاختبارات الادائية وأياها أصلح لقياس التوتر النفسى .

ذلك أنه قد اتضح عند فحص العامل الأول حتى قبل التدوير أن أعلى التشبعات عليه كانت للاختبارات الخمسة الأولى أما الاختبارات الثلاثة الأخيرة ورغم أنه كان لها قدر من التشبع الا أنه يعتبر ضعيفا بالنسبة لسائر الاختبارات ثم اتضحت هذه الحقيقة أكثر من ذلك بعد التدوير اذ لم يتشبع عليه الا الاختبارات الخمسة الأولى فقط وقد كانت تشبعاتها مقبولة لحد كبير وهذا فى عينتى البحث، الأمر الذى يدعونا لأن نقول بقدر أكبر من الثقة أن الاختبارات الخمسة الأولى وهى تغطى سبعة متغيرات للتوتر تصلح معا كبطارية لقياس التوتر النفسى بينما لا تصلح الاختبارات الثلاثة الفردية .

ويمكننا الآن أن نستخلص بطارية مكونة من الاختبارات الآتية لقياس

حمة التوتر :

١ - اختبار الصداقة الشخصية (الاستجابات المتطرفة اللفظي)

٢ - اختبار التصلب لنجنوتمسكى

٣ - اختبار التصلب المشتق من بطارية كاليفورنيا

٤ - اختبار شدة الدافع

٥ - اختبار حالة النشاط العام

حيث اتضحت صلاحية هذه الاختبارات من واقع نتائج البحث لقياس
التوتر النفسى .

مناقشة النتائج

قامت فكرة الفروق الجنسية في التوتر على أساس ملاحظته من أن اختبارات التصلب كانت أكثر تميزاً بين المجموعات في علاقة التوتر بالإبداع في اتجاه الاناث في حين أن اختبارى شدة الدافع والنشاط العام كانا أكثر تمييزاً في نفس هذه الحالة في عينة الذكور، فقمنا باستخراج المتوسط الحسابى والانحراف المعيارى ثم قارنا بينهما باستخدام اختبار « ت » وبالكشف عن دلالة الفروق تبين أنه لم يكن لأية قيمة منه دلالة احصائية الا في اختبارى شدة الدافع واختبار النشاط العام حيث كان مرتفعاً في عينة الذكور اذ وصل الى ٢٠٨٥٠ بينما كان متوسط عينة الاناث ١١٤٨٨ الأمر الذى يوحى ببيل هذين الاختبارين للتمييز بين البنين والبنات في اتجاه الدرجة المرتفعة للبنين ولم تكن لسائر المعاملات دلالة الا في مقياس السيكلوجلفانوميتر اذ كانت دلالة احصائية عند مستوى ٠٥ و الواقع أن بعض معاملات أخرى قد ارتفعت ولكنها لم تصل لحد الدلالة الاحصائية .

ونعود بهذا للفكرة التى قدمناها من أن الاختلاف بين الجنسين في التوتر قد لا يكون اختلافاً كمياً بقدر ما هو اختلاف كیفى أى أن الجنسين قد يخبران نوعاً من التوتر الدافع ولكن طبيعته تختلف فيكون في حالة المذكور في اتجاه الدافع أو النشاط العام بينما يكون لدى الاناث في اتجاه التصلب أو الجمود .

وقد اتفقت هذه النتيجة مع بحوث التطرف التى قام بها الدكتور سوف فقد كان من ضمن فروض البحث الذى قام به ١٩٥٨ والخاص بالفروق بين الجانبين في مستوى التوتر النفسى (سوف ١٩٥٨) أن الباحث قد توقع أن يصدر عن الاناث عدد من الاستجابات المتطرفة أكثر مما يصدر عن الذكور . وقد أيدت هذا التنبؤ نتائج المقارنة داخل فئات الراشدين من المسلمين والمسيحيين فالفرق بين الذكور والاناث في كل من الحالتين جوهرية .

وكذلك صح التنبؤ في حالة المراهقين المسيحيين فالاستجابات المتطرفة عند الاناث أعلى منها عند الذكور . أما في مجموعة المراهقين المسلمين فقد تبين أن الفرق بين الذكور والاناث يعضى في اتجاه مضاد لاتجاه التنبؤ وأن وسيط الذكور أعلى جوهرياً من وسيط الاناث . فأعاد الباحث النظر في مجموعتي المراهقين

والمراهقات المسلمات من حيث توزيع الاعمار في كل منهما فقد تبين أنهما لا يعتبران عينتين متجانستين فيينا يقع ٦٤٪ من الذكور في مرحلة المراهقة المبكرة (فوق سن البلوغ الجنسي وتحت سن ١٦ سنة) يقع ١٦٪ فقط من الاثا في هذه الفئة ومن ثم فقد افترض الباحث أن هذا الفرق بين العينتين ربما كان هو المسئول الرئيسى عن التعارض بين النتيجة والتنبؤ وبالتالى قسم كلا من العينتين الى مجموعتين فرعيتين هما : مجموعة المراهقة المبكرة ومجموعة المراهقة المتأخرة . وبالمقارنة بين كل من المجموعتين لدى الاثا والمجموعة التى تناظرها لدى الذكور من حيث الاستجابة المتطرفة تبين أن الفرق لم يعد ذا دلالة احصائية الا أنه لا يزال فى اتجاه مضاد للتنبؤ . وذكر الباحث هنا أن ضبط المتغير الاجتماعى الاقتصادى فى العينتين ، أى جعلهما متكافئتين من هذه الزاوية كان من شأنه أن يجعل النتيجة مؤيدة للتنبؤ .

وكان هذا ما ظهر لديه فعلا عند فحص الفرض الخاص بالفروق بين المستويات الاجتماعية الاقتصادية ، وقد اتفق مع تحليل برنجلمان على ما يوجد بين الفئات المهنية المختلفة من حيث الميل للاستجابة المتطرفة . وهذا قد يصدق على نتائج هذا البحث فقد كان من الممكن عند ضبط متغير المستوى الاجتماعى الاقتصادى أن تصل الى نتائج أبعد من هذا حيث يكون من المحتمل أن يرتبط التوتر النفسى بالمستوى الاجتماعى الاقتصادى .

ولعمل البحث الذى قامت به الدكتورة صفاء الأعسر بعنوان « الفروق الجنسية فى الجمود » (ص . الأسر ١٩٦٤) ما يساعد على توضيح هذه النتيجة ، هذا وقد استخدمت الباحثة الجنود بمعنى التصلب وقد كان الفرض الاساسى الذى وضعته الباحثة أن الاثا كن أكثر جمودا من الذكور (هذا مع ملاحظة أنها قد حددت مجالين فقط للتصلب هما المجال الاجتماعى والمجال الادراكى) وقد وجدت الباحثة عاملا عاما فسرت به أنه التصلب ، كما وجدت أن الاثا كن أقرب للتصلب من الذكور وقد فسرت ذلك بالفروق الجنسية فى عملية التنشئة الاجتماعية وآلى القيود الشديدة التى يفرضها المجتمع على البت فى حين أنه يتساهل مع الولد ومن ثم يمكن أن يكون الولد أكثر انطلاقا ودافعية وأكثر قدرة على التعبير والاندفاع نحو أهدافه ونشاطه العام بعكس البت التى تجعلها ظروف البيئة أقل تعرضا للفتنات وأكثر تحديدا وبالتالى تدفعها الى تكوين أنماط ثابتة من

الاستجابات تتناسب مع حاجات المواقف المحددة التي تمر بها وتجعلها أقل اندفاعا وأقل اقداما وأقل نشاطا وأقل ايجابية وأكثر تمسكا بالتقاليد والانماط السلوكية التي سبق أن اكتسبتها .

كما أوضح الاختبار الثالث الخاص بالجانب السلوكي فيما يتعلق باتباع نظام ثابت في نواحي الحياة المختلفة وتدور فقرات الاختبار حول أوجه النشاط اليومية التي يقوم بها الفرد في نواحي الحياة مثل عادات الاستذكار واختيار الملابس وركوب وسيلة مواصلات معينة . الخ .

كما يتناول الاختبار الكشف عن استجابة الفرد لأي تغير غير متوقع في النظام البومي ولعلنا نلاحظ أن الاختبار بهذا الوصف شبيه باختباري التصلب الذين استخدمناهما في بحثنا الحالي . وقد بينت الباحثة أن الاناث كن أكثر تقيدا بنظام ثابت من الذكور وقد فسرت النتيجة بأن المجتمع خلال عملية التنشئة الاجتماعية يضع قيودا على البنت فهي متنوعة من أى سلوك لا يرضاه المجتمع والا تعرضت للعقاب واثارة مشاعر الذنب مما يكون لديها شعورا عاما بتوقع العقاب ولهذا وتقاديا لمشاعر الذنب وهروبا منها فان البنت تضع لنفسها تخطيطا دقيقا يتضمن ما يقبله المجتمع وتستبعد كل ما يثير غضبه ، أى أنها تقيد سلوكها في خطوط محددة تضمن لها رضا المجتمع ويكون هذا التقيد في بادئ الأمر مقصورا على المواقف التي تثير التوتر وتجلب الشعور بالذنب ولكنها بعد ذلك تعمم هذه الوسيلة على كافة جوانب سلوكها وحياتها .

هذا وقد وجدت الباحثة أن تنظيم سمة التصلب أقوى في الاناث عنها في الذكور وأن كان الفرق ليس كبيرا ولكنه يشير لاتجاه عام للاناث لأن يصبحن أكثر تصلبا من الذكور . كما سبق أن وجدت دراسات كثيرة فروقا بين الجنسين في سمة التصلب .

ومن المعروف أن الطالبات في هذه السن وفي مجتمع شرقي يرغبن في الظهور بمظهر طيب وبخاصة فيما يتصل بالسلوك الاجتماعي وهو غالبا سلوك لاشعوري نسيه أحيانا سلوكا دفاعيا وفي الحالات المتطرفة غشا أو تزييفا بصرف النظر عن معرفتهن بحقيقة أمرهن (ل . كامل ١٩٦٣) أى أن النزعة الى الظهور بالمظهر الاجتماعي اللائق تعرص عليه الفتاة في مجتمعنا أكثر مما يحرص عليه الفتى . وفي

كثير من الأبحاث التي استخدم فيها مقياس التقدير الذاتي للشخصية والتي طبقت على مجموعات من الذكور والاناث الراشدين تبين أن هناك فرقا بين الجنسين في النواحي الانفعالية ومما يمثل هذه الدراسات بحث التقدير الذاتي بمقاييس بروروتر Bernreuter وكان من نتائج تطبيقه أن تبين أن الرجال أكثر ثباتا من النساء وأنهم أكثر اعتمادا على أنفسهم من النساء . ومما يستدعي النظر أن اختبارات الاستعدادات والاتجاهات العصابية للأفراد الأصغر سنا أثبتت أنه لا توجد هناك فروق بين أفراد الجنسين الذين تقل أعمارهم عن الرابعة عشر ومثل هذه النتيجة ترجح الأثر المتزايد للجو الاجتماعي لكل من الجنسين مع تزايد العمر وخاصة من ناحية ضغط التقاليد بعد سن البلوغ . وهناك فروق أخرى في كثير من سمات الشخصية بينتها الابحاث المختلفة التي أجريت على أفراد من جميع الاعمار ابتداء من مرحلة الحضاة الى مرحلة التعليم العالي . بل وما بعد ذلك .

وقد استخدمت في هذه الأبحاث طرق شتى تضمنت دراسة تاريخ حياة الأفراد وتبعهم وكذلك الملاحظة المباشرة للسلوك في المواقف المختلفة كما تضمنت دراسة التقارير المدرسية وآراء الآباء ومناقشة كل ذلك في مقابلات منتظمة . واشتملت على تطبيق الاستخبارات وكثير من الاختبارات السيكولوجية ومن أوضح الاختلافات التي بينتها هذه الأبحاث تغلب ميل الذكور الى الاعتداء والى بذل النشاط الحركي والجهد الشديد وتغلب ميل الاناث الى الانطوائية والجلود (مراد ، ١٩٥٦) .

ولا شك أن دراسة مميزات السلوك لكل من الجنسين في مختلف الحضارات تقدم لنا تفسيرات هامة لتحليل مصدر التباين وأسبابه فلو أن أساس الاختلاف يرجع الى أسباب وراثية بيولوجية صرفه لتوقعنا مسلكا موحدا عاما لجميع الذكور وجميع الاناث ولو كان السبب في الاختلاف يرجع الى العوامل البيئية فأتنا نتوقع أن تختلف المميزات الخاصة لكل من الجنسين من بيئة لأخرى بناء على الأجواء الحضارية . والواقع أن الأمر لم يحسم حتى الآن بشكل كاف (Anastasi 1958) فقد تبين أن هناك فروقا كبيرة بين الجنسين في معظم الصفات الجسمية ومنها بناء الجسم بما في ذلك الهيكل العظمي والتكوين العضلي العام سواء في ذلك العضلات الكبيرة أو الدقيقة ، وكذلك يختلف الجنسان في الوظائف الفسيولوجية والتكوين الكيميائي لبعض الافرازات وربما يمكن

أن ترجع بعض الاختلافات السيكولوجية بين الجنسين الى تلك الفروق الجسمية، فمن الجائز مثلا أن يكون ميل الذكور الى السيطرة والاعتداء والحيوية وما يصاحبها من نشاط عضلي راجعا الى الاختلاف في الطول والوزن والتركيب الجسمي وقوة العضلات والسمة الحيوية . وهناك آراء تقول أن هذه الفروق بين الجنسين تدخل ضمن العوامل التي تسبب الفروق بين الجنسين في أنواع اللعب التي يميلون اليها ، وحجم للنشاط والمغامرة والمخاطرة واختلاف قدرتهم على العمل والانتاج ويمكن أن يقال كذلك أن الفروق المميزة بين الجنسين في سرعة النضج الجسمي وطول الأعمار ربما يكون لها بعض التأثير على السلوك وتطوراته سواء كان تأثيرا مباشرا أو غير مباشر . وكل هذه العوامل تؤدي الى آثار عضوية وحضارية من شأنها بدورها أن تؤثر في نمو الشخصية عند الجنسين . وفي أى مناقشة عن أثر العوامل التكوينية في السلوك يجب أن نحذر الوقوع في التعميم المسرف كما يجب أن نلاحظ أن العوامل البيولوجية والعوامل البيئية متداخلة الى حد كبير .

يتضح من هذا أن الأمر أصبح محتاجا لتبين تنظيم سمة التوتر داخل عينة من الذكور وعينة من الإناث وهذا ما تنوى أن نواصل البحث فيه فقد أصبحت بحوث الفروق بين الجنسين تحتل مركزا ممتازا في مجال علم النفس الفارق وذلك لأسباب عدة منها أن كثيرا من المجتمعات الانسانية تميز فعلا بصورة رسمية أو غير رسمية بين الرجل والمرأة في أكثر من مجال تعليمي . كما أن التنشئة الاجتماعية تعمل على أن يتعلم الذكر والأُنثى الدور المعين المرسوم لكل منهما في المجتمع المعين ويعتبر المجتمع من يخرج عن الدور المرسوم لجنسه شخصا منحرفا . لأن الناس في مجتمع معين يتوقعون من الذكر غير ما يتوقعون من الأنثى من خصائص سلوكية وسمات شخصية ونتيجة لذلك فإن الذكر ينشأ في بيئة اجتماعية ونفسية قد تختلف الى حد كبير عن البيئة التي تنشأ فيها الأنثى في مجتمع من المجتمعات . كما أنه نتيجة لذلك تختلف كمية ووجهة الفروق بين الجنسين من مجتمع لآخر أى أن توقعات الناس وبالتالي الدور الذي يلعبه كل من الذكر والأنثى يختلف باختلاف المجتمع ، وهذه حقيقة كثيرا ما تتجاهلها في ادراكنا لدور كل من الرجل والمرأة وذلك بالرغم من أنه يصعب تفسير أى دراسة من الدراسات في موضوع الفروق بين الجنسين الا في ضوء العوامل الاجتماعية والحضارية .

SEX DIFFERENCES IN TENSION

By

SALWA SAMI EL-MOLLA ph.D.

Lecturer in psychology — Faculty of ART — Cairo University

This study deals with the problem of sex differences in tension. While undertaking a research for the ph.D. thesis entitled «Creativity and psychological tension» the author noticed that tension in case of females differ from its character in case of males. Female tension was tied to creativity in the direction of rigidity, while male tension was in the direction of motivation or the state of general over activity of the individual. Hence came the assumption that the difference between the two sexes might be attributed to the nature of tension rather than to its existence, this means that both sexes experience a feeling of motivating tension, though its nature is different in females than in males. Therefore, we tried to verify this result from among the results of the research.

For this purpose, we used a series of tests which measure tension as expressed by the degree of extreme responses, rigidity and the state of the individual's general over activity. The tests were applied to a sample of 200 students (100 male students and 100 female students) of the Faculty of Arts, Cairo University, who were in the age range of 17 to 25 years. Two sessions were held, the first was collective and the other individual.

To make sure that the tests could be dependable as experimental tools for measuring the level of psychological tension, suitable statistical methods were used. The validity and reliability of the tests were calculated and ascertained the existence of a general factor of tension which means that tension was a trait of personality. We then compared the tension of both sexes by finding the value of T test for comparison of averages.

It was found that most factors had no statistical significance at the conclusion of the study, these assumption were discussed and we pointed out that further researches must be conducted so that these difference might be settled.

Dr. Salwa Sami El-Molla.

المراجع

- ١ - الأعسر (صفاء . ي) دراسة تجريبية للفروق الجنسية في الجمود ، رسالة ماجستير بكلية الآداب ، جامعة عين شمس ١٩٦٤ .
- ٢ - خيرى (أ . م) الإحصاء في البحوث النفسية والتربوية والاجتماعية ، القاهرة : دار الفكر العربى ١٩٥٦ الطبعة الثانية .
- ٣ - سويف (م . م) التطرف كاسلوب للاستجابة ، القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦٨ الطبعة الاولى .
- ٤ - كامل (ل . ل) الفروق بين الجنسين في سمات الشخصية ، فصله من حوليات كلية الآداب جامعة عين شمس المجلد الثامن - ١٩٦٣ مطبعة عين شمس .
5. Anastasi, A., Foley, J.P., *Differential psychology*, 2nd printing The Macmillan Company New York : 1953.
6. Garai, J.E., Scheinfeld, A., Sex differences in mental and behavioural traits, pratt Institut. psych. Monog.
7. Brown, M. H., Bryan, G.E., sex as a variable in Intelligence test performance., *Jour. of Educ.*, 1957, 48, 5, 273 — 277.

تغيرات نسبة المدنية العامة في دلتا النيل

(١٨٩٧ - ١٩٦٦)

ظواهر التغيرات وعواملها

للدكتور عمر الفاروق سيد رجب

جامعة عين شمس - كلية الآداب

مقدمة :

ليست « المدينة » ظاهرة حديثة في دلتا النيل أو في مصر كلها ، فهي تضرب بجلورها في حضارتها منذ زمن بعيد ، بارزة في تضاعفها كعواصم وأسواق منذ بداية عصر الأسرات ، بل وقبل ذلك أيضاً كما تشير الدراسات ، حين انقسمت مصر - قبل توحيدها - إلى مقاطعات لها حلودها وجيوشها وأسواقها ، وبعد ظهور « الأسواق » دليلاً على وصول الزراعة إلى مرحلة فوق حديثة ، وعلى وجود فائض إنتاجي كاف بحيث يسمح بتداوله ، فضلاً عن رسوخ الأساس الزراعي وتطور التنظيم الإداري بدرجة دفعت إلى تحريك العلاقات الإقليمية بدرجة ما ، أخذت في الاتساع والتنوع منذ ذلك الحين ، وكانت المدن والأسواق بطبيعة وظائفها ، بمثابة الشكّلين المتناسبين عمرانياً لاستيعاب هذه العلاقات وتنظيمها وابعادها . وتشير الدراسات الأثرية . . إلى معظم مدن دلتا النيل الحالية باعتبارها تاريخية ، وفي كثير من الحالات فرعونية ، ويبدو أن التشكيلات الحالية لهذه المدن قد رُمحت منذ ذلك الزمن البعيد ، فتتدارببط المدنية في الدلتا « بالزراعة » وتداعياتها الإنتاجية كأساس اقتصادي ، كما مثلت خطوط الدلتا الطبيعية وهوامشها - منذ بداية تعميرها - المحاور الأساسية لتوزيع مدنها وأسواقها ، وذلك على طول فرعي النيل الرئيسيين وفروعه الثانوية ، وساحل البحر المتوسط والخطوط الفاصلة بين الدلتا والصحراء في الشرق والغرب ، وكانت الزراعة والمواصلات والحاجة للأسواق .. بمثابة العوامل الاقتصادية التي تحكمت بعد ذلك في المسافات والتباعد المدني على طول هذه الخطوط الطبيعية ، وأصبح النيل والزراعة والقرى والمدن والأسواق .. تمثل حقائق العمران الرئيسية في الدلتا منذ ذلك الحين . ورغم ما تعرضت له الدلتا

من تغيرات شملت هذه الحقائق جميعها بتأثيراتها ، فهي ما تزال تشكل الإطار العام للعمران بها ، وإن أضيفت إليها - خاصة مع بداية القرن ١٩ - ظواهر أخرى معاصرة ترتبط بنمو الدلتا الحديث ، مثل الصناعة وشبكة المواصلات الحديثة . مما أدى إلى تنوعات جديدة في الإطار العمراني للدلتاوى بدرجات متفاوتة في أنماطها .

والواقع أن وضوح نتائج هذه العوامل الحديثة في الدلتا قرب نهاية القرن ١٩ ، كانت وراء تحديد المدى الزمني لهذه الدراسة بين ١٨٩٧ - ١٩٧٢ ، حتى يمكن متابعة آثارها في الدلتا ، وعلى الأخص بالنسبة لنموها الحضري ، وقد أتيت مثل هذه المتابعة ، بفضل مجموعة التعدادات المصرية التي أجريت بانتظام منذ ١٨٩٧ وحتى ١٩٦٠ ، كل عشر سنوات باستثناء محلود الأثر بين التعدادين الأخيرين ١٩٤٧ - ١٩٦٠ ، غير أنها قد توقفت - للأسف - بعد ذلك ، واعتمدت المتابعة بعد ١٩٦٠ على مجموعة من التقديرات تتفاوت في دقتها فضلاً عن تفصيلاتها وشموها . ورغم وضوح « المدينة » كفكرة في ذهن العام . : وكظاهرة لها وجودها الواقعي ، إلا أن مقاييس التفرقة بينها بدقة وبين القرية - والريف - ما تزال غير فاضلة ، هل يكون المقياس وظيفة المركز السكني Function ؟ أو يكون حجمه Size ؟ أو يكون احصائياً صرفاً ؟ أم على أساس الأمر الإداري ؟ . وليس التحديد يسيراً في الدلتا ، وبالأخص بالنسبة لمدها من فئات الحجم الصغرى ، حيث تندمج في ريفها حجماً ووظيفة ، وقد اعتمدت المقدمة التفسيرية لتعداد ١٩٦٠ على المستوى الإداري وحده في التمييز بين الريف والحضر ، فاعتبرت أن المدن هي (كل عواصم المحافظات والمراكز في الدولة) ، إلا أن مثل هذا التحديد لا يضع فاصلاً بأي درجة بين المدن الكبيرة الحجم من ناحية ، والكم الوفير من العواصم الإقليمية من ناحية ثانية ، كما أنه يعتمد على مقياس واحد في تمييزه ، ولكن ، هل هناك إمكانية لتطبيق مقياس آخر في دلتا النيل ؟

بالنسبة لمقياس الحجم أو التحديد العددي Numerical definition فقد أتيت مرة من قبل في مصر ، عندما قسم « جومار » - من علماء الحملة الفرنسية - مراكزها السكنية إلى أربعة أنماط على هذا المقياس (١) ، وهو أيضاً من الأسس

(١) Jomard «Memoire sur la population comparée de L'Egypte ancienne et moderne» Discription de l'Egypte, Vol. IX pp. 96-100

الشائعة لسيطرتها في التعبير عن الظاهرة المدينية بعامية، غير أنه فضلاً عن أن الحجم في حد ذاته ليس دليلاً على درجة المدينية الفعالة (١)، فإن هذا المقياس يواجه مشكلة تدخل أحجام القرى والمدن في دلتا . . بدرجة يصعب معها تحديد العتبة الإحصائية Threshold-Size التي تفصل بينهما، فحسب أرقام ١٩٦٦، توجد ١٥ قرية يزيد حجم كل منها على ٢٠ ألف نسمة. أما التي يزيد حجم كل منها على ١٥ ألف نسمة فجمعها ٤١ قرية، ويصل العدد إلى ١٤٨ قرية من فئة حجم + ١٠ آلاف نسمة، ويزيد الكثير منها حجماً عن عديد من عواصم الدلتا، حيث يوجد من بينها ٣ مدن أقل من ١٠ آلاف نسمة، ٢٨ مدينة بين ١٠-١٥ ألف نسمة (٢)، أى أن نحو نصف مدن الدلتا ذاتية حجماً بين قراها الكبيرة، ومن العسير واقعياً إلغاء الصفة المدينية عنها لمجرد الحجم، كما أن البناء الإداري للدلتا يتعرض للاختلال - دون شك - في حالة تحويل هذه القرى الكبيرة إلى مدن لمجرد الحجم أيضاً.

وقد يستهوى تباين المستوى الحضارى بين الريف والمدينة البعض لاتخاذ مقياس للتفرقة بينهما، ولا شك أنه مقياس يتخطى باتساعه مقياس الحجم الصارم. فالمدينة تمثل نواة لنخبة مفكرة تشكل رأى العام للإقليم، وتتركز الخدمات الثقافية عالية المستوى - عادة - في المدينة، وقد يتخذ وجود المدرسة الثانوية دليلاً على أن الحلة مدينية، فضلاً عن النادى والمسرح والسينما، ويتصل بذلك كله المظهر المعماري العام للمركز السكني وارتفاع مسقطه الرأسى، إلى غير ذلك من التفاصيل، غير أن الحقيقة، أنه باستثناء بعض المدن الكبيرة - التي لا شك في مدينتها - فإن المدينة الإقليمية الدلتاوية المتوسطة - البندر التقليدى - تشكل وحدة مورفولوجية متشابهة الطابع والقالب والجو العام، حتى ليؤكد «لوزاك» أن واحدة منها لا تعرف شخصية مدنية متميزة (٣)، فالدلتا والزراعة بمثابة الإطار الطبيعي والنمط الاقتصادي اللذان يحتويان مدنها ويضفيان عليها سمات متشابهة، وقد ظهرت معظم المدن الدلتاوية من أصول قروية. وما تزال «القرية» كامنة في تضاعيفها بطرازها الدلتاوى القديم

(١) Sadek, D. 1961; "A medium-sized towns in the Urban patterns of Mod-ern Egypt" Bull Soc. Geog. d'Egypte P. 115.

(٢) الجهاز المركزى لصحبة العامة والإحصاء «التائج النهائية لعداد السكان بالمية عام ١٩٦٦» ،

المجلد الثالث ، محافظات الوجه البحرى . يوليو ١٩٦٧ .

Lozach J. (1935, «Delta du Nil" Le Caire, P. 209.

(٣)

أضيفت إليها إضافة مراكز الخدمة المدنية الحديثة ، ويضاف إلى كل ذلك مشكلة منهجية ، تتصل بصعوبة قياس هذه المظاهر الحضرية الكيفية بطريقة كمية دقيقة .

وقد اقترح - في فترة سابقة - أنه يجب أن يتوفر شرطان لاعتبار قرية ما مدينة أن تكون بندراً لمركز ، أو أن يكون مضروباً على مبانيها العوائد^(١) ، ولا يخرج الشرط الأول عن كونه اقتراحاً بتطبيق المقياس الإداري ، أما الشرط الثاني ، فهو يغفل « وظائف » هذه المباني المضروب عليها العوائد ، ولا شك أن تقرير العوائد على المباني يعد دليلاً على أن المركز السكني قد أصبح اقتصادياً قادراً على تحمل عوائد غير عوائد الأقطان ، غير أن ذلك ليس حقيقة مطلقة في الدلتا ، فعادة ما تفرض عوائد المباني على عواصم المراكز ، وهذه الأخيرة قد تظهر مديناً تبعاً لعوامل عديدة غير القوة الاقتصادية ، من بينها الضرورات الإدارية وتغيراتها ، أي بحكم الأمر الإداري ، فهي دائرة مفرغة تؤكد أن الضرورات الإدارية تعد العامل الرئيسي في ظهور المدن الدلتا ، خاصة بالنسبة لفئات الحجم الصغرى .

وقد ساد في الوقت الراهن تيار يتبنى المقياس الوظيفي في التفرقة بين الريف والحضر ، باعتبار أهميته الفائقة لاهتمامه بمضمون Contents المركز السكني وليس مجرد الشكل Forms ويلخص ديكنسون ذلك ويرى^(٢) :

(...A town is a compact settlement engaged primarily in a non-Agricultural occupation...)

وهو مقياس يسير التطبيق في المناطق الناضجة مديناً ، حيث تبلغ دقته غايتها ، إلا أنه - مرة أخرى - يواجه في الدلتا مجموعة مدنها المتوسطة والصغيرة ، تلك التي ما تزال الزراعة - كحرفة - تستوعب نسبة كبيرة من سكانها ، يعيشون في نواتها القروية القديمة حياة زراعية صرفة ، ومن هنا تظهر - منهجياً - مشكلة اختيار العتبة الإحصائية بناء على توزيع سكان المركز السكني حسب النشاط الاقتصادي ، والتي على أساسها يتم التمييز ، وهناك مقياس دولي مقترح ينص على تحديد نسبة ٦٥٪ - لغير الزراع من جملة سكان المركز السكني العاملين لكي يمكن اعتباره

(١) السيد صبرى (١٩٣٥) ، تحليل نتائج التعداد في مصر ، القاهرة ، ص ٢٢ - ٢٣ .

(٢) Dickinson, Robert. E (1960) "City Region and Regionalism" London P. 93.

مدينة ، وما دون هذه النسبة ليس كذلك (١) . وإذا طبق هذا المقياس على الدلتا ، فانها ستفقد نحو ٤٠ مدينة لا تحقق هذه النسبة حسب أرقام ١٩٦٠ ، وبضاعف من المشكلة أن المادة الإحصائية الخاصة بالتركيب الحرفي لسكان المدن في التعدادات المصرية ، يصعب مقارنتها من تعداد لآخر (٢) .

ولذلك ، فإن تبني مقياس الوظيفة الإدارية ، يصبح ضرورة بالنسبة لهذه الدراسة ، فهو من الناحية العملية أكثر المقاييس قابلية للتطبيق في دلتا النيل ، ورغم كونه مقياساً لاحقاً لاسبقاً ، أى أن تنبئه يأتي نتيجة للأمر الواقع ، إلا أن الوظيفة الإدارية ليست منفصلة عن غيرها من الوظائف ، وهي أيضاً مترابطة مع عوامل الظهور والنمو المدني الأخرى في دلتا النيل ، فالأمر الإداري بتحويل المركز السكني إلى مدينة لا يصدر من فراغ ، ثم إن له أيضاً تداعياته ونتائج التي لا شك فيها ، وظهور معظم المدن في الدلتا قد سبقته مراحل طويلة تميزت فيها عن غيرها من قرى الإقليم ، سواء بموقعها المتوسط أو بحجمها المتميز أو بسهولة مواصلاتها أو استقطابها للحركة الإقليمية المحلية أو بأسواقها التي اكتسبت شهرة فوق محلية ، إلى غير ذلك من عوامل الظهور المدني الدلتاوى المتصلة بالتغيرات الحضارية في الدلتا ذاتها ، ثم يأتي الأمر الإداري ليكرس - آخر الأمر - جملة عوامل التميز هذه ولا يتم هذا الظهور دفعة واحدة - إلا نادراً - وتسبقه عادة مرحلة تنافس فيها مجموعة من القرى المتميزة في استقطاب الحركة الإقليمية لمنطقتها ، ولذلك فقد شهدت الدلتا بزوغ مدن وأقاليم أخرى ، وما تزال هذه الديناميات الخاصة بالظهور المدني في دلتا النيل سارية في أجزاء واسعة منها ، خاصة هوامشها ، والكشف عنها مفيد في تبين احتمالات الظهور المدني في دلتا النيل في المستقبل البعيد والقريب ، ثم يأتي الأمر الإداري مستمراً جملة هذه العوامل ، ليعمق - واقعياً - من قنوات الحركة الإقليمية بين المدينة البازغة وريفها ، وتتوثق الارتباطات ، ويتم التفاعل ، هذا بالطبع في معظم الحالات ، وقد يكون هناك استثناءات لمدن بزغت دون فعالية

International Urban Research (1959) The world's Metropol- (١)
itan areas" Berkeley P. 27.

(٢) المركز الديموجرافي لثلال أفريقية . العوامل الديموجرافية والقوة البشرية . التقرير الأول
(الأنماط العمرية والتنوع الساسمة في النشاط الاقتصادي) ترجمة ممدت محمد علي جاد ، وإعداد
شعبة السكان بقسم الشؤون الاجتماعية بالأمم المتحدة ، القاهرة ١٩٦٧ .

مدنية حقيقية ، وقد يكون ذلك على حساب غيرها الأجلد منها ، غير أن الكشف عن ذلك - مرة أخرى - مفيد ، ويمكن أن يتم من خلال متابعة نتائج الظهور المبنى بالأمر الإداري وتداعياته بالنسبة لإنعاش الحركة الإقليمية وتقوية الريف والمدينة ، وإعادة دراسة وضع مراكز السكن المتنافسة في استقطاب هذه الحركة ، من خلال أسواقها أو مواصلاتها ، وانعاش البزوغ المبنى في دلتا النيل ، بتحويل عدد من قراها المتميزة إلى مدن ، بغض النظر عن الوظيفة الإدارية ، على أن تخلص لها ميزانية المدن والبلديات عالية المستوى الخاصة بالمدن ، وبذلك ، تنسق قرارات التحويل الإداري مع ديناميات الظهور المبنى في دلتا النيل ، وتصبح من أهم عوامل انعاش مدينتها العامة .

وتهدف هذه الدراسة إلى متابعة وتحليل تغيرات نسبة المدينة العامة في دلتا النيل بين ١٨٩٧ - ١٩٦٦ . وذلك من خلال إطاراتها الإدارية الحالية على مستوى المحافظة والمركز وتحديد العوامل المؤثرة في هذه التغيرات ، فضلا عن نتائجها بالنسبة لتوزيع شبكة المدن الدلتاوية الحالية سواء من حيث الحجم أو التباعد ، مع الإشارة إلى احتمالاتها الخاصة بظهور مدن جديدة في دلتا النيل ، وسيعهد لهذه المتابعة وهذا التحليل ، بتحديد سريع للوضع المبنى في الدلتا خلال القرن ١٩ .

الوضع المبنى في الدلتا خلال القرن ١٩

ورثت الدلتا مع بداية نموها الحديث في القرن ١٩ شبكة من المدن الإقليمية ، باعتباريات تاريخية أكثر منها واقعية اقتصادية بالنسبة لمعظمها ، وتبجلى ذلك التناقض بوضوح في النصف الثاني من القرن ١٩ ، خاصة عندما أخذت معدلات النمو السكاني بها في الارتفاع تدريجياً (١) ، وتزايد نسبة المساحة المترعة على حساب البائرة (٢) ،

(١) يمد تقدير جومار Jomard (أحد علماء الحملة الفرنسية (لسكان الدلتا) نحو ١,٥ مليون نسمة) بداية سلسلة من التقديرات السكانية في ٢٨٢١ ، ١٨٤٦ ، ١٨٧٢ ، إنتهت جميعها بإجراء أول تعداد للسكان في مصر في ١٨٨٢ . حيث بلغت جملة سكان الدلتا ٣,٢٠٦,٣٨٥ نسمة ، وحسب تعداد ١٩٦٦ .. فإن جملة سكان الدلتا قد بلغت ١٢,٤٩٣,٢١٢ نسمة .

(٢) بلغت جملة الأراضي المتصلة ، سواء عن طريق الحكومة أو الأفراد أو الهيئات حوالي ٤٠٠ ألف فدان بين ١٨٩٢ - ١٩٥٢ ، وقد أضيف على هذا الرقم إلى مساحتها المزروعة بين ١٩٥٢ - ١٩٧٠ .. خاصة في قطاعات وسط وغرب وشرق الدلتا ، وهذه الأرقام بالنسبة للمساحات التي وصلت إلى مرحلة

بالأخص عند هوامشها ، ومد شبكة نامية من الخطوط البرية والحديدية (١) واتباع سياسة جديدة للري حولت بمقتضاها أراضي الدلتا من الري الحوضي إلى الري الدائم (٢) ، وما تبع ذلك من تغيرات في التركيب المحصول ، والاتجاه نحو الزراعة النقدية (القطن) على حساب الغذائية (القمح) (٣) . وما أدى إليه كل ذلك من انتعاش عمراني شامل تمثل في زيادة عدد القرى ، وبزوغ كوكبة جديدة من المدن الإقليمية المرتبطة بهذه العوامل .

وتوضح الخريطة الإدارية للدلتا أثناء الحملة الفرنسية (١٧٩٨ - ١٨٠١) (٤) أن شبكة عواصمها الرئيسية لأقاليمها ، كانت تشمل مدن « قلوب » ، بليس ، المنصورة ، دمياط ، المحلة الكبرى ، منوف ، رشيد ، دمنهور ، وهي تمثل في مجموعها جملة العواصم الإدارية في الدلتا خلال العهدين العبري والتركي برمتها ، إلى جانب مجموعة أخرى من العواصم للوحدات الإدارية الأصغر (٥) ، غير أنه

= إنتاجية فوق حدية ، أما المساحة المحصولية في الدلتا .. فقد زادت من نحو ٥,٢ إلى ٦,٥ مليون فدان بين ٢٩ - ١٩٦٠ .. (عن : معهد التخطيط القوي ، مذكرة ١٠١ ، سبتمبر ١٩٧٠ ، ص ١٣٤ ، مطبوعة ستغل) .

(١) أنشئ أول خط حديدي في مصر في ١٨٥١ بين القاهرة والاسكندرية ، ووصلت أطوال الشبكة بعد قرن إلى ٤٣٤ كم ، أي بنسبة ١٤ كم لكل ١٠٠ كم^٢ ، وهو مستوى يقرب من غرب أوروبا ، خاصة إذا أضيفت إليها شبكة الطرق البرية وهي بنسبة ٢٥ كم إلى كل ١٠٠ كم^٢ . عن : التقرير السنوي لوزارة المواصلات ١٩٦٥ .

(٢) تقدر أطوال الترع الصيفية التي حفرت في الدلتا بين ١٨٦٣ - ١٨٧٨ بنحو ٨٤٠٠ كم ، وبلغت جملة أطوال الترع في مصر ستة ١٩٢٥ نحو ٢٥ ألف كم ، ارتفعت إلى ٣٨ ألف كم (١٩٦٠) . عن : الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء ، الكتاب السنوي ، القاهرة ١٩٧٣ .

(٣) للاستزادة .. انظر : حسين خلاف « التجديد في الاقتصاد المصري الحديث » ، مطبعة إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٦٢ .

(٤) أطلس أسفل الأرض .. إعداد الأمير عمر طوسون « لوحة رقم ٨ ، مقياس الرسم ١ : ٢٥٠,٠٠٠ » .

(٥) تشكلت شبكة المدن الدلتاوية قرب نهاية العصر البطلمي من ٣٣ مدينة ، انقطرت بعضها ، واستمر بعضها الآخر بتقسيمات مختلفة (انظر أطلس أسفل الأرض .. لوحات من ٢ إلى ٦) .. وخلال معظم العهد العربي .. توزعت الدلتا بين ٤٦ كورة لها حواصنها .. التي استمر بعضها .. بينما تقهقر بعضها الآخر إلى مستوى القرى .. تيمناً لظروف الدلتا الحضرية المتغيرة ، واستمر هذا التشكيل =

خلال الفترة بين ١٨٢٥ - ١٨٥٠ برزت مجموعة من المدن الجديدة التي حلت تدريجياً كمواصم إدارية رئيسية محل تلك المذكورة ، ففي ١٨٢٦ أصبحت « شين الكوم » عاصمة للمنوفية بدلاً من منوف ، وفي ١٨٣٦ نقل ديوان « الغربية » من المحلة الكبرى إلى طنطا ، وفي ١٨٣٣ حلت الرقازيق محل بليس كعاصمة للشرقية (١) وقد وردت في المراسم الخاصة بهذه التغييرات أسبابها كما يلي (٢):

١ - أن تكون العاصمة محطة للسكة الحديد .

٢ - أن يتوسط موقعها إقليمها .

٣ - رقي حالتها العمرانية .

وهذه الأسباب كما تدل على اتجاه ميكر نحو اختيار العواصم بأصلوب علمي له شروطه ، فانها تشير أيضاً إلى ظهور عوامل جديدة في الدلتا غيرت من اتجاهات الحركة الإقليمية بين الريف وعواصمه ، وإلى أن هذه العوامل الجديدة لم تكن - غالباً - لصالح العواصم القديمة ، وأنها أبرزت أهمية موقع مجموعة أخرى من مراكز السكن التي أخذت في استثمار مزايا موقعها منذ ذلك الحين .

ويبدو أن عوامل النمو الحديثة هذه في الدلتا قد واصلت تأثيراتها بعد ذلك إلى مجموعة العواصم الأصغر في أخطاط الدلتا ومراكزها ، وذلك مع اتساع نتائجها ووصولها إلى بقية أجزاء الريف الدلتاوى ، وهذا تطور طبيعي يتسق مع امتداد شبكة المواصلات واتساعها ، ومع وصول الترع والمصارف إلى أجزاء لم تكن مزروعة من قبل ، وهى تطورات قد أدت إلى اختناق العلاقات القائمة بين بعض العواصم القديمة وريفها ، وبالتالي إلى اختلال الحركة الإقليمية الطبيعية ، فقد بدأت

= صورته العامة حتى بداية القرن ١٩ ، للاستزادة أنظر : سعاد ماهر : محافظات الجمهورية العربية المتحدة في العصر الإسلامى ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، مجلد ٢١ .

(١) كانت المنصورة قد حلت كعاصمة للقنصلية في تاريخ سابق (١٥٢٧ م) محل « اشمون الرمان » ورغم هذه التغييرات ، فإن مدينتي « طنطا » ، « بنها » .. لا تظهران في تعداد ١٨٨٢ .. كما صديقي « الغربية » ، « القليوبية » .

(٢) محمد رمزي « القاموس الجغرافى للبلاد المصرية منذ عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥ » ، مطبعة دار الكتب ، الجزء الأول ، ص ١٦ ، القاهرة ، ١٩٥٥ .

هذه الحركة تحفر قنواتها إلى اتجاهات جديدة تمشياً مع عوامل النمو الحديثة ، إلى مراكز سكن أخرى ، ليست عواصم بحكم الأمر الإداري ، ولكنها ما فتأت تستوعب وتستقطب الحركة الإقليمية إليها بحكم استثمارها لعوامل النمو الدلتاوى المتعاظمة ، فأصبحت هى العواصم اقتصادياً وواقعياً ، ورغم ذلك ، فإن تعداد ١٨٨٢ يقدم لنا التناقض بكل وضوح ، فلم تحمل جداوله خريطة جديدة للعلاقات الإقليمية فى الدلتا ، وإنما أوضحت تماماً صورة العلاقات القديمة ، ممثلة فى عشرة مدن إقليمية ، تنازلت تماماً بعد وقت قصير (١٨٩٧) عن وظيفتها ، واستقر بها الحال ضمن قرى الدلتا التى تنور فى فلك عواصمها البازغة ، ويلخص الجدول الآتى هذه العلاقة بين المدن الآفلة والبازغة بين ١٨٨٢ - ١٨٩٧ (١) .

العواصم القديمة	ميت	محلة	الجعفرية	العارين	العزيزية	الإبراهيمية	القنايات	الصوالح
العواصم الجديدة	سمنود	طنطا	السنطة	فاقوس	منيا القمح	كفر صقر	الزقازيق	ههيا
التبعية الإدارية	الغربية				الشرقية			

العواصم القديمة	مليج	سبك	العطف	النجيلة	نوى
العواصم الجديدة	شبين الكوم	-	المحمودية	كوم حماده	شبين القناطر
التبعية الإدارية	المنوفية		البحيرة		القليوبية

ومن هذا الجدول يتبين أن « الغربية » قد ظهرت فى ١٨٨٢ بلون « طنطا » ، المحلة الكبرى « كمر كرين إداريين أو حتى عاصمتين ، وبنفس المستوى خلت « المنوفية » ، القليوبية « من « شبين الكوم وبها » ، وبالنسبة للزقازيق فقد نقلت إليها الوظيفة الإدارية فى ١٨٨٤ من القنايات . وهكذا تخلي خريطة ١٨٨٢ من خمسة من عواصم الدلتا الرئيسية بعد ذلك ، وظهورها فى ١٨٩٧ إنما يؤكد عمق التغيرات التى أخذت طريقها إلى الدلتا منذ منتصف القرن ١٩ ، خاصة وأنها جميعها قد ظهرت ونمت مرتبطة بشبكة الخطوط الحديدية فى الدلتا ، كما يوضح - من ناحية

(١) تغيرت العواصم بناء على المنشور المدرج بالعدد ٢٣ من الوقائع المصرية بتاريخ ٢٢٤ - ١٨٩٦

ثانية - أن تعداد ١٨٨٢ الذى تم في ظروف غير مواتية قد قدم بوضوح جملة التناقضات والاختناقات بين ريف الدلتا وعواصمها ، والتي أوجبت التغيير بعد قليل ، وذلك كختام لها .

أما بالنسبة لبقية العواصم القديمة والمستحدثة - فلكل منها ظروفها الخاصة - المرتبطة على أية حال بالتغيرات الحضارية الدلتاوية ، فقد حلت مدن « هيا ، فاقوس ، كفر صقر » (١) لوجود محطات للسكك الحديدية بها محل « الصوالح ، العارين ، الابراهيمية » على الترتيب ، وكانت مدينة « منيا القمح » قد أخذت مكانة « العزيزية » قبل ذلك في ١٨٧١ ، ولنفس السبب ، نقل ديوان المركز من « النجيلة » إلى « كوم حمادة » ومن « نوى » إلى « شبين القناطر » بين ١٩٠٧ - ١٩١٧ .

وحسب تعداد ١٨٩٧ ، تبلى خريطة المدن الدلتاوية وقد تخلصت تقريباً من آثار العلاقات الإقليمية القديمة ، وعكست جملة التغيرات الحضارية التي أخذت طريقها إلى الدلتا منذ بداية القرن ١٩ ، كما ضببطت - منذ ذلك الحين - حركة ظهور المدن الجديدة بها ، ويمكن تحديد المظاهر الجديدة هذه فيما يلى :

(أ) ظهور مجموعة من العواصم الإدارية الرئيسية في الدلتا (طنطا ، شبين الكوم ، بنها ، الزقازيق) التي أصبحت - منذ ذلك الحين - تشكل مع « المحلة الكبرى ، المنصورة » شبكة المدن الكبرى في الدلتا حتى الآن .

(ب) إحلال عشرة مدن جديدة كعواصم إدارية على مستوى المراكز ، محل أخرى تدهقرت إلى مستوى القرى ، تعبيراً عن اتجاهات جديدة بين ريف الدلتا وعواصمها - وانعكاساً لنموها الحضري ، ذلك النمو الذى سيؤدى - أيضاً - إلى ظهور ١٧ مدينة أخرى جديدة بين ١٨٩٧ - ١٩٧٢ ، وما تزال احتمالات ظهور مدن أخرى - بدت بشائرها - قائمة في أنحاء الدلتا ، خاصة هوامشها .

(ج) مع ظهور شبكة المدن الرئيسية والثانوية ، ورسوخ تأثير العوامل الحضارية الجديدة في الدلتا ، بدأت العلاقات السكانية بين هذه المدن ، كراكر

(١) تم ذلك في سنة ١٨٨٤ .



(شكل ١) الخريطة الادارية لمنا النيل ١٩٧٢ (تجميعية)

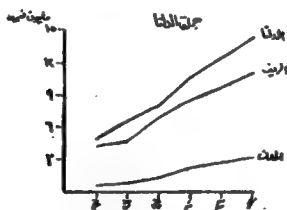
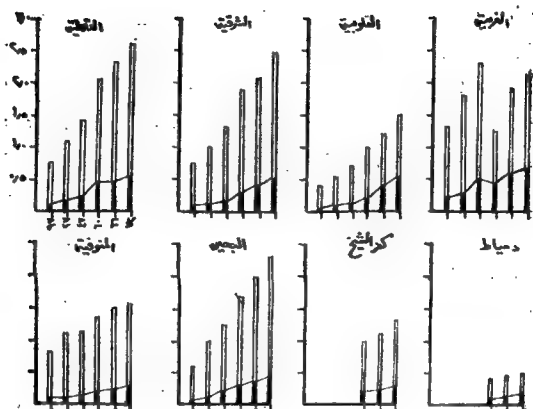
للخدمات الإقليمية تضبط المسافات فيما بينها وبين ريفها ، وتشير إلى احتمالات وامكانات ظهور المدن الجديدة وضوابط التباعد فيما بينها ، كما خضع توزيع المدن في الدلتا حسب الحجم لنظام معين تبعاً لتراتبها والمسافات بينها ، باختصار ، ضببت مسألتى التباعد والحجم المديني في الدلتا ، وقد ساعد على ذلك ، عوامل النمو السكاني ، وأمتدادات سكك وطرق المواصلات ، فضلاً عن نمو المساحة المتزرعة .

(د) دخلت الدلتا مرحلة من النمو المديني متفجرة بالنسبة للقرن ١٩ ، وهو ما سيتم تحليله في الصفحات التالية .

تغيرات نسبة المدينية العامة في دلتا النيل (١٨٩٧ - ١٩٧٢)

تبلو المدينية في دلتا النيل كظل بارز فوق أرضية ريفية عريضة ، ورغم تغيرات نسبتها ارتفاعاً بين ١٨٩٧ - ١٩٧٢ بمعدلات متزايدة ، إلا أن « الريفية » ما تزال تشكل نسج الحضارة الدلتاوية عموماً ، لقد تزايدت جملة سكان المدن في الدلتا من ٥٠٦٨٥١ نسمة (١٨٩٧) إلى ٣,٣٢٦,٦٠٠ نسمة (١٩٧٢) أي نحو ٦٠٠٪ . ويوضح جدول (١) وشكل (٢) أن سكان الدلتا قد ارتفعت جملتهم من ٦١٨٩٠٥ نسمة إلى ١٤٣٢٦,٠٠٠ نسمة خلال نفس الفترة ، أي بنسبة نحو ٣٠٠٪ ، أي أن متوسط معدل نمو سكان المدن بها نحو ضعف متوسط معدل نموها السكاني العام ، وهي بالطبع أعلى من ذلك بالنسبة لسكان الريف ، وقد انعكس ذلك ارتفاعاً في نسبة المدينية العامة بها من ١٠,٨٣٪ إلى ٢٣,٢٢٪ خلال هذه الفترة أيضاً ، غير أن العلاقة لم تكن دائماً هكذا ، فقد تخلفت معدلات النمو المديني في الدلتا عن المعدلات العامة لنمو السكان خلال القرن ١٩ ، غير أن المنحنى انعكس بداية من ١٨٩٧ لصالح النمو المديني وما يزال وبمعدلات متزايدة ، بحيث تناقصت نسبة « الريفية » العامة في الدلتا من ٨٩,٠٧٪ (١٨٩٧) إلى ٧٦,٧٨٪ (١٩٧٢) .

لقد تفاوتت معدلات النمو المذكورة (العامة ، الريفية ، المدينية) تفاوتاً له دلالاته بين أنحاء الدلتا ، وإذا اتخذنا من الإطارات الإدارية في الدلتا (المحافظة أو المديرية) وحدات لتوضيح هذا التفاوت (جدول ٢ شكل ٣) يمكن تبين :

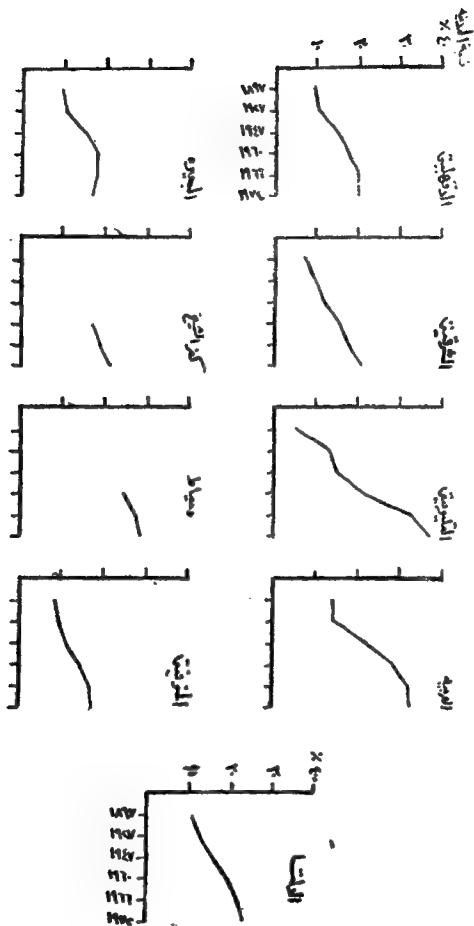


(شكل ٢) تغيرات جملة السكان وسكان الريف والحضر في محافظات
(مديريات) الدلتا ١٩٧٢ - ١٩٧٢

١- تقل نسبة المدنية العامة في الدلتا مع الاتجاه نحو هوامشها ، وتصل إلى أعلاها في قلبها وحول فرغها ، حيث يتركز عدد كبير من مدنها ، وتصل الكثافة السكانية إلى أعلاها ، وخلال الفترة من ١٨٩٧ - ١٩٧٢ ظلت « الغربية » تحتل المرتبة الأولى في الدلتا من حيث نسبة المدنية العامة ، وكانت تزيد بها دائماً عن متوسطها العام في الدلتا ، وذلك لأنها ظلت حتى ١٩٤٧ تقطن في إطارها أكبر عدد من مدن الدلتا بالقياس لغيرها ، فضلاً عن وجود مدينتي « طنطا ، المجلة » ، وهما من أكبر مدن الدلتا ، ومنذ ١٩٢٧ ، انضمت إليها « القليوبية » في فئة تزيد بها نسبة المدنية العامة من متوسطها في الدلتا ككل ، وظلت هذه النسبة طوال الفترة حول متوسطها العام في الدلتا في الدقهلية ، وأدنى منه - باستمرار - في باقي المحافظات (المديريات) على غير التعدادات .

٢- بداية من ١٩٦٠ فقد اتضحت الخطوط الفاصلة بين محافظات الدلتا من حيث نسبة المدنية العامة « فهناك مجموعة تزيد بها هذه النسبة عن متوسطها العام ، وتضم « الغربية ، القليوبية ، دمياط » ، وأخرى تدور حولها « الدقهلية ، الشرقية » وثالثة تقل عنها « المنوفية ، كفر الشيخ ، البحيرة » وذلك باستثناءات قليلة خاصة في ١٩٦٦ ، ويرجع هذا التفاوت إلى عدد المدن بكل محافظة ، وكثافة سكانها الريفيين ، وهرم أحجام المدن بها .

٣- ربما يكون مفيداً تحليل تفاوت نسبة المدنية العامة على مستوى مراكزها الإدارية ، حتى يمكن تحديد العوامل المؤثرة في هذه الظاهرة تفصيلاً ، فالواقع أن « المركز » يمثل الوحدة الأكثر تعبيراً عن ظاهرة المدنية في الدلتا ، فأحياناً تضم « المحافظة » عدداً من المراكز تتفاوت نسبة مدنياتها فيما بينها بدرجة أعلى من تباين هذه المحافظة ككل عن أخرى ، ثم إن المقارنة بين « المراكز » تتم بين وحدات متكافئة الوزن إدارياً ، فلكل مركز مدينة واحدة هي عاصمته ، أما المحافظات فتتفاوت فيما بينها في عدد المراكز ومن ثم في عدد المدن ، ولهذا تأثيره - كما سبق الإشارة - في تباين نسبة المدنية فيما بينها ، بدرجة قد تعجب الكشف عن العوامل الأخرى المؤثرة في هذه النسبة ، وفيما يلي جدولاً يصنف مراكز الدلتا إلى فئات



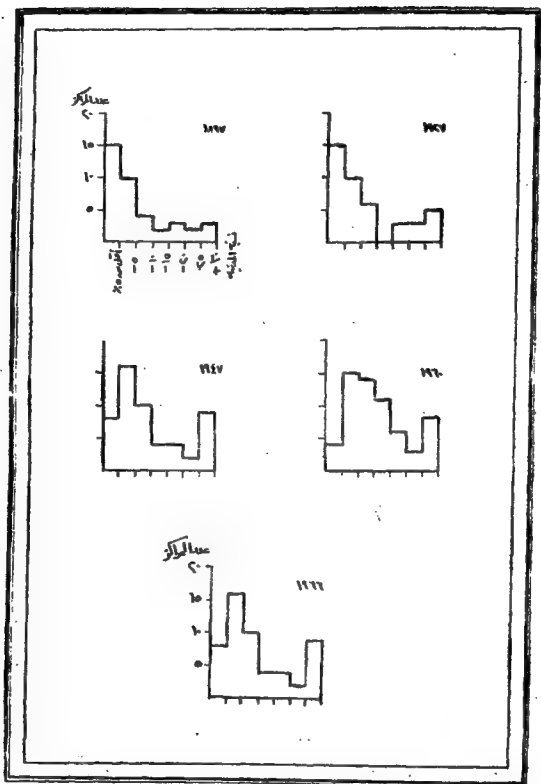
(شكل ٣) تغيرات نسبة المذنية العامة في محافظات (مديرية) الدلتا ١٩٧٢-١٩٥٢

من حيث نسبة مدينتها فيما بين ١٨٩٧ - ١٩٦٦ ، حتى يمكن - أيضاً - متابعة تغيرات هذه الظاهرة .

الفترة التعداد	أقل من ٥%	-٥	-١٠	-١٥	-٢٠	-٢٥	+٣٠	جملة
١٨٩٧	١٥	١٠	٤	٢	٣	٣	٣	٣٩
١٩٢٧	١٥	١٠	٦	-	٣	٣	٥	٤٢
١٩٤٧	٨	١٦	١٠	٤	٤	٢	٩	٥٣
١٩٦٠	٤	١٥	١٤	١١	٦	٣	١٨	٦١
١٩٦٦	١	١٤	١٦	١٢	٧	٤	١١	٦٥

وبدراسة الجدول وشكل (٤) يمكن تبين أن اتجاه نسبة المدينة العامة هو نحو التزايد المستمر في مراكز الدلتا عامة ، بحيث تناقص عدد المراكز التي تقل هذه النسبة بها عن ٥% من ١٥ مركزاً في ١٨٩٧ إلى مركز واحد من ٦٥ مركزاً في ١٩٦٦ ، وبينما كانت جملة المراكز التي تقل النسبة بها عن ١٠% في ١٨٩٧ هي ٢٥ مركزاً بنسبة ٦٥% من جملة مراكزها آنذاك ، نجد أنها قد انخفضت إلى ١٥ مركزاً في ١٩٦٦ بنسبة ٢٣% من جملة مراكزها فيه ، وفي نفس الوقت . . فقد ارتفع عدد المراكز التي تزيد نسبتها على ٣٠% من ٣ فقط في ١٨٩٧ إلى ١١ مركزاً في ١٩٦٦ ، وبينما لا تزيد نسبة المراكز التي تزيد مدينتها عن ٢٠% في ١٨٩٧ عن ٢٣% من جملة مراكزها ، ترتفع إلى ٣٤% من جملة مراكز ١٩٦٦ .

والواقع أن نسبة المدينة قد تحركت نحو الصعود من الفئات المنخفضة (أقل من ١٠%) إلى الفئات المتوسطة (١٠ - ١٩.٩٩%) خلال هذه الفترة أيضاً ، فلم يكن عدد مراكز الفئات المتوسطة يزيد في ١٨٩٧ عن ٦ مراكز بنسبة ١٦% من جملة المراكز ، وهي في ١٩٦٦ قد أصبح عددها ٢٨ مركزاً بنسبة ٤٣% من جملة المراكز ، وتشر جملة هذه الأرقام والنسب إلى حقيقة تحرك نسبة المدينة صعوداً بين مراكزها بأطراد ، تعبيراً - ولا شك - عن زيادة متوسط حجم



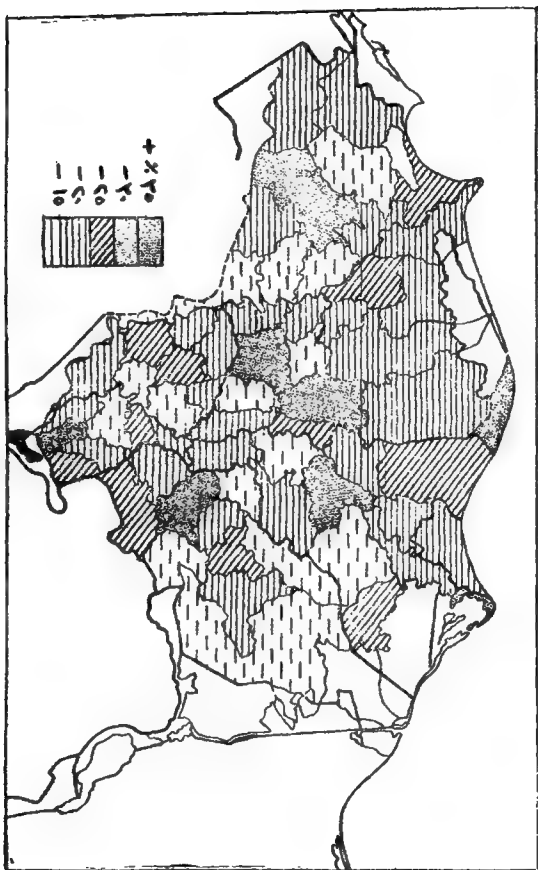
(شكل ٤) تصنيف مراكز الفلنا حسب نسبة المدينة العامة ٩٧ - ١٩٦٦

المدينة في الدلتا من ناحية ، وارتفاع معدلات نموها السكاني عن معدلات نمو ريفها من ناحية ثانية ، وترجع كلا الناحيتين إلى تعرض مدن الدلتا للتيارات من ريفها إليها بدرجات مختلفة ، غير أن ذلك لا يعنى بالضرورة ظاهرة صحية ، ولا يعكس حتماً انتعاشاً مديناً حضارياً ، وهى صورة متكررة — بمقياس أصغر كثيراً — لما تعاني منه مدينة مثل القاهرة ، وإمكاناتها أكبر بما لا يقارن من هذه المدن الإقليمية ولذلك يجدر إلى جانب المطالبة بخفض معدلات نمو السكاني العامة ، إيجاد حالة من التوازن بين نمو سكان المدن والريف ، حتى لا تتحول مدن الدلتا إلى مجرد تراكم سكاني لا وظيفي ، وإلى مجرد قرى كبيرة نمت فوق الحد ، خاصة وأنها — المدن — ما تزال تنمو وبمعدلات أكبر من الماضى ، ولمتابعة هذه المسألة في الوقت الحاضر ، ربما يكون ضرورياً تحليل خريطة نسبة المدينة العامة في مراكز دلتا النيل ١٩٦٦ (شكل ٥ ، ٦) ومنها يمكن تقرير ما يلى :

انضمت الخطوط الفاصلة بين مراكز الدلتا ، من حيث نسبة المدينة العامة ، بحيث يمكن تقسيمها إلى الفئات الرئيسية الآتية :

فئة المراكز التي تزيد بها نسبة المدينة العامة عن ٣٠ %

وجملتها ١١ مركزاً ، تتراوح بها هذه النسبة بين ٣٠ — ٨٥ % ، أي تزيد بها جميعها عن متوسطها العام في الدلتا (٢٢.٠٨ %) ، ومن مظاهر تميز هذه الفئة مديناً ، أن عواصمها تستوعب ٤٦ % من جملة سكان مدن الدلتا ، بينما لا تزيد نسبة جملة سكانها على ٢٣ % إلى جملة سكان الدلتا ، ويعود هذا التميز إلى مجموعة من الأسباب المتصلة بحجم المدن من ناحية ، وبجملة سكان المراكز من ناحية ثانية ، ثم للوضع الإداري المتميز لبعض مراكزها ، وبالنسبة لمراكز « طنطا » ، المحلة الكبرى المنصورة ، الزقازيق ، دمنهور ، شبرا الخيمة ، دمياط » ، فهي — عدا شبرا الخيمة والمحلة الكبرى — المراكز التي تضم عواصم محافظاتهما ، فضلاً عن كونها جميعها المدن السبعة الأولى في الدلتا حجماً ، وتستوعب وحدها ٤١ % من جملة سكان مدن الدلتا ، وتصل نسبة المدينة بينها إلى أعلاها في شبرا الخيمة (٦٠ %) ، ويعد مع « المطرية » (٨٥ %) البندران الوحيدان في خريطة الدلتا الآن ، وتصل بهما النسبة إلى أعلاها



(شكل ٥) تصنيف مراكز الملكا حسب نسبة الذنية العامة ١٩٦٦

في الدلتا عامة ، ويتميز « البندر » إدارياً بقلة عدد نواحيه وارتفاع حجمه سكانياً (١) ،
 يتبقى في هذه الفئة مراكز « قليبوب ، بلطيم ، حوش عيسى » ، أما « قليبوب »
 فيتميز بعاصمة متوسطة الحجم (مرتبة ١٢ بين مدن الدلتا) . ولقد أدى تقسيم ريفها
 بينها وبين مركز القناطر الخيرية عند إنشاء الأخير في ١٩٦٠ إلى ارتفاع نسبة مدنية
 مركز قليبوب إلى نحو ٣٤٪ ، بينما لم تكن تزيد في ١٩٤٧ على ١٤٫٦٪ ، وبالنسبة
 « لبلطيم » فهو أقل مراكز الدلتا سكاناً ، غير أن عاصمته تأتي في المرتبة ٤٦ بين
 عواصمها : ويسكنها وحدها نحو ثلث سكان المركز ، ويتكرر ذلك بالنسبة
 « لحوش عيسى » الذي تستوعب عاصمته ٤٢٪ من جملة سكانه المحدودة أصلاً (٢) ؛
 (جدول ٣) .

ويؤكد السياق السابق الارتباط الوثيق بين المدنية العامة من ناحية ، وحجم
 المدنية ومستوى وظيفتها الإداري من ناحية ثانية ، كما يشير إلى بعض الأسباب الخاصة
 بتمييز بعض مراكز الدلتا مدنياً عن بعضها الآخر .

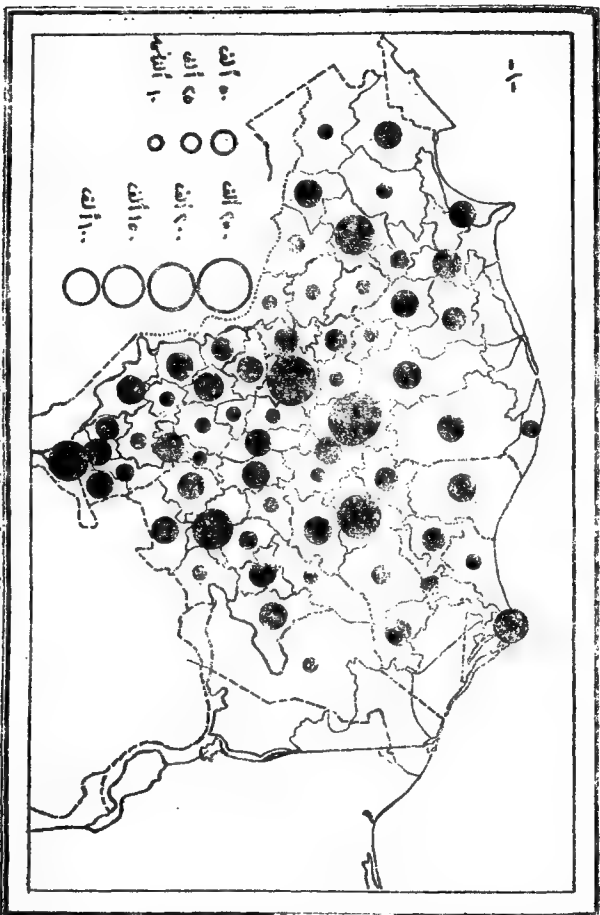
فئة المراكز التي تراوح بها نسبة المدنية بين ١٥-٣٠٪

وتضم هذه الفئة ٢٣ مركزاً ، أي نحو ٣٥٪ من جملة مراكز الدلتا ، وهي
 التي تتوزع بها هذه النسبة حول متوسطها العام في الدلتا (٢٢٫٠٨٪) بفارق نحو
 ٧٫٥٪ زيادة أو نقصاً ، وتقع من بينها مراكز « بنها ، شبين الكوم ، أبو كبير ،
 رشيد » في مجموعة تفصيلية بنسبة مدنية ٢٥ - ٣٠٪ ، ولا شك في انتهاء الأوليتين
 منها إلى الفئة الأولى ، من حيث وجود عاصمتي محافظتي « القليوبية ، المنوفية »
 بهما ، وبارتفاع حجمهما نسبياً ، حتى تأتيان في المرتبتين العاشرة والتاسعة على
 الترتيب بين مدن الدلتا ، أما « أبو كبير ، رشيد » فيضمّان عاصمتين متوسطتين
 حجماً ، لريف قليل الحجم والكثافة السكانية نسبياً (٣) ، ويلاحظ أن بقية مراكز

(١) تأتي مدينتا « شبرا الخيمة والمطرية » في المرتبتين ٧ ، ٣٠ من مدن الدلتا حجماً ، بينما يأتي
 إبندران في الترتيب ٢٤ ، ٦٣ ، بين مراكز الدلتا من حيث جملة السكان (١٩٦٦) .

(٢) يأتي ترتيبه ٦٣ بين مراكز الدلتا من حيث جملة السكان (١٩٦٦) ، أما المدينة فترتّبها ٣٠
 بين مدن الدلتا .

(٣) بينما يأتي ترتيب المركزين ٤٦ ، ٤٠ بين مراكز الدلتا سكاناً ، فإن عاصمتيهما تأتيان =



(شكل ٦) أحياء البترول في دلتا النيل ١٩٦٦

هذه الفئة تنقسم إلى مجموعتين متميزتين من حيث التوزيع وخصائصه :
أ - المراكز الهامشية :

وتتوزع في الإطار الخارجى لخريطة الدلتا الإدارية ، وتضم ٨ مراكز (بليس وفاقوس ، المترلة ، بلقاس ، شربين ، بيلا ، كفر الشيخ ، فوة) . وتتميز كمجموعة باتساع مساحتها ، حتى أنها تشغل نحو ٢٠٪ من جملة مساحة الدلتا ، وبقلة كثافتها السكانية ، فهي من أقل أجزاء الدلتا سكاناً ، إذ لا تزيد نسبة جملة سكانها عن ١٣ر٥٪ من جملة سكان الدلتا ، وبذلك فإن متوسط الكثافة السكانية لهذه المراكز نحو ٣٥٠ نسمة / كم^٢ ، وهى فى الدلتا عامة نحو ٦٠٠ نسمة / كم^٢ ، وتقع عواصمها فى فئة المدن المتوسطة حجماً فى الدلتا (٢٥ - ٥٠ ألف نسمة) تستوعب نسبة نحو ١١ر٥٪ من جملة سكان مدن الدلتا ، وجميعها من المراكز التى تقل نسبة المدنية بها عن متوسطها العام فى الدلتا ، وإلى ذلك فإن هناك نسبة من المبالغه تشوب هذه الأحجام وهذه النسبة ، وبمراجعة بياناتها فى تعدادى ١٩٦٠ ، ١٩٦٦ تبين أن نسبة متفاوتة من سكان عواصم هذه المراكز الهامشية تسكن توابع تحيطها وتتباعدها بمسافات شتى - خاصة « بلقاس ، شربين ، بيلا ، كفر الشيخ ، المترلة » - ولهذا فإن كردون معظمها يمتد ليحيط بتوابع قد تبعد عنها بضعة كيلومترات ، مما أضاف إلى حجم العواصم زيادة ليست مدنية تماماً ، وبمراجعة أرقام نسبة المدنية العامة لهذه المراكز بين ١٨٩٧ - ١٩٤٧ (جدول ٤) وجد أنها كانت تمثل فى مجموعها أقل مراكز الدلتا مدنية ، وأنها قد تحركت منذ ١٩٤٧ نحو هذه الفئة نتيجة زيادة معدلات نموها السكاني على حساب ريفها غالباً ، ولتغيرات كردونها الإدارى فبقدر من المبالغه أحياناً ، ليضم التوابع القريبة من المدينة .

(ب) المراكز غير الهامشية :

وتتوزع حول وبين فرعى الدلتا ، وتشمل ١١ مركزاً (منوف ، تلا ، الشهداء ، بسيون ، كفر الزيات ، سمند ، زقى ، الخانكة ، القناطر الخيرية ، السبلواين ، دموق) ، وتمثل مجموعة من أعلى مراكز الدلتا كثافة سكانية (٨٥٠ / كم^٢) ،

== فى المرتبتين ١٦ ، ٢٣ بين مدن الدلتا (١٩٦٦) حجماً ، وتستوعب المراكز الأربعة نسبة ٦٪ من جملة سكان الدلتا .

ورغم أنها لا تشغل سوى ١٠٪ من مساحة الدلتا ، إلا أنها تستوعب من سكانها نحو ١٥٪ ، ورغم رسوخ هذه المراكز عمرانياً ، تأتي معظم عواصمها في فئة حجمية متوسطة (٢٥ - ٥٠ ألف نسمة) عدا « الشهداء ، بسون ، القناطر » ، فهي بين ٢٠ - ٢٥ ألف نسمة ، وجميعها لا تمثل سوى نحو ١٣٫٥٪ من جملة سكان المدن الدلتاوية ، وتأتي كلها دون المتوسط العام للدلتا نسبة المدينة ، ولأن ريفها أثقل وزناً وكثافة من ريف المراكز الهامشية ، ومتوسط حجم عواصمها أقل نسبياً ، فإن نسبة مدينتها عامة تمثل أداها بين مراكز هذه الفئة هامشية وغير هامشية.

فئة المراكز التي تقل نسبة المدينة العامة بها عن ١٥٪

وتشمل مجموعة المراكز التي تتميز بريفيتها العالية ، وبانخفاض نسبة مدينتها كثيراً عن المتوسط العام لها في الدلتا ، وجملتها ٣١ مركزاً ، أي ٤٨٪ من جملة مراكز الدلتا ، وتمثل عواصمها مجموعة من أقل مدن الدلتا حجماً ، إذ لا تستوعب كلها سوى نحو ١٩٫٥٪ من جملة سكان مدن الدلتا ، بينما تقسم نسبة قدرها ٤٢٫٥٪ من جملة سكانها ، وتوزع في جميع محافظات الدلتا ، كما تضم مراكز هامشية وأخرى غير هامشية ، ويمكن تصنيفها داخلياً إلى مجموعتين ، تقسم الأولى منها مراكز « قطور ، كفر صقر ، الحسينية ، أجا ، السنطة ، شبراخيت ، إيتاى البارود ، أبو حماد ، ديرب نجم ، قويسنا ، أبو حمص ، الباجور ، طوخ ، دكرنس » وجملتها ١٤ مركزاً ، وتراوح نسبة المدينة بها بين ٥ - ١٠٪ بالإضافة إلى « كوم حمادة » أقل مراكز الدلتا مدنية (٤٫٧٪) ، وتقع عواصمها جميعها من حيث الحجم في فئة أدنى من ٢٥ ألف نسمة ، غير أن الواقع أن أكبر مدن هذه المجموعة حجماً (دكرنس) يبلغ حجمها ١٨٨٣١ نسمة ، كما أن مدينتي « قطور ، كفر صقر » ، تقعان في فئة أقل من ١٠ ألف نسمة لكل ، ولا تريد جملة سكان مدن هذه المجموعة عن ١٩٦٩٠٣ نسمة ، أي مثل حجم مدينة كالمشورة ، وأقل بالطبع من حجم كل من طنطا أو المحلة ، ولكن انخفاض حجم العواصم ليس وحده وراء نقص نسبة مدينتها ، فالواقع أنها في معظمها مراكز كثيفة السكان ، تستوعب نحو ٢١٪ من جملة سكان الدلتا ، وعلى سبيل المثال ، فإن مركزاً مثل « دكرنس » يأتي ترتيبه الثامن بين مراكز الدلتا من حيث جملة السكان ، أما غاصته قريتها

٤١. بين مدن الدلتا ، ويأتى مركز «كوم حمادة» فى الترتيب ١٣ بين مراكز الدلتا سكاناً ، أما مدينة «كوم حمادة» فى الترتيب ٦٠ بين مدن الدلتا حجماً ، وهكذا ، من الأمثلة التى توضح مدى التضعضع المدنى لهذه المجموعة ، مما يبرر ضرورة المطالبة بانعاشها. مديناً ، بإعادة النظر فى البناء الإدارى الحالى للدلتا ، وإجراء مجموعة من عمليات تقسيم هذه المراكز المتضخمة سكانياً ، المتدنية مديناً .

أما المجموعة الثانية من هذه الفئة فتضم ١٦ مركزاً ، تتراوح نسبة المدنية بها بين ١٠ - ١٥% ، وتشمل «كفر شكر ، كفر سعد ، أبو المطامير ، بركة السبع ، قلين ، الدلنجات . المحمودية ، ههيا ، فارسكور ، شبين القناطر ، سيدى سالم ، طلخا ، منيا القمح ، أشمون ، كفر الدوار ، ميت غمر» ، وتستوعب جملة سكان عواصمها نحو ١٢.٥% من جملة سكان مدن الدلتا وتتميز بارتفاع حجم عواصمها بالقياس للمجموعة الأولى من هذه الفئة ، فهناك منها ٤ عواصم (ميت غمر ، كفر الدوار ، أشمون ، منيا القمح) ، من فئة حجم بين ٢٥ - ٥٠ ألف نسمة ، وليس هناك سوى ٥ عواصم أقل من ١٥ ألف نسمة ، أما الباقى (٧ عواصم) فبين ١٥ - ٢٥ ألف نسمة ، وفى نفس الوقت فانها تضم نحو ٢١.٥% من جملة سكان الدلتا ، وتكرر أمثلة أخرى للعلاقة غير المتوازنة بين جملة المركز السكانى وحجم عاصمته فى هذه المجموعة أيضاً ، فهى تشتمل على مجموعة من أكبر مراكز الدلتا سكاناً ، يأتى على رأسها مركزاً «كفر الدوار ، ميت غمر» ، وهما المركزان ٦ ، ٧ بين مراكز الدلتا سكاناً ، أما عاصمتهما فى الترتيب ١٨ ، ١٦ بين مدن الدلتا ، وكذلك مركزاً «أشمون ، منيا القمح» فى الترتيب ١١ ، ١٢ بين مراكز الدلتا سكاناً ، بينما تأتى المدينتان فى الترتيب ٢٨ ، ٢٩ بين مدن الدلتا .

وربما أصبح واضحاً بعد التحليل السابق لتغيرات نسبة المدنية العامة فى الدلتا بين ١٨٩٧ - ١٩٦٦ على مستوى محافظات (مديرياتها) ومراكزها ، مع إشارة تفصيلية لتباين هذه النسبة فى خريطتها بين مراكزها فى ١٩٦٦ ، أن هناك مجموعة من العوامل المؤثرة فى هذا التباين ، تتصل بتفاوت معدلات النمو السكانى بين الريف والحضر خلال هذه الفترة من ناحية ، ثم إلى ظهور عدد من المدن الجديدة فى الدلتا

من ناحية ثانية . وأخيراً إلى ارتفاع متوسط حجم المدينة بها باستمرار ، وما يصحب ذلك من تغيرات في شكل الهرم المدني الدلتاوى ، وكانت هذه العوامل في مجملها لصالح النمو المدني في الدلتا ، بل درجة أدت إلى ارتفاع نسبة المدينة العامة بها باطراد منذ ١٨٩٧ وحتى الآن ، وفيما يلي تحليل لهذه العوامل جميعها :

أولاً : الظهور المدني وتغيرات التوزيع :

لقد سبقت الإشارة إلى ديناميات الظهور المدني في دلتا النيل خلال القرن ١٩ ، وما أدت إليه من ظهور مدن وتقهقر أخرى إلى مستوى القرى ، وذلك كاستجابة لعوامل التغير الحضارى التى أخذت طريقها إلى الدلتا منذ بداية القرن المذكور ، ولم يتوقف ظهور المدن بعد ذلك ، وإن اختلفت دينامياته بعض الشيء ، ففى خلال الفترة بين ١٨٩٧ - ١٩٦٦ ارتفع عدد المدن الدلتاوية من ٣٩ إلى ٦٥ مدينة ، وتوزعت المدن المستحدثة توزعاً له دلالاته الإقليمية ، ولم يكن ظهورها مرتبطاً بتقهقر أخرى ، وباستثناء « نوى ، النجيلة » من مدن الدلتا فى القرن ١٩ ، وأصبحنا من قراها بعد ١٨٩٧ ، فقد شهدت خريطة مدن الدلتا ثباتاً مقترناً بظهور المدن الجديدة ، وارتبط هذا الظهور - أساساً - بمجمل التغيرات الإدارية المتتالية منذ نهاية القرن ١٩ ، والتى أضافت إلى خريطتها الإدارية ٢٦ مركزاً جديداً ، بل ومحافظة جديدة كاملة ، هى « كفر الشيخ » ، التى أنشئت أولاً باسم مديرية « الفوادية » سنة ١٩٤٩ ، وذلك من باطن « الغربية » بصفة أساسية ، وأصبحت التغيرات الإدارية من أهم ديناميات الظهور المدني فى الدلتا ، والثابت ، أن التغيرات الإدارية لا تحدث من فراغ ، بل هى ترتبط بلورها بمجموعة أخرى من العوامل الحضارية المؤثرة فى الدلتا ، لعل أهمها ما يتصل بنمو سكانها بمعدلات عالية ، ثم بزيادة المساحة المزروعة على حساب البائرة ، ثم بالآفاق الاقتصادية التى اجتازتها الدلتا نحو الصناعة وغيرها ، وجميعها تؤثر بشكل مباشر أو غير مباشر فى انعاش النمو المدني فى دلتا النيل .

لقد شهدت الدلتا بين ١٨٩٧ - ١٩٧٧ ، ظهور مدن « بنها ، شبن القناطر ، أجا ، شبرا الخيمة ، كوم حمادة ، الدلنجات ، شربين » ، وأضيفت إليها بين ١٩٢٣ - ١٩٤٧ مدن « بيلا ، سمند ، المنزلة ، المحمودية ، قلين ، ديرب نجم ،

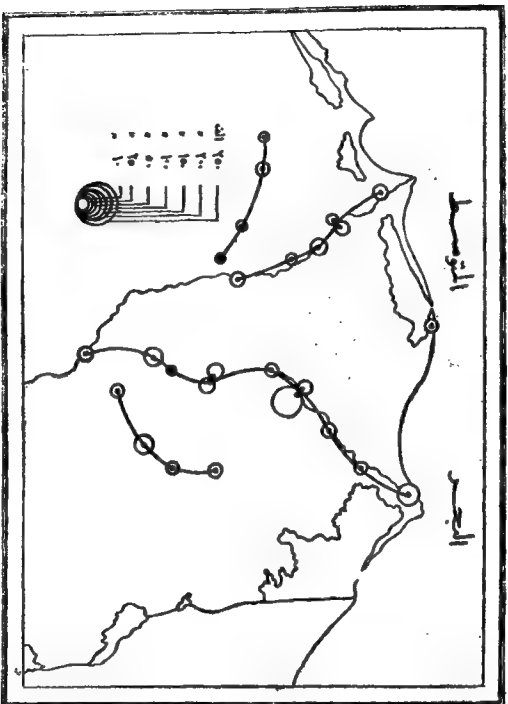
أبو حماد ، الحسينية ، الشهداء ، أبو المطامير ، ، وفي الفترة بين ١٩٤٧ - ١٩٦٠ ظهرت مدن « حوش عيسى ، الخانكة ، بسيون ، قطور ، كفر سعد ، سيدى سالم ، الباجور » وبعد ١٩٦٠ ظهرت مدن « القناطر الخيرية ، كفر شكر ، بندر المطرية ، » وجميعها قد ارتبطت بالتغيرات الإدارية كما سبقت الإشارة ، ولقد أدى ذلك - آخر الأمر - إلى تغيرات لها شأنها في خريطة توزيع شبكة المدن الدلتا ، سواء بالنسبة لمحاور توزيعها الطبيعية أو خطوطها الحضارية أو إدارتها الإدارية ، وهى بالتأكيد من أسباب ارتفاع نسبة المدينة العامة في دلتا النيل ، وأوضحت ديناميات ظهورها احتمالات البزوغ المدنى بها وإمكاناته .

والواقع أن الخريطة الحالية (١٩٦٦) لتوزيع المدن الدلتاوية ليس بالصدفة أو بلا دلالة ، فالمدن لا تظهر من تلقاء نفسها ولا تنمو بذاتها ، وبصفة عامة ، يعكس هذا التوزيع العوامل الطبيعية والحضارية في دلتا النيل ، وقد يبدو التوزيع النقلى distribution المدنى وقد اتضحت به درجة من الانتظام ، غير أن الكشف عن ارتباطه بالحجم يمنحه معناه ، كما يفسر ظاهرة توزيع المدن بها (١) ، والحقيقة أنه من اليسير الكشف عن هذا الانتظام - بصفة أولية - خلال عدد من المحاور الطبيعية ، ومجموعة من الخطوط الطولية والعرضية ، وجملة الإطارات الإدارية الرئيسية في دلتا النيل ، وذلك على النحو التالى :

أ- المحاور الطبيعية : (شكلا ٥ ، ٧)

١ - محور فرع دمياط : تتوزع على طوله مباشرة ١١ مدينة دلتاوية بداية من نقطة التفرع ، حيث تقع مدينة « القناطر الخيرية » إلى مصبه عند دمياط ، وجملة سكانها ٥٥١٠٦٦ نسمة (١٩.٩٨ ٪) من جملة سكان مدن الدلتا ، تقع عليه عواصم ثلاث محافظات دلتاوية (القليوبية ، الدقهلية ، دمياط) ، وتقف « المنصورة » على قمة هرمه المدنى بحجم متميز (١٥١١٩٢ نسمة) تكاد تتوسط المسافة بين المدينتين التاليتين لها حجماً على هذا المحور « دمياط » (٧١٧٨٠ نسمة)

(شكل ٧) توزيع مدن لرمى النيل وساحل المتوسط واليهامش الصحراوى



إلى شالها بنحو ٨٨ كم « بنها » (٦٣٨٤٩ نسمة) إلى جنوبها بنحو ٧٧ كم ، ولما كان طول فرع دمياط ٢٣٩ كم ، فيكون متوسط التباعد المبنى على طوله ٢٢ كم ، غير أنه يتراوح في الواقع بين ٢٥ - ٣٠ كم ، نتيجة وجود بعض المدن المتناظرة المعروفة « بالمدن التوأم » على جانبي فرع دمياط ، مثل مدينتي « زققي ، ميت عمر » المنصورة ، طلخا ، حيث لا يفصل بين كل زوج منها سوى الكوبرى بعرض المحرى ، وباستثناء المدن الرئيسية الثلاث ، فإن بقية مدنه تتراوح أحجامها بين أقل من ١٠ ألف نسمة (كفر شكر وحدها) ، وبين ١٠ - ٢٥ ألف نسمة (طلخا ، القناطر الخيرية ، فارسكور ، وبين ٢٥ - ٥٠ ألف نسمة ميت عمر ، زققي ، سمند ، شربين) .

٢ - محور فرع رشيد :

يختلف توزيع المدن على طول هذا المحور اختلافاً كبيراً له دلالاته عن السابق ، سواء من حيث العدد أو الحجم أو التباعد ، فهو لا ينتظم مباشرة سوى ٦ مدن فقط ، ثلاثة على جانبه الأيمن « كفر الزيات ، دسوق ، فوة » ، والبقية على جانبه الأيسر « شبراخيت ، المحمودية ، رشيد » ، ليس من بينها واحدة بحجم متميز ، فأكبرها « دسوق » (٤٥٥٨٠ نسمة) ، وهى مع « رشيد ، كفر الزيات ، فوة » على الترتيب من فئة حجمية ٢٥ - ٥٠ ألف نسمة ، أما بقيتها فبين ١٠ - ٢٥ ألف نسمة ، وبالطبع فإن الثقل المبنى لهذا المحور أقل منه في محور دمياط ، فجملة سكان مدنه ١٧٦٨٧٧ نسمة ، (أقل من حجم مدينة المنصورة وحدها) ونسبة ٦٤١٪ من جملة سكان مدن الدلتا ، وأقل من ٣٢٪ من جملة سكان مدن فرع دمياط .

ومن ظواهر التوزيع الهامة على هذا المحور ، أنه لمسافة أكثر من ١٢٠ كم على طوله من بدايته عند القناطر ، لا تقع عليه مباشرة أى مدينة حتى « كفر الزيات » ، ويرجع ذلك إلى متاخمة الهامش الصحراوى للفرع حتى كفر الزيات ، وانفساحه عنه بعدها ، وبحساب التباعد المبنى بطول الفرع كله (٢٤٥ كم) يبلغ ٤١ كم ، غير أنه بحسابه واقعياً بين كفر الزيات ورشيد ، فإنه يبلغ نحو ٢١ كم ، أى مثل فرع دمياط تقريباً .

٣ - محاور ساحل البحر المتوسط الدلتاوى :

ويقصد به ذلك القطاع من ساحل البحر المتوسط بين مصبى دمياط ورشيد ، وهو لا يمثل محوراً للتوزيع المبنى لأسباب تتصل بيوار ظهوره طوال العصور الوسطى وإن كانت خرائطه التاريخية تشير إلى وجود عدد من مدن الدلتا القديمة (البشارود ، تستراوة ، البرنس) (١) ، إلا أنه الآن لا ينتظم سوى ثلاث مدن « دمياط ، بلطيم ، رشيد » ، والأولى والثالثة مدينتان نيليتان بأكثر منهما بحريتان ، وقد سبقت الإشارة إليها ، يتبقى « بلطيم » عاصمة ذلك الإقليم الصغير المتميز ، البرلس ، بحجم صغير (١٦٠٩١ نسمة) ، وتجدر الإشارة هنا ، إلى احتمالات للظهور المبنى على طول هذا الساحل ، استجابة لعوامل النمو العمرانى شمالى كونتور ٣م فى دلتا النيل ، خاصة بعد تقلص البرارى ، وبعد أن لامست الخفصة - أو كادت - مياه بحيرة البرلس ، وبالأخص إذا ما نفذت بعناية مشاريع حماية ساحل الدلتا الشمالى من التآكل ، وهى ليست أخطر مشاكله فحسب ، بل هى أيضاً من أخطر مشاكل التوسع الزراعى فى شمالى الدلتا برمتها (٢) .

٤ - الهرامش الدلتاوية الصحراوية :

يتوزع على طول هذه الهوامش ٨ مدن ، نصفها على الهامش الشرقى (الخانكة ، بليس ، أبو حماد ، أبو كبير) ، وهى داخل الإطار الإدارى للشرقية باستثناء « الخانكة » فهى من مدن « القليوبية » ونصفها الآخر (كوم حمادة ، الدلنجات ، حوش عيسى ، أبو المطاير) وجميعها من مدن « البحيرة » ، ومن ظواهر التشابه بين مدن الهامشين ، انتظام التباعد المبنى على طولهما بمتوسط ٢٥ - ٣٠ كم ،

(١) للاستزادة أنظر :

أ - Ball John (1942) "Egypt in the Classical Geographers" Cairo

ب - أطلس أسفل الأرض . إعداد الأمير عمر طوسون (١٠ لوحات) مقياس الرسم .

١ : ٢٥٠,٠٠٠ .

(٢) Said R. «Remarks on the geomorphology of the deltaic coastal plain

between Rosetta and Port Said" Bull. Soc. Geog. d'Egypte

Tom.31 P.116.

٦ بين مدن كل هامش ، وتميز مدن الهامش الشرق بأنها أكبر حجماً في المتوسط من مدن الهامش الغربى ، كما أنها أقدم ظهوراً ، فجملة سكان مدن الهامش الشرق ١٤١ ٥٣٤ نسمة ، بمتوسط ٣٥ ٣٨٤ نسمة ، أما متوسط حجم المدينة على الهامش الغربى فهو ١٧ ٦٧٨ نسمة ، أى نحو نصف حجم المدينة في الهامش الشرقى ، حيث أن جملة سكان مدن الهامش الغربى ٧٠ ٧١٣ نسمة ، وهكذا . . فان الهامشين يتميزان — معاً أيضاً — بأن متوسط حجم المدينة على طولها أقل من متوسطها العام في الدلتا حسب ١٩٦٦ ، وهو ٤٢٤٢٩ نسمة ، ويستوعبان معاً نحو ٧٧٪ من جملة سكان المدن في دلتا النيل .

(ب) خطوط المدن الطولية والعرضية في دلتا النيل

بينما تطورت دراسة المدن المنفردة في مونوجرافات تفصيلية ، ما تزال الحوانب الإقليمية لتوزيع المدن تواجه مشكلة المنهج أساساً ، مصدرها طبيعة التوزيع النقطى للظاهرة المدنية ، فالمدن تمثل نقطاً لا نطاقات تتفاوت أهمية وحجماً ، يصعب تعميم ضوابطها^(١) ، ويقترح «سور» حل هذه المشكلة بفكرته عن الخطوط المدنية Lignes—Urbanes خطوط القوة الحقيقية في مدن الإقليم Lignes—de force^(٢) ، وهى فكرة تلبو مناسبة لتفهم التوزيع المدنى في الدلتا عامة ، وقد يكون من الصعب إيجاد ربط تام بين الحجم والوظيفة ، ومع ذلك فهناك ملامح وظيفية نوعية ترتبط في خطوطها العريضة بالحجم ، وتعبّر مراتب الحجم المدنى في الدلتا عن هذه الحقيقة ، ويتيح التحرك بالتحليل على طول خط المدن اكتشاف هذه المراتب ، وتحديد مدى التجانس بينها ، والواقع أن حجم المدينة — في الدهن العام — معيار معقول لأهميتها ، وبوجه خاص لقيمة موقعها ، ويشترك الموقع والحجم في اصفاء أهمية إقليمية خاصة للمدينة .

والواقع أن بقية مدن الدلتا تنظمها مجموعة من الخطوط الطولية المرتبطة بترعاها

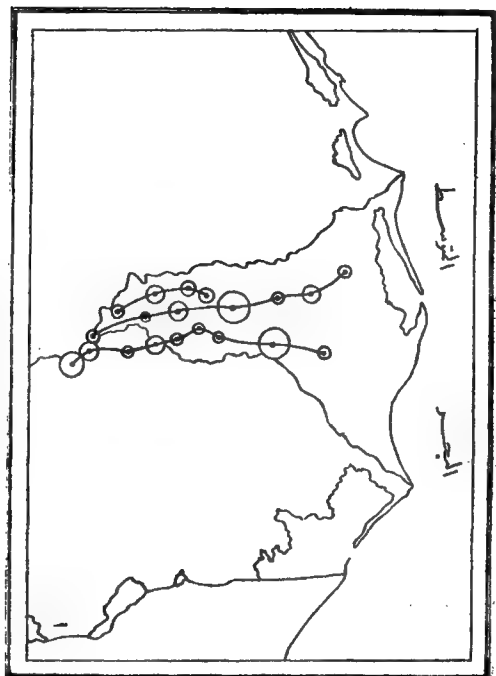
Bousedt Olaf (1963) The delimitation of Urban areas" Gibbs, Jack P (١)
eds . Urban research methods, Van Nastrand princeton P. 197.
Max sorris (1952) Fundments de la Geog-humaine" t. 111. Habitat (٢)
Paris P. 205.

الرئيسية وخطوط مواصلاتها الحديدية والبرية ، تتقاطع معها مجموعة أخرى من الخطوط العرضية المرتبطة بمراحل تعمير الدلتا ونمو مساحتها المزروعة وتقلص الباثرة والأغلب أن كل خط منها يمثل رد فعل حضارى لعدد من العوامل الأولية في الإقليم ، ورغم أن العوامل الطبيعية كثيرًا ما تسود هذه العلاقة ، إلا أن خطوط المدن في النهاية ليست خطوط تضاريس ، ويمكن الآن الإشارة إلى هذه الخطوط على النحو التالى :

١ - الخطوط الطولية (شكل ٨) :

وهذه تنتظم معظم مدن الدلتا بين فرعها ، وأهم ما يميزها استقامتها شبه الكاملة ، فالخط منها يبدأ غالباً من رأس الدلتا ، متجهاً إلى شمالها ، ومتنظماً مجموعة من المدن على طوله بإيقاع مسافات منتظم أو يكاد ، ويتفاوت حجم له معناه ، وجعلتها ثلاثة خطوط ، تبدأ من مدينة القناطر الخيرية ، أما الأول - الرئيسى فيشمل إلى جانب « القناطر » مدن « الباجور ، شبين الكوم ، طنطا (وسطه وعقده) ، قطور ، كفر الشيخ » ، ويمكن أن يضاف إليه « سيدى سالم » ، غير أن هذه المدينة وضع خاص ستأتى الإشارة إليه بعد قليل ، فهو يخترق ٤ محافظات (القليوبية ، المنوفية ، الغربية ، كفر الشيخ) ، وتقع عليه عواصم الثلاث الأخيرة (شبين الكوم ، طنطا ، كفر الشيخ) ، وتوسطه « طنطا » بحجم يميزها كأكبر مدن الدلتا حجماً (٢٢٩٩٧٨ نسمة) ، حيث تقع ثلاثة من مدن الخط إلى جنوبها ، ومثلها إلى شمالها ، ويستوعب الخط ٤١٥٤٣١ نسمة (١٥.٠٦ ٪) من جملة سكان مدن الدلتا ، وينحدر خط الحجم من طنطا جنوباً وشمالاً ، مع تميز مدينتي « شبين الكوم » (٦٦٢٩٠ نسمة) و « كفر الشيخ » (٥١٥٤٤ نسمة) بحجم خاص مرتبط بوظيفتهما الإدارية كعاصمتين رئيسيتين ، أما بقية مدنه فن حجم متواضع أقل من ٢٥ ألف نسمة ، وتشير أرقام التباعد على طول هذا الخط إلى درجة من الانتظام ، حيث يبلغ متوسطه ٢٥ كم على طوله ، وهناك تناظر واضح فى المسافات باعتبار « طنطا » قمة الخط ، فالمسافة بينها وبين « شبين الكوم » جنوباً وقطور شمالاً ٢٦ كم ، وبينها وبين كل من « كفر الشيخ » ، « الباجور » نحو ٤٥ كم ، وتكاد الأخيرة أن

(شكل ٨) الخطوط الطولية لتوزيع من العالم ١٩٦٦



توسط المسافة بين « شين الكوم » و « القناطر الخيرية » ، وإن كانت أقرب للأولى قليلا ، وتكاد تقطور توسط المسافة بين « طنطا وكفر الشيخ » ولكنها أقرب أيضاً للأولى قليلا .

وإلى جانب هذا الخط الرئيسى ، يوجد آخران شرقه وغربه بين فرعى النيل ، أما الشرق فيبدأ من « شبرا الخيمة » منتظماً مدن « قليوب ، طوخ ، قويسنا ، بركة السبع ، السنطة ، المحلة الكبرى ، بيلا » من مدن « القليوبية ، المنوفية ، الغربية وكفر الشيخ » ، وجميعها عدا الثلاث الأولى بين فرعى الدلتا . ويتقاطع هذا الخط مع فرع دمياط عند « بنها » فهى من مدنها أيضاً ، وتبلغ جملة سكان مدنها — دون حساب بنها — إلى ٤٩٥١٣٨ نسمة (١٧٩٥٪) من جملة سكان مدن الدلتا ، وباستثناء « المحلة الكبرى » (٢٢٥٣٢٣ نسمة) ثمانية مدن الدلتا حجماً ، و « شبرا الخيمة » (١٠٤١٣٩ نسمة) سادسة مدن الدلتا ، فإن بقية مدن الخط تقع في فئتي حجم ١٠ — ٢٥ ، ٢٥ — ٥٠ ألف نسمة ، وتقف المدينتان بهذا الحجم دون أن يؤثرتا على التباعد المدنى على طوله ، مما يشير إلى أن هذا التضخم الحجمى إنما يعود لأسباب خاصة غير مجرد العلاقات الإقليمية الدلتاوية العادية ، وبرز على الفور — فى هذا السياق — الوظيفة الصناعية الرامحة للمدينتين ، ولذلك تعد المدينتان — دائماً — خارج حسابات المسافات الإقليمية فى الدلتا بين مدنها ، فقد وصلت « المحلة الكبرى » إلى هذا الحجم رغم موقعها فى ظل مدينتى « طنطا ، والمنصورة » على مسافة ٢٨ كم من كل منهما ، فهى تتوسطهما ، وتبعاً لعلاقات الحجم والتباعد بين مدن الدلتا ، فقد كان من المفروض أن لا يزيد حجم المحلة الكبرى على ٢٥ ألف نسمة ، فيصبح موقعها مبرراً فى إطار الوظيفة الإدارية للمدن الدلتاوية ، أما وصولها إلى هذا الحجم فبحكم « وظيفة » أخرى اجتذبت إليها الأيدى العاملة من الريف المحيط (١) ولا يختلف الأمر كثيراً بالنسبة لبلندر « شبرا الخيمة » فإن موقعه فى ظل

(١) تزايدت جملة سكان مدينة المحلة الكبرى من ٣١٧٩١ نسمة (١٨٩٧) إلى ٤٥٦٤٢ نسمة (١٩٢٧) إلى ١١٥٧٥٨ نسمة (١٩٤٧) .. ثم إلى ١٧٨٢٨٨ نسمة (١٩٦٠) . وأخيراً إلى ٢٢٥٣٢٣ نسمة (١٩٦٦) .. فتكون جملة زيادتها فى أقل من ٧٠ سنة هى ١٩٣٥٢٣ نسمة ، بنسبة ٦٠٩٪ ، بمتوسط سنوى ٨,٧٠٪ ، بينما لا تزيد هذه النسبة السنوية فى الدلتا على ٢,٣٨٪ سنوياً .

مدينة « القاهرة » لا يبرر هذا الحجم ، ثم هو يكاد يتوسط المسافة بين « القاهرة وبنها » ولم يتح قط لمدينة مثل « قليب » أو « طوخ » أن تنمو فوق الحد ، فهما دائماً ضمن الحسابات العادية للحجم والتباعد المدن الدلتاوى ، أما « شبرا الخيمة » ، فقد تضخمت وبسرعة بحكم الوظيفة الصناعية ، التى قلبت الحسابات العادية للحجم رأساً على عقب (١) ، وإن ظلت حسابات التباعد على حالها على طول الخط ، حيث يبلغ متوسطها ٢٥ كم ، باعتبار أن طوله ١٥٠ كم .

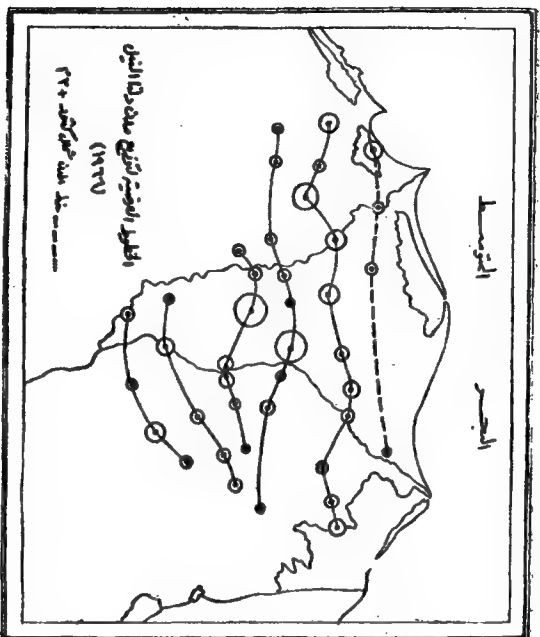
ويبدأ الخط الغربى من « القناطر » ينظم مدن « أشمون ، منوف ، الشهداء ، تلا » تقع جميعها فى محافظة المنوفية ، وتمثل مجموعة المدن التى أولت ظهرها لفرع رشيد ، وتباعدت عن جانبه الشرقى بمسافات بين ١٠ - ١٥ كم ، وتدور كوكبتها حول شبين الكوم لخدمة ريف المنوفية الكثيف ، ولا تزيد نسبة ما تستوعب من سكان مدن الدلتا عن ٤٦٣٪ (١٢٧٨١٩ نسمة) : ومن الواضح أنه خط قصير لأنه إلى الشمال من « تلا » يتفصح السهل الدلتاوى إلى الغرب من فرع رشيد ليشمل محافظة « البحيرة » بعلاقاتها الإقليمية الخاصة ، والتباعد على طول الخط منتظم عامة - شأن الخطوط الأخرى - ومتوسطه ٢٠ كم باعتبار أن المسافة بين القناطر وتلا هى نحو ٨٠ كم .

٢ - الخطوط العرضية : (شكل ٩)

تتميز أيضاً مثل سابقتها الطولية باستقامتها إلى حد كبير ، وبانتظام التباعد على طولها وبتراتب الأحجام ودلالاتها الإقليمية ، ويمكن تحديدها على النحو التالى من :
الشمال للجنوب :

الخط الأول : ينظم مجموعة المدن المتوزعة حيث يتفصح السهل الدلتاوى إلى أقصاه شرقاً وغرباً ، ويبدأ من كفر الدوار غرباً ، إلى المطرية على بحيرة المتزلة شرقاً

(١) لا تظهر شبرا الخيمة فى تعداد ١٨٩٧ ، وتظهر بحجم متواضع فى ١٩٢٧ (٨٦٠٧ نسمة) باسم ضواحي مصر ، وتبلغ جملة زيادتها بين ٢٧ - ١٩٦٦ (٩٥٥٣٢ نسمة) ، بنسبة ١١١٠ ٪ ، أى أن متوسط الزيادة السنوية يبلغ نحو ٢٨ ٪ ، وهى أعلى نسبة زيادة من مدن الدلتا .



(شكل ٩) الخطوط العرضية لتوزيع مدن دلتا النيل (١٩٦٦)

مروراً بمدن «أبو حمص ، دمنهور ، دسوق ، كفر الشيخ ، ييلا ، بلقاس ، شربين ، دكرنس ، المتزلة» ، من مدن محافظات «البحيرة ، كفر الشيخ ، الدقهلية» ، ويتقاطع مع محور رشيد عند «دسوق» ، ومع خطوط وسط الدلتا الطولية عند «كفر الشيخ ، ييلا» ، ومع محور دمياط عند «شربين» المناظرة تماماً لموقع «دسوق» ، وتعد «دمنهور» قمة الخط حجماً (١٤٦٠٧٩ نسمة) ، وهي خامسة مدن الدلتا في هرم أحجامها العام ، ولا يقترب منها على طول الخط مدينة أخرى أهمية أو حجماً ، وهي وحدها تستوعب نحو ٤٦٪ من جملة سكان مدن الخط ، وهي تبلغ ٣٣٧٣١٧ نسمة (١٢٢٣٪) من جملة سكان مدن الدلتا ، وقد استبعدت منها المدن التي سبق حساب أحجامها ، ويزيد متوسط التباعد المدني على هذا الخط العرضي عنه في أى خط طولى ، فهي بين ٣٠ - ٣٥ كم ، باعتبار أن طوله ٣٥٠ كم ، ولما كان من المعروف أن المواصلات عبر الدلتا بالعرض كانت دائماً أكثر صعوبة منها بالطول (١) ، فالأغلب أن هذا الخط الشمالى قد ارتبط لفترة طويلة بنهاية العمران الدلتاوى الشمالية ، ربما حتى نهاية القرن ١٩ ، خاصة وأنه يتفق إلى حد كبير مع الخط الذى كان يعد نهاية الرى الحوضى في الدلتا حتى منتصف القرن المذكور (٢) ، ويشير البيزوغ المبنى الحديث شمالى هذا الخط إلى إمكانية تشكل خط مدنى جديد ، ويمكن اعتبار ظهور مدينتي «سيدى سالم ، كفر سعد» بعد ١٩٦٠ ، باكورة هذا الخط المحتمل ، خاصة وأن «كفر سعد» لا تقع على محور أو خط محدد ، كما أن ضم «سيدى سالم» إلى خط الدلتا الطولى الرئيسى ، كان باعتبار الاتجاه ، بأكثر منه باعتبار الوظيفة ، فالواقع أن ظهور

(١) للاستزادة أنظر :

Hamdan G.M (1962) 'The patterns of medieval Urbanism in the Arab world' Geography, April

(٢) كان الرى الحوضى يمثل في الدلتا في مسهل القرن ١٩ ، جنوبي خط يمتد عامة بين «الدلتجات دمنهور ، دسوق ، ييلا ، فاقوس ، أبو الأخضر» . وكانت فروع النيل ومجاربه تتدفق حرة فوق الإقليم شمال هذا الخط .

Sirry Bey, H (1935) "Irrigation policy" Ministry of public works, Cairo.

« كفر سعد ، وميدى سالم » ، إنما هو تعبير عن مرحلة تم فيها استصلاح البرارى وامتلائها بالسكن والسكان ، ومن ثم برزت حاجتها لمراكز خدمتها الإقليمية ، خاصة وأن المسافات بين قرى البرارى بعيدة عن عواصم الخطوط المدنية الدلتاوية القديمة ، وما يؤكد هذا الاتجاه وهذه الاحتمالات بزوغ « مطوبس ، إدكو » إلى مستوى المدن الدلتاوية بعد ١٩٧٥ ، إشارة إلى بداية استكمال هذا الخط المدنى الشمالى النهائى فى الدلتا لوحدها المدنية ، والمرجح وجود مراكز سكنية أخرى تستعد للبزوغ ضمن هذا الخط ، استجابة لعوامل النمو العمرانى شمالى كونتور + ٣م ، فى دلتا النيل ، وهو موضوع يستحق دراسة أوسع ، ربما لا يكون هنا مجالها .

الخط الثانى : ويلى الأول جنوباً ، يمتد بين أبو المطامير غرباً ، والحسينية شرقاً ، وينتظم مدن « الدلنجات ، إيتاى البارود ، بسيون ، قطور ، المحلة الكبرى ، أجا ، السبلاوين » من مدن « البحيرة ، الغربية ، الدقهلية » ، ويتقاطع مع خطوط وسط الدلتا عند « قطور » المحلة الكبرى » ، كما أنه قد سبقت الإشارة إلى « أبو المطامير ، الدلنجات » باعتبارهما من مدن الهامش الغربى الصحراوى ، وتبلغ جملة سكانه - باستثناء المدن التى سبق حسابها - ٩٦ ٤١٥ نسمة (٣٠٥٠ ٪) : من جملة سكان مدن الدلتا ، وهى فى مجموعها مدن صغيرة الحجم أو متوسطة ، أكبرها - عدا المحلة - « السبلاوين » (٦٨٦ ٤٠ نسمة) ، والتباعد بين مدن هذا الخط أقل منه من السابق يتراوح بين ٢٥ - ٣٠ كم ، ومعظم مدنه قد ظهرت إدارياً بعد ١٩٤٧ ، وذلك ضمن مجموعة التغيرات الإدارية التى تعرض لها وسط الدلتا عند إنشاء مديرية الفوايدية فى ١٩٤٩ .

الخط الثالث : وينتظم إلى الجنوب من الخط السابق مجموعة مدن « كوم حمادة ، كفر الزيات ، طنطا ، زفتى ، ميت عمر ، ديرب نجم ، كفر صقر » . ويوضح حقيقة توزيعية هامة ، وهى التداخل الواضح بين الخطوط الطولية والعرضية ، حيث يقل انفساح الدلتا ، وتصبح المدن داخل مربعات أو مستطيلات من تقاطع خطوطها ، ولذلك فهذا الخط يوضح اتجاهاً توزيعياً ، أكثر مما يعبر عن حالة مدنية خاصة ، فعظم قوته قد سبق حسابها ضمن خطوط أخرى ، لا يتبقى منها سوى

« ديرب نجم ، وكفر صقر » ، وهما من أصغر مدن الدلتا حجماً ، وتبلو أهمية هذا الخط ، في كونه يكاد يقسم الدلتا إلى قسمين شمالي وجنوبي ، ويتقاطعه مع خط وسط الدلتا الرئيسي عند « طنطا » ، يبرز هذه العقدة المدنية الهندسية — أو تكاد — لشبكة المدن الدلتاوية .

الخط الرابع : وينتظم مدن « منوف ، الباجور ، بنها ، الزقازيق ، أبو كبير ، فاقوس » ، ويلاحظ أن هذا الخط لا يبدأ من غرب فرع رشيد مثل سابقه ، ولكن استمراره شرق فرع دمياط مستمراً لابتعاد الهامش الصحراوي عنه ، والتباعد منتظم على طوله بدرجة عالية ، ويقدم موقع الزقازيق نموذجاً فريداً لانتظام التباعد المدني . فهي بحجمها المتميز (١٥١١٨٦ نسمة) كرابعة مدن الدلتا (١) ، تقع على مسافة متساوية تماماً من أولى « طنطا » وثالثة « المنصورة » مدن الدلتا حجماً . فهي تبعد عن كل منها ٥٧ كم تماماً ، وعلى مسافة ٨٤ كم تماماً من كل من « القاهرة » والمحلة ، وتكاد « بنها » تتوسط المسافة بينها وبين « طنطا » ، وهي على مسافات متقاربة من معظم مدن محافظتها ، كما سيأتي بيانه .

الخط الخامس : وهو خط قصير يشمل مدن « أشمون ، شبين القناطر ، بلييس ، أبو حماد » ، ويناطر الخط القصير الغربي ضمن خطوط الدلتا الطولية ، وتمثل « أشمون » نقطة التقاء الخطين ، ويمثل آخر خطوط المدن العرضية في دلتا النيل .

وهنا تجدر الإشارة ، إلى أن هذا التصور الخاص لخطوط توزيع مدن الدلتا ، لا يرمى إلى أبعد من تقديم رؤية قد تكون كلية ، يسودها قدر ما من الانتظام ، يفرض الوصول إلى تفهم أفضل لشبكة المدن الدلتاوية^٢ ، واستبدال التوزيع النقطي السائد لهذه المدن ، بمستوى آخر من التوزيع المرتبط بدراسة أولية للحجم والتباعد ، وذلك من خلال مجموعة من المحاور والخطوط ، التي وإن كانت معتمدة على أسس

(١) ظهرت الزقازيق في تعداد ١٨٩٧ بحجم سكاني قدره ٣٥٧١٥ نسمة ، وكانت قبل ذلك بقليل مجرد معسكر لتجميع عمال التراحيل ، وهي قد تزايدت بين ١٨٩٧ - ١٩٦٦ بنسبة ٢٢٣ ٪ ، أي بمتوسط زيادة سنوية قدرها ٤,٦٢ ٪ .

واقعية وإحصائية ، إلا أنها ليست نهائية مجال من الأحوال ، واستمراراً لنفس الرؤية ، يمكن تقديم هذه الزاوية أيضاً من زوايا توزيع المدن الدلتاوية .

(ج) الاطارات الادارية :

ما تزال الإطارات الإدارية في دلتا النيل ، تمثل أوضح التشكيلات المرتبطة بتوزيع مدنها ، بالإضافة إلى أن المادة الإحصائية الخاصة بهذه المدن تجيء ضمن هذا الإطار ، وتؤدي العلاقات الإقليمية الداخلية - غالباً - إلى تعميق اتجاهات الحركة فيها بينها ، خاصة وأن الصورة الإدارية المتكررة في الدلتا تتكون من محافظات (مديريات) تحتوى كل منها بلورها على عدد من المراكز ، لكل مركز منها عاصمته تلور جميعها - أو معظمها - حول عاصمة المحافظة التي تتمتع - غالباً - بحجم متميز بينها ، ولما كان الظهور المدني في دلتا النيل مرتبطاً بالاحتياجات الإقليمية إلى مركز للخدمات Central service فقد أدى ذلك إلى وضوح نسق خاص بتراتب المدن داخل الإطار الإداري من حيث الحجم والتباعد معاً ، ولا شك أن عامل الخدمات المركزية ، يعد من أهم عوامل تحديد المسافات بين مدن الإقليم ، غير أنها لا تؤدي بالضرورة إلى تباعد منتظم تماماً فيما بينها (١) ، والواقع أن تشكيلات المدن داخل إطاراتها الإدارية الدلتاوية ليست بلا دلالة ، فلكل منها علاقاتها المدنية المنتظمة بدرجات تحددها ظروف بنائها وخصائص إقليمها ، غير أن ذلك لا ينفي وجود مستوى دلتاوى عام يشملها جميعاً بقرى ما من التشابه ، وبدراسة تشكيلات المدن الدلتاوية في إطاراتها الإدارية يمكن تبين ما يلي :

١ - تمثل عاصمة كل محافظة - غالباً - مستوى الحجم الذي تراتب إليه بقية مدنها ، وباعتبار أن هذه العاصمة تمثل المدينة الأولى Primate City ، فيمكن اعتبار أن حجمها = ١٠٠ حتى يمكن قياس بقية مدن المحافظة إليه على النحو التالي :

U l man Edward, (1965) "A theory of Location for cities" Mayeanrd (١)

Kahm. eds. "Readings in Urban Geopgraphy" Univ. of

Chicago Chicago press p p.2 03—205.

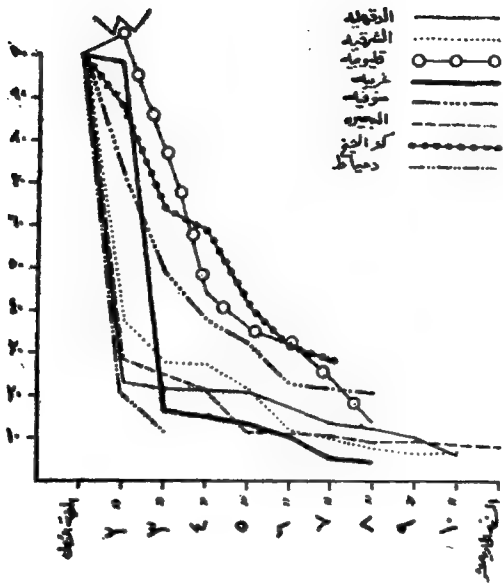
(النسبة مقربة للواحد الصحيح حسب أرقام ١٩٦٦)

التراتب	المدينة		٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	المحافظة
	الأولى	الثانية										
الدقهلية	١٠٠	٢٣	٢٢	٢١	٢١	١٧	١٣	١٢	١٠	٦	—	
الشرقية	١٠٠	٣٨	٢٨	٢٧	٢١	١٢	١٠	٩	٧	٧	—	
القليوبية	١٠٠	١٦٣	٧٧	٤٤	٣٥	٣٢	٢٤	١٤	—	—	—	
الغربية	١٠٠	٩٨	١٦	١٥	١٣	١٠	٥	٤	—	—	—	
المنوفية	١٠٠	٧٣	٤٩	٣٨	٣٣	٢٣	٢٢	٢١	—	—	—	
البحيرة	١٠٠	٢٨	٢٥	٢١	١٢	١٢	١١	٩	٩	٨	٨	
كفر الشيخ	١٠٠	٨٨	٦٤	٥٩	٤١	٣١	٢٨	—	—	—	—	
دمياط	١٠٠	٢١	١٢	—	—	—	—	—	—	—	—	

وبدراسة الحلول وشكل (١٠) يمكن تقرير ما يلي :

— نجىء عاصمة المحافظة في المرتبة الأولى حجماً بين مدن المحافظات الدلتاوية ، عدا « القليوبية » التي يتقدم فيها بندر « شبرا الخيمة » على عاصمة محافظة « بنها » (١٦٣ ٪) لأسباب تتصل بحجم وظيفته الصناعية ، ثم معدلات نموه السكاني العالية ، وينحدر خط الترتاب بشدة بين المدينتين الأولى والثانية في محافظات « الدقهلية ، دمياط ، الشرقية ، البحيرة » ، إذ لا يتجاوز بها حجم المدينة الثانية ربع الأولى سكانياً ، أما في محافظات « الغربية ، كفر الشيخ ، المنوفية » ، فالانحدار بسيط نسبياً بين المدينتين الأولى والثانية ، حيث يتقارب حجم « المحلة » مع « طنطا » في الغربية ، و « دسوق » مع « كفر الشيخ » في كفر الشيخ ، و « منوف » مع « شبن الكوم » في المنوفية ، ثم إن الانحدار يعود فيشتد بين المدينتين الثانية والثالثة في محافظة الغربية خصوصاً ، وبلرجة أقل في « المنوفية وكفر الشيخ والقليوبية » .

يتضح أن هرم أحجام المدن في محافظات الدلتا ، قوامه قاعدة عريضة من المدن الصغيرة والمتوسطة الحجم (أقل من ٢٥ ألف نسمة) ، تعلوه قمة ضيقة من



(شكل ١٠) تراتب مدن محافظات الدلتا بالنسبة لمواصمها ١٩٦٦

مدينة أو مدينتين كبيرتين حجماً ، وذلك دون تلرج هرمى واضح ، مما يعنى بدرجة ما اختلافاً في تشكيل التراب المبنى حسب الحجم في هذه المحافظات ، وفي الدلتا عموماً بالضرورة ، وبغاوت معدلات النمو السكاني بينها ، فضلاً عما يشير إليه وجود هذه الكثرة من المدن الصغيرة من ضعف الحياة المدنية والحضرية ، التي لا تنتعش إلا في إطار مبنى معقول الحجم ، وقد يعود هذا التفاوت إلى العوامل المتصلة بموقع المدينة ووظائفها ، وهي العوامل التي تفسر ظاهرة تفاوت الحجم بين مجموعة مدن تقع في منطقة متجانسة طبيعياً وحضارياً ، وقد أثبتت الدراسات أن نسبة هامة من حجم المدينة الكبيرة ، ترجع إلى وظائفها الثانوية التي تستفيد بها المدينة من مزاياها الخاصة ، مما يؤدي إلى نموها ، قالى مزيد من النمو ، حسب قانون تداعى الوظائف The law of mulipthiers والمرجح أن هذا العامل وراء الحجم الخاص لبعض مدن الدلتا ، حيث توفر الميزات الأيكولوجية ، التكاليف الابتدائية التي لا مفر منها لمدينة جديدة (١) .

تستوعب المدينة الأولى في محافظات « الدقهلية » ، الغربية ، الشرقية ، البحيرة ، دمياط » ، نسبة ٤٠٪ في الثلاث الأولى ترتفع إلى ٧٥٪ في الأخيرة ، وذلك بالنسبة بحملة سكان المدن في كل منها ، تنخفض إلى ٢٧٪ في « المنوفية » ثم إلى ٢٤٪ في « كفر الشيخ » ، وإلى أدناها في « القليوبية » ١٧٪ ، غير أنها إذا حسبت بالنسبة للمدينتين الأوليتين معاً في محافظات « الغربية » ، المنوفية ، ٣٪ كفر الشيخ ، القليوبية » فإن هذه النسبة ترتفع إلى ٧٥٪ ، ٤٧٪ ، ٤٦٪ ٤٥٪ على الترتيب بها ، ومعنى هذا ، أن قياس نسبة المدينة العامة على مستوى المحافظات - أو الدلتا - قد يكون مضللاً إلى حد كبير ، ذلك أن الحياة المدنية في المحافظة تتكثف في مدينة أو مدينتين من مدنها ، والاتجاه نحو مزيد من التكثيف يهدد الحياة المدنية في الإقليم بالدبول.

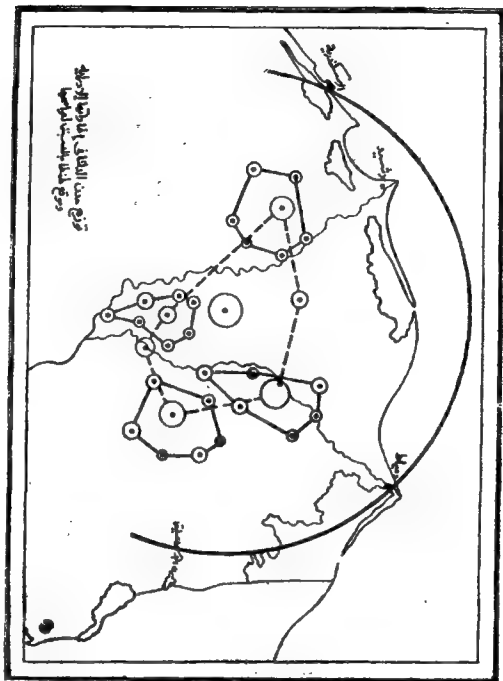
٢ - يمنع تباعد المدن عن عواصمها الرئيسية داخل الإطارات الإدارية في الدلتا كثيراً من الدلالات الإقليمية ، وبدراسة الصبورة في محافظات « الشرقية » ، البحيرة ،

(١) جمال حمدان « جغرافية المدن » النهضة المصرية . د . د . ت . ، القاهرة ، ص ٤١٥ .

الدقهلية» (شكل ١١) ، يتبين أن عواصم هذه المحافظات تمثل مراكز للنواثر كاملة — أو تكاد — بتنظم محيطها مجموعة المدن الإقليمية (عواصم المراكز) الدائرة في فلكها ، وأن الانتظام يتبدى في تساوى أنصاف الأقطار بين المركز والمدن الأصغر من ناحية ، وبين هذه المدن على محيط الدائرة وبعضها البعض من ناحية ثانية ، ويبلغ طول نصف القطر في الشرقية نحو ٢٥ كم ، ومتوسط التباعد بين المدن على محيط الدائرة بها بين ٢٥ — ٣٠ كم ، ويزيد نصف القطر في « البحيرة » إلى ٣٠ كم وهو بين ٣٠ — ٣٥ كم بين مجموعة المدن الأصغر وبعضها ، ويتساوى نصف القطر في «الدقهلية» مع الشرقية ، وتتساوى مع البحيرة من حيث المسافات بين المدن الأصغر وبعضها ، وبالنسبة للمدن التي تظهر خارج الدائرة في المحافظات الثلاث ، فلكل منها ظروفها الخاصة ، المرتبطة بامتداد العمران شرقاً في كل من « الشرقية ، والدقهلية » ، ومن ثم فقد ظهرت مدن « فاقوس ، الحسينية » في الشرقية و « المنزلة والمطرية » في الدقهلية ، وكذلك أدى امتداد العمران غرباً في البحيرة إلى ظهور « أبو المطامير ، كفر الدوار » ، غير أن هذه المدن الهامشية بالنسبة لمحافظةها قد انتظمت في علاقات تباعد إقليمية متشابكة مع عناصر عديدة طبيعية وحضارية بكل منها ، ويتدعم هذا التصور من خلال شبكة المواصلات الحديدية والبرية في هذه المحافظات .

ويتخذ الانتظام تشكيلات أكثر تعقيداً في محافظات الدلتا بين فرعها « الغربية ، المنوفية ، القليوبية ، كفر الشيخ ، دمياط » ، وباستثناء الأخيرة لقلة عدد مدنها ، فإن علاقات التباعد بين بقية المحافظات قد تداخلت وتعقدت ، بحيث أصبحت العلاقات المسافية بينها ، وكأنها تخضع لضبط قطب قوى تمثله مدينة طنطا ، وقد سبقت الإشارة إلى مجموعة المحاور الطبيعية والخطوط الحضارية التي تربط بينها ، وبقيت إشارة سريعة إلى دور مدينة طنطا في هذا المجال .

٣ — بغض النظر عن الإطارات الإدارية الدلتاوية ، وبالنظر إليها ككل ، يمكن تبين موقع مدينة طنطا المتميز بين شبكة المدن الدلتاوية عامة ، ففضلاً عن كونها أكبرها حجماً ، فإنها تكاد تتوسطها هندسياً ، فهي عقدة إقليمية ، بما يكاد يتفق



(شكل ١١) توزيع مدن الدلتا في اطرافها الادارية وموقع طنطا بالنسبة لمواقعها

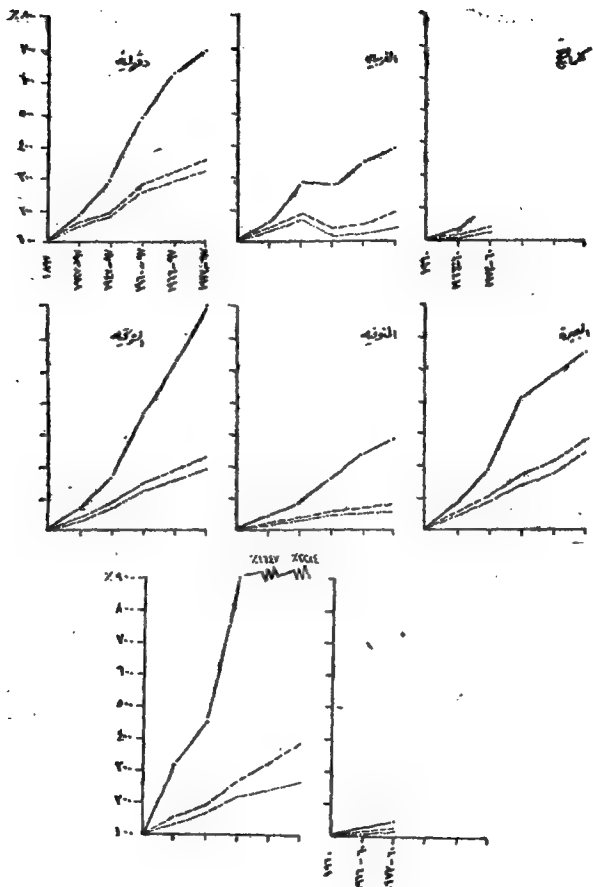
مع بعض التصورات النظرية لتوزيع المدن في الإقليم ، فمثلا ، يتصور أنه تحت ظروف السطح المتسقة ، فإن المدينة يمكن أن تقوم في موقع متوسط من هذا المكان (١) ، وقد أدى موقع «طنطا» المتوسط إلى تجمع مواصلات الدلتا الحديدية والبحرية بها . بحيث أصبحت عقدة مواصلاتها ، كما ساهم وجود المجرى المائية ، وعدم وجود حواجز طبوغرافية في نموها ، بحيث أصبحت المدينة الأولى في الدلتا منذ نهاية القرن ١٩ ، لقد استثمرت هذه المدينة لصالحها جملة العوامل الحضارية الدلتاوية المؤثرة ، وهي بحجمها وموقعها قد منحت شبكة المدن الدلتاوية المعنى والدلالة ، وكما يوضح جدول (٥) وشكل (١٠) فإن التباعد بينها وبين مجموعة مدن الدلتا الرئيسية - عدا المحلة - بل والمدن غير الدلتاوية المحيطة بهوامشها ، يعد على درجة عالية من الانتظام ، ففضلا عن علاقة المتوسط المعروفة لموقعها بين «القاهرة» ، «الاسكندرية» ، فهي تمثل رأس عدد من المثلثات المتساوية الأضلاع - أوتكاد - بينها وبين عواصم الدلتا الرئيسية ، هي : أولا - رأس مثلث يمتد ضلعا بطول ٥٧ كم إلى كل من «المنصورة» ، «الزقازيق» ، وفي نفس الوقت فإن طول الضلع الثالث بين الزقازيق والمنصورة يبلغ ٥٦ كم . فهذا مثلث قد تساوت أضلاعه جميعاً ، وهي : ثانياً - رأس مثلث يمتد ضلعه الأول إلى المنصورة (٥٧ كم) والثاني إلى دمنهور (٦٣ كم) ، وهذه المدن - مع المحلة - تمثل المدن الدلتاوية الخمس الأولى حجماً ، وهي معاً - دون المحلة - تستوعب نسبة قدرها ٢٦٪ من جملة سكان المدن الدلتاوية ، وهي أيضاً وكما سبقت الإشارة ، تمثل مجموعة المدن التي ضبطلت التباعد بينها وبين مجموعة المدن التابعة لها في إطاراتها الإدارية ، ثم هي «طنطا» : ثالثاً - رأس مثلث يمتد ضلعه الأول شمالاً إلى «كفر الشيخ» (٤٩ كم) ، ويصل الثاني جنوباً إلى بنها (٤٥ كم) . وهي رابعاً - رأس مثلث يمتد ضلعه الأول إلى المحلة (٢٨ كم) ، ويتجه الثاني إلى شين الكوم

Ullman E (1959) - "A theory of Location for cities" in Readings (١)
in Urban Geography" Edited by Mayer H.M(Kohn C. E.
London P. 202.

(٢٦ كم) ، وذلك بغض النظر عن حجم مدينة المحلة الاسقناتى ، وهذه المدن الأخيرة «كفر الشيخ ، بنها ، شبن الكوم» من فئة حجمية بين ٥٠ - ١٠٠ نسمة . وهى بالنسبة لمجموعة المدن الهامشية المحيطة بالدلتا بمثابة مركز للدائرة ، فالمسافات بينها وبين مدن «الاسماعيليه ، دمياط ، رشيد ، الاسكندرية» (١٢٥ ، ١٢٢ ، ١١٧ ، ١٢٨ كم) على الترتيب ، وإذا كانت «الاسماعيليه» ، الاسكندرية ليستا دلتاويتين ، إلا أنها جميعها تمثل أهم مدن الهامش الدلتاوى إن صح التعبير ، واستكمالاً لصورة علاقاتها المنتظمة مسافياً حتى بالمدن غير الدلتاوية ، فإنها تكون - مرة أخرى - رأس مثلث يمتد ضلعه الأول إلى بور سعيد (٢١٥ كم) ، ويتجه الثانى إلى السويس (٢٢٩ كم) ، وإذا عدنا إلى الدلتا ، لقياس تباعدها بينها وبين مجموعة المدن الأصغر حجماً ، فيمكن ملاحظة أن موقعها يمثل - مرة ثانية - مركز دائرة يمر محيطها بمدن «كفر الزيات ، تلا ، بركة الصبح ، السنطة» بنصف قطر قدره نحو ٢٠ كم ، وأن التباعد بين مدن هذه الدائرة على محيطها هو بين ٢٠ - ٢٥ كم ، وإذا اتسع نصف قطر الدائرة التى مركزها طنطا إلى ٣٠ كم ، فسيمر محيطها بمدن «بسيون ، قطور ، المحلة ، زقنى ، قويسنا ، شبن الكوم» ، تلور ككوكبة بمتوسط تباعد ٣٠ كم فيما بينها على محيط الدائرة ، ولا شك أن تحليل موقع هذه المدينة (طنطا) ونتائج موقعها على شبكة المدن الدلتاوية قد يحتاج للدراسة خاصة ، غير أن الإشارات السابقة لا شك قد أوضحت درجة انتظام التباعد المدنى في الدلتا عن هذه المدينة الدلتاوية المتميزة .

ثانياً : تفاوت معدلات النمو السكانى بين الريف والحضر :

تزايد سكان الدلتا بمعدلات عالية منذ نهاية القرن الماضى (جدول ٢ ، شكل ٢ ، ١٢) فقد ارتفعت جملتهم من ٤١٤١٦٩٤ نسمة (١٨٩٧) إلى ١٤٣٢٦٠٠٠ نسمة (١٩٧٢) ، أى بزيادة فعلية ٩٥٩٣١٩٠٥ نسمة ، بنسبة نحو ٢٠٦% أى بمتوسط زيادة سنوية ٢.٧٥% ، غير أن هذه الزيادة وهذه النسبة قد تفاوتت خلال الفترة المذكورة ، ولو اتخذنا من متوسط الزيادة السنوية أساساً للمقارنة ، فسيتضح أنها لم تكن تزيد في الفترة بين ١٨٩٧ - ١٩٢٧ على ١.٣٥%



(شكل ١٢) معدلات النمو السكاني في دلتا النيل

٢٥٧

(١٧ م - مجلة الاداب)

سنوياً ، تناقصت إلى ١.٢٩٪ في الفترة التالية ١٩٢٧ - ١٩٤٧ ، وارتفعت بين ١٩٤٧ - ١٩٦٠ إلى ٢.٥٠٪ ، ثم انخفضت قليلاً إلى ٢.٣٨٪ بين ١٩٦٠ - ١٩٦٦ ، وأخيراً ارتفعت قليلاً بين ١٩٦٦ - ١٩٧٢ إلى ٢.٤٥٪ .

كما تباينت معدلات هذه الزيادة السكانية العامة بين محافظات الدلتا (مديرياتها) ، وهي بصفة عامة تزيد عن المتوسط العام للدلتا في هذه الفترة في محافظات «دمياط ، البحيرة ، القليوبية ، الدقهلية ، الشرقية» ، وتقل عنها في «المنوفية ، الغربية» ، غير أنه تجدر الإشارة إلى تأثير عامل التغيرات الإدارية بين ١٨٩٧ - ١٩٧٢ في هذا التباين ، خاصة وأن هذه التغيرات تعني تغيرات في حدود المحافظات (المديريات) ذاتها بالحذف أو الإضافة أو بهما معاً ، مما يظهر في التعداد التالي نقصاً أو زيادة سكانية ليست حقيقية في نسبة ما منها ، والمثل الأوضح لهذه الظاهرة تقدمه «الغربية» ، فهي تأتي بين محافظات الدلتا (١٩٧٢) في المرتبة الأخيرة من حيث نسبة النمو السكاني بها بين ١٨٩٧ - ١٩٧٢ ، غير أن ذلك ليس حقيقياً ، باعتبار أن إنشاء مديرية القوادية في ١٩٤٩ ، كان من باطنها وعلى حسابها سكانياً بصفة أساسية ، ولذلك فهي تظهر في ١٩٦٠ بنقص سكاني قدره ٣.٢٪ عن ١٩٤٧ . والأخير هو التعداد الذي سبق إنشاء القوادية مباشرة ، وقد تكررت هذه الظاهرة بمستوياتها (المراكز ، النواحي) في جميع محافظات الدلتا ، وهي - باختصار - تعد أهم ما يواجه متابعة معدلات النمو السكاني الحقيقية في محافظات الدلتا من مشاكل.

ولم يكن التباين في معدلات النمو السكاني - على مستوى الدلتا - قاصراً على مراحل الفترة الممتدة بين ١٨٩٧ - ١٩٧٢ ، وبالنسبة لمحافظةها فقط ، بل تبدى أيضاً في معدلاته بين ريفها وحضرها . لقد تزايدت جملة سكان ريف الدلتا من ٤,١٧٥,٠٥٤ نسمة (١٨٩٧) إلى ١١ مليون نسمة (١٩٧٢) ، أي بزيادة كلية قدرها ١٦٣٪ ، وبمتوسط نمو سنوي ٢.١٨٪ ، ورغم أن الريف ما يزال يستوعب النسبة الكبرى من سكان الدلتا ، ويسهم بالنسبة الأكبر من نموها السكاني ، إلا أن نسبة «الريفية» العامة ، قد تناقصت بها من ٨٩.١٧٪ (١٨٩٧) إلى ٧٦.٧٨٪ (١٩٧٢) ، وهذا يعني بالطبع أن معدلات نمو سكان المدن بها كانت

تريد عن معدلات نمو ريفها وبالتالي عن معدلات نموها السكاني العامة ، وبالفعل ، فإن جملة سكان المدن الدلتا قد تزايدت من ٥٠٦٨٥١ نسمة (١٩٩٧) إلى ٣٣٢٦٩٠٠٠ نسمة (١٩٧٢) ، أى بنسبة نمو عامة ٥٥٦ ٪ ، وبمتوسط سنوى ٧٤١ ٪ ، وهو متوسط كبير بالغ الدلالة ، قد تحقق من خلال اتجاهين رئيسيين للنمو المدنى بالدلتا ، ظهور المدن الجديدة من ناحية ، وزيادة متوسط حجمها من ناحية ثانية ، وفى كلتا الحالتين على حساب ريفها سكانياً ، وبذلك فقد ارتفعت نسبة المدنية العامة فى الدلتا - كما سبق الإشارة - من ١٠٨٣ ٪ إلى ٢٣٢٢ ٪ .

ورغم المشكلة المنهجية التى سبق تحديدها ، والخاصة بمتابعة تغيرات نسبى « الريفية ، المدنية » فى محافظات (مديريات) الدلتا ، فالملاحظ أن « القليوبية » قد حققت نسبة نمو فريدة فى نموها الحضرى ، وهى من المحافظات التى لم تتغير حدودها أو مساحتها منذ ١٩٩٧ . لقد حققت « القليوبية » نسبة نمو كلية قدرها ٢٩٢ ٪ بين ١٨٩٧ - ١٩٧٢ ، أى بمتوسط سنوى ٣٨٩ ٪ وهو ما يفوق المتوسط العام للدلتا ، غير أنه بينما حققت نمواً مدنياً قدره ٢١٨٤ ٪ فى الفترة المذكورة (٢٩ ٪ سنوياً) ، فإن نسبة نمو ريفها سكانياً لم تتجاوز ١٦٦ ٪ (٢٢١ سنوياً) ، ولا يعنى ذلك أن سكان مدنها قد أصبحوا أغلبية بالنسبة لريفها ، فما تزال نسبة ريفيتها العامة ٦٣٦٤ ٪ ، غير أنها تأتى كأولى محافظات الدلتا مدنية ، حيث تصل بها نسبة المدنية العامة إلى ٣٦٣٦ ٪ ، إن ذلك يعود أساساً إلى قلة حجمها السكاني العام بين محافظات الدلتا ، فهى تأتى فى المرتبة السابعة بينها ، فى نفس الوقت الذى يبلغ فيه عدد مدنها (ثمانية) نفس عدد مدن محافظتى « الغربية ، المنوفية » ، وهما تفوقانها حجماً بكثير (جدول ١) وتبلى المقارنة بين « القليوبية ، والمنوفية » ذات دلالة فى هذا المجال ، خاصة وأن الأخيرة لم تتغير حدودها أو مساحتها أيضاً منذ ١٨٩٧ ، « فالمنوفية » لا تزيد نسبة زيادتها السكانية الكلية عن ٨١ ٪ بين ١٨٩٧ - ١٩٧٢ ، وهى بذلك - باستثناء الغربية بظروفها الخاصة بإنشاء « القوادية » تأتى كأقل محافظات الدلتا نمواً سكانياً ، إذ لا تزيد نسبته السنوية بها عن ١٠٨ ٪ ، وهى تأتى أيضاً مع « الغربية » كأقل محافظات الدلتا من حيث نسبة الزيادة المدنية بها ، إذ لا يزيد بها عن ٣٧٣ ٪ سنوياً خلال نفس الفترة ،

والنكاح ، فإن نسبة المدينية بها ١٧٣٤٪ ، أى أقل من نصفها فى القليوبية ، أما ريف المنوفية ، فلم تزيد نسبة زيادته على ٦٣٪ (٨٤٪) وهو ما يؤكد تعرضه لتيارات هجرة مختلفة خارجة منه ، كما تشير إلى ذلك ، كثير من الدراسات (١) ورغم أن « الغربية » تظهر كأولى محافظات (مديريات) الدلتا مدينية منذ ١٨٩٧ — ١٩٦٦ ، وكثافتها فى ١٩٧٢ ، إلا أنها تأتى كأقلها من حيث نسبة الزيادة المدينية بين ١٨٩٧ — ١٩٧٢ ، إذ لا يزيد متوسط الزيادة السنوية عن ٣٧٢٪ ، وقد سبق الإشارة أكثر من مرة إلى ظروفها الخاصة بإنشاء « القوادية » من باطنها ، وهو ما أدى إلى اختلالها المرتبة الأخيرة بين محافظات الدلتا من حيث نسبة الزيادة السكانية الكلية والريفية والحضرية ، وهى بالنسبة للكلية (٨٩٪) وللريفية (٤٣٪) خلال الفترة المذكورة ، ولقد حققت « الشرقية » نمواً مدينيا ملحوظاً خلال هذه الفترة (٩٤٪) سنوياً ، بسبب زيادة عدد مدنها من ٦ إلى ١٠ مدن ، أما ريفها فلم يزد متوسط نموه السنوى عن ٢٤٤٪ ، أى حول المتوسط العام لنمو سكان ريف الدلتا ، وتلوز « الدقهلية » ، البحيرة » حول المتوسط العام لزيادة سكان المدن فى الدلتا (٧٨٩ ، ٣٧٪) سنوياً على الترتيب ، غير أن ريف « البحيرة » قد حقق زيادة سنوية قدرها ٣١٧٪ سنوياً ، بينما لا تزيد هذه النسبة فى الدقهلية عن ٢٨٣٪ ، وربما يرجع هذا الفارق ، إلى ما تعرضت له الدقهلية من حلف بعض نواحها ، وضمها إلى « القوادية » عند إنشائها ، كما أنه ربما يرجع إلى تعرض ريف البحيرة لتيارات هجرة داخلية ، خاصة إلى مناطق الاستصلاح الزراعى فى « التوبارية » ، وإدكو ، وأيس » التى يضمها قطاع غرب الدلتا لاستصلاح الأراضى (٢) أما بالنسبة لمحافظة « كفر الشيخ » ، دمياط » فهما لا تظهران بصورتها الزاهنة إلا منذ ١٩٦٠ ، وقد بلغت نسبة الزيادة السكانية العامة بهما (٣٢ ، ٢٧٪) على

(١) للاستزادة انظر :

- A) Farid I.A (1949) - "The population of Egypt ; some aspects of its Growth and distribution " Cairo.
B) Hamdan G.M. " Population of the Nile Mid—Delta " Ph D. Thesis Univ. of Reading. 1953.

Harry Hopkins (1969) " Egypt, the Crucible ", London, P. 141.

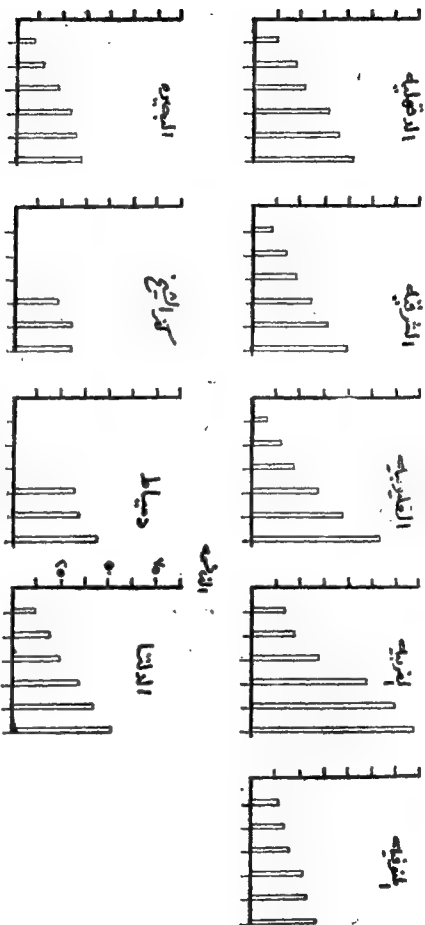
(٢)

الترتيب حتى ١٩٧٢ ، وقد بلغت نسبة الزيادة السنوية الحضرية في الأولى ٣٢.٥٪
صنوياً ، وفي الثانية ٣٦.٤٪ ، أما نسبة الزيادة السنوية في ريفهما فقد بلغت
(٢١٦ ، ١٧٤٪) على الترتيب .

ثالثاً : تغيرات متوسط حجم المدينة الثلاثية :

سبقت الإشارة إلى ظاهرة زيادة متوسط حجم المدينة في الدلتا بنحو ٤ مرات
بين ١٨٩٧ (١٢٩٦٦ نسمة) و ١٩٧٢ (٥١٩٦٦ نسمة) ، وارتفاع عدد المدن
في نفس الوقت من ٣٩ إلى ٢٥ مدينة ، ويوضح جدول (٤) وشكل (١٣) أن
هذه الزيادة كانت مستمرة بلاشذوذ خلال الفترة كلها ، وبين محافظات (مديريات)
الدلتا بلاستثناء ، وإن تفاوتت نسبها بين فترة وأخرى . ومن محافظة إلى محافظة ،
لقد تضاعف متوسط حجم المدينة في الدلتا بين ١٨٩٧ - ١٩٢٧ ثم تضاعف مرة
أخرى بين ١٩٢٧ - ١٩٧٢ وذلك بالنسبة للدلتا ككل^(١) ، وتوضح إدارتها
الإدارية الرئيسية تفاوت متوسط حجم المدينة بين أنحائها ، وتباين معدلات زيادته
أيضاً ، فينبينا نجد أن ترتيب مديرياتها في ١٨٩٧ حسب متوسط حجم المدينة هو
(الغربية ، المنوفية ، الدقهلية ، الشرقية ، البحيرة ، القليوبية) ، فإنه نظراً لجموعة
من التغيرات الإدارية المتتالية . ولقرارات الضم والحذف ، ولظهور المدن الجديدة
كمواصم للمراكز المستجيلة ، ولتباين معدلات النمو السكاني ، يتغير هذا الترتيب ،
فينبينا تظل « الغربية » في المرتبة الأولى دائماً بين ١٨٩٧ - ١٩٧٢ ، تتقدم « القليوبية »
تدريجياً مع إنشاء خمسة مراكز جديدة في إطارها تبعاً . لكي تحتل المرتبة الثانية
منذ ١٩٦٦ ، وبينما تأتي « المنوفية » الثانية في ١٨٩٧ ، يتأخر ترتيبها إلى السابعة
في ١٩٧٢ . ويتميز ترتيب باقي المحافظات (المديريات) بتغيراته المتخلوطة ، فالدقهلية
بين الثانية والثالثة . وهي الثالثة في ١٩٧٢ ، وللشرقية بين الرابعة والخامسة ،
وهي الرابعة في ١٩٧٢ . وتأتي « دمياط » في المرتبة الخامسة منذ ١٩٦٠ ، وترتيب
البحيرة السادسة طوال الفترة ، وتأتي « كفر الشيخ » في المرتبة السابعة والاخيرة
منذ ١٩٦٠ .

(١) بلغت جملة سكان المدن في « الغربية » وحدها في ١٩٤٧ (٥٠٨٦٦٢ نسمة) ، وهي ما تزيد
عن جملتها في الدلتا كلها في ١٨٩٧ (٥٠٦٨٥١) ، وقد زاد عدد سكان المدن عن نصف مليون
في محافظات « الدقهلية ، الشرقية ، القليوبية ، الغربية » في ١٩٧٢ .



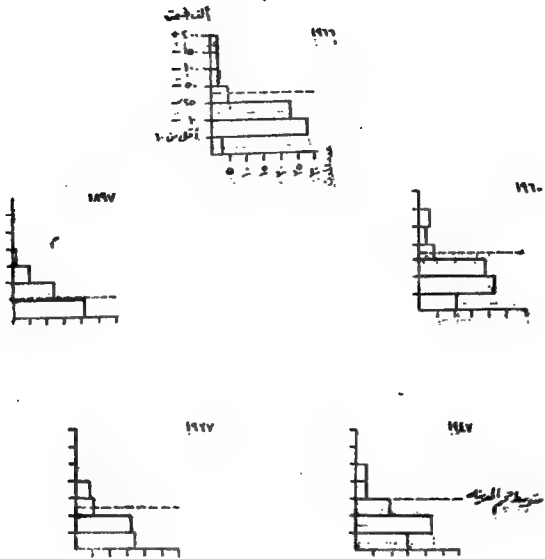
(شكل ١٣) تغيرات متوسط حجم الدينيه في محافظات (مديريات الدلتا)
بين ١٨٩٧ — ١٩٧٢

لقد أدت هذه العوامل جميعها إلى إعادة تشكيل هرم أحجام المدن في الدلتا كل حين ، ورغم أن الشكل العام لهذا الهرم قوامه قاعدة عريضة مفلطحة من المدن الصغيرة من فئتي «أقل من ١٠ وبين ١٠ - ٢٥ ألف نسمة» ، ووسط ضيق من فئات المدن المتوسطة حجماً (٢٥ - ٥٠ ألف نسمة) تنتهي سريعاً بقمة مدنية من فئات المدن الكبيرة (٥٠ ألف نسمة فأكثر) ، غير أن نمو المدن الدلتاوية سكانياً بمعدلات عالية قد أدى إلى تحركات ملحوظة بين فئات الهرم صعوداً ، وكانت القاعدة تتغذى دائماً بالمدن الجديدة الصغيرة الحجم غالباً .

ويدراسة جلول (٣) وشكل (١٤) ، يتبين أنه في ١٨٩٧ يظهر الهرم بقاعدة عريضة جداً من المدن الصغيرة ، أقل من ٢٥ ألف نسمة ، تشتمل على ٣٣ مدينة من جملة ٣٩ مدينة دلتاوية (٨٥٪) من بينها ٢١ مدينة من فئة أقل من ١٠ ألف نسمة ، بل كان من بينها - أيضاً - ١٢ مدينة قزمية من فئة أقل من ٥ ألف نسمة (جلول ٤) ، وكان وسط الهرم مختفياً جداً يشتمل على ٥ مدن فقط ، من فئة بين ٢٥ - ٥٠ ألف نسمة ، ينتهي بحدة إلى قمة مدنية من مدينة واحدة (طنطا ٥٧٢٨٩ نسمة) ، أكبر مدن الدلتا وما تزال .

ولا يتغير شكل الهرم كثيراً في ١٩٢٧ وإن ارتفع متوسط حجم المدينة الدلتاوية إلى ١٩٠٢٤ نسمة ، إذ تظل تلك القاعدة من المدن الصغيرة تستوعب ٣٣ مدينة من جملة ٤٢ مدينة (٧٩٪) ، ومن بينها ١٧ مدينة أقل من ١٠ آلاف نسمة ، غير أن عدد المدن القزمية قد تناقص إلى ٥ مدن ، وظلت فئة الوسط مكونة من ٥ مدن ، تنتهي بقمة أقل تدبيراً من ٤ مدن بين ٥٠ - ١٠٠ ألف نسمة (طنطا ، المنصورة ، الزقازيق ، دمنهور) وهي في جملتها أكبر مدن الدلتا وما تزال .

ويظل الهرم - عامة - على شكله بين ١٩٢٧ - ١٩٤٧ ، قاعدة مفلطحة من المدن الصغيرة عددها ٣٧ مدينة من جملة ٥٣ مدينة دلتاوية (٧٠٪) ، من بينها ١٥ مدينة من فئة أقل من ١٠ ألف نسمة ، ويزيد عدد المدن القزمية من بينها إلى ٦ مدن (قويسنا ، الحسينية ، كوم حمادة ، كفر صقر ، أبو المطامير ، السطة) ، واتسعت فئة الوسط لتستوعب ١٠ مدن ، تنتهي إلى قمة من ٦ مدن ، نصفها من فئة ٥٠ - ١٠٠ ألف نسمة (دمنهور ، دمياط ، الزقازيق) ، ونصفها الآخر بين



(شكل ١٤) تغيرات هرم أبحام المدن في الدلتا بين ١٨٩٧ - ١٩٦٦

١٠٠ - ١٥٠ ألف نسمة (طنطا ، المنصورة ، الزقازيق) ، وقد نمت هذه المدن الستة بنسبة ١٥٠ - ٣٠٠٪ (١٨٩٧ - ١٩٤٧) ، أما متوسط حجم المدينة الدلتاوية فقد ارتفع إلى ٢٥٥١٨ نسمة ، أى إلى ضعفها تقريباً في ١٨٩٧ .

ولقد أدت زيادة عدد المدن إلى ٦١ مدينة في ١٩٦٠ إلى تغذية القاعدة بمزيد من المدن الصغيرة ، ورغم صعود عدد من مدن القاعدة بين ١٩٤٧ - ١٩٦٠ إلى الفئة المتوسطة ، إلا أن عددها ظل كبيراً قوامه ٣٣ مدينة (٥٤٪) من جملة مدن الدلتا في ١٩٦٠ ، من بينها ١١ مدينة أقل من ١٠ ألف نسمة ، وانخفضت المدينة القزمية ، وارتفع عدد مدن فئة الوسط إلى ١٩ مدينة (٣١٪) ، تنتمي تدريجياً إلى قمة عريضة من ٩ مدن + ٥٠ ألف نسمة ، من بينها ٣ مدن من فئة ١٥٠ - ٢٠٠ ألف نسمة (طنطا ، المحلة الكبرى ، المنصورة) ، ومدينتين بين ١٠٠ - ١٥٠ نسمة (دمهور ، الزقازيق) ، وأخريتين بين ٥٠ - ١٠٠ نسمة (دمياط ، شبرا الخيمة) ، وهكذا ، انقضت معالم شبكة المدن الرئيسية في دلتا النيل .

وبعد الحرم في ١٩٦٦ استمرراً له في ١٩٦٠ ، غير أن متوسط حجم المدينة الدلتاوية قد أصبح ٤٢٤٢٩ نسمة ، وتزايدت سعة القمة إلى ١١ مدينة ، صعدت من بينها «طنطا ، المحلة» إلى فئة حجم ٢٠٠ ألف فاكتر ، وظلت المنصورة في فئة السابقة . وصعدت إليها الزقازيق ، وبقيت «دمهور» في فئة وضعت إليها «شبرا الخيمة» ، أما فئة ٥٠ - ١٠٠ ألف نسمة ، فقد اشتملت على «دمياط» ومعها «شين الكوم ، بنها ، بليس ، كفر الشيخ» . أما القاعدة فما تزال عريضة تستوعب ٣١ مدينة (٤٨٪) ، لا يقع من بينها سوى ٣ مدن في فئة أقل من ١٠ آلاف نسمة (كفر صقر ، قطور ، كفر شكر) ، واتسع وسط الحرم ليستوعب ٢٨ مدينة - انمكاساً - لما سبقت الإشارة إليه عن تحرك مدن الدلتا صعوداً في فئات هرمها السكاني .

ولا شك أن النمو المادي يعد من مؤشرات النمو الاقتصادي عامة ، حيث يحتاج لمزيد من المؤسسات عالية المستوى ، وإلى درجة أعلى من تخصص الوظائف ، كما أنه يفتح للمدينة وريقتها قدراً أكبر من الخدمات ، وإلى توثيق التكامل الوظيفي بين

المدينة والريف ، غير أن الحجم ليس غاية في ذاته ، وتحقيق هذه الأهداف المنشودة ليست مرتبطة بمجرد زيادة نسبة المدينة العامة في الإقليم ، والأجدر أن يرتبط الحجم بخصائص الإقليم . وهى التى تحدده ، كما أن الحجم يجب أن يكون وظيفياً ، بمعنى الاستفادة الكاملة منه ، فالثابت أن نسبة هامة من حجم المدينة الدلتاوية . لا يتحمل فى أنشطة مدنية حقيقية ، بل تستوعبها أنشطة منخفضة الدلالة اقتصادياً - مثل الخدمات مثلاً ، يقتضى ذلك البحث عن مزايا إقليمية أخرى لهذه المدن ، وتدعيم إقتصادياتها المدنية أساساً . وقد يقتضى ذلك أيضاً ، البحث عن حجم أمثل للمدينة الدلتاوية حتى لا تدبل هى ذاتها ، وتختل العلاقة بين إمكانياتها الحقيقية ووظائفها ، ثم هو قد يفرض - ثانياً - متابعة التوازن فى معدلات النمو بين المدن وريفها ، فلا تنمو واحدة وتتضخم على حساب مجموعة منها ، ثم - ثالثاً - إيجاد حالة توازن ضرورية بين معدلات النمو الريفي من ناحية والنمو الحضري من ناحية ثانية ، فالثابت أن نسبة هامة من معدلات النمو الحضري إنما تتم على حساب الريف ، ليس - غالباً - بسبب متانة الأساس الاقتصادى للمدينة ، بل لسوء الأحوال الاقتصادية العامة فى الريف المصرى ، وتجدر الإشارة إلى أن مراعاة هذه المقتضيات لا تخص مدينة دلتاوية دون أخرى - فالواقع أنها جميعها ، كما ظهرت ونمت فى الإطار الحضارى الدلتاوى فهى تعاني جميعها من سلبيات ومشاكل هذا الإطار .

عامة

هدفت هذه الدراسة منذ البداية ، نحو تحليل تغيرات نسبة المدينة العامة فى دلتا بين ١٨٩٧ - ١٩٧٢ ، وتتبعهاى أنحاء الدلتا من خلال إطاراتها الإدارية على مستوى المحافظات (المديرىات) والمراكز ، وذلك ضمن محاولة للكشف عن ديناميات هذا التغير وتحديد خصائصه وبواعثه ، وتبين مدى التباين بين أنحاء الدلتا من حيث تمثل هذه الظاهرة بها ، ولقد استغرقت هذه الغاية الجزء الأكبر من هذه الدراسة ، غير أنها قد كشفت فى سياقها عن عدد من الظواهر الهامة المرتبطة بشبكة المدن الدلتاوية تباعداً وحجماً ، ولعل أهمها أنها يتصل باحتمالات الزواج المبنى عند هوامش الدلتا . تلك التى اجتازت مرحلة الإنتاج الأولية . ودخلت - فى معظمها - مرحلة

إنتاجية فوق حدية ، وهو ذلك العامل الذى تأكد أنه وراء كل ظهور مدنى فى الدلتا ، وأنه أساس تغيرات مدينتها ، وتبين — على الأخص بالنسبة لهوامش الدلتا الشمالى — أنه مع بزوغ مدن « كفر سعد ، سيدى سالم ، مطويس ، إدكو » فقد أصبح يسيراً توقع ظهور أخرى على طول هذا الخط شمالى كونتور + ٣٣ فى دلتا النيل ، تبعاً لضوابط الحجم والتباعد فى أنحائها ، وهى حقيقة ، يمكن متابعتها أيضاً فى هوامش الدلتا الشرقية والغربية مع اختلاف خصائص الظهور وعوامله بطبيعة الحال ، وإلى جانب هذه النتيجة الهامة بالنسبة لاحتمالات التغير فى خريطة الدلتا الإدارية ، فقد أمكن تحديد مدى التباين بين معدلات النمو الحضرى والريفى بها ، وما يقتضيه ذلك من تخطيط ذلك النمو بشقيه ، وتوجيهه وظيفياً . أما بالنسبة لتغيرات « المدينة الريفية » العامة فى الدلتا ، فقد اتضح خصائص نمو متوسط حجم المدينة الدلتاوية وأنه يعنى — غالباً — تورم حجم بعض مدنها من ناحية ، وزيادة عدد المدن الصغيرة الحجم من ناحية ثانية ، وأن الناحيتين لا يدلان على صحة الانتعاش المدنى فى دلتا النيل بل هما تعبير عن كثير من مشاكل ريفها وحضرها على حد سواء ، ورغم الانتظام المؤكد فى تباعد المدن الدلتاوية تبعاً لحجم أحجامها ، وهو ما يدل على نضج الأساس الحضارى ، إلا أن تركيز معظم سكان مدنها فى بعض عواصمها الرئيسية ، وتداخل التراتب بينها وبين المدن المتوسطة والصغيرة ، لمن الظواهر التى تهدد الحياة المدنية العامة بالدبول ، خاصة وأن الحجم الكبير يودى إلى مزيد من الحجم وتكثيف الاستقطاب ، والواقع أن الكشف عن هذه الظواهر — وغيرها — إنما يحتاج إلى مضاعفة الدراسات الميدانية فى هذا المجال ، حتى لا تصبح مجرد نتائج للدراسة تحليلية ، بل تكون أيضاً من مداخل التخطيط .

المراجع العربية

- جمال حمدان جغرافية المدن ، النهضة المصرية (دون تاريخ) ، القاهرة .
- سعاد ماهر محافظات الجمهورية العربية المتحدة في مصر الإسلامي ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة مجلد ٢١ .
- محمد رمزي قاموس الجغرافيا البلاد المصرية منذ عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥ ، مطبعة دار الكتب ، الأجزاء الأول والثاني والثالث القاهرة ، ١٩٥٥ .
- أطلس أسفل الأرض ، إعداد الأمير عمر طوسون ، ١٠ لوحات ، مقياس الرسم ١ : ٢٥٠,٠٠٠ .
- التقارير السنوية لوزارة الموصلات بين ١٩٦٠ - ١٩٧٥ .
- الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء ، النتائج النهائية لتعداد السكان بالمدينة عام ١٩٦٦ ، المجلد الثالث ، محافظات الوجه البحري ، يوليو ١٩٦٧ .
- الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء ، الكتاب السنوي ، القاهرة ، ١٩٧٣ .
- التعدادات السكانية للوجه البحري ١٨٩٧ - ١٩٢٧ ، ١٩٤٧ ، ٦٠ .
- المركز الديموجرافي لثقال أفريقية ، العوامل الديموجرافية والقوة البشرية ، التقرير الأول (الأنماط العمرية والنوعية للمساهمة في النشاط الاقتصادي) ، ترجمة مدحت محمد عل جاد ، ٢٢٢ ، وإعداد شعبة السكان بقسم الشؤون الاجتماعية بالأمم المتحدة ، القاهرة ، ١٩٦٧ .
- معهد التخطيط القومي ، مذكرة ١٠١ ، سبتمبر ١٩٧٠ ، مطبوعة سننل .

المراجع غير العربية

- Abu-Lughod, I.L** (April 1965) «Urbanisation in Egypt, Present state and future prospects» *Economic Development and Cultural Change*. Vol. xiii, No. 3.
- Bousedt, Olaf** (1963). "The delimitation of Urban areas" Gibbs, Jack. P. eds, *Urban research methods*, Van Nastrand, Princeton.
- Dickinson, Robert, E** (1960) "City Region and regionalism", London.
- Farid, I.A.** (1948) "The population of Egypt, some aspects of its Growth and distribution", Cairo.
- Hamdan, G.M** (1959) "Studies in Egyptian Urbanism", The reniasanse Book shop. Cairo.
- (1962) "The patterns of medivial Urbanism in the Arab World", in, *Geography*, April.
- "Population of the Nile Mid-Delta", Ph.D. Thesis, Univ. of Reading, 1953.
- Harry Hopkins** (1969) "Egypt, The crucible", London.
- International Urban research** (1959) "The world's Metro-Politan areas", Berkely.
- Isawi, charles** (1954) "Egypt at Mid-century", London.
- Jomard** "Memoire sur la population comparé de l'Egypte ancienne et moderne" Discription de l'Egypte, Vol. 11.
- Lozach, J.** (1935) "Delta du Nil", Le Caire.
- Max sorre** (1952) "Fundments de la Geog-Humaine", t. 122 Habitat. Pairs.
- Sedek, D.** (1961) "Amædium-Sized towns in the Urban patterns of modern Egypt" *Bull. soc. Geog. D'Egypte*.
- Said, R.** "Remarks on the geomorphology of the deltaic coastal plain between Rosatta and port said", *Bull. Soc. Geog. d'Egypte*.
- Sirry Bay, H.** (1935) "Irrigation policy", Ministry of public works. Cairo.
- Ullman, Edward**, (1965) "A theory of location for cities", Mayer and Kohn. eds. "Readings in Urban Geography," Univ. of Chicago.

الأشكال والجداول :

- ١- النمو السكاني في دلتا النيل ومحافظاتها (مديرياتها) ١٨٩٧ - ١٩٧٢ .
- ٢- تغيرات جملة السكان وسكان الريف والحضر في الدلتا ومحافظاتها (مديرياتها) ١٨٩٧ - ١٩٧٢ .
- ٣- تغيرات نسبة المبنية العامة في محافظات (مديريات) الدلتا بين ١٨٩٧ - ١٩٧٢ .
- ٤- تصنيف مراكز الدلتا حسب نسبة المبنية العامة ١٨٩٧ - ١٩٧٢ .
- ٥- توزيع مراكز الدلتا حسب نسبة المبنية العامة ١٩٦٦ .
- ٦- توزيع مدن الدلتا حسب الحجم السكاني ١٩٦٦ .
- ٧- توزيع مدن فرعي النيل وساحل المتوسط والهامش الصحراوي ١٩٦٦ .
- ٨- الخطوط الطولية لتوزيع مدن الدلتا ١٩٦٦ .
- ٩- الخطوط العرضية لتوزيع مدن الدلتا ١٩٦٦ .
- ١٠- توزيع مدن الدلتا في إطاراتها الإدارية ١٩٦٦ .
- ١١- تراتب مدن محافظات الدلتا بالنسبة لمواقعها ١٩٦٦ .
- ١٢- معدلات النمو السكانية الكلية والريفية والحضرية في دلتا النيل ١٨٩٧ - ١٩٧٢ .
- ١٣- تغيرات متوسط حجم المدينة في محافظات (مديريات) الدلتا ١٨٩٧ - ١٩٧٢ .
- ١٤- تغيرات أهم أحجام المدن في دلتا النيل بين ١٨٩٧ - ١٩٦٦ .

الجداول :

- ١- تغيرات نسبة المبنية العامة في دلتا النيل ١٨٩٧ - ١٩٧٢ .
- ٢- معدلات الزيادة السكانية الكلية والريفية والحضرية ١٨٩٧ - ١٩٧٢ .
- ٣- تغيرات هرم أحجام المدن في دلتا النيل ١٨٩٧ - ١٩٦٦ .
- ٤- تغيرات الحجم للفصل لمدن الدلتا بين ١٨٩٧ - ١٩٦٦ وتراتب المدن .
- ٥- المسافات بين مدن الدلتا الرئيسية .

تغيرات نسبة المدينة العامة في دلتا النيل

جدول (١) بين نسبة الريادة السكانية العامة مقارنةً بنسبة الريادة المدنية

١٩٢٧						١٨٩٧					
نسبة المدنية %	سكان المدن نسمة	عدد المدن	جملة السكان نسمة	نسبة المدنية %	سكان المدن نسمة	عدد المدن	جملة السكان نسمة				
١١٦٠	١٢٥٣٤٧	٦	١٠٨٠٦٩٣	١٠٢٧	٧٥٦٣١	٦	٧٣٦٦٦٣	الدقهلية			
٩٩٥	١٠١١٩٨	٦	١٠١٦٩١٢	٨٢٤٤	٦٣١٩٥	٦	٧٤٩١٣٠	الشرقية			
١٣٤٨	٧٥٣١٤	٥	٥٥٨٨٧٦	٦٢٢٤	٢٣١٦٣	٣	٣٧١٤٦٥	القليوبية			
١٤٣٩	٢٥٧٨٣٣	١١	١٧٩١٩٨٥	١٣٩٤	١٨٠٩٠٤	١١	١٢٩٧٦٠٦	الغربية			
٨٧٨	٩٧٠٤٦	٦	١٠٥١٩١	٨٢٦	٧١٣٧٧	٥	٨٦٤٢٠٦	المنوفية			
١٠٢٩	١٠٧٣٦٥	٨	٩٧٦٩٦٥	٩٦٧	٦١٠٦٦	٧	٦٣١٢٢٥	البحيرة			
—	—	—	—	—	—	—	—	كفر الشيخ			
١٠٠	٣٤٩٠٧	١	٣٤٩٠٧	١٠٠	٣١٥١٥	١	٣١٥١٥	مياط			
١٢١٧	٧٩٩٠١٠	٤٢	٦٥٦٥٥٢٩	١٠٢٣	٥٠٦٨٥١	٣٩	٤٦٨١٩٠٥	الدلتا			

(تابع) جدول (١) نسبة المدينة العامة في دلتا النيل

١٩٢٠						١٩٤٧					
نسبة المدينة %	سكان المدن نسمة	عدد المدن	جملة السكان نسمة	نسبة المدينة %	سكان المدن نسمة	عدد المدن	جملة السكان نسمة				
١٨,٣٠٨	٣٦٤٢٢٣	٩	٢٠١٤٨٨٣	١٥,٤٤٧	٢١٨٧٢٤	٨	١٤١٣٩٠٥	الدقهلية			
١٦,٣٠٩	٢٩٢٧٥٥	١٠	١٨١٩٧٩٨	١٢,٣١١	١٦٢٩٩٢	٨	١٣٤٥٨٢٩	الشرقية			
٢١,٣١٨	٢٠٩٢٢٦	٦	٩٨٨٠٥٥	١٥,٣٢٤	١٠٥٧١٨	٥	٦٩٣٩٠٨	القليوبية			
٢٨,٣٢٥	٤٨٤٤٨١	٨	١٧١٥٢١٢	٢١,٣٨٦	٥٠٨٦٦٢	١٥	٢٣٢٧٠٣١	الغربية			
١٣,٣٦٣	١٨٣٦٦٠	٧	١٣٤٧٩٥٣	١٠,٣٧١	١٢٤٨٢٦	٦	٢١٦٥٠١٥	المنوفية			
١٨,٣٢٤	٣٠٧٥١٦	١١	١٦٨٥٦٧٩	١٤,٣١٨	١٧٧٨٧٦	١٠	١٢٥٤٤٩٥	البحيرة			
١٦,٣٩٩	١٦٥٣٥٣	٧	٩٧٣٠١٩	—	—	—	—	كفر الشيخ			
٢٤,٣٩٣	٩٦٧١٤	٣	٣٨٧٩٦٢	١٠٠	٥٣٦٣١	١	٥٣٦٣١	دمياط			
١٩,٣٢٤	٢١٠٣٩٦٨	٦١	١٠٩٣٢٥٦١	١٦,٣٣٩	١٣٥٢٤٢٩	٥٣	٨٢٥٣٨١٤	الدلتا			

(تابع) جدول (١) تغيرات نسبة المدينة العامة في دلتا النيل

١٩٧٢				١٩٦٦			
نسبة المدينة %	سكان المدن نسمة	عدد المدن	جملة السكان نسمة	نسبة المدينة %	سكان المدن نسمة	عدد المدن	جملة السكان نسمة
٢٠ر٢٢	٥٢٣٠٠٠	١٠	٢٥٨٧٠٠٠	٢٠ر٥٨	٤٦٩٧٠١	١٠	٢٢٨٥٣٣٢
٢٠ر٧٦	٥٠٩٠٠٠	١٠	٢٤٥٢٠٠٠	١٨ر٤٤	٣٨٨٦٧٨	١٠	٢١٠٧٩٧١
٣٩ر٣٦	٥٢٩٠٠٠	٨	١٤٥٥٠٠٠	٣١ر٤٨	٣٨١٥٤٢	٨	١٢١١٧٦٤
٣١ر٦٨	٦٨٥٠٠٠	٨	٢١٦٢٠٠٠	٣١ر٥٦	٥٩٩٩٩٦	٨	١٤٠١١١٧
١٧ر٣٤	٢٧١٠٠٠	٨	١٥٦٣٠٠٠	١٦ر٣١	٢٣٧٨٧٢	٨	١٤٥٨٠٤٨
١٧ر١٤	٣٩٩٠٠٠	١١	٢٣٢٨٠٠٠	١٧ر٨٠	٣٥٣٣٩٣	١١	١٩٧٨٨٨٩
٢١ر٠٤	٢٧١٠٠٠	٧	١٢٨٨٠٠٠	١٩ر٠٠	٢١٢١٨٦	٧	١١١٨٤٩٥
٢٨ر٣١	١٣٩٠٠٠	٣	٤٩١٠٠٠	٢٦ر٥٣	١١٤٥١٢	٣	٤٣١٥٩٦
٢٣ر٢٢	٢٣٢٦٠٠٠	٦٥	١٤٢٢٦٠٠٠	٢٢ر٠٨	٢٧٥٧٨٨٠	٦٥	١٢٤٩٣٢١٢
							الدقهلية الشرقية القليوبية الغربية المنوفية البحيرة كفر الشيخ دمياط الدلتا

[illegible]

تابع جدول (٣)

تغيرات هرم أحجام المدن في دلتا النيل ١٨٩٧ - ١٩٦٦

١٩٧٢	١٩٦٦										١٩٧٢	مقر وسط البلدية	مقر وسط البلدية
	١٠	١٠	١٠	١٠	١٠	١٠	١٠	١٠	١٠	١٠			
٥٢٣٠٠	١٠	١٠	١٠	١٠	١٠	١٠	١٠	١٠	١٠	١٠	٥٢٣٠٠	١٠	١٠
٥٠٩٠٠	١٠	١٠	١٠	١٠	١٠	١٠	١٠	١٠	١٠	١٠	٥٠٩٠٠	١٠	١٠
٦٦١٢٥	٨	٨	٨	٨	٨	٨	٨	٨	٨	٨	٦٦١٢٥	٨	٨
٨٥٦٢٥	٨	٨	٨	٨	٨	٨	٨	٨	٨	٨	٨٥٦٢٥	٨	٨
٣٣٨٥٠	٨	٨	٨	٨	٨	٨	٨	٨	٨	٨	٣٣٨٥٠	٨	٨
٣٦٢٧٣	١١	١١	١١	١١	١١	١١	١١	١١	١١	١١	٣٦٢٧٣	١١	١١
٣٣٨٥٠	٧	٧	٧	٧	٧	٧	٧	٧	٧	٧	٣٣٨٥٠	٧	٧
٤٤٧٥٠	٣	٣	٣	٣	٣	٣	٣	٣	٣	٣	٤٤٧٥٠	٣	٣
٥١١٩٦	٦٥	٦٥	٦٥	٦٥	٦٥	٦٥	٦٥	٦٥	٦٥	٦٥	٥١١٩٦	٦٥	٦٥
٤٦٩٧٠	٣	٣	٣	٣	٣	٣	٣	٣	٣	٣	٤٦٩٧٠	٣	٣
٣٨٨٠٥	٤	٤	٤	٤	٤	٤	٤	٤	٤	٤	٣٨٨٠٥	٤	٤
٤٧٦٩٣	٣	٣	٣	٣	٣	٣	٣	٣	٣	٣	٤٧٦٩٣	٣	٣
٧٤٩٩٩	١	١	١	١	١	١	١	١	١	١	٧٤٩٩٩	١	١
٢٩٧٣٤	٤	٤	٤	٤	٤	٤	٤	٤	٤	٤	٢٩٧٣٤	٤	٤
٣٢٢٢٧	٧	٧	٧	٧	٧	٧	٧	٧	٧	٧	٣٢٢٢٧	٧	٧
٣٠٣١٢	٣	٣	٣	٣	٣	٣	٣	٣	٣	٣	٣٠٣١٢	٣	٣
٣٨١٧١	٢	٢	٢	٢	٢	٢	٢	٢	٢	٢	٣٨١٧١	٢	٢
٤٢٤٢٩	٢	٢	٢	٢	٢	٢	٢	٢	٢	٢	٤٢٤٢٩	٢	٢
الدقهلية											الدقهلية		
الشرقية											الشرقية		
القليوبية											القليوبية		
الغربية											الغربية		
البحيرة											البحيرة		
كفر الشيخ											كفر الشيخ		
دمياط											دمياط		
الدلتا											الدلتا		

جول (٤)

تغيرات الحجم الفعلي لمدين الدلتا وتراتب المدن بين ١٨٩٧ - ١٩٦٦

١٨٩٧						التعداد	
٢	نسبة المدينية %	الحجم	البيان المدينية	٢	نسبة المدينية %	الحجم	البيان المدينية
٢٦	٤ر٥٥	٥١١٠	دكرنس	١	٢٤ر٠٧	٥٧٢٨٩	طنطا
٢٧	٣ر٤٦	٤٩٥٠	قويسنا	٢	٢٩ر٤٤	٣٦١٣١	المنصورة
٢٨	٣ر٤٤	٤٨٧٨	طوخ	٣	١٧ر٩٦	٣٥٧١٥	الزقازيق
٢٩	٣ر٢٦	٤٧٩٦	منيا القمح	٤	٣٤ر٢٠	٣٢١٢٢	دمهور
٣٠	٣ر٠٦	٤٣٩٧	النجيلة	٥	١٩ر١٥	٣١٧٩١	الحلة الكبرى
٣١	٤ر٠٧	٣٦٧٥	فاقوس	٦	٩ر٩٤	٢٠٦٨٣	منوف
٣٢	٣ر١٢	٣٦٣٧	نوى	٧	١٠ر٧٤	٢٠٧٠٥	شين الكوم
٣٣	٢ر٦٩	٣٢٣٠	السنطة	٨	٢٠ر٧٣	١٩٤٦٩	بلقاس
٣٤	٢ر٣٥	٣٠٧٧	إيتاى البارود	٩	١٢ر٩٥	١٤٦٤٨	قليوب
٣٥	٣ر١٢	٢٨٢٣	شبراخيت	١٠	٢٢ر٩٠	١٤٤١٤	رشيد
٣٦	٣ر٣٧	٢٢٥٣	أبو حمص	١١	١٠ر٣٦	١٤٠٣٩	زفتى
٣٧	٤ر١٤	١٩٨٠	كفر الدوار	١٢	٢٦ر٣٩	١٣١٨٦	فوة
٣٨	١ر٧٨	١٤٦٧	كفر صقر	١٣	٧ر١١	١٣٠٤٨	تلا
				١٤	٦ر٩٨	١٢٩٣٨	ميت عمر
(٤)	١٠٠	٣٥٥١٥	دمياط	١٥	٨ر٧٦	١١٩٩١	أشمون
				١٦	١١ر٧٦	١١٨٧٨	دسوق
				١٧	٩ر١٨	١١٢٦٧	بلبيس
				١٨	٦ر٦٨	١٠٢٣١	كفر الزيات
				١٩	٧ر٧٩	٩٢٣٣	النبلاوين
				٢٠	٤٠ر٦٥	٧٣٨٣	بلطيم
				٢١	٧ر٩٨	٧٠٦٩	فارسكور
				٢٢	٦ر٨٨	٦٥٤٠	طلخا
				٢٣	٥ر٨٤	٦٢٧٥	ههيا
				٢٤	٤ر٦٧	٥٨٦٨	كفر الشيخ
				٢٥	٤ر٧١	٥١٥٠	ميت سمند

تابع جدول (٢٤)

تغيرات الحجم الفعلي لمدينة الدلتا وتراتب المدن بين ١٨٩٧ - ١٩٦٦

١٩٢٧

البيان المدينة	الحجم	نسبة المدينة %	٢	البيان المدينة	الحجم	نسبة المدينة %	٢
طنطا	٩٠٠١٦	٣٠ر٠٠	١	طلخا	١٠٠٦٤	٧ر٢٥	٢٦
المنصورة	٦٣٦٧٦	٣٣ر١	٢	شبين القناطر	٩٣١٩	٦ر٢٨	٢٧
الزقازيق	٥٢٨٣٩	٢٢ر٤٦	٣	ههيا	٩١٣٤	٧ر٣٣	٢٨
دمهور	٥١٧٠٩	٥٠ر١٢	٤	منيا القمح	٨٩٥٩	٥ر٤٥	٢٩
الحلة الكبرى	٤٥٦٤٢	٢٠ر٧٨	٥	الدلتا	٨٥٩٠	١١ر٧٠	٣٠
دمياط	٣٤٩٠٧	١٠٠	٦	طوخ	٧٨٣٩	٦ر١٤	٣١
شبين الكوم	٢٧٤٤٠	١٢ر٧٢	٧	دكرنس	٧٧٦٩	٣ر٦٠	٣٢
منوف	٢٦٠٧٨	٩ر٩٨	٨	قويسنا	٦٨٧٩	٣ر٦٠	٣٣
بنها	٢٥٨٠٢	٢٨ر٢٧	٩	بلطيم	٦٨٠٠	٢٧ر٠٨	٣٤
زفتى	٢٣٢٣٣	١٣ر٤٣	١٠	إيتاى البارود	٥٩٢٨	٤ر٧٦	٣٥
رشيد	٢٣٠٤٨	٢٦ر٢٨	١١	أجا	٥٧٧٦	٤ر١٩	٣٦
دسوق	٢٢٢٣٧	١٤ر٤٨	١٢	كفر الدوار	٥٤١٢	٥٤ر١٢	٣٧
بليس	١٦٩٩٢	١١ر٩٥	١٣	شبراخيت	٤٦٦١	٤ر٧٥	٣٨
ضواحي مصر	١٨٦٠٧	٤٠ر٠٠	١٤	السنطة	٤٦٣٠	٣ر١٧	٣٩
قليوب	٢٠٩٢٣	١٤ر٧٦	١٥	أبو حمص	٤١٦٣	٢ر٨٠	٤٠
ميت غمر	١٩٧٨٤	٨ر١٧	١٦	كوم حماده	٣٨٥٤	٢ر٤٠	٤١
أشمون	١٨٥٠٤	٩ر٨٧	١٧	كفر صقر	٣٠٧٦	٢ر٣٢	٤٢
تلا	١٨١٤٥	٨ر١٦	١٨				
السنبلوين	١٧٨٨٣	٩ر٨٧	١٩				
فسوة	١٧١٨٥	٢٣ر٤٨	٢٠				
كفر الزيات	١٤٥٧٨	٧ر٩١	٢١				
شربين	١١٦١٢	٦ر٩٠	٢٢				
كفر الشيخ	١٠٥٤٠	٥ر٢٢	٢٣				
فارسكور	١٠٣٨٤	٩ر٤٠	٢٤				
فاقوس	١٠١٩٨	٦ر٢٦	٢٥				

تابع جدول (٤)

تغيرات الحجم الفعلي لمدن الدلتا وتراتب المدن بين ١٨٩٧ - ١٩٦٦

١٩٤٧

٢	نسبة المدنية %	الحجم	البيان المدنية	٢	نسبة المدنية %	الحجم	البيان المدنية
٢٨	٧٥٥	١٥٩٧٣	كفر الشيخ	١	٣٩٣٢	١٣٩٩٢٦	طنطا
٢٩	٨٧٠	١٣٨٠٦	فارسكور	٢	٤٥٠٦	١١٥٧٥٨	الحلة الكبرى
٣٠	١٧٥١	١٣٦٢١	الحمودية	٣	٣٩٣٢	١٠١٩٦٥	المنصورة
٣١	٧٧٥	١٣٥٨٩	كفر الدوار	٤	٤٣١٥	٨٤٣٥٢	دمهور
٣٢	٧٣٠	١٣٣٣٩	مينا القمح	٥	٣٤٨٠	٨١٨١٣	الرقازيق
٣٣	٩٧٠	١٣٣١٧	طلخا	٦	١٠٠	٥٣٦٣١	دمياط
٣٤	٦٦٩	١٢٦٥١	شين القناطر	٧	٢٠٨٢	٤١٦٣٦	شين الكوم
٣٥	٨٦٥	١١٥٩٣	مها	٨	٢٦٣١	٣٥٨٨٠	بها
٣٦	٦٤٢	١١٢٤٩	ذكرنس	٩	٣٧٤٤	٣٤٧٧١	بلقاس
٣٧	١٢٧٥	١٠٦٠٦	الدلتجات	١٠	١١٤٤	٣١٤٧٥	منوف
٣٨	٦٨٨	١٠٠٠٣	طوخ	١١	١٩٤٢	٣١٣٣٤	حسوك
٣٩	٨٤٤	٩٥٣٠	قلين	١٢	١١٠١	٢٩٠٣٠	ميت غمر
٤٠	٢٨٦٦	٨٨٩٠	بلطيم	١٣	٢٠٤٤	٢٨٧٥٧	يلا
٤١	٨٨٢	٨٣٨٥	دير بنجم	١٤	٣٣١٩	٢٨٥٥٨	رشيد
٤٢	٤٤٩	٦٨٨٩	أجا	١٥	١٧٥٥	٢٧٤٠٤	زفتى
٤٣	٥١٦	٦٧٢٨	إيتاى البارود	١٦	١٤١٤	٢٥٦٦١	قليوب
٤٤	٣١٥	٦٤٧٢	أبو حماد	١٧	١٥٩٤	٢٥٦٤٨	السنبلاوين
٤٥	٥١١	٦٤٢٩	أبو حمص	١٨	١٣٨٥	٢٤٨١٤	بلبيس
٤٦	٤٧٥	٥٥٩٠	شبراخيت	١٩	١١٠٥	٢٣٠٤٧	أشمون
٤٧	٥٠٩	٥٠٣٣	الشهداء	٢٠	١٤٧٧	٢١٧٥٢	المتزلة
٤٨	٢٤٧	٤٩٧٠	قويسنا	٢١	١٢١٠	٢١٥١٦	كفر الزيات
٤٩	٦٩٠	٤٥٠٠	الحسينية	٢٢	٥١٩٨	٢١٥١٦	ضواحي مصر
٥٠	٢٥٥	٤٣١٤	كوم حماده	٢٣	٢٠٨٣	٢١٢٦٢	غوة
٥١	٢٥٥	٤٢٢٩	كفر صقر	٢٤	٢٢٤٤	١٩٨٢٤	صنود
٥٢	٤٣٨	٤٠٨٩	أبو المطامير	٢٥	١٠٢٣	١٨٦٦٥	تلا
٥٣	٢٥٠	٤٠٢٢	السنتة	٢٦	١١٥٧	١٦٣٧٨	شربين
				٢٧	٩٨٧	١٦٢٣٢	فاقوس

تابع جدول (٤)

تغيرات الحجم الفعلي لمدين الدلتا وتراتب المدن بين ١٨٩٧ - ١٩٦٦

١٩٦٠						التعداد	
٢	نسبة المدينية %	الحجم	اليان المدينة	٢	نسبة المدينية %	الحجم	اليان المدينة
٢٧	٣٩٨٦	٢٥٢٧٦	حوش عيسى	١	٤٥١٧	١٨٤٢٩٩	طنطا
٢٨	١٦٧٩	٢٣٤٤٤	شربين	٢	٤٤٤٣	١٧٨٢٨٨	الحلة الكبرى
٢٩	١٤٠٠	٢٣٣٩٣	تلا	٣	٤١٠٥	١٥١١٩٢	المنصورة
٣٠	٢٠١٣	٢١٦٣٧	الخانكة	٤	٤٥٥٨	١٢٦٦٠٠	دمهور
٣١	٩٥٨	٢٠١٦٣	فاقوس	٥	٣٥٧٠	١٢٤٤١٧	الزقازيق
٣٢	١٠٠٣	١٩٥٨٨	طلخا	٦	٣٩٨٠	٧١٧٨٠	دمياط
٣٣	١٧٥٧	١٩٤٥٠	بسيون	٧	٥٩٠٠	٥٩٣٦٣	شبرا الخيمة
٣٤	١٣٥٢	١٨٥٧٩	شين القناطر	٨	٢٣٩٤	٥٤٩١٠	شين الكوم
٣٥	٨٢٦	١٨٤٦٤	منيا القمح	٩	١٤١٢	٥٢٦٨٦	بنها
٣٦	١٣٩٠	١٧٨٤٩	فارسكور	١٠	١٦٩٦	٤٣٢١٧	كفر الدوار
٣٧	٦١٩	١٦٤٤٠	دكرنس	١١	١٧٩١	٤٣٢٠٢	قليوب
٣٨	١٢٦٨	١٥٥١٩	هيا	١٢	٢٠٠٩	٤١٩١٤	منوف
٣٩	١٣٤٢	١٥٣٤٠	المحمودية	١٣	١٤١٩	٤٠٠١٦	ميت غمر
٤٠	١٠٦٢	١٥٢٨٥	الباجور	١٤	٢٠٥٣	٣٩٤٧٣	دسوق
٤١	١٤٠١	١٤٥٢٨	الدلتا	١٥	١٦١٩	٣٨٥٩٢	كفر الشيخ
٤٢	٧٥٥	١٣٧٩٩	طوخ	١٦	٢٢٤٦	٣٨٣٧٦	بلقاس
٤٣	٢٩٤٩	١٣٧٦٤	بلطيم	١٧	١٥٥٤	٣٧٩٤١	بلبيس
٤٤	٥٤٩	١٢٦٦٦	قويسنا	١٨	٢٦٨٢	٣٦٨٠٠	أبو كبير
٤٥	١٣٧٣	١٢٤٩٣	قلسين	١٩	١٦٤٧	٣٦٥٠١	السنبلاوين
٤٦	٩٥٠	١٢٤٥٢	ديرب نجم	٢٠	٢٧١٣	٣٢٣٦٨	رشيد
٤٧	٨٠٥	١١٥٠٩	أبو حماد	٢١	١٦٣٥	٣١٤٢١	زفتى
٤٨	٨٣٣	١١٢٧٨	شبراخيت		١٨٣١	٣٠٤٠٤	كفر الزيات
٤٩	٦٤٥	١٠٣٤٨	إيتاى البارود	٢٢	١٣٢٨	٢٩٤١٥	المتزلة
٥٠	٦١٢	٩٦٦٦	أبو حمص	٢٣	١١٩٨	٢٩٠٩٥	أشمون
٥١	٤٣٨	٩٥٧٥	كوم حماده	٢٤	١٨٢٩	٢٨٨٦٥	سيلا
٥٢	١١٦٣	٩٣٢٠	أبو المطاير	٢٥	٢٢٦١	٢٧٣١٧	سمنود
٥٣	٤٢٦	٩٢٥١	أجا	٢٦	١٩٧٥	٢٧٠٢٦	فوة

تابع جدول (٤)

تغيرات الحجم الفعلي لمدينة الدلتا وتراتب المدن بين ١٨٩٧ - ١٩٦٦

١٩٦٠

البيان	الحجم	نسبة المدينة	٢	البيان	الحجم	نسبة المدينة	٢
المدينة		%		المدينة		%	
قطر	٧٨٧٣	٦٥٠	٥٤	الشهداء	٦٤٢٤	٥٦	٥٨
كفر صقر	٧٧٩٠	٥٣٧	٥٥	المنطة	٥٥٢٩	٢٨١	٥٩
الحسينية	٧٦٩٦	٦٥٧	٥٦	سيدى سالم	٥١٤٠	٤٢٨	٦٠
كفر سعد	٧٠٨٥	٨٩٤	٥٧				

١٩٦٦

٢٢	١٨٠٠	٣٧٨٨٣	إزفقى	١	٤٩٧٠	٢٢٩٩٧٨	طنطا
٢٣	٢٦٠٠	٣٦٧١١	رشيد	٢	٤٧٨٣	٢٢٥٣٢٣	الحلة الكبرى
٢٤	١٨٨٨	٣٤٠٨٤	كفر الزيات	٣	٤٥٤٠	١٩١٤٥٩	المنصورة
٢٥	٢٠٧٥	٣٣٢٩٨	المتزلة	٤	٣٧١٢	١٥١١٨٦	الزقازيق
٢٦	١٨٢٣	٣٣٠٠٨	بيلا	٥	٣٩٠٠	١٤٦٠٧٩	دمهور
٢٧	١٢٥٥	٣٢١٦٨	أشمون	٦	٦٠٢٤	١٠٤١٣٩	شبرا الخيمة
٢٨	١٢٣١	٣١٥٣٣	منيا القمح	٧	٤٢٧٨	٨٦٣٢٧	دمياط
٢٩	١٩٧٠	٣٠٦٥٤	افسة	٨	٢٧٣٢	٦٦٢٩٠	شبين الكوم
٣٠	٤٢٠٠	٣٠٠٠٦	حوش عيسى	٩	٢٩١٤	٦٣٨٤٩	بنها
٣١	٢١٨٠	٢٩٧٤٩	سمنود	١٠	٢٠١٠	٥٨٠٧٠	بلبيس
٣٢	٢٢٨٤	٢٨٠٨٤	الخانكة	١١	١٨٧٣	٥١٥٤٤	كفر الشيخ
٣٣	١٥٥٢	٢٥٤٤٨	تلا	١٢	٣٣٨٢	٤٩٣٠٣	قليوب
٣٤	١٥٥٩	٢٥٠٨٩	شرسين	١٣	٢١٣٤	٤٨٢٥٦	منوف
٣٥	١٠٤٤	٢٣٧٤٢	طلخا	١٤	٢٠٩٥	٤٥٥٨٠	دسوق
٣٦	١٧٩٧	٢٢٤٧٧	القناطر الخيرية	١٥	١٤٣٦	٤٣٦٦٥	ميت غمر
٣٧	١٧٩٥	٢١٩٤٧	الشهداء	١٦	٢٧٠٠	٤١٧٨٩	أبو كبير
٣٨	١٧٢١	٢١٨٤١	بسيون	١٧	١٣٠٤	٤١٥٦٠	كفر الدوار
٣٩	١٤٩٩	٢١٠٩٦	سيدى سالم	١٨	٨٤٨٨	٤١١٠٥	الطرية
٤٠	١٣٤٣	٢٠٦١٨	شبين القناطر	١٩	٢١٢٤	٤١٠٦٧	بلقاس
٤١	٦٢٦	١٨٧٣١	دكرنس	٢٠	١٦٢٢	٤٠٦٨٦	المنيا
٤٢	١٣٣٢	١٨١٧٧	فارصكور	٢١	١٦٦٣	٤٠٥٦١	غاقوس

تابع جدول (٤)

١٩٦٦

٢	نسبة المدنية %	الحجم	البيان المدنية	٢	نسبة المدنية %	الحجم	البيان المدنية
٥٥	٧ر٢٨	١٣١٠٥	شبراخيت	٤٣	١٢ر٧٥	١٧٦٩٦	مهيا
٥٦	٨ر٣٧	١٢٦٠٧	إيتاي البارود	٤٤	١٢ر٨٩	١٧٢٤١	المحمودية
٥٧	٦ر٨٨	١٢١٤٤	السنطة	٤٥	١٣ر٧٨	١٧٠١١	الدلنجات
٥٨	٤ر٧٠	١١٨٨١	كوم حماده	٤٦	٣٢ر٢٦	١٦٠٩١	بلطيم
٥٩	١١ر٤٣	١١٨١٥	أبو المطاير	٤٧	٧ر٥٧	١٥٦١٠	طوخ
٦٠	٥ر٠٠	١٠٧٥٩	أجا	٤٨	٩ر٤٥	١٥٥٥٢	الباжور
٦١	١٠ر٧٩	١٠٠٥٨	كفر سعد	٤٩	٨ر٣٤	١٥٣٧٧	أبو حمص
٦٢	٧ر٣٣	١٠٠٢٤	الحسينية	٥٠	٨ر٥٣	١٤٧٠٠	قويسنا
٦٣	٥ر٨٢	٩٨٥٦	كفر صقر	٥١	٩ر٥٩	١٤٣٧٢	دير بنجم
٦٤	٦ر٦٠	٨٩٩٤	قطور	٥٢	١٤ر٦٤	١٤٢١٣	قلبن
٦٥	١٣ر١٩	٨٦٩٨	كفر شكر	٥٣	١٤ر١٥	١٤٠١١	بركة السبع
				٥٤	٨ر٣٤	١٣٥٩١	أبو حماد

جلول (٥)
المسافات بين مدن الدلتا الرئيسية

[illegible]

ادوات الشرط في اللغات السامية

للدكتور فاروق محمد جودي

تعبّر اللغات السامية عن الشرط بأساليب مختلفة ، أبسطها هو وضع جملي الشرط لإحداهما بعد الأخرى ، دون استعمال أية أداة للربط بينها . ويفهم الشرط في هذه الحالة من سياق الكلام . وهذا الأسلوب قليل الاستعمال إلى حد كبير وهذه هي بعض الأمثلة :

יְהוָה יִשְׁלַח מַלְאָכָיו וְיִבְרֹךְ אֶת עַמּוּדָאֵי יִשְׂרָאֵל

(نحميا ١ : ٨) : إن ختمت فاني أفرقكم بين الشعوب ، والترجمة الحرفية :
أنتم تخونون ، أنا أفرقكم بين الشعوب . . .

וְיִבְרֹךְ אֶת עַמּוּדָאֵי יִשְׂרָאֵל

יְהוָה יִשְׁלַח מַלְאָכָיו וְיִבְרֹךְ אֶת עַמּוּדָאֵי יִשְׂרָאֵל (الزماير ١٠٤ : ٢٨) :

إن أعطينها تلتقط ، وإن فتحت يلك تشيع خبراً . . والكلام هنا عن الله وحيوانات

البحر . (١) : אֶת עַמּוּדָאֵי יִשְׂרָאֵל יְהוָה יִשְׁלַח מַלְאָכָיו

إن أحصيتهم فانهم سيكونون أكثر من الرمل (٢) .

وفي اللغة العبرية قد يطرأ تغيير نحوي على الفعل في جملي الشرط والجواب

مثل : וְיִבְרֹךְ אֶת עַמּוּדָאֵי יִשְׂרָאֵל

Gesenius - kautzsch, 159/b Brockelmann, hebr. syn., 164/a.

(١)

Dillmann, p 546.

(٢)

« إن جعلت ظلمة ، يحل الليل » (المزامير ١٠٤ : ٢٠) (١) .

والأسلوب الثاني من أساليب الشرط في اللغات السامية ، هو الربط بين كلتا جملتي الشرط بالواو . وتسبق هذه الواو جملة الجواب . وهذا الأسلوب أكثر استعمالاً من الأسلوب الأول . أمثلة :
ma - ahhū šunu ... išemmū tubbab
šunūtā « إن حددته فإن إخوته يتفلّونه »
hamšat ēiqil kaspam libil - ma šiqil
 «- ida » « إن أحضر خمسة شواقل من الفضة ، فإن أجره يكون شاقلاً واحداً » (٢) وتنفرد اللغة العبرية باستعمال واوین للربط بين جملة الشرط وجوابه . وتوضع إحداهما قبل الشرط ، والأخرى قبل الجواب مثل :

וְאִם יִכְרֹז יִצְחָק לְעֶרְבָאֵת עֲבִיר וְלִיבָאֵת אֶל עֲבִיר וְיִימָר

« لا يستطيع الغلام أن يترك أباه . فإن ترك أباه يموت » (التكوين ٤٤ : ٢٢) (٣) ويقول جرون أن وظيفة الواو الأولى هي زيادة إبراز الصلة بين جملتي الشرط والجواب وتوضيحها ، وأن هذه الوظيفة تزداد وضوحاً عندما تستعمل هذه الواو لإقبال أية كلمة غير الفعل . وضرب أمثلة لذلك منها :

וְיִשָּׂא יְהוָה מִשָּׁנָה וְלִיבָאֵת עֲבִיר וְלִיבָאֵת אֶל עֲבִיר

« إن كان الرب معنا ، فلماذا أصابتنا كل هذه » (القضاة ٦ : ١٣) (٤) .

ولكن الأسلوب الشائع هو استعمال أدوات الشرط . وتفرق اللغات السامية في إختيار هذه الأدوات واستعمالها بين الشرط الذي يحتمل وقوعه والشرط الذي لا يحتمل وقوعه .

Jouon, p 512.

(١)

Von soden, p 212.

(٢)

Brockelmann, hebr. syn. 164/a.

(٣)

Jouon, p 513.

(٤)

ومع ذلك تستعمل في بعض الأحيان أدوات الشرط الذي يحتمل وقوعه للدلالة على شرط لا يحتمل وقوعه . كما تستعمل أداة الشرط الذي لا يحتمل وقوعه للدلالة على شرط يحتمل وقوعه . وقد فسر بعض الباحثين الأمثلة التي من هذا القبيل تفسيراً يجعلها متماشية مع القاعدة ، لانتشدها . وبهذا يمكن تقسيم أدوات الشرط قسمين هما :

أولاً : أدوات الشرط الذي يحتمل وقوعه :

هي الأدوات التي تعبر عن الشرط الذي يمكن أو يحتمل وقوعه في المستقبل . كما تعبر عن الشرط الذي كان من الممكن أو من المحتمل وقوعه في الماضي .

ويمكن تقسيمها على النحو التالي :

١ - أدوات مركبة من عنصرين هما الألف (أو الهزمة) والنون :

(أ) « إن » في اللغة العربية ، مثل : وإن تعودوا نعد . وهي حرف باجتماع آراء النحويين العرب . وقد وصفها بعضهم بأنها « أم حروف الشرط » (١) . وقد تضاف إليها ما ، ثم تدغم النون في الميم لسكونها ، فتصير إما (إن ما) مثل : إما تأتني آتلك . أى : إن أتيتني آتلك . ومثله قوله تعالى : فاما ترين من البشر أحداً . . . أى إن رأيت من البشر أحداً . وتزاد « ما » كثيراً مع أدوات

الشرط .

(ب) في اللغة السريانية ، مثل :

ܐܢܝܢ ܡܚܝܪܐ ܕܡܝܬܐ ܕܡܝܬܐ ܕܡܝܬܐ

« إذا غضبت يفنى مكانها » (٢) .

٢ - أدوات مركبة من عنصرين هما الألف (أو الهزمة) والميم :

(أ) ܡܝܢ ܕܡܝܬܐ ܕܡܝܬܐ ܕܡܝܬܐ في اللغة العبرية ، مثل :

מינ דמיטה מיטה מיטה

(١) ابن عيش ، ٧ - ص ١٤١ .

Brockelmann, syr. Gramm. p 122, Noldeke, 265.

(٢)

Ἰαφὺλ ἰεῖν ἰο ἰῶτα τῶλο ἰῶρ. οὐκ ἔλ. ἰο

בְּיָמֶיךָ הַיָּמִיד וְנִשְׁאָתִי לְכָל הַצִּקּוֹן בְּיַבָּנִים

وقال الرب : إن وجدت في مدينة سلوم خمسين باراً ، فاني أصفح عن المكان كله من أجلهم . (التكوين ١٨ : ٢٦) .

(ب) في اللغة الحبشية .

(ج) وفي اللغة الأوجارية . وهي ليست أداة الشرط العادية في هذه اللغة . إن الأداة العادية هي hm بالهاء . ويقول جوردون أنه إن لم تكن الألف راجعة إلى خطأ النساخ الذين كتبوها مكان الهاء ، فإن هذه الأداة يمكن اعتبارها ممثلة للهجة معينة من لهجات هذه اللغة (١) .

٣- أدوات مركبة من عنصرين هما الهاء والنون :

(أ) hm في اللغة العربية الجنوبية القديمة ، في اللهجتين المعينية والحضرية ، مثل hn ysqn وإن أكثر من تقدم القراين « (٢) .

(ب) **ات** في اللغة العبرية ، مثل :

בן קוביא את תועבת מצרים לשני נדחים וגא יס זלתי

« إن ذبحنا رجس المصريين أمام عيونهم ، أفلا يرجموننا » (الخروج

في بعض الأحيان ، في الأسفار المتأخرة .
ونلاحظ أن هذه الأمثلة تنقسم قسمين :

Gordon, Dictionary, P. 238.

(5)

أنيد ۷ فرجه ص ۵۹۹ :-

Marshall, Manual of the aramaic Language of the Pallestinian (γ)

Talmud, p 36.

Hofner, p 164, Beseton, 55: 11.

(२)

الخروج ٨ : ٢٦ في الترجمة العربية المطبوعة .

الأول : تصدر فيه جملتنا الشرط والجواب بالواو ، ويشمل مثالين فقط هما
صموئيل الأول ٩ : ٧ ، وصموئيل الثاني ١٨ : ١١ .

الثاني : يقارب فيه معنى **וְהָיָה** المعنى « وهاهوذا » ويشمل سائر
الأمثلة الأخرى .

وينكر فريق آخر من الباحثين ، منهم جزيبوس وجوون ، دلالة **וְהָיָה**
على الشرط في هذه الأمثلة . وقد تعرض جزيبوس في كلامه عنها للمثالين فقط ،
وهما صموئيل الثاني ١٨ : ١١ . وقال إنه يجب ترجمتها فيهما : « هوذا » (١) .
أما جوون فإنه لم ينكر دلالة هذين المثالين على الشرط ، ولكنه قال أنهما من الحمل
التي توضع فيها جملة الشرط إلى جوار جملة الجواب ، مع الربط بينهما بواوين
تتصلر الأولى جملة الشرط والثانية جملة الجواب . أما عن أمثلة القسم الثاني ، فقد
قال أن معنى **וְהָיָה** فيها هو : « هوذا » أو « أنظر » (٢) .

٤ — أدوات مركبة من عنصرين هما الماء والميم :

(أ) hm في اللغة الأوجارية ، مثل :

hm t pn l qbr bny

« إن طارت على قبر ابني » (٣) . وتستعمل hm , hn في هذه اللغة بمعنى
هوذا ، أو « ها » ، مثل **הָיָה** و **וְהָיָה** في اللغة العبرية ، اللتين
تستعملان للدلالة على الشرط أيضاً في بعض الأحيان .

(ب) hm في اللغة العربية الحنوية القديمة ، في اللفظة السبئية ، مثل
whm yhwkbn « وإن ضمن ، أو « وإن كفل » .

Gesenius - Kautzsch, p 497.

(١)

Jouon, p 516.

(٢)

Gordon, Manual, 12 : 3 13 : 71.

(٣)

لغوى فريجة ، ص ٢٨١ .

وتستعمل أحياناً في اللهجتين المعبنية والحضرية . وتضاف إليها واو في اللهجة القتبانية ، فتصير hmw (١) .

٥ - أدوات مركبة من عنصرين هما الشين والميم :

šumma في اللغة الأكديّة . وهي أداة الشرط العادية الشائعة في هذه اللغة . وقد إستعملت مكانها ki في البابلية الحديثة والبابلية المتأخرة . ومن أمثلتها ipluš martum « إن اقتحم أحد المواطنين منزلاً بالقوة » šumma awilum bitam. «إن وجدت حويصلة المرارة عند باب المدينة ، تكون العداوة شديدة » .

٦ - أدوات مركبة من عنصرين هما الكاف والياء :

(أ) في اللغة العبرية : وتختلف هذه الأداة في مدلولها عن ،

فهي تدل على شرط أكثر احتمالاً للوقوع . وتستعمل بمعنى « يفترض أن » أو « في حالة ما إذا » . وبهذا تماثل « إذا » العربية من حيث المعنى .

وغالباً ما تستعمل في القوانين . وفي بعض الأحيان تنصدر بجملة شرطية تدل على مبدأ قانوني عام ، تتلوها جملة شرطية أخرى مصدرية .
وتدل على حالات خاصة ، مثل :

וְאִם יִשְׁכַּח אֶת הַבֶּטֶל וְאִם יִשְׁכַּח אֶת הַבֶּטֶל

וְאִם יִשְׁכַּח אֶת הַבֶּטֶל וְאִם יִשְׁכַּח אֶת הַבֶּטֶל

וְאִם יִשְׁכַּח אֶת הַבֶּטֶל וְאִם יִשְׁכַּח אֶת הַבֶּטֶל

וְאִם יִשְׁכַּח אֶת הַבֶּטֶל וְאִם יִשְׁכַּח אֶת הַבֶּטֶל

« إذا اشتريت عبداً عبرياً ، فست سنين يعمل ، وفي السنة السابعة يصبح حراً مجانياً . إن جاء وحده ، فوحده يخرج . إن كانت له زوجة تخرج زوجته معه .

إن أعطاه سيده امرأة وولدت له بنين أو بنات ، فالمرأة وأولادها يكونون لسيده ، وهو يخرج وحده « (الخروج ٢١ : ٢ - ٤) .

فهنا تدل الحملة الشرطية الأولى المصدرة بـ **כ** على المبدأ العام بينما تدل الحمل الشرطية التالية لها على تفاصيل هذا المبدأ التشريعي . ولكن هذه القاعدة ليست مطردة ، فقد تستعمل في الحملة الرئيسية والحمل التالية لها ، مثل التثنية ١٥ : ١٢ وما بعدها (١) .

٢ - K في اللغة الأوجايتية ، مثل [ssw] k yg r « إذا صهل الحصان » k yra ssw « إذا هز الحصان رأسه » وينطقها جوردون بالكسرة ki قياساً على العربية .

٣ - ki في اللغة الأكديّة ، مثل ki pānī šarri mahrir « إذا أعجب الملك » « ki la ittannu » « إذا ما لم يعط » . وقد حلت هذه الأداة مكان summe في البابلية الحديثة والبابلية المتأخرة . والمثالان السابقان أحدهما ، وهو الأول ، من البابلية الحديثة (٢) .

٧ - أدوات مركبة من عنصرين هما الهزمة والذال :

إذا في اللغة العربية ، مثل :

متنن ما أغناك وبك بالغنى وإذا تصببك خصاصة فتحمل

وفي أغلب الأحيان تشبه جملة الشرط المصدرة باذا جملة الشرط المصدرة بأن . والفرق بين الحملتين من حيث البنية هو أن الفعل التالى لأن يكون مجزوماً أما الفعل التالى لإذا فلا يجزم إلا نادراً . والفرق بينهما من حيث المعنى هو أن الفعل التالى لأن يدل على حدث محتمل الوقوع ، مثل « إن جاء زيد » . فقد يحضر زيد ويقع ، نتيجة لذلك ، حدث جواب الشرط وقد لا يحضر فلا يتحقق وقوع هذا

Gesenius - Kautzsch, 159/aa-bb, BOB, p. 473.

(١)

Von Soden, p 215.

(٢)

الحدث . أما الفعل التالى لإذا فيدل على حدث مؤكد الوقوع بوجه عام ، مثل « إذا جاء رأس الشهر » . فجىء رأس الشهر واقع لا محالة وعند ما يقع يتحقق وقوع حدث جواب الشرط (١) .

وأداة الشرط « إذا » لامثيل لها فى اللغات السامية الأخرى . وهى متطورة عن إستعمالها فى الأصل للدلالة على الزمن . وقد تزايد بعدها « ما » ، فيقال « إذا ما تقيم أقم » بمعنى : إن قمت أقم .

واختلفت آراء النحويين العرب فى صدد « إذا ما » . قال بعضهم ، ومنهم سيبويه وابن عقيل والجمهور ، أنها حرف . وقال بعضهم الآخر ، ومنهم المبرد وابن السراج والفارسي ، أنها اسم (٢) .

أصلها ونشأتها :

لم تحط جملة الشرط بدراسات كثيرة فى كتب المستشرقين التى تناول نحو اللغات السامية . وكان بروكلمان من القلائل الذين تناولوا هذا الموضوع بالتفصيل ومع ذلك توجد بعض الآراء الختزية فى هذه الكتب . فعندما يتناول أحدهم جملة الشرط وأدواته فى إحدى هذه اللغات ، يذكر رأيه فيما يتعلق بهذه اللغة وخدها ، أو يقارن بينها وبين اللغات السامية الأخرى .

وتنقسم هذه الأدوات من حيث أصلها ونشأتها قسمين :

الأول : مركب من عناصر كانت تستعمل فى الأصل كعناصر إشارية فى اللغات السامية المختلفة ، وهى الألف والماء والشين والميم والنون .

وتركب الأدوات التى تنتمى إلى هذا القسم من جزئين هما : الألف أو الماء أو الشين - الميم أو النون . ومن المعروف أن حروف كل جزء منهما يقابل أحدها

الآخر في اللغات السامية في غير أدوات الشرط ، فاملّم تقابل التّون والألف تقابل الهاء أو الشين .

وتتضح الدلالة الإشارية الأصلية لهذه الأدوات في بعض أدوات الشرط التي

تدل في نفس الوقت على المعنى : « هوذا » مثل : **הִנֵּה וְהִנֵּה**

في اللغة العبرية .

وقد أشار بعض المستشرقين إلى هذا الأصل الإشاري في كلامهم عن أصل بعض أدوات الشرط ، ومنهم :

رايث : قال في كلامه عن أداة الشرط العبرية « إن » أنها كانت في الأصل

أداة إشارية مثل : العبرية و **הִנֵּה** أم الأرامية (١) .

بروكلمان : قال في كلامه عن أداة الشرط العبرية **הִנֵּה** أنها كانت في

الأصل أداة إشارية ، مثل **הִנֵּה** (٢) :

ماريا هوفنر : قالت في كلامها عن أداتي الشرط **hm** و **hn** في اللغة العربية الجنوبية القديمة أنهما كانتا في الأصل أداتين إشاريتين (٣) .

جوردون : أشار إلى الصلة بين **summa** الأكلية وسائر أدوات الشرط

الأخرى فقال في تناوله **hm** الأوجادية أن **summa** قد تكون قريبة من **hm** فإن الشين الأكديّة تقابل الهاء . وذكر أمثلة لهذا التقابل هي :

١ — الشين في وزن شفعل تقابل الهاء في وزن هفعل .

Wright, Arabic Gram., vol. 2, pp. 16-17.

(١)

Brockelmann, hebr. syn., 164/b.

(٢)

Hofner, p 165-166.

(٣)

٢ - الشين في الضمير su للغائب تقابل الهاء في ضمائر الغائب باللغات السامية الأخرى .

٣ - النهاية h الأكديّة تقابل نهاية الظروف h في اللغات السامية الأخرى (١).

الثاني : أدوات كانت تستعمل في الأصل للدلالة على الزمن ، ثم إستعملت

للدلالة على الشرط أيضاً ، ومنها العربية و ka (٢) الأوجاريتية وإذا العربية (٣)

وقد حدث هذا لأن الصلة وثيقة جداً بين الجملة الزمنية والجملة الشرطية (٤) ولهذا

يحدث العكس أيضاً ، فتستعمل في بعض الأحيان بعض العناصر الإشارية التي

في الأصل للشرط ، للدلالة على الزمن . وفي هذه الحالة يكون معناها « عندما » .

ومن هذه العناصر am في العبرية مثل :

וַיֵּלֶךְ מִדָּן וַיַּעֲמִילֵם וַיָּבֵי
קָדָם וַיַּעֲלֵם וַיַּעֲלֵם

« وحدث أنه عندما كان بنو إسرائيل يزرعون ، كان^٧ المديانيون والعماليق وبنو الشرق يصعدون عليهم (أي يهاجمونهم) » . (القضاة ٦ : ٣) . وانظر التكوين ٣٨ : ٩ ، اشعيا ٤ : ٤ .

ومنها أيضاً hm في العربية الجنوبية القديمة في النقش المعيني : ywmh/hn « في الوقت الذي » أو « عندما . ولكن ييستون يرى أنها كانت في الأصل أداة تدل على الزمن ، وأن هذه الدلالة ما زالت واضحة جلية في بعض الشواهد (٥) .

Gordon, Manual, 12:3.

(١)

$\text{ktmhs itn btn brh thly bth qltn}$.

(٢) من أمثلة استعمالها بمعنى عندما :

عندما تضرب الثعبان الشرير لوثان ، فانك تعلم الثعبان الذي الخلق » (أنظر :

Gordon, Dictionary, p25

(٣) متطورة عن الاسم « إذ » الذي يدل على الزمن .

(٤) هذا التطور في دلالة الأدوات التي كانت تستعمل في الأصل للدلالة على الزمن ، أشار إليه بعض

المستشرقين ، ومنهم وليام رايت في كلامه عن « إذا » العربية . فقد قال أن إستعمالها للشرط عن تطور كونها في الأصل أداة إشارية تدل على الزمن .

Beeston, 55 : 14.

(٥)

ولا أوافق فيه ذهب إليه ، وأعتقد أن هذه الأداة كانت في الأصل شرطية ، ثم استعملت بعد ذلك للدلالة على الزمن ، مثل بعض أدوات الشرط النامية الأخرى .
ثانياً : أدوات الشرط الذي لا يحتمل الوقوع :

الشرط الذي لا يحتمل الوقوع هو الشرط الذي لم يقع فيه الحدث الذي تضمنته جملة الشرط في الماضي ، ولهذا لم يقع الجواب فنلّا لو قلنا : لو قام عمرو لقام زيد ، فهذا يعني أن عمرو لم يقم ، وترتب على ذلك عدم قيام زيد . وقد فسر بعض النحويين العرب الأداة « لو » التي تستعمل للدلالة على هذا الشرط بأنها حرف إمتناع لامتناع ، وهم يعنون بهذا إمتناع حلول الجواب على الإطلاق لامتناع حلول الشرط . وشاع هذا التفسير على الألسنة على الرغم من عدم دقته . وقد نبه بعض النحويين العرب إلى ذلك ، ومنهم ابن عقيل الذي قال في شرحه لألفية ابن مالك أن هذه العبارة المشهورة غير صحيحة وأن الأصح منها هو تفسر صيوبة الذي جاء فيه أن لو حرف لما كان سيقع لو وقع غيره (١) .

ومن نبه إلى عدم دقة هذه العبارة الأشموني أيضاً في شرحه للألفية . وقال أن لو حرف يدل على تعليق فعل بفعل فيما مضى ، وأن شرطها محكوم بامتناعه . أما جوابها فممتنع إن لم يكن له سبب آخر غير الشرط ، مثل : لو كانت الشمس طالعة لكان النهار موجوداً . وهذا هو الغالب . ولكن إن كان للجواب سبب غير الشرط ، فانه يكون ثابتاً غير ممتنع مثل : لو كانت الشمس طالعة لكان الضوء موجوداً ، لأنه قد يكون الضوء موجوداً مع عدم طلوع الشمس (٢) .

وقد لاحظنا من قبل أنه تستعمل للدلالة على الشرط الذي يحتمل الوقوع أدوات شرط مختلفة متنوعة . حقاً أن هذه الأدوات يرجع معظمها إلى أصل واحد مشترك ولكنها ليست متماثلة تماماً من حيث صيغتها . أما الشرط الذي لا يحتمل وقوعه فتستعمل للدلالة عليه أداة واحدة فقط في أغلب الأحيان هي « لو » وما يقابلها . ومن أمثلتها في اللغة العبرية : « لو قام زيد لقام عمرو » . وتنبى « لولا » أو « لوما » مثل : « لولا زيد لأكرمك » و « لوما زيد لم يحيى عمرو » .

(١) الأشموني ، ص ٩٩ .

(٢) ابن عقيل ، ٢ - ٣ ، ص ٣٠٢ .

وتستعمل في العبرية الأداة ، مثل : **לִי הַחַיִּים**

וְיִתְּ לִי הַדָּבָר אֲתֶכֶם ، لو استحييتهم لما قتلتمكم (قضى ٨ : ١٩).

وتكتب في بعض الأحيان بالألف بعد الواو : **וְיִתְּ** (انظر صم ١٤ : ٣٠ ،

اش ٦٣ : ١٩) أو (أنظر صم ١٨ : ١٢ ، ١٩ : ٧) ونفيها هو

לֹא أو **לֹא-יִתְּ** المتطورتان عن **לֹא** ، فقد صارت

الضمّة كسرة من قبيل المخالفة .

وتستعمل في السريانية الأداة **لَا** المتطورة عن **لֹא** ، مثل

لَا سَحْمًا بَعْدَ لَيْلٍ ، لو تركت الروح الجسد لما عاش .

وتستعمل في بعض اللغات السامية أدوات أخرى كانت تدل في الأصل على التثنية ، مثل الأداة « لو » . وهذا أمر طبيعي ، لأنه ثمة علاقة من حيث المعنى بين هذا الشرط وبين التثنية . فهو شرط لا يحتمل وقوعه ، وكذلك التثنية يعتبر عن رغبة ليس من المؤكد تحقيقها . ومن هذه الأدوات **חַל** في اللغة الحبشية .

وومنها أيضاً **يبر** في العبرية ، مثل :

**אֲבִיךָ דָּבַר גְּדוֹל וְנָבִיא
דָּבַר יִלְכֵּךְ בְּהַלֵּךְ**

« لو (١) عرض النبي عليك أمراً عظيماً أما كنت تفعله ؟ » (الملوك الثاني ٥ : ١٣) (٢)

(١) دلالة **יבר** على الشرط مسألة ليست محل اتفاق بين الباحثين ، إذ يرى بعضهم أنها

تثنية « بآي » وهذه هي الترجمة المتداولة سواء بالعربية أو الانجليزية . وحسبنا نخرج عن كونها لشرطية .

Brockelmann, hebr. syn., 165/d, Jouon, p 288.

(٢)


للدلالة عليه أدوات الشرط الذي يحتمل وقوعه . ومن هذه اللغات :

١ - الأكديّة : تستعمل فيها أداة الشرط *gumma* للدلالة أيضاً على الشرط الذي لا يحتمل وقوعه .

٢ - العربية الجنوبية القديمة : لم يذكر ييستون أو هوفر أية أدوات خاصة لهذا الشرط ، ولم يشير إليه .

أما اللغات السامية الأخرى التي تخصص للشرط الذي يحتمل الوقوع أدوات غير التي تستعملها للشرط الذي لا يحتمل الوقوع ، هذه اللغات تستعمل فيها في بعض الأحيان ، بعض أدوات الشرط الذي يحتمل الوقوع للدلالة على هذا الشرط ، ومنها : *em* العربية مثل : (١)

בַּם הִתְרַחֲצִיתִי בַיָּמַר שֶׁלֹּא

« لو اغتسلت بما » التلج (أيوب ٩ : ٣٠) (٢) . ومنها أيضاً  في اللغة السريانية

مثل : *ܐܠܗ ܗܒܗ ܠܐܚܬܐ ܕܥܡܐ ܗܠܝܡܢ ܗܠܝܡܢ ܗܠܝܡܢ ܕܥܡܐ ܕܥܡܐ* :
« لأنه لو لم يكن في مقدور أيدينا (أو في استطاعتنا) أن نفعل شيئاً ، فإذا ستكون في أيدي الآخرين » (٣) .
وكذلك قد تنصدر « لو » أو ما يقابلها جملاً تدل على شرط يحتمل وقوعه ، بخلاف القواعد المنبئة ، مثل قول الشاعر :

ولو تلتقي أصدائنا بعد موتنا
لظل صدى صوتي وإن كنت رمة
ومن دون رمسينا من الأرض مسبب
لصوت صدى ليلى يهش ويغرب
ومثل قول الشاعر :

ولو أن ليلى الأخيلية سلمت
على ودوني جندل وصفائح... (٤)

(١) هذه صيغة الكتابة . وصيغة القراءة هي .

(٢)

(٣)

(٤) الأشعري ، ص ٦٠٠ .

أصلها ونشأتها :

تستعمل للدلالة على هذا الشرط أدوات وضعت في الأصل للدلالة على التثنية .
وثمة علاقة وثيقة بين التثنية والشرط الذي لا يحتمل وقوعه . وقد أشار إلى هذه
ولا تستعمل في بعض هذه اللغات أدوات خاصة لهذا الشرط ، بل تستعمل
الأصل بعض المستشرقين ، ومنهم بروكلمان في كلامه عن أداة الشرط
في اللغة العبرية (١) .

ويجب التنبيه إلى أن الحلود لم تكن مرسومة بدقة بين كلا النوعين من أدوات
الشرط . ولهذا استعملت بعض أدوات الشرط الذي يحتمل وقوعه للدلالة على
الشرط الآخر .

إجماع أدلتين للشرط :

تتصور جملة الشرط نادراً بأداتين للشرط بأداة واحدة مثل « إن لو » في اللغة
العربية ، فإن رأيت يذكر شواهد لذلك منها « يود له الكاتب إن لو كان في طي
كتابه » ، و « لعمري إن لو خاول أمير المؤمنين مكافأته » (٢) .

وقد صارت هاتان الأداتان أداة واحدة في اللغة الآرامية ، هي
التي لا يقتصر استعمالها على الحالات النادرة فقط ، بل تستعمل كأداة شرط عادية .
فقد نسي في هذه اللغة التركيب الأصلي لهاتين الأداتين ، واعتبرت أداة واحدة .
وهذا مثال من آرامية التلمود الأورشليمي :

אִמְרַ רַבִּי מִנָּה בְּיָלֹה הִוָּה רַבִּי
בְּבִי בֶר אִמְרַנָּה שְׂמַע דִּרְבָּנָן
מִיכָל הִוָּה

« قال ربي مانا : لو كان ربي أبابن زمنياً قد إتبع كلمات بعض الحاخامات

הַאִשְׁל מִיָּלִי הוֹן

وقد دخل إستعمالها في اللغة العبرية عندما نقشى فيها التأثير الأرامي ،

مثل : **אֵלֶּיךָ יְיָ אֱלֹהֵינוּ וְיִצְחָק הַחֵלֶל**

« ولو بعنا عبيداً وإماء لكنت سكنت » (اسدیر ٧ : ٤) (١) وانظر الجامعة

٦ : ٦ .

وتقول ماريا هوفر أنه اجتمعت أداتان للشرط في نقش من نقوش الآفة

العربية الجنوبية القديمة هو **hn hm dghtbl** « أن إن هلك .. » (٢)

وأداتا الشرط في هذه اللغة هما **hn** و **hm** . وكل أداة منهما بمعنى « أن » وتكنى بمفردها للدلالة على الشرط . ولكن يستون لا يقر هذه القراءة ويجد قراءة أخرى للنقش (٣) .

تضمن الشرط بعض الأسماء والحروف التي لم توضع للدلالة عليه :

تستعمل في اللغات السامية المختلفة بعض الأسماء والحروف للدلالة على الشرط ، مع أنها لم توضع في الأصل لهذا الغرض . فنها ما وضع في الأصل للدلالة على الزمان أو المكان ، ومنها أسماء الموصول وغير ذلك . ويمكن تصنيفها على النحو التالي :

أولا : ما وضع للدلالة على الزمان ثم ضمن معنى الشرط :

الصلة وثيقة بين الجملة التي تدل على الشرط والجملة التي تدل على الزمن لدرجة أنه في بعض الأحيان يلتبس الأمر المرء فلا يستطيع أن يحدد هل الجملة شرطية أم زمنية ؟ . ولهذا تضمن بعض الأسماء والحروف التي تدل على الزمان معنى الشرط ، ففي اللغة العبرية يستعمل اسمها الزمان : متى وأيان للدلالة على الشرط في بعض الأحيان مثل :

ولست بحلال التلاع مخافة ولكن متى يسترفد القوم أرفد
أيان نؤمنك تأمن غيرنا ، وإذا لم تترك الأمن منا لم تزل حلترا

Geesnius—Kautzsch, 159/x, Brockelmann, hebr. syn., 165/d. (١)

Hofenr, p 164. (٢)

Beeston, 55:13. (٣)

אֲחֻצֵיהֶם מִיָּדָם: אֲחֻצֵיהֶם מִיָּדָם

« إن أحصيتهم فأنهم سيكونون أكثر من الرمل » أو « عندما أحصيتهم سيكونون أكثر من الرمل ». يعتبر دلمان هذه الجملة جملة شرطية ، بينما يرى بتسولد أنه من الأنسب إعتبارها جملة زمنية .

٢ - תִּרְאֶה אֶת-פְּנֵי יְהוָה וְחָיִיתָ

تري أشقلون (إنتقام الرب) فتخاف، وغزة فتتوجع جداً... (زكريا ٢٨٨)

٩ : ٥ (. والمعنى يمكن أن يكون : عندما ترى أشقلون تخاف ، وعندما ترى غزة تتوجع جداً ، أو « إن رأيت أشقلون خافت ، وإن رأيت غزة تتوجع جداً » ومن هذا القبيل ميخا ٧ : ١٠ (١) .

ثانياً : ما وضع للدلالة على المكان ثم ضمن معنى الشرط .:

وقد تضمن أسماء المكان في اللغة العربية معنى الشرط ، مثل قول الشاعر :

أين تصرف بنا العداة تجدنا نصرف العيس نحوها للتلاق

فأين اسم مكان مبهم يقع على الجهات الست . وقد تراد إليه « ما » فيصير « أينما » ، مثل قوله تعالى : « أينما تكونوا يدرككم الموت » .

و « أنى » اسم مكان آخر يضمن معنى الشرط في هذه اللغة ، مثل قول الشاعر :

خليلي أنى تأتياني ثانيا أنحا غير ما يرضيكما لا محاول

ويدل « أنى » هنا على المكان والشرط ، ولكنه وضع في الأصل للدلالة على

الاستفهام ، فيستعمل تارة بمعنى « من أين » ، وتارة أخرى معنى « كيف » .

وكذلك ظرف المكان المبهم « حيث » يتعمل للدلالة على الشرط ، مثل قول

الشاعر :

حيثما تستقم يقدر لك الله نجاحاً في غابر الأزمان

وقد زيدت « ما » إلى « حيث » في هذا البيت ، فصار « حيثما » (٢) .

ثالثاً : أسماء الموصول :

تستعمل أسماء الموصول أحياناً للدلالة على الشرط العام الذى لا يرتبط بزمان أو شخص معين ، وهذه أمثلة من اللغات العربية والعبرية والحبشية :

العربية : تستعمل أسماء الموصول التى تدل على العاقل وغيره للدلالة على الشرط مثل : من يعمل سوءاً يجز به - وما تفعلوا من خير يعلمه الله ، مهما تأتتا به من آية (١) .

واختلفت آراء النحويين العرب فى صدد أصل مهما ودالاتها ، فقال بعضهم أنها حرف . وقال بعضهم الآخر أنها اسم ، واحتجوا على ذلك بعود الضمير عليها ، لأن الضمير يعود على الاسم ولا يعود على الحرف . أما عن تركيبها وأصلها ، فنجد أربعة آراء هى :

١ - مركبة من « ما » الشرطية و « ما » التى تفيد التوكيد . ثم أبدلت الألف الأولى هاء لقرب الهاء من الألف فى المخرج ، فصارت مهما . ويرجع هذا الإبدال إلى تجنب توالى لفظتين حروفهما واحدة . وانتاب الإبدال ألف « ما » الأولى لأنها اسم والأسماء أقبل للتغيير والتصرف من الحروف . وهذا هو رأى الخليل بن أحمد .

٢ - مركبة من « ما » الشرطية و « ما » الزائدة . وهذا رأى البصريين .

٣ - مركبة من « ما » بمعنى أكفف و « ما » . وحدث بالتركيب معنى جديد . وهذا هو مذهب الكوفيين .

٤ - ليست مركبة من جزأين بل بسيطة (٢) .

أما عن الخلاف فى دلالتها فقد قال بعضهم أنها تدل على الشرط فقط بينما قال آخرون أنها تدل على الاستفهام . ويؤيد الأشمونى الرأى الأول .

العبرية : استعمل اسم الموصول **אשר** للدلالة على الشرط فى بعض

آيات العهد القديم مثل

בְּיָד הַקֹּדֶם הָיָה הַיָּד הַזֶּה

(١) ابن عيشر ، ج ٧ ، ص ٤٢ .

(٢) ابن عيشر ، ج ٧ ، ص ٤٢ - ٤٤ ، الأشمونى ، ص ٥٨١ - ٥٧٢ .

וְעִנְיָהּ שֶׁבְּיָדָם יִשְׁפָּטוּם וְיִשְׁפָּטוּם

« وقال كالب : من يضرب قرية سفر ويأخذها أعطيه عكسة ابنتي زوجة له (١) » .
 (القضاة ١: ١٢) . وفي هذا المثال يشبه استعمال **שָׁפַט** استعمال أسماء الموصول العربية في عدم الارتباط بزمن معين والدلالة على شرط عام .

ولكن **שָׁפַט** تدل في آيات أخرى على شرط غير عام . وهي بهذا تستعمل نفس استعمال أداة الشرط **אִם** التي تقابل « أن » في اللغة العربية .
 وهذا مثال لذلك

רִאיהַּ אֲבִיכָּ וְנָתַן לְךָ נֶיֶם כִּי־יָרֶכֶת וְיִקְלָהּ
 אֵת הַבִּרְכָּה אֲשֶׁר תִּשְׁפָּטוּ אֶל בָּנוֹת יְהוָה אֵלֶיכֶם
 אֲשֶׁר - וְהִקְלָה אִם לֹא תִשְׁפָּטוּ אֶל בָּנוֹת יְהוָה
 אֵתָּה כֻסִּי-

« أنظر : أنا أعرض عليكم اليوم بركة ولعنة : البركة أن سمعتم لوصايا الرب إلهكم التي . . . واللعنة إن لم تسمعوا لوصايا الرب إلهكم و . . . (التثنية ١١-٢٦-٢٨) فوهذه الآيات تتضمن شرطين متقابلين شكلا ، متقابلين معنى . وقد استعملت في أحدهما كأداة للشرط ، واستعملت في الآخر أداة الشرط العادية (٢) .

وقد يصدر اسم الفاعل المعرف جملة الشرط . وفي هذه الحالة يدل على شرط عام ويكون معناه كعنى اسم الموصول الذي يتلوه فعل مضارع فيقال في العربية :
 « القاتل يقتل » بمعنى : « الذي يقتل يقتل » . ومن أمثلة ذلك في العبرية :

שֹׁפֵךְ דָּם הָאִדָּם כִּי־יָרֶכֶת וְיִשְׁפָּטוּ

« صافك دم الإنسان (أى من يسفك دم الإنسان) يسفك دمه بواسطة الإنسان »
 (التكوين ٩: ٦) .

Brockelmann's hebr. syn., 172.

(١)

Brockelmann hebr. syn ; , 172.

(٢)

الحبشية : من هذا القبيل :

ለዘበኩል ሆኖ ለእኔ ሆኖ ለሌላ

« الذي ينكرني أنكره » أى « من ينكرني أنكره » (١) .

رابعاً : ما وضع الدلالة على الاستفهام ثم ضمن معنى الشرط :

وأعني بهذا أسماء الاستفهام التي تضمن معنى الشرط ومنها في العربية كيف ،
مثل : كيف تصنع أصنع . ولا يجزم الفعل المضارع في الجمل الشرطية المصدرة بها
خلافاً للكوفيين الذين يجيزون ذلك قياساً ومطرذاً . ويجيز بعض النحاة الجزم بها
بشرط اقترانها بها ، فيقال : كيفما تصنع أصنع (٢) .

الختام

وأخيراً يتضح مما سبق عرضه من مادة لغوية ، ومما سبق ذكره من آراء أنه أقدم أشكال التعبير عن الشرط في اللغات السامية ، وهو وضع جملي الشرط والجواب متقابلتين ، أو عطف إحداهما على الأخرى بالواو . وتوجد شواهد لهذه الظاهرة في كثير من هذه اللغات .

واعتقد أن المرحلة التالية كانت استعمال أدوات للشرط تنقسم قسمين مختلفين تمام الاختلاف في دلالتها وأصل نشأتها ، وهما :

(أ) القسم الأول :

أدوات تعبر عن شرط محتمل الوقوع ، تطورت عن عناصر إشارية قديمة استعملت للدلالة على معان مختلفة منها الشرط .

(ب) القسم الثاني :

أدوات تعبر عن شرط لا يحتمل وقوعه ، تطورت عن أدوات وضعت في الأصل للدلالة على التخيّل . وثمة علاقة بين هذا الشرط والتخيّل من حيث المعنى .

بالإضافة إلى هذين الأسلوبين ضمن الشرط بعض الأسماء التي تدل على معان أخرى ، مثل أسماء المكان والزمان والموصول والاستفهام .

المراجع

ملاحظة :

الإشارات في الموامش إلى أرقام الفقرات في المراجع ، الا حين أنص على ذكر الصفحات .

أولاً : المراجع العربية :

(١) الأشموني :

شرح الأشموني على ألفية ابن مالك : تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، الطبعة الأولى ، القاهرة

. ١٩٥٥.

(٢) ابن عقيل (جهاء الدين عبد الله بن عقيل) :

شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك : تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، الطبعة الخامسة ، القاهرة

. ١٩٥٦.

(٣) ابن هشام :

شرح شذور الذهب ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، الطبعة السادسة ، القاهرة ، ١٩٥٣ .

(٤) ابن يمين (موفق الدين يمين بن علي بن يمين) :

شرح المفصل للزحشرى : طبعة إدارة الطباعة المنيرية بالقاهرة :

(٥) أنيس فريجة :

حلاصع واساطير من أوغاريت ، بيروت ، ١٩٦٦.

ثانياً : المراجع الأوروبية :

Beeston (A.F.L.) :

A Descriptive Grammar of Epigraphic South Arabian ; London 1962.

Brockelmann (C.) :

(a) Grundriss der vergleichenden Grammatik der semitischen Sprachen;
Berlin 1980.

(b) Syrische Grammatik, 6th ed., Leipzig, 1951.

(c) Hebraisches Syntax, kreis Moeres, 1959.

Dillmann (A.) :

1. Ethiopic Grammar ; 2nd. ed., enlarged and improved by Carl Bezold
(1899), transl. by James A. Chrichton, London 1907.

Driver (S.R.):

Notes on the Hebrew text of the books of Samuel, Oxford, 1890.

Gesenius :

(a) Gesenisu - Kautzsch :

Gesenius' Hebrew Grammar, as edited and enlarged by E. Kautzsch;
2 nd. English ed., revised in accordance with the 28th. German
ed. (1909) by A.E. Cowley, Oxford, 1910.

(b) B D B

Geseenius "hebrew and english lexicon of the old Testament, edited
and enarged by Brown (F), Driver (S.R.), Briggs (C.A.), Oxford, 1975.

Gordon : (C.H)

Ugaritic Grammar. London, 1955.

Hofner (Maria):

Altaudarabische Grammatik, Leipzig 1943.

Jouon (P.):

Grammarie de l'hebreu biblique ; Rome 1923.

Marshall (J.T.) :

Manual of the Aramaic Language of the Palestinian Talmud,
Leiden, 1929.

Noldeke (Th.) :

Compendious Syriac Grammar, transl. by J.A. Crichton, London,
1904.

Soden (Wolfram von) :

Grundriss der akkadischer Grammatik ; Roma 1952.

Wright (W.) :

A Grammar of the Arabic Language, 3rd. ed., Cambridge, 1896.

التقرير العلمى

لبعثة حفائر كلية الآداب — جامعة القاهرة

فى كوم أوشيم — موسم عام ١٩٧٣

للدكتور سيد احمد على الناصرى

المشرف التنفيذى

بدأت الدراسة الميدانية لتحديد منطقة الحفر الجديدة فى خرائب كوم أوشيم يوم الأربعاء الموافق ٢١ مارس عام ١٩٧٣ . وبعد إجراء عدة دراسات على الطبيعة تقرر الاستمرار فى التنقيب فى نفس المنطقة التى بدأت بها الكلية فى العام الماضى (١) . وقد أبد ذلك السيد أحمد الصاوى كبير مفتشى الآثار بمصلحة الآثار الذى أثنى على نوعية وطبيعة التنقيب الذى قامت به البعثة فى موسم عام ١٩٧٢ ، وكانت البعثة أوصت فى تقريرها الأول بمتابعة الحفر فى المنطقة شرقاً وغرباً بهدف تغطية أكبر مساحة من أرض التل الغربى للمدينة القديمة . وبناء عليه وضعت حدود للمنطقة التى يجب متابعة العمل فيها ، وهى تقع غرب المنطقة التى نقب فيها فى العام الماضى ؛ وعلى وجه التحديد هى المنطقة الواقعة على سفح التل من ناحية الغرب والتى يحدها مقر إقامة البعثة شرقاً على بعد حوالى ٣٠٠ متر ، ومن الغرب تحدها الأرض الزراعية الواقعة على بعد ٨٠٠ متر . وبالنسبة للمعبد فهى تقع شمال غرب المعبد القديم (الجنوبى) وجنوب غرب المعبد الشمالى .

واتباعاً للمنهج العلمى فى التنقيب إقترحنا عمل مجسات استطلاعية على طول المنحدر الجنوبى للتل المؤدى إلى الأرض الزراعية للتأكد من أن هذه المنطقة خالية تماماً من أية آثار بعد استنفاد التنقيب فيها سواء على يد بعثة جامعة ميشيجان التى عملت فى كوم أوشيم من سنة ١٩٢٠ إلى ١٩٣١ أو بسبب العبث من جانب شركة دايرا

١٥ التقرير العلمى لحفائر كلية الآداب جامعة القاهرة لعام ١٩٧٢ — مجلة كلية الآداب جامعة

القاهرة — المجلد التاسع والعشرون ص ١١٧ — ١٢٥ .

أثلى الإيطالية التي كان مقرها مدينة طامية القرية والتي كانت تنقل السباخ من المنازل القديمة بطريقة آلية دمرت معظم آثار هذه المنطقة وأدت إلى ردم « ونبش » المنطقة الغربية والشرقية بكاملها تقريباً . وبالرغم من ذلك قررنا إقامة عدة مجسات جديدة للتأكد من خلو المنطقة التي سوف يلتقي فيها الرديم المستخرج من التنقيب كما أخذت الصور « البانورامية » للمنطقة كلها قبل التنقيب . وأخيراً استعرضت البعثة حجم العمل المتاح أمام المواسم القادمة ، وقررت أنه لكي يتم كشف الأثرية عن كوم أوشيم تماماً يجب العمل عشرة مواسم أخرى على الأقل وذلك من أجل إخراج كل ما تحت الرمال والأثرية من آثار قيمة وبخاصة أوراق البردي والعملات والأدوات الزجاجية ولوحات الفريسكو التي تزين بعض منازل الأغنياء والتي هي بصورة أو بأخرى إحدى الوثائق المعبرة عن الحياة في عصور المدينة المختلفة .

بدأ العمل صباح يوم السبت الموافق ٢٤ مارس ١٩٧٣ بقوة من العمال الفنيين يبلغ عددها إثني وثلاثين عاملاً ، يساعدهم نحو عشرين آخرين من فلاحي قرية قصر رشوان الواقعة بالقرب من مكان العمل . وكان بدء العمل يقتضي كما سبق أن اتفقنا اختيار منطقة لإلقاء التراب المستخرج أو ما يعرف بلغة الأثريين « بالمقاب » وتركيب خط « الدوكوفيل » عليها . وطبقاً للاتفاق الأول السابق ، فقد حددت منطقة « جس » لعمل حفر محدودة « ترنشات » في سفح المرتفع الغربي في مواجهة طريق القاهرة - الفيوم ، وذلك لإلقاء الرديم في مكان قريب مناسب . وقد استغرق العمل طوال يوم السبت ، وفي صباح يوم الأحد الموافق ٢٥ مارس بدأت أجزاء من جدران وحدات سكنية في الظهور . وقد كان ذلك مدعاة لدهشتنا نظراً لأننا لم نكن نتوقع وجود أى آثار قديمة في هذا الجزء النائي من المدينة الذي يكاد يلاصق الحائط الشمالى الغربى لسورها القديم . ومن الواضح أن هذه المنطقة لم تتعرض للحفر من جانب بعثة جامعة ميشيجان التي آثرت التعمق في الخرائب الموجودة فوق تل المدينة ، وقد يكون هذا الجزء من المدينة لم يلفت نظر الأمريكيين لأنه يقع في منطقة تكاد أن تكون مستوية مع سطح الأرض ، كما أن السيول جعلتها منبسطة وكونت لها قشرة شبه صخرية . وبناء على هذا الكشف غير المتوقع غيرنا خطة العمل الأولى وقررنا أن نستمر في التنقيب في هذا المكان الواقع في طرف المدينة الشمالى الغربى . وقد عثر أثناء التنقيب في الجزء الأعلى من الوحدات السكنية على :

١ - جزء من تمثال صغير من البازلت الأسود الآلهة سيرابيس إله الزراعة ،
والذى كانت له منزلة خاصة في إقليم الفيوم في العصر اليونانى الرومانى . وأعلى وجه
التمثال مفقود . ويبلغ أقصى طول هذا الجزء ٣٧ سم .

٢ - تميمة (amulette) من القيشانى الأزرق للآلهة المصرية بس (Bes)
الذى يرتبط بالسحر وطرده الأرواح الشريرة من المنازل ، والجزء الأعلى من رأس.
التمثال مفقود ويبلغ أقصى طوله حوالى ٤ سم .

وقد استمر العمل في المنطقة المذكورة حيث بدأ الكشف عن امتداد حوائط
الوحدات السكنية التى ظهر أنها عبارة عن منزل مكون من ثلاث حجرات ،
بها سلم يؤدى إلى بهو ، وفي أرضية البهو عثر على عدد من الأواني الفخارية الخاصة
بالمزمل مثل حفظ المياه والمواد التوينية والغلال . وقد أسفر تنظيف هذه الوحدة
السكنية رقم (١) عن الاكتشافين التاليين :

١ - جزء من تمثال نصقى من البازلت يمثل الصدر وجزءاً من الوجه ، وانضح
أن هذا الجزء مكمل للجزء الذى اكتشف في اليوم السابق من تمثال سيرابيس . وقد
طلبت ترميمه فوراً ، وبعد الترميم أصبح التمثال كاملاً يبلغ طوله حوالى ٧٨ سم .

٢ - جزء من حوض عصير زيت أو نبيذ مصنوع من الحجر الساطاني طوله
٦٤ سم وعرضه ٣٦ سم وارتفاعه ٣١ سم ومزين بصور آلهة مصرية مما يدل على
امتزاج الديانة المصرية بالديانة اليونانية وانتشار ظاهرة « التمسير » التى تعرض لها
الإغريق منذ القرن الأول قبل الميلاد بسبب الزواج المشترك مع المصريين .

وفي يوم الثلاثاء الموافق ٢٧ مارس أثناء تنظيف حجرات الوحدة السكنية
رقم (١) من الداخل ورفع التراب الذى يغطى حوائطها من الخارج وبخاصة من
الجهات الشرقية والجنوبية والغربية بدأت ملامح وحدة سكنية أخرى في الظهور :
الوحدة (٢) . وهى أيضاً تتكون من ثلاث حجرات صغيرة نسيباً بها سلم خلف
الحجرة الأولى وتمتد من الشمال إلى الجنوب . وقد عثر أثناء تنظيف هذه الوحدة على :

١ - إناء من الفخار البنى اللون على شكل إبريق مياه Pitcher كثرى الشكل
وله قاعدة مستديرة مجوفة ويبلغ ارتفاعه ٢٢ سم وقطر فوهته ٢٥ سم وقطر
كاعدته ٢٥ سم .

٢ - دمية من الطين المحروق (Terra-Cotta) تمثل امرأة جالسة على مؤخرتها يغطي رأسها شعر مستعار ، وترفع يديها اتخني والبسرى (وبعضها مفقود) . ويبلغ ارتفاعها ١٢ سم وأقصى عرض لها ١٢ سم . وهذا النوع من الدمي معروف بكثرة في نهاية العصر اليوناني الروماني وقد لقيه برشيا باسم البوبو (Baubo)^(١) وكانت تستخدم في السحر الأسود وربما من أجل الرغبة في الحمل والولادة . وممارسة السحر عند فلاحي مصر في هذه الفترة كان شائعاً .

٣ - إفريز (Frieze) من الطين المحروق . مستطيل الشكل ومجوف من الداخل وعليه زخرفة لطاثرين متجهين في اتجاهين متضادين وبين مؤخريتهما دائرة ، ارتفاع ٣٥ سم ، عرض ٨ سم ، سمك ٢٥ سم .

٤ - وجه لامرأة من القيشاني الأخضر ، ترتدى شعراً مستعاراً على الطريقة المصرية ، والملامح المصرية واضحة ، ويعكس الفن اليوناني - المصري الذي ساد منذ القرن الأول الميلادي ، الارتفاع ٤ سم ، العرض ٤ سم .

٥ - إناء فخاري على شكل كوب ، ارتفاع ٦٥ سم ، قطر فوهته ٤ سم . هذا وتبين أن أرضية الوحدة السكنية رقم (٢) ترتفع نسبياً عن أرضية الوحدة السكنية رقم (١) التي تقع في الشرق من الوحدة السكنية رقم (٢) . وأسفر العمل عن وجود امتداد لحوائط وحدة سكنية ثالثة رقم (٣) . وقد ظهر شكلها واضحاً ، وهو عبارة عن مستطيل . وقد أخرج من هذه الوحدة السكنية أربع مسارج وثلاث قطع من العملة التي يعلوها الصدا . ويلاحظ أننا لم نعثر في الوحدة السكنية رقم (٣) على السلم المعتاد الذي وجدناه في الوحدات السابقتين ، كما لم نعثر لها على مدخل وربما لأنها كانت ملحقة بالحدى الوحدات السكنية الأخرى أو كان الدخول إليها هبوطاً من سلم خارجي هدم فيما بعد . وعلى أي حال فإن هذه الوحدة تتكون من ثلاث حجرات تمتد من الشمال إلى الجنوب وقد أخرج منها مسرجتان ووعاءين من الفخار .

(١) Ev. Breccia, *Terracotte I*, p. 40, No. 181, Tav. IV, 1, 3. cf.

S.A.A. El-Nasser, *Terra-cotta figurines of Egypt in the Ptolemaic period*, London 1968 (unpublished thesis), June 1968, p. 304 f.

استمر العمل في اتجاه الشرق بجوار الوحدة السكنية رقم (٣) حيث ظهرت ملامح لوحدة سكنية جديدة رقم (٤) ، وهي أيضاً تمتد من الشمال إلى الجنوب ، وهي تتكون من ثلاث حجرات ، وعثر على «قرنين» في الحجرية الثالثة . وقد أخرج أثناء تنظيف حجرات هذه الوحدة بعض أدوات الزينة من دلايات ومعايق كحل ومرآود وأوان للزيوت .

وباستمرار العمل تجاه الجهة الشمالية للموقع بدأت ملامح وحدة سكنية جديدة في الظهور (وحدة رقم ٥) . ويبدو من مظهر الحجرات الواسعة ومن آثار الطلاء الجيري على جدرانها ومن مساحة المتزل الرحبة ، حالة رخاء نسبي بالرغم من أننا لم نستخرج سوى بعض المسارج والخرز وغير ذلك من الآثار المنزلية ، ولكن الشيء الواجب ذكره أنه أمكن استخراج ثلاث قطع من العملة يعلوها الصدأ ، وأمکننا بعد تنظيف إحداها من تحديد عصرها وهو عصر الإمبراطور هادريان ١١٧-١١٨ ميلادية وفيه يبدو أن المدينة قد بلغت أقصى درجات الرخاء والتوسع غرباً إلى هذا الطرف . وباستمرار رفع الرديم من الجهة الشرقية ظهرت حجرات الوحدة السكنية رقم (٦) وهي تتكون من ثلاث حجرات ومزودة بسلم في أقصى الجنوب ومستوى أرضياتها أعمق نسبياً من الوحدة السكنية رقم (٤) ، كذلك فإن هناك بعض الخمران التي يتضح من شكلها أن سقف إحدى الحجرات كان على شكل قبو . وقد استخرج من الحجرات عدد آخر من العملة المتآكلة ومسرجتان وجزء من تمثال الطين المحروق وخرز وحلقة نحاسية .

وفي أقصى الشمال الغربي من الموقع كشف التنقيب عن وحدة سكنية كبيرة رقم (٧) . وهي تتكون من خمسة حجرات مفتوحة بعضها على بعض . وهناك مكان لأبواب خشبية كانت تغلق ما بين هذه الحجرات . وقد عثر في أرضية هذه الحجرات على أوان فخارية كبيرة الحجم غائرة في الأرض لا يظهر منها إلا فوهاتها ، ومن الواضح أنها كانت تستخدم لتخزين المواد القويونية . وأخرج من إحدى هذه الحجرات إناء فخاري أحمر اللون ، ومساح صغير مصنوع من القاشاني المظلي باللون الأزرق القائم رأسه مفقود وكذلك جزء من الذيل ويبلغ طوله ٦ سم . ومن الواضح أن احتفاظ صاحب هذا المتزل بهذا التمثال دليل على وجود وانتشار عبادة

رب التماسح (سوبك Sobek العزوف عند الإغريق بسوخوس) التي كانت يشتهر بها إقليم الفيوم حيث كان التماسح يعيش بكثرة في المستنقعات ويطعم على نفقة المعابد وإليه يأتي المتفرجون للتفرج عليه كما تثبت الوثائق البردية المستخرجة من الفيوم (١). بل إن معبد مدينة كرانيس القديمة كان مقاماً لرب التماسح نفسه الذي عبد في كرانيس تحت اسم سوكسيس (Soxeis) (٢) ، وبلاحظ أن التصير قد طغى تماماً على الهلينية في الفن والدين حتى في الأسماء نتيجة للزواج المختلط بين الإغريق والمصريين ، فأصبح أحفاد الإغريق والمقلونين فلاحين مصريين يتكلمون لغة يونانية متمصرة . كذلك استخرج من هذه الوحدة تمثال من الطين المحروق لرأس كلب عليه آثار ضلاء من الحص وأذنه اليمنى مفقودة ، ويبلغ أقصى طوله حوالى ٦ سم . واستخرجت كذلك مسرجتان من الفخار .

وفي يوم الخميس ٥ أبريل سنة ١٩٧٣ جرى العمل في شمال الوحدة السكنية رقم (٨) حيث كشف عن جدران تمتد من الشمال إلى الجنوب . وقد عثر بداخل هذا الجزء على بناء مستدير من الطوب هو قاعدة لطاحونة ، وبجواره قطعة من الحجر تمثل الجزء الآخر لهذه الطاحونة ، كما عثر بجوارها على بعض أحواض العجين وعدد آخر من المباني الصغيرة من الطوب . ومن النظرة الأولى لهذا البنى يتضح أنه كان عبارة عن مخبز عام وذلك لوجود عدة أفران لا فرن واحد كما في باقي المنازل ، كما أن تقسيم هذا الجزء لا يدل بأية حال من الأحوال على أنه وحدة سكنية ، وذلك لعدم وجود حجرات متداخلة كما هو متبع في باقي الوحدات السكنية كما أن جدران حوائطه مقامة على الأرض مباشرة .

P. Tebtunis 33 = Sel. Pap. II, 416.

(١)

أنظر . عبد الحليم أحمد عل : مصر والأمبراطورية الرومانية في ضوء الأوراق البردية الفاهرة ١٩٧٢ . ص ١٢ هامش رقم واحد .

G. Wagner and S. El-Nassery, ZPE, Band 17, Heft 2, (1975), (٢)

p. 139—142.

وجرى العمل أيضاً في أقصى الجنوب الشرقى من موقع العمل ، فأسفر ذلك عن وجود وحدة سكنية تتكون من حجرتين وسلم بالإضافة إلى حجرة صغيرة مستطيلة ومقباه عثر فيها على بعض الأواني .

وفي يوم السبت ٧-٤-١٩٧٣ جرى العمل في اتجاه الشمال للتأكد مما إذا كانت هناك مبان أخرى من ناحية الشمال ، ولكن يبدو أنه لا توجد أية مبان وأن المباني السابقة هي نهاية مدينة كرانيس الشمالية . وعلى ذلك انتقلنا إلى تنظيف حجرات الوحدات السكنية للتأكد مما إذا كانت توجد طبقة أسفلها أم لا . وفي أثناء عملية التنظيف عثر على تمثال من الفخار للآله هربوكراتيس الطفل ، وهو والآله المصري حورس ابن إيزيس في صيغته الإغريقية المتمصرة ، ويبلغ أقصى طوله ٥ر٥ سم . كذلك عثر على دمية لحصان أسفله مهشم وصناعته رديئة وربما كان يستخدم كلعبة لأحد الأطفال كما كان شائعاً . وعثر أيضاً على مسرجتين من الفخار مزينتين برسم الحيوان وعلى القاعدة علامة المصنع الرمزية ، وعلى مسرجتين أخريين مزينتين برسم عناقيد العنب وسعف النخيل وأرجل ضفدعة ، وكلها تحمل علامة المصنع . ومن الحدير بالذكر أنه أثناء رفع الرديم داخل الوحدات السكنية السابقة بحثاً عن الطبقة الثانية ، اضطررنا إلى إزالة بعض أجزاء من المباني التي لا تنتمي لأجزاء سكنية وإنما كانت عبارة عن إضافات غير منتظمة . وقد أخرج أثناء التنظيف قطعتان من العملة التي يعلوها الصدا ، ورأس من الفخار لحورس هربوكراتيس ، ومسرجة برسم ضفدعة ، وبعض الأواني الزجاجية . وفي أثناء تنظيف أرضية الوحدة رقم (٧) أخرج من الرديم إناء زجاجي أخضر اللون كروى الشكل له فوهة ذات حافة خارجية وليس له قاعدة ويبلغ ارتفاعه ١٠ر٥ سم وبه آثار تهشم . كذلك عثر على إناء زجاجي آخر أخضر اللون له عنق طويلة على شكل أنبوبة ، وهو هرمي الشكل يبلغ لارتفاعه ١٥ سم . كذلك أخرج من هذه الوحدة إناء فخاري على شكل الأمفورا بني اللون مسحوب وله قاعدة مستديرة ومجوفة ويبلغ ارتفاعه ٤٦ر٥ سم من نفس النوع الذي كان يحفظ به الجبوب ، كما عثر على دمية على شكل حصان من الطين المحروق أقصى طوله ٨ر٥ سم ، وعلى قطعتين من العملة وبعض الخرز وتوالى العثور على قطع العملة التي يعلوها الصدا والمسارج والأواني الفخارية والخرز

وبعد التأكد من أنه لا يوجد طبقة أسفل طبقة المنازل السابقة انتقلنا للعمل لتوسيع منطقة التنقيب من ناحية الشرق حيث كشف عن جدران وحدات سكنية ظهرت حدودها من الداخل وتتميز حجراتها بنظام القباب (Vaults) . وقد عثر أثناء العمل على دمية من الطين المحروق للطفل هربوكراتيس يحمل قدرين بين ذراعيه ويضع يده اليمنى في القدر الأيمن ليخرج الطعام وهو نوع شائع في تماثيل الفيوم الفخارية^(١) التي تعكس الخيال الشعبي الديني الذي يعنى بانجاب الأطفال أو بتقديم قرابين (عند مرحلة القطام) ، ويبلغ طوله ٩٥ سم . وعثر كذلك على دمية للسحر تمثل امرأة عارية جالسة ترفع يدها إلى أعلى ، وعلى صدرها يوجد عقد ، وعلى رأسها لباس من الشعر المستعار ، ويدها اليمنى معقودة ، ويبلغ طولها ٧ سم . وعثر أيضاً على علد من المسارج ، ودمية لفتال أبي الهول الأنثى طوله ١٠٥ سم وارتفاعه ٧٥ سم ، ومن من الحجر الرخاوى مستطيل الشكل قاعدته على شكل هرمى طول ١٠ سم وارتفاعه ١٠٥ سم وعرضه ٧ سم .

استمر العمل في اتجاه الشرق . وفي يوم ١٨ أبريل سنة ١٩٧٣ ظهرت وحدة سكنية تتكون من خمس حجرات كبيرة الحجم نسبياً وبها سلم (الوحدة رقم ٨) ، كما عثر على بقايا جدران يتركز عليها قبو الحجرات وتودى إلى وحدة سكنية أخرى (رقم ٩) . والوحدة السكنية رقم (٩) تتكون من ثلاث حجرات أمكن تنظيفها ؛ وقد زارنا في هذه الأثناء الدكتور جمال الدين مختار رئيس هيئة الآثار وتفقد العمل وأننى عليه من ناحية الدقة . وقد رأى أن يكتفى بمنطقة العمل الحالية التي تتكون من تسع وحدات سكنية مترابطة تمتد من الجنوب إلى الشمال ، واقترح أن تنتقل إلى منطقة أخرى في أعلى التل لمحاولة استكشاف أكبر قدر من المنطقة .

وفي يوم الأحد ٢٢ أبريل انتقلنا إلى موقع جديد في أعلى التل ، وهو يقع في الجنوب الشرقي من الموقع الذي تم كشفه (منطقة الوحدات السكنية التسعة) ويرتفع عنه سبعة أمتار . وبعد العمل طوال أسبوع تقريباً أمكن كشف مخازن للغلال

Cf. Paul. Perdrizet : Les Terres Cuites grecques d'Egypte de la (١)
Collection Fouquet, Nancy 1921, No. 83, Pl. XXV ; cf. Breccia, *op. cit.*, No.
163, Tav. XXXIV ; cf. El-Nassery, *op. cit.*, p. 311—312.

تتكون من حجرات صغيرة مستطيلة تغطي جدرانها طبقة من الملاط ، وقد عثر على آثار حبوب من القمح والشعير والبقول وتنفيردية في حالة سيئة ؛ ومخازن الغلال مبنية من الطوب اللبن المستطيل وأرضيتها مسطحة مغطاة بطبقة من الملاط . كما عثر على كمية من الأعشاب المجففة التي كانت تستخدم كغذاء للماشية . ومخازن الغلال مقامة على طبقة من الرديم وارتفاع جدرانها لا يزيد عن ١٠ متر . وقد حاولنا تتبع جدران المخازن السفلى ، وقد تبين أنها ترتفع بمقدار متر واحد عن سطح الأرض ويوجد أسفلها طبقة من التراب الأحمر الذي يكون أرضية المباني . ومن الواضح أن مخازن الغلال أقيمت في أوقات ازدهار المدينة في مطلع القرن الثاني الميلادي عندما بلغت أقصى اتساعها شمالا وغربا ، والدليل على ذلك الرديم الترابي الذي عليه أقيمت مخازن الغلال في الجنوب الشرقي من المدينة .

ونظراً لضيق الوقت قررنا العودة إلى إكمال منطقة العمل الأولى حيث ظهرت آثار مباني من الطوب الأحمر . وهذا آثار الدهشة لأن المنازل عادة مبنية من الطوب اللبن وبعد عدة أيام من العمل ظهرت ملامح حمام من العصر الروماني مقام على ربوة تطل على المنازل وظهرت وحدات الحمام حيث كشف عن آبار ومجار متصلة بصرف المياه (١) . كما عثر على بعض المسارج فيه ، وبعض حجرات مجاورة للحمام من جهة الشمال .

كذلك عدنا للعمل لتنظيف منطقة التنقيب لهذا العام من ناحية الجنوب لتأخذ مستطيلاً حتى يسهل رسمها وتصويرها . وقد كشف بالفعل عن بقايا حجرة كبيرة تجاه الجنوب لوحظ فيها كثرة وجود فخار مدفون في باطن الأرض . وليست هذه الحجرة بأى حال من الأحوال وحدة سكنية بل مرفق عام قد يكون حجرة حفظ وناثق أو استلام ضرائب أو مكتب كاتب القرية (Grammateus) .

وبإكمال منطقة العمل تقرر التوقف وإقفال موسم التنقيب يوم ١٩ مايو ١٩٧٣ .

(١) أشرنا إلى هذا الحمام الذي كان مخصصاً لطبقة العوام عندما نشرنا الحمام الكبير للمدينة كما كنا بصورته ونحن بصدد نشرة قريباً أنظر :

S.A. El-Nassery, G. Wagner and George Castal : Un Grand Bain à Karanis, B.I.F.A.O., Tome LXXVI (1976).

نظراً لحيوب الرياح واشتداد الحرارة وإقبال موسم الحصاد فضلاً عن أن البدء في منطقة تنقيب جديدة يحتاج لعدة أسابيع من العمل وهذا يحتاج لموسم قائم بذاته .

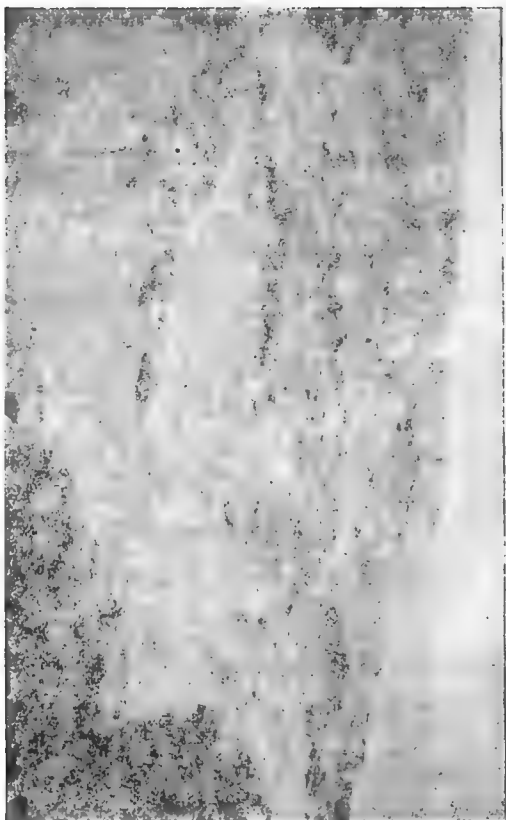
وأهمية كشف هذا العام تملخص في العثور على حي قائم بذاته في أقصى أطراف المدينة من الشمال الغربي والجنوب الشرقي - مزود بمطحن ومخبز ومخزن غلال وخجرة لتسجيل الوثائق أو حفظها . ويقع هذا الحي على مقربة من حائط المدينة الشمالي الغربي وهو أقصى اتساع وصلت إليه مدينة كرانيس . وبفضل العملة البرونزية التي أمكنني التعرف عليها يتضح أن هذا الاتساع عاصر عهد هادريان أي في مطلع القرن الثاني الميلادي وهو ما تؤكده الوثائق من انتشار حالة من الرخاء الاقتصادي في النجوم في صدر الحكم الروماني لمصر . وقد بدأ هذا الحي من المدينة في الانكماش في نهاية القرن الثاني ولم يعد يسكنه الناس بل هجر تماماً بعكس التل الغربي للمدينة حيث أعيد سكنى المنازل القديمة إبان حركة إعادة البناء التي شاهدها مصر الرومانية في نهاية القرن الثالث قبل الميلاد . وهكذا كشفت حفائر كلية الآداب بجامعة القاهرة منطقة جنتية للتنقيب تعبر إلى حد كبير أملاً للآثرين لأنه يبدو أن البعثات الأثرية السابقة قد أهملتها لعدم وجود ما يلفت النظر إليها من الناحية الأثرية وذلك لوقوعها

في منطقة مسطحة أو جعلتها السيول مسطحة . وإذا كانت المنازل التي عثرنا عليها خالية فإن ذلك يرجع إلى أنها تركت خالية في الماضي عندما هجرت إبان القرن الثالث ق . م . وليس هناك أي دليل على البعث الحديث بهذه الوحدات السكنية . وهذا يجعل الأمل كبيراً في أن متزلاً ما من هذه المنطقة قد يحوى وثائق بردية قد تكون غاية في الأهمية .

وفي الختام تقدم بجملة التتبع هن آثار كوم أوشيم شكرها العميق إلى السيد الأستاذ الدكتور عياد الكلية لرعايته الخاصة التابعة من حرصه على استمرار البحث العلمي في الكلية ، فذلك الكثير من العقبات التي لولاها لتعثر العمل . كما توجه للجنة أيضاً بالشكر والتقدير إلى الأستاذ الدكتور ، وكيل الكلية لشئون الدراسات العليا والبحوث .

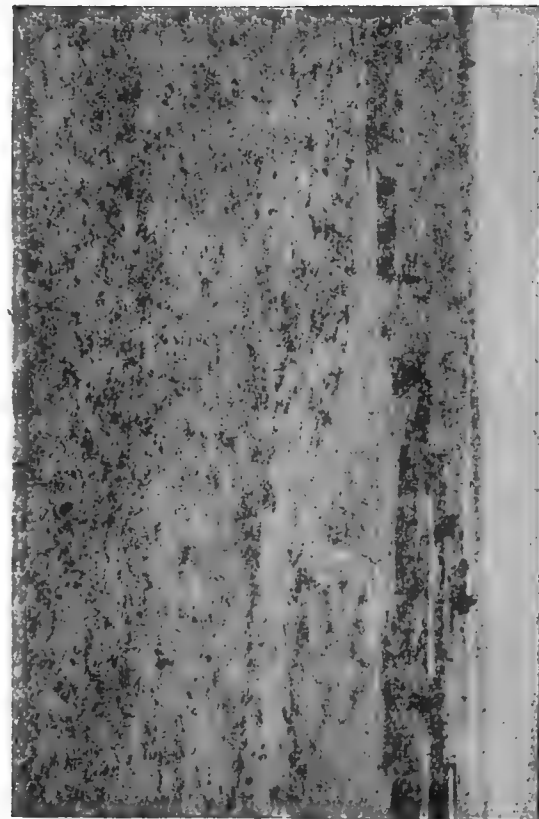
وأخيراً وليس آخراً فإن بعثة التنقيب تتقدم بالشكر الجزيل للمهندس حسين كامل دبوس محافظ الفيوم لتشجيعه البعثة على العمل في هذه المنطقة النائية . وتخص البعثة بالشكر والعرفان والتقدير للأستاذ الدكتور جمال الدين مختار رئيس هيئة الآثار لرعايته الشخصية لمهاجر الكلية وتذليل العقبات الفنية والإدارية .

والله ولي التوفيق ، ،



صورة بانورامية للموقع الثاني قبل بدء العمل وتظهر
في خطيته الأرض الزراعية لقرية قصر رشوان
مركز طامية

منظر لواقع الحضر الثاني في اطلال الموقع الاول ويحدده موقع الاستراحة





صورة لبعض ما عثر عليه في الوحدة السكنية



الوحدات السكنية التي بدأت في الظهور
كوم أو شيم موسم ١٩٧٢



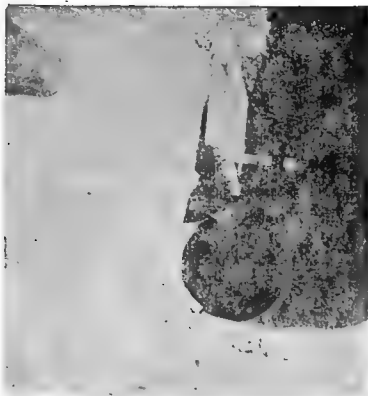
صورة لأحدى الوحدات السكنية بحجراتها المتداخلة يظهر درجات السلم
الذي يقود إليها من أعلى
كراتيس موسم ١٩٧٢



الزيتون او حبة البركة صورة لحوض الحجر لمصر الزيتون
كرانيس موسم ١٩٧٣



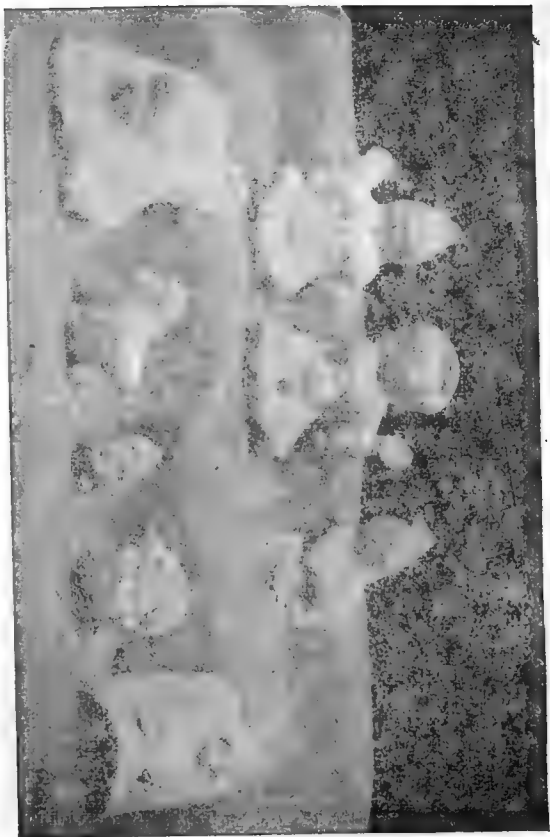
صورة للجرار المدفونة في الارض لحفظ المكنيات في المنازل



وعاء كبير مدفون في ارضية احدى الحجرات



(أ) تميمة من الطين المحروق للآله بس رب البحر
(ب) تمثال من البازلت الأسود لسيرايس رب الزراعة
(ج) قناع من الطين المحروق كنموذج لأقنعة ممثلى التراجيديا



نماذج للتمثيل الطينية التي عثر عليها في الوحدات السكنية

(أ) تمثال لهرود كرايس يصبح بده في جرة الخزيرين من عتيقها كريس النقود

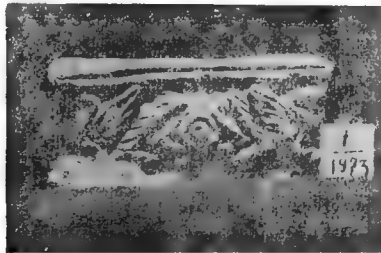
(ب) تميمة البياويو المستخدمة لأغراض السحر وهي رافعة يديها ويتدلى

(ج) تميمة أخرى مماثلة وهي ترتدي السلاسل المتقاطعة حول صدرها وتوسطها تميمة ليدوسا الطارودة للنسر

وفي الصف الأسفل جزء من تمثال أنزييس - ديمتر الربة المزدوجة للقمح في مصر اليونانية الرومانية ثم رأس لطفل . تما
للأنثى وراس أخرى ربما للإله أنثراكي هيرودون Heron ثم دمية لصحان وأخرى للكب كنوع شائع للعب الأطفال في
ريف مصر

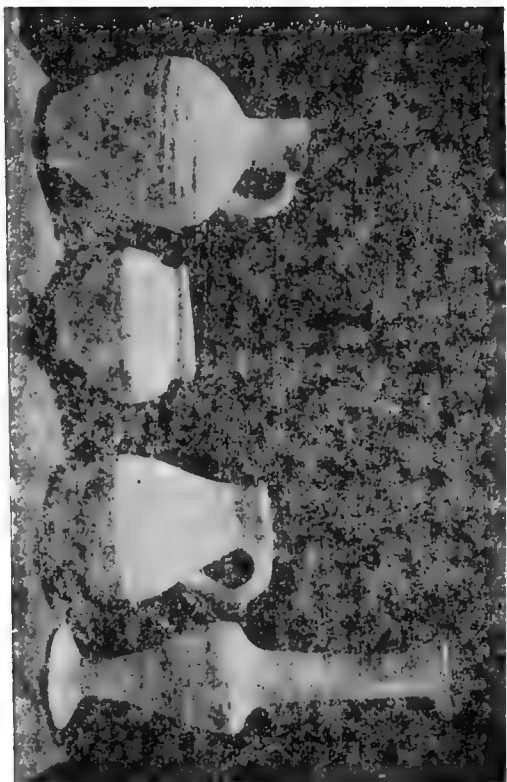


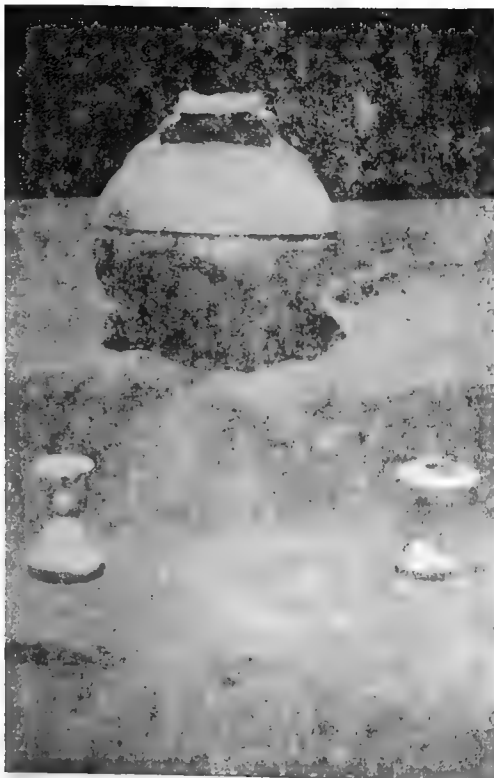
صورة لبعض العاب الاطفال من الطين المحروق ومحرز من العاج وراس لايروس
وتميمة من القيشاني للاله سوخوس وهو التمساح المعبود الاول في كرانيس
وفي مدن الفيوم في العصرين البطلمي والروماني
كرانيس موسم ١٩٧٣



صورة للكونيس الطيني الذي كان يوني احد جدران المنازل
يمثل طائران كل منهما يولى وجهه
نحو اتجاه مخالف وبينهما شكل
دائري ، الرسم يذكرنا بالزخرفة السمنزية
التي بدأ بها الفن الاغريقي في آسيا ابان القرن

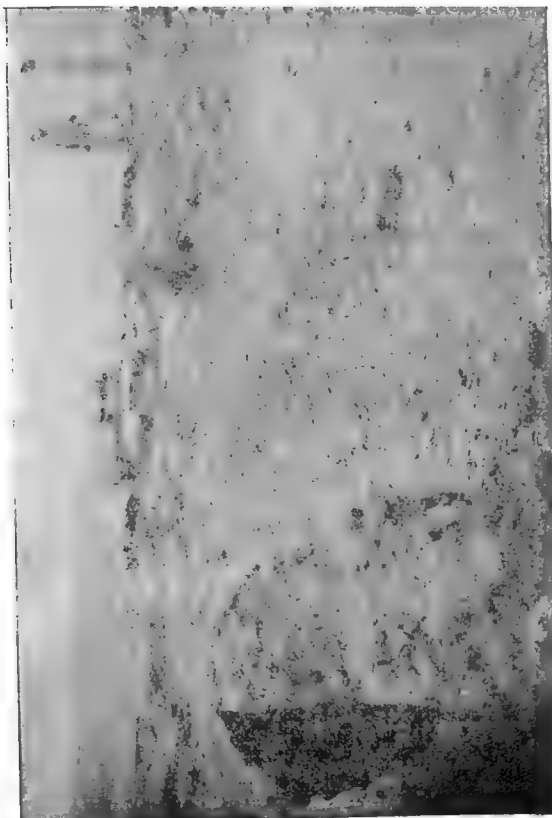
نماذج من الأواني الفخارية المختلفة
والتي عثر عليها داخل المنازل

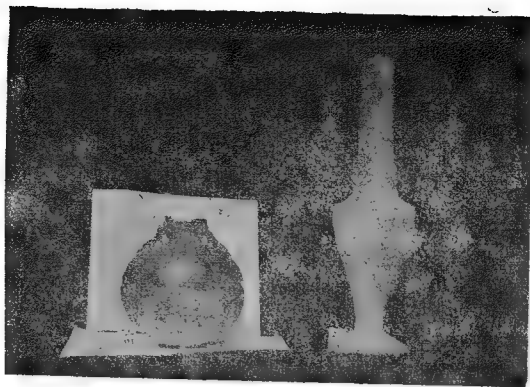




ومعيارين صغيرين من الزجاج
صورة أخرى لتدور من الفخار

سورة اعداء مخازن اللؤلؤ





اناءان من الفخار

القصة على لسان الحيوان بين العربية والفارسية (١)

دكتور محمد فتحى يوسف الرئيس

استاذ مساعد اللغة والادب الفارسى

يقسم اللغات الشرقية

المعروف أن كتاب كليلة ودمنة من أصل هندى ثم نقل إلى اللغة البهلوية في عهد كسرى انوشيروان في القرن السادس الميلادى (٥٣١-٥٧٩ م) ، حتى نجاء ابن المقفع في النصف الأول من القرن الثانى المجرى فترجمه من البهلوية للعربية . والمرجح الآن أن الأصل البهلوى الذى كتبه برزويه الطيبى المروزى نقل عن كتاب هندى اسمه « بنجاتنرا » (٢) ، وتعرف أقدم نسخ هذا الكتاب باسم « تانتر كهيايكا » وقد بقى الكتاب محفوظاً في كشمير والمناطق المجاورة . وتوجد عدة نسخ من البنجاتنرا بينها اختلاف كبير ولكن أقربها إلى النصين العربى والفارسى متن نشره مستشرق من أصل ألماني اسمه فرانك ادجرتون (٣).

وكلمة تنترا لها معان كثيرة ، ولكن يقصد بها في هذه التسمية معنى الباب أو الكتاب ، وكهيايكا تعنى القصة ، وعلى هذا فان تنترا كهيايكا تعنى كتاب القصص ، ويقصد بها القصص التمثيلية والتعليمية المتعلقة بآدور الحياة والمعاش (٤). ويقولون ان التنترا كهيايكا ألقت في كشمير موطن الأدب التمثيلى في الهند ، وذلك في حوالى القرن الثانى قبل الميلاد ، وتوجد أقدم نسخة من هذا الكتاب في جامعة الدكن في بونا (٥) . كما توجد عدة نسخ أحدث منها وبلغات هندية أخرى تعد بالآلاف في أماكن متفرقة من الهند .

(١) كلمة حيوان للدلالة على غير الإنسان كالجان والحيوان والطير والحشرات .

(٢) Panchatantra (٣) F. Edgerton

(٤) بنجاتنرا - الترجمة الفارسية ص ٥

[(٥) المرجع السابق ص ٦ .

أما سبب انتقال هذا الكتاب إلى الفرس فيذكرون عدة روايات لا تخلو من العطفة ، منها أن كسرى انوشيروان ملك الفرس سمع أن بالهند عشياً يحى الموتى ففرح بهذا النبا وأرسل طبيبه الخاص برزويه إلى الهند ليأتى له بهذا العشب ، ولكنه لم يعثر عليه . وفى أثناء إقامته هناك سمع بهذا الكتاب وبغيره من كتب الهند فى الأدب والدين فقام بمساعدة العلماء هناك بترجمة هذا الكتاب إلى البهلوية وحمله معه إلى إيران ولكنه لم يلتزم بالأصل الذى نقل عنه وإنما أضاف إليه من كتب هندية أخرى مثل «المهاباراتا» (٦) التى اقتبس منها ثلاثة أبواب هى :

(١) باب السنور والجرد (٢) باب الطائر وابن الملك (٣) باب الأسد وابن آوى .

وقد فسر أبو المعالى نصر الله فى ديباجته لترجمة كليلة ودمنة الفارسية هذه القصة فقال : «سأولوا أحد براهمة الهند عما يقال من أن فى الهند نجبالا تنبت أعشاب أدوية تحيى الموتى فإ السبيل للحصول عليها»

فاجاب : حفظت شيئاً وغابت عنك أشياء ، لأن هذا الكلام من رموز المتقدمين وإشاراتهم ، فالنجبال هى العلماء ، والأدوية كلامهم ، أما إحياء الموتى فهم الجهلاء الذين يجنون طريقهم إلى الحياة بكلام العلماء ، وقد جمع هذا الكلام فى كتاب كليلة ودمنة المحفوظ فى خزائن ملوك الهند (٧).

وهناك رواية ثانية تقول أن أحد ملوك الهند أقام احتفالاً كبيراً بمناسبة الانتهاء من جمع هذه القصص وكتابتها دعا إليه العلماء من كافة الدول المجاورة ، وقد اشترك برزويه - نيابة عن إيران - فى هذه الاحتفالات نظراً لتبحره فى العلوم واللغات . وبعد انتهاء الاحتفالات وضع الكتاب تحت حراسة مشددة ولكن برزويه استطاع عن طريق اغراء أحد العلماء الهنود بالمال أن يلقى نظرة سريعة عليه وينقله بعجلة إلى اللغة البهلوية .

(٦) mahabharata وتقع المهاباراتا فى ١٨ جزءاً منظومة بالشعر جمعا شخص اسمه بياس وقد أطول كتب خماسى فى جميع الآداب المالية وتضم اشعارا لأكثر من مائة شاعر ولها قدسية دينية عند الهنود .

(٧) كليلة ودمنة جبرام شامى ص ١٨ .

وقد حسم ابن المقفع نفسه هذا الأمر فقال في باب « بعث كسرى انوشيروان برزويه » وكان فيما يطلب من العلم — يقصد انوشيروان — ويبحث عنه أنه بلغه أن كتاباً من كتب الهند عند ملوكهم وعلماهم نفيس مخزون ، وهو أصل كل أدب ورأس كل علم والدليل على كل منفعة ومفتاح طلب الآخرة والعمل للنجاة من هولها ، والمقوى لما يحتاج إليه الملوك لتدبير ملكهم ويصلحون به معاشهم وهو كتاب كلية ودمنة » (٨).

وعلى هذا فإن الروايات الأخرى ما هي إلا من باب القصص التي اعتاد الأدباء والمؤرخون ترديدتها ازاء كل عمل عظيم أو شخصية مشهورة .

على أية حال فقد أحضر برزويه هذا الكتاب من الهند واختار له اسم حيوانين من الحيوانات التي جاء ذكرها في الكتاب وهما « كراتاكا ودمناكا » وقد عرب الإسمان إلى كلية ودمنة . وللأسف فإن هذه الترجمة البهلوية فقدت بعد نقلها إلى اللغة العربية .

ومن المفارقات أن هذه الترجمة البهلوية كانت قد نقلت إلى اللغة السريانية في أواخر القرن السادس الميلادي (٥٧٥ م تقريباً) ، وقام بهذه الترجمة قسيس سرياني اسمه بود (٩) وهو صاحب كتاب المسائل اليوناني (١٠) في حكمة أرسطو . وقد عاش بود في عصر خسرو انوشيروان (٥٣١-٥٧٩ م) ويحتمل أنه عاصر أو شاهد برزويه الطبيب صاحب الترجمة البهلوية . وظلت هذه الترجمة مجهولة إلى أن عثر عليها في دير الزعفران في ماردين (١١) سنة ١٨٧٠ م ونشرها العالم جوستاف بيكل مع ترجمة ألمانية في عام ١٨٧٦ م ، وتعد هذه النسخة السريانية أقرب إلى الأصل البهلوي من ترجمة ابن المقفع (١٢).

وهناك ثلاث ترجمات سريانية أخرى ولكنها منقولة عن نسخة ابن المقفع العربية أحدثها ترجمت في القرن التاسع عشر الميلادي وهي بالسريانية الجديدة أو الآسورية،

(٨) كلية ودمنة — طبعة الحياة ببيروت ص ٥٠ .

(٩) Bod—Bud (١٠) alephmigin

(١١) مدينة في جنوب شرق تركيا قرب الحدود السورية العراقية .

(١٢) بنجاتنرا ص ٢١٤ .

وقام بهذه الترجمة الراهب توماس اودو أسقف الكلدانين في أورمية (١٢) باذريجان الغربية بإيران ، وقد طبعت في مطبعة الآباء اللوميينكان في الموصل طبعه حجر عام ١٨٩٥ م (١٤).

وترجم كتاب كليله ودمنة إلى معظم اللغات الأوربية وقلده كثير من كتاب الغرب ، وكان أساس كل هذه الترجمات هو كتاب ابن المقفع . ولئن نتعرض هنا للترجمات الغربية وأثر كليله ودمنة في الأدب الغربي فهذا موضوع يحتاج إلى دراسة متخصصة على حدة .

الترجم العربية والفارسية

الأصل في كل هذه التراجم أو المنظومات أو محاولات التقليد هو كتاب ابن المقفع ، وهو الذي نسج على منواله كل من كتب قصصاً على لسان الحيوان ، وكتاب ابن المقفع معروف لا داعي للدخول في الحديث عنه .

في العصر العباسي الأول عهد جعفر بن خالد البرمكي إلى عبد الله بن هلال بترجمة الكتاب مرة ثانية له ، ولكن لم يصلنا شيء من هذه الترجمة . كما كلف جعفر أبان بن عبد الحميد اللاحق بنظم كليله ودمنة فنظمه في ١٤٠٠٠ بيت لم يبق منها سوى ٧٦ بيتاً ذكرها الصولي في كتابه الأوراق (١٥).

وهناك أيضاً نتائج الفطنة في نظم كليله ودمنة للشريف بن الهبارية المتوفى سنة ٥٥٤ هـ وهو الذي ألف كتاباً آخر على شاكلته سماه « الصادح والباغم » كما نظم الكتاب شعراء آخرون منهم علي بن داود وبشر بن المعتمر ، وأبي المكارم أسعد ابن خاطر ، كما وضع سهل بن هارون كتاباً سماه « ثلثة وعفراء » ، وللأسف لم يصلنا شيء من هذه الكتب .

وكتب إخوان الصفا في القرن الرابع الهجري رسالة « الحيوان والإنسان » ، وهي في ظاهرها حوار يدور أمام يوراسب الحكيم ملك الجن الذي يحكم بين مجموعة من الناس وبين سائر الحيوان ، ولكن الرسالة في حقيقتها عبارة عن الآراء

(١٣) تعرف حالياً باسم رضائية نسبة لرضا شاه بهلوي مؤسس الأسرة البهلوية .

(١٤) بنجاتنرا ص ٢١٤ .

(١٥) الأدب المقارن - محمد غنيمي هلال ص ١٨٥ .

الفلسفية التي اعتنقها إخوان الصفا وأجروها هنا على لسان الحيوان ، فهم على لسان الصرصر مثلاً يقولون « كان قبل الأماكن والأزمان ، والجواهر ذوات الكيان ، لاسماء فوقه ولا أرض تحته ، محتجب بنوره ومتوحد بوحدايته وأسرار غيبه حيث لاسماء مبنية ولا أرض مدحية ، ثم قضى ودبر كما شاء قدر ، فأبدع نوراً بسيطاً لا من هيولى مهيمة ولا من صورة متوهمة ، بل قال كن فكان ، هو العقل الفعال ذو العلم والأسرار ، خلقه لا لوحشة كان في وحدته ولا لاستعانة على أمر من الأمور » (١٦).

ويتناول إخوان الصفا أثناء المحاكاة بين الإنسان والحيوان صفات كثير من الحيوان، ويذكرون حكمة الله في خلقه لها وفائدتها التي تخفى عن الناس ليبنوا حكمة الله في خلقه كما يتعرضون لصفات الإنسان السيئة والقيحة كالحروب والقتال والاستغلال والتكبر وغير ذلك . وفي أثناء المحاكاة يشيرون إلى كلفة ودمنة مما يقطع باطلاعهم على الكتاب وتقليدهم له فيقولون « فلما فرغ العراقي من كلاله نظر الملك إلى طوائف الحيوان الحضور فقال « ما تقولون فيما ذكر وافترخ عليكم ؟

فقام عند ذلك زعيم السباع وهو كلفة أخو دمنة فقال

ويلاحظ هنا أنهم جعلوا كلفة وهو أحد أبناء آوى - عند ابن المقفع - زعيماً للسباع هنا .

وقد أشار إخوان الصفا في آخر الرسالة إلى غرضها والباعث على جعلها على لسان الحيوان فقالوا « وأنت - يا أخى - قاعلم علم اليقين أن تلك الأوصاف التي غلبت الانس على طبقات الحيوان بحضور ملك الجن ، هي التحقق بالعلوم والمعارف التي أوردناها في إحدى وخمسين رسالة باوجز ما يمكن وأقرب ما يكون ، وهذه الرسالة واحدة منها . ونحن قد بينا في هذه الرسالة ما هو الغرض المطلوب على لسان الحيوان ، فلا تظن بنا ظن السوء ولا تعد مقالتنا ملعبة لصبيان وغرقة الإخوان ، لأن عادتنا جارية على أننا نبين الحقائق بالفاظ وعبارات على وجه الإشارات وتشبيهات على لسان الحيوانات ، عسى أن يتأمل المتأمل في هذه الرسالة وينبه من نوم الغفلة ،

ويتعظ من مواظ الحيوانات وخطهم ولعله يفوز بالموعظة الحسنة » (١٧).

وهناك كتاب آخر على شاكلة كليلة ودمنة اسمه « درر الحكم في أمثال الهنود والعجم » نظمه عبد المؤمن بن الحسن بن الحسين الصغاني من رجال القرن السابع الهجرى في تسعة آلاف بيت ، وتوجد منه نسخ خطية في فينا وميونخ .

وكان آخر من نظم كليلة ودمنة هو جلال الدين حسن بن أحمد النقاش في كتابه « سلوان المطاع في عدوان الاتباع » ، وتغلب على هذا الكتاب الصبغة الدينية وتوجد نسخة من هذا الكتاب بالمتحف البريطاني وأخرى ببيروت (١٨).

وفي العصر الحديث تأثر بهذا الجنس الأدبي الشاعر المصرى أحمد شوقى وإن كان قد جعل حكاياته ذات صبغة سياسية كما يتضح من الأبيات التالية :

بيننا ضعاف من دجاج الريف	تخطر في بيت لها ظريف
إذ جاء هندي كبير العرف	فقام في الباب مقام الضيف
يقول حيا الله ذى الوجوها	ولا أراها أبدا مكروها
أتيتكم أنشر فيكم فضلى	يوماً ، وأقضى بينكم بالعدل
حتى إذا تهلل الصباح	واقبست من نوره الأشباح
صاح بها صاحبها الفصيح	يقول دام منزلى المليح (١٩)

الترجم الفارسية :

قلنا أن الأصل البهلوى الذى ترجم عنه ابن المقفع كتابه إلى اللغة العربية في النصف الأول من القرن الثانى الهجرى فقد بعد ذلك ، كما أن الترجمة السريانية التى ترجمت بعد نقل الكتاب من الهندية إلى البهلوية بفترة وجيزة قد اختفت أو لم يلتفت إليها أحد ، ولهذا أصبحت ترجمة ابن المقفع هى الأصل الوحيد الذى اعتمد عليه الفرس في إعادة ترجمة الكتاب إلى اللغة الفارسية بعد الإسلام .

(١٧) نفس المرجع ص ١١٧ .

(١٨) الأدب المقارن ص ١٨٩ .

(١٩) نفس المرجع ص ١٩٣ .

وأول ترجمة لكتاب كلیلة ودمنة إلى اللغة الفارسية تمت في عهد الأمير السعيد نصر بن أحمد الساماني (٣٠١ - ٣٣١ هـ) فقد استمع إلى هذا الكلام فاعجبه ولهذا أمر وزيره أبا الفضل البلعي كي يترجم الكتاب إلى اللغة الفارسية ، كما أمر الشاعر الفارسي الضرير أبا عبد الله الرودكي أن ينظم الكتاب فكانوا يقرأونه عليه ويقوم هو بنظمه . ولم يبق من هذه المنظومة سوى بضعة أبيات قليلة (٢٠) .

أما أهم التراجم الفارسية فهي الترجمة المعروفة باسم « بهرام شاهي » وقام بها أبو المعالي نصر الله بن محمد بن عبد الحميد المنشي أحد كتاب ديوان الإنشاء في عصر الأمير بهرام شاه الغزنوي (٥١٢ - ٥٤٧ هـ) . وقد أصبح نصر الله بعد هذا كاتب الإنشاء في عهد السلطان خسرو شاه الغزنوي (٥٤٧ - ٥٥٥ هـ) ثم تولى الوزارة في عهد خلفه السلطان خسرو ملك (٥٥٥ - ٥٨٢ هـ) ولكنه عزل بعد ذلك وسجن ثم قتل ولا يعرف تاريخ قتله على وجه التحديد .

ولا نعرف تاريخ ترجمة هذا الكتاب بالتحديد ولكن الثابت أنه كان في عصر السلطان بهرام شاه أي في النصف الأول من القرن السادس .

ويقول نصر الله المنشي في سبب ترجمته للكتاب « أن فقيهاً اسمه علي بن إبراهيم إسماعيل أهداه نسخة من كتاب كلیلة ودمنة ، ولما كانت همة الناس قد قصرت عن قراءة الكتب العربية فقد رأى أن يترجم الكتاب إلى الفارسية ويبسط فيه الكلام وينير الإشارات ويحليه بالأخبار والأمثال والأبيات ، فلما فرغ من ترجمة بعض أجزائه عرضوها على السلطان بهرام شاه فاعجبه وأمر أن يكمل الكتاب وأن يوضح باسمه وألقابه (٢١) » وبهذا إشتهر الكتاب باسم كلیلة ودمنة بهرامشاهی .

وهناك ترجمات فارسية كثيرة سواء بالنظم أو بالثر مثل « أنوار سهيلي ، ومعيار دانش ، وجلشن آرا ، وشكرستان ، وراي وبرهن » ، كما أن كثيراً

(٢٠) مقفلة شاهنامة الفردوسي الفارسية .

(٢١) كلیلة ودمنة - بهرامشاهی ص ٢٦ .

من شعراء التصوف القروس استخدموا هذا الجنس الأدبي في أشعارهم وضرب أمثالهم ولهذا فإن المجال لتناولها كل على حدة يحتاج إلى بحث طويل لا يتسع له المجال هنا ، ولكننا ننقل إلى كتاب مرزبان نامه الذي ألف على غرار كلية ودمنة .

مرزبان نامه :

ألف هذا الكتاب في أواخر القرن الرابع الهجري وباللهجة الطبرية القديمة التي كانت شائعة في طبرستان ومازندران (جنوبي بحر قزوين) وولفه هو الأصهبند مرزبان بن رستم ابن شهريار بن شروين من آل باوند ملوك طبرستان (٢٢) .

ولا يعرف متى ألف كتاب مرزبان نامه على وجه التحديد ولكن من المرجح أنه ألف في أواخر القرن الرابع الهجري لأن أبا مرزبان وهو الأصهبند رستم ابن شهريار كان معاصراً للإمبر شمس المعالي قابوس بن وشمكير (٣٦٦ - ٤٠٣ هـ) وكان ملكاً على جبال فریم (أو بریم) في طبرستان ، وقد ناب مرزبان عن أبيه بعض الوقت في هذا العمل .

وجاء ذكر هذا الكتاب للمرة الأولى في كتاب قابوس نامه لعنصر المعالي كيكاوس بن إسكندر بن قابوس بن وشمكير (م ٤٧٥ هـ) ، ثم في تاريخ طبرستان لمحمد بن الحسن بن اسفنديار المؤلف سنة ٦١٣ هـ حيث يقول :

« الأصهبند مرزبان بن رستم بن شروين بریم هو الذي ألف كتاب مرزبان نامه على السنة الوحوش والطيور والإنس والجن والشیاطین والذي إذا قرأه العالم العارف بعین الإنصاف لا التقليد ، وأحسن فهمه ، لنثر التراب على علم يبدب الفيلسوف الهندي الذي جمع كلية ودمنة ، ولعلم أنه بهذا الكتاب أصبح للعجم على الهنود وغيرهم درجات من الفخر والامتیاز (٢٣) »

وبقي كتاب مرزبان نامه باللغة الطبرية نحو قرنين إلى أن كان آخر القرن السادس وأوائل القرن السابع تقريباً حين ترجم من الطبرية إلى الفارسية ترجمتان

(٢٢) أصهبند أو سبید رتبة في الجيش تعادل فريق وكانت من القاب ملوك طبرستان .

(٢٣) مرزبان نامه ، المقدمة ص د .

بينهما فاصل زمني يقدر بنحو عشر سنوات أو أكثر قليلاً ، وحليت الترجمة
بالأشعار والأمثال العربية والفارسية ولم يقف أى من المترجمين على ترجمة الآخر
أو علم بها .

روضة العقول :

فى غرة محرم عام ٥٩٨ هـ قام أحد فضلاء مدينة ملطية ويدعى محمد بن غازى
الملطىوى (٢٤) ، والذى عمل كاتباً ثم وزيراً للسلطان أبى الفتح ركن الدين
سليمان شاه بن قليج أرسلان من سلاجقة الروم (٥٨٨ - ٦٠٠ هـ) بترجمة كتاب
مرزبان نامه من اللهجة الطبرية إلى اللغة الفارسية لأنه رأى أن « هذا الجمال يجب
تكميله وهذا الكمال يلزم تكميله ، وأن هذه العروس تحتاج إلى وشاح لائق ، وهذا
الحسن يحتاج إلى شاهد صادق » ولهذا زين الترجمة بكثير من الشواهد الشعرية
والأمثال العربية والفارسية وسمى كتابه « روضة العقول » .

ويختلف كتاب روضة العقول عن مرزبان نامه إختلافاً بيناً من حيث عدد
الأبواب وترتيب الحكايات وزياتها ونقصانها ، فهناك حكايات فى روضة العقول
ليست موجودة فى مرزبان نامه ولهذا وصل حجم روضة العقول إلى ضعف حجم
مرزبان نامه تقريباً . ويشمل كتاب روضة العقول أحد عشر باباً هى (٢٥) :

١ - باب الملك وأولاده .

٢ - باب مناظرة الأمير مع وزير أخيه .

٣ - باب اردشير بابكان مع مهران به العالم .

٤ - باب مناظرة العفريت ذى الظلف مع العالم .

٥ - باب مناظرة العالم مع العفريت .

٦ - باب دافدة والقصة .

٧ - باب الذكى وزر روى .

(٢٤) مرزبان نامه ، المقامة ص ٥ .

(٢٥) ملطية مدينة بآسيا الصغرى تقع بين حلب وسواس ينسب إليها ملطى وملطىوى .

٨- باب ملك الأسود مع ملك الأفيال .

٩- باب الأسد الزاهد والدب الجاهل .

١٠- باب العقاب الصياد والحجلتين .

١١- باب الملك السعيد مع زوجته بونا .

والباب الأخير غير موجود في مرزبان نامه وإنما أضافه الملطوي إلى روضة العقول فيما أضاف .

مرزبان نامه للورائيني (٢٦) :

بعد نحو عشر سنوات أو أكثر قليلا على ترجمة الملطوي لمرزبان نامه ، قام أحد فضلاء العراق العجمي وهو سعد الدين الورايني بترجمة الكتاب مرة أخرى إلى اللغة الفارسية دون أن يكون لديه علم بسبق ترجمته .

وليس لدينا شيء عن سعد الدين الورايني ولا حياته سوى ما ذكره عن نفسه في مقدمة الكتاب وخاتمته من أنه كان من خاصة أبي القاسم ربيب الدين هرون ابن علي بن ظفر دندان وزير الأتابك أذربك بن محمد بن أبلدكر أحد أتابكة أذربيجان وأران (٦٠٧ - ٦٢٢ هـ) وهو الذي جعل باسمه كتاب مرزبان نامه .

ولما كان تاريخ ترجمة مرزبان نامه الفارسي غير معروف بالتحديد ، فالأرجح أنه كان في أثناء وزارة ربيب الدين هذا أي في الفترة من ٦٠٧ إلى ٦٢٢ هـ حيث عاش الورايني في كنفه وحمايته ، وذكر في خاتمة الكتاب أن ربيب الدين بعد أن أعفى من منصبه أقام داراً عامرة للكتب في جامع تبريز كانت تضم ألفين من الكتب في مختلف العلوم والفنون غير ما أمر بجمعه لها ، كما جعل بالدار خمسة عشر ناسخاً ينسخون ما يشاءون من الكتب ليزداد ما تحتويه منها الدار وقال الورايني أن خاتمة مرزبان نامه تصادفت كتابتها مع افتتاح هذه الدار ليضاف إلى ذخائرها (٢٧) .

(٢٦) نسبة إلى مدينة صغيرة إسمها وراوى تقع في جبال أذربيجان بين أردبيل وتبريز .

(٢٧) مرزبان نامه الفارسي ص ٣٠٠ .

ويقول الراوي في سبب تأليف الكتاب أن شروين كان له خمسة أولاد
يمتازون جميعاً برجحان العقل ورياسة الرأي والاستعداد للملك ، فلما توفي
شروين بويج ابنه الأكبر ، ولكن الشقاق ظهر بين الأخوة بعد مدة من الزمان
وطالب الأخوة بالملك إلا مرزبان الذي كان يمتاز عن اخوته بالفضل والزهد
في خطام الدنيا ، وخشى أن يتطرق إلى ذهن أخيه الملك أنه في جانب إخوته
المخالفين له ولهذا إستقر رأيه على السفر إلى مكان بعيد والإقامة خارج المملكة
حتى لا تتفكك الأخوة وتضعف المحبة بين الأشقاء .

حين علم جمع من الأكابر والأعيان بما اعتزمه مرزبان طلبوا منه أن يكتب
لهم كتاباً يشتمل على لطائف الحكمة وفوائد الفطنة ليجعلوه هادياً في معاش دنياهم
ومعاد آخرتهم ، وأن يجعل فيه بعض المواعظ والزواجر لتصل إلى سمع أخيه
الملك لعلها تهديه إلى سلوك الطريق القويم . لكن مرزبان رأى أن يستأذن أخاه
في الخروج من المملكة وكتابة الكتاب الذي طلبه الكبار والأعيان ، فلما مثل
بين يديه وعرض ما لديه ، إستشار الملك وزيره الذي قال ان خروج مرزبان
فكرة حسنة لأن فيها نقصاً لعدو من الأعداء واقتلاعاً لشوكة من قلب المملكة
أما فيما يتعلق بالكتاب فيخشى أن يعرض فيه بالملك فيصبح حديثه سمراً للناس ،
فان كان يريد أن يقول شيئاً أو ينصح نصيحة فعليه أن يقولها في حضوره —
أي الوزير — حتى يظهر للملك ما في نصائح ذلك الفضولي من زيف وما في
مواعظ ذلك المرائي من هتان .

فلما كان اليوم التالي استدعى الملك أخاه إلى مجلسه في حضور الوزير والأعيان
وطلب منه أن يحدثه بما أراد ، فاخذ مرزبان في الحديث بلفظ فصيح وأسلوب
بليغ وبيان واضح شيراً إلى الخلل في أمور المملكة وتطاول الحكام وكساد سوق
العلم والعلماء ، وقال : لقد سكنت على ما كنت أرى إلى أن أمرني الملك بالكلام
لأن القرابة مما لا يقطع بالسيف ولأن علاقتي الأخوة مما لا يشتري بكل علق
نفيس مثل ما حدث لامرأة اسمها هنبوى .

وهنا يسأله أخوه الملك وما قصتها ؟ فيذكرها مرزبان مستشهداً بها على صدق

ما يقول ويستمر الحوار بين الوزير ومرزبان ، وتستمر القصص المتتالية والمداخلات على هذا النحو في الكتاب وفي أبوابه المختلفة أيضاً .

ويشتمل كتاب مرزبان نامه الفارسي على تسعة أبواب ومقدمة وخاتمة ، كل باب يشتمل على عدة قصص كما هو المتبع في كليلة ودمنة وكل الكتب التي قلده وجرت مجراه ، وهذه الأبواب بعد الديباجة هي :

١ - تعريف الكتاب وذكر واضعه وبيان سبب وضعه .

٢ - الملك السعيد الحظ ووصاياه لأبنائه عند وفاته .

٣ - الملك أردشير ومهران به العالم .

٤ - العفريت ذو الظلف وعالم الدين .

٥ - دادمه والقصة .

٦ - الذكي وزر روى .

٧ - الأسد وملك الأفيال .

٨ - الجمل والأسد الزاهد .

٩ - العقاب والحجلتين .

١٠ - الخاتمة ، وتنتهي بقصيدة فارسية من ٢٠ بيتاً يمدح بها الوزير ربيب الدين

وتتفق هذه الأبواب مع أبواب روضة العقول إلا في أن الباب الرابع في مرزبان نامه يضم البابين الرابع والخامس في روضة العقول وهما المناظرة بين العفريت والعالم والمناظرة بين العالم والعفريت . كما أن باب الملك السعيد وزوجته بونا في روضة العقول غير موجود في مرزبان نامه ، وهذا ما جعل أبواب روضة العقول أحد عشر باباً وأبواب مرزبان نامه تسعة فقط .

وذكر الراوي أنه انتقى ألفاظ الكتاب ، فلا تجد فيه لفظاً شارداً أو كلمة ياردة يمجها السمع وتاباها النفس ، كما أنه تجنب إستعمال الشواهد الشعرية العربية والفارسية التي إستعملها الآخرون في كتبهم ، فلم يشم وردة سبق إستخدامها

ولا مس زهرة سبق قطافها كما أن موضوعاً بعينه إذا تكرر في أماكن كثيرة فإنه لم يكرر كلمة واحدة سبق إستعمالها أو جرى تداولها إلا فيها ندر (٢٨) .

وقد بلغ الوراوي في كتابه مرزبان نامه بالنثر الفارسي أعلى مراتب الفصاحة والبلاغة بل إنه في بعض مواضعه تجاوز النثر المصنوع إلى النظم المنشور .

مرزبان نامه العربي :

ترجم كتاب مرزبان نامه إلى اللغة العربية وقام بالترجمة الشيخ العلامة أفضى القصاة شهاب الدين أحمد بن محمد بن عرب شاه الحنفي الدمشقي المتوفى سنة ٨٥٤ هـ .

والترجمة العربية لم تنقل عن الأصل الطبري أو الترجمة الفارسية بل أخذت عن ترجمة تركية كما يصرح بهذا ابن عريشاه إذ يقول « وقد وضع في ذلك كتاب يسمى بمرزبان نامه مترجم باللسان التركي من الفارسي ، فأشار إلى المخدم الذي لا يمكنني مخالفته أن أترجمه باللسان العربي فامتثلت أمره وترجمته ، وقد جعله واضعه ثمانية أبواب (٢٩) :

١- في تسميته وسبب وضعه .

٢- في ذكر العالم والعفريت .

٣- في ذكر أحوال الثعلبين .

٤- في ذكر الكلب المسمى بالذكى والعز .

٥- في ذكر السبع وسلطان الأفيال .

٦- في ذكر وقائع الجمل والأسد .

٧- في ذكر العقاب والحجلتين :

٨- في معاملة الأحباب .

أما الترجمة العربية فتتفق عناوين أبوابها مع الأبواب السابقة تماماً وإن كانت تختلف مع الأصل الفارسي من حيث الترتيب والتقديم والتأخير ، كما أن ابن عريشاه

(٢٨) مرزبان نامه الفارسي ص ٢٩٦ .

(٢٩) مرزبان نامه العربي ص ٥ .

أضاف فصلين في آخر الكتاب هما فصل « ليعلم الناظر في هذا الكتاب أن فيه من الحكم ولطائف الكلم » والثاني « فصل وينبغي أن لا يتمنى لقاء العدو » .

ويلاحظ على الترجمة العربية أنها ركيكة الأسلوب تكاد تقرب من العامية مثل هذه البارة « قالت لبنها يا بنى أن أولاد ملوك الطير خطبوك وأنا أخشى أن أزوجك لمن لا يعرف بمقدارك فلا تستريحى معه ، وقد خطبك ابن صاحبتى القديمة فلانة البومة » كما أن الأشعار الفارسية والأمثال لم تترجم أو تضمن معانيها في الترجمة العربية بل إن بعض الجمل الموجودة في النسخة الفارسية غير موجودة في الترجمة العربية ، واختفى الاسهاب والاسترسال البليغ والترادف الذى يعطى للجمل حلاوة وللكلام طلاوة وهو ما حرص عليه الرواينى في الترجمة الفارسية .

فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء :

لابن عربشاه كتاب آخر على شاكله مرزبان نامة وهو كتاب فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء وتتفق المقدمتان في الكتابين إتفاقاً تاماً من أولهما حتى كلمة « أما بعد » اللهم إلا في بعض الكلمات البسيطة التى لا تغير من المعنى شيئاً .

ويختلف كتاب فاكهة الخلفاء عن مرزبان نامة في تسميات بعض الأبواب والقصص وإن كان هناك تشابه في بعضها الآخر ، ويغلب السجع على تسميات الأبواب ويتضح هذا من العناوين التالية :

الباب الأول - في ذكر ملك العرب الذى كان لوضع الكتاب السبب .

الباب الثانى - في وصايا ملك العجم المتميز عن أقرانه بالفضل والحكم .

الباب الثالث - في حكم ملك الأتراك مع فتنة الزاهد شيخ النساك .

الباب الرابع - في مباحث عالم الإنسان مع العفريت جان الجان .

الباب الخامس - في نوادر ملك السباع ونديمه أمير الثعالب وكبير الضباع .

الباب السادس - في نوادر اتيس المشرق والكلب الأفريق .

الباب السابع - في ذكر القتال بين أبى الأبطال الريال وأبى دغفل سلطان

الأفيال .

الباب الثامن - في حكم الأسد الزاهد وأمثال الجمل الشارد .

الباب التاسع - في ذكر ملك الطير العقاب والحجلتين الناجيتين من العقاب .

الباب العاشر - في معاملة الأعداء والأصحاب وسياسة الرعايا والأحباب

ونكت أخبار وتواريخ اختيار وأشرار .

وأسلوب فاكهة الخلفاء أجمل من أسلوب مرزبان نامة العربي مع أن مؤلفهما واحد ولعل هذا يرجع إلى أن ابن عربشاه في كتاب مرزبان نامة كان يترجم عن أصل تركي فكان مقيداً في أسلوبه إلى حد ما ولكنه كان في كتاب فاكهة الخلفاء يكتب على سبيلته دون قيد أو التزام بمعنى أو بنص يحد من حريته .

وتوجد ثلاث نسخ خطية من مرزبان نامة العربي إحداها في المكتبة الوطنية بباريس ، والثانية في مكتبة برلين ، والثالثة في مكتبة جوتة ، وقد طبع هذا الكتاب في مصر طبعة حجر سينة عام ١٢٧٨ هـ وحل ببيع بعض الصور التي تمثل بعض أحداث القصص وكانها من رسوم أطفال في مدرسة ابتدائية .

هذه نسخة سريعة عن هذا الجنس الأدبي بين أصله الهندي وترجماته الفارسية والعربية أو محاكاته وتقليده في اللغتين ولا زال الموضوع رغم الدراسات المتعددة التي جرت يحتاج إلى مزيد من الدراسات والبحوث المتخصصة الطويلة للدقارنة بين هذا الكتب جميعاً .

واختتم هذه الدراسة القصيرة بترجمة لثلاثة أبيات من منظومة كلية وحمنة لأبي عبد الله الرودكي التي فقدت ولم يصلنا منها إلا أبيات قليلة حيث يقول :

منذ أظلت السماء الانسان	لم يستغن عن العلم والايمان
واجتمع العلماء في كل مكان	وكتبوا اسرار المعرفة بكل لسان
لأن المعرفة في قلب الإنسان	درع يحميه من أحداث الزمان .

مطبوعات معهد البحوث والدراسات العربية

(مايو ١٩٧٧ - أبريل ١٩٧٨)

- ١ - العلاقات العربية الإفريقية - دراسة تاريخية للأكار السلبية للاستعمار -
باشراف أ. د. جمال زكريا قاسم .
- ٢ - ندوة البترول العربي والآفاق المستقبلية لمشكلة الطاقة بغداد ٢٠-٢٣ نوفمبر
١٩٧٦ - باشراف الأستاذ الدكتور على لطفى .
- ٣ - إستخدام عوائد النفط العربى حتى نهاية السبعينات - باشراف الأستاذ
الدكتور فؤاد هاشم .
- ٤ - قانون البحار الجديد والمصالح العربية - باشراف أ. د. مفيد شهاب .
- ٥ - توحيد مصطلحات الشهر العقارى فى البلاد العربية - أ. د. جميل الشرقاوى
- ٦ - الفلسطينيون فى الوطن العربى : دراسات فى أوضاعهم الديموجرافية
والاجتماعية والاقتصادية والسياسية - باشراف أ. د. أحمد صدقى الرجاني ،
أ. د. السيد ياسين ، أ. د. على الدين هلال .
- ٧ - العلاقات العربية الإفريقية : دراسة تحليلية فى أبعادها المختلفة باشراف أ. د.
محمود خيرى عيسى .
- ٨ - معالم على طريق الكلاسيكية العربية الحديثة : طه حسين ومحمود تيمور
باشراف أ. د. محمد خلف الله أحمد .
- ٩ - الأطماع الصهيونية فى مياه الأردن واللبطاني - باشراف أ. د. عز الدين
الخيرو .
- ١٠ - الوظيفة الإتصالية لجامعة الدول العربية - باشراف أ. د. عبد الخبير
محمود عطا .

- ١١ - دراسة مقارنة بين السد العالي وسد الفرات - باشراف أ. د. أجيە يونان .
- ١٢ - دراسات في الاقتصاد السعودى - باشراف أ. . محمد على رضا الجاسم .
- ١٣ - وثيقة كوينج وعرب الأرض المحتلة - باشراف أ. د. عبد المنعم سعيد .
- ١٤ - إدارة الاقتصاد الاسرائيلى - باشراف أ. د. السيد عليوه .
- ١٥ - المدينة المنورة : التركيب الوظيفى . . النمو والتغيرات - باشراف أ. د. عمر الفاروق سيد رجب .
- ١٦ - الأصول التاريخية للمشكلة الإريترية - باشراف أ. د. السيد رجب حراز .
- ١٧ - ندوة قانون البحار الجديد والمصالح العربية - القاهرة ١٢-١٤ يناير ١٩٧٦ (كانون الثانى) .
- ١٨ - سيولوجية الثقافة - باشراف أ. د. الطاهر ليب .
- ١٩ - الجغرافيا السياسية لإسرائيل - باشراف أ. د. محمود توفيق محمود .
- ٢٠ - مشكلة فلسطين والصراع الدولى ١٩٤٥-١٩٦٧ - باشراف أ. د. محمد نصر الدين مهنا .
- ٢١ - الصهيونية والعنصرية - باللغتين الفرنسية والإنجليزية - باشراف أ. د. مفيد شهاب ، أ. د. السيد ياسين ، أ. د. يونان ليب رزق .
- ٢٢ - جامعة الدول العربية : ميثاقها وإنجازاتها - باشراف أ. د. مفيد شهاب .
- ٢٣ - العدد الثامن (خاص بالموارد المائية فى الوطن العربى) - مجلة المعهد العلمية .
- ٢٤ - جامعة الدول العربية وتسوية المنازعات المحلية - باشراف أ. د. بطرس بطرس غالى .
- ٢٥ - الفكر الإسرائيلى وحلود الدولة - باشراف السيد / عادل محمود رياض .
- ٢٦ - المؤسسة العسكرية الإسرائيلية الاستراتيجية - البناء - الإطار الفكرى للسيد / عبده مباشر .
- ٢٧ - الشخصية : النظرية - التقييم - مناهج البحث - باشراف أ. د. نعيمة الشاع .

- ٢٨ - أركان الظاهر كـهـصـلـر للحق : التنازع بين القانون والواقع المستقر -
باشراف أ. د. نعمان خليل جمعه .
- ٢٩ - الحرب الوقائية في استراتيجية إسرائيل العسكرية - للسيد / جميل عائد
الجبوري .
- ٣٠ - الحركة الوطنية الجزائرية : الجزء الثالث ١٩٣٠-١٩٤٥ طبعة ثانية منقحه
باشراف أ. د. أبو القاسم سعد الله .
- ٣١ - الصحافة العربية في الجزائر : دراسة تحليلية لصحافة الثورة الجزائرية ١٩٥٤
١٩٦٢ - باشراف أ. د. عواطف عبد الرحمن .
- ٣٢ - السوق العربية المشتركة - للسيد / أحمد البار .
- ٣٣ - التعاون النقدي العربي : مجالات وإمكانياته - للسيد / سليمان حميد المنذرى .
- ٣٤ - ملخصات البحوث المقدمة لثروة مشكلة الغذاء في الوطن العربي (المتقدمة
بالكويت من ٩-١٢ أبريل « نيسان » ١٩٧٨) .
- ٣٥ - الأزمة اللبنانية - أصولها - تطورها - أبعادها المختلفة - باشراف الأستاذ
الدكتور جمال زكريا قاسم .
- ٣٦ - دراسات في تنسيق الخطط والتكامل الإقتصادي العربي - تجارب تخطيطية
في بعض الأقطار العربية .
- ٣٧ - دراسات حول ضمانات الاستثمار في قوانين البلاد العربية - باشراف أ. د.
يحيى الجمل .

تم الطبع بالمراقبة العامة لمطبعة
جامعة القاهرة والكتاب الجامعى
المراقب العام
البرنس حمودة حسين
١٩٨٠/٤/١٣

رقم الايداع ١٥٢ سنة ١٩٧٨

(مطبعة جامعة القاهرة ٣٤٩/١٩٧٨/٩٥٠)

Printed by :

Press and University Book Department

AL BRINCE H. HUSSEIN

Supervisor General

17-3-1979

NATIONAL LIBRARY LEGAL DEPOSIT

No. 152 — 1979

Cairo Univ. Press, 349-1978-500 ex.

BIBLIOGRAPHY

1. CHADWICK (JOHN) : *The Decipherment of Linear B*, Cambridge, 1958.
2. DODDS (E.R.) : *Euripides Bacchae*, Oxford, 1960.
3. — : *The Greeks And The Irrational*, (Sather Classical Lectures, vol. XXV), California, 1963.
4. FARNELL (L.R.) : *The Cults Of The Greek States*, vol. V, Oxford, 1909.
5. GRANT (MICHAEL) : *Myths Of The Greeks And The Romans*, London, 1962.
6. GUTHRIE (W.K.C.) : *The Greeks And Their Gods*, Methuen, 1950.
7. — : "Early Greek Religion In The Light Of The Decipherment Of Linear B". Bulletin of The Institute of Classical Studies, University of London, VI (1959), pp. 35-46.
8. JAEGER (WERNER) : *The Theology Of The Early Greek Philosophers*, Oxford, 1947.
9. KABERRY (PH.M.) : "Myth And Ritual, Some Recent Theories", Bulletin Of The Institute of Classical Studies, IV (1957), pp. 42-54.
10. LANG (MABEL) : "The Palace Of Nestor Excavations of 1960" (Part II), American Journal Of Archaeology, LXV (1961), pp. 158-163.
11. LESKY (ALBIN) : *Greek Tragedy* (translated by H.A. Frankfort, with a foreword by E.G. Turner), London, 1965.
12. NILSSON (MARTIN P.) : *A History Of Greek Religion* (translated by F.J. Fielden), Oxford, 1925)
13. — : *The Minoan-Mycenaean Religion And Its Survival In Greek Religion*, Lund (C.W.K. Clearup), 1950.
14. PICKARD-CAMBRIDGE (SIR ARTHUR) : *Dithyramb, Tragedy And Comedy*, (revised by T.B.L. Webster), Oxford, 1962,
15. POLLARD (JOHN) : *Seers, Shrines And Sirens (The Greek Religious Revolution In The Sixth Century)*, London, 1965.
16. PUHVEL (JAAN) : "Eleuther And Oinoatts, Dionysiac Data From Mycenaean Greece" (in Bennett, *Mycenaean Studies*, University of Wisconsin Press, 1964, pp. 161-170).
17. RHODE (ERWIN) : *Psyche, The Cult Of Souls And Belief In Immortality Among The Greeks* (translated by W.B. Hillis), London, 1925.
18. VENTRIS (M) & CHADWICK (JOHN) : *Documents In Mycenaean Greece*, Cambridge 1956.
19. — : "Evidence For Greek Dialect In The Mycenaean Archives", Journal Of American Studies, LXXIII (1953), pp. 84-103.
20. WEBSTER (T.B.L.) : *From Mycenae To Homer*, Methuen 1958.
21. — : "Monuments Illustrating Tragedy And Satyrplay", Bulletin Of The Institute Of Classical Studies, University of London, Suppl. no. 14 (1962), passim.
22. — : "Some Thoughts On The Pre-history Of Greek Drama", Bulletin Of The Institute Of Classical Studies, University of London, V (1958), pp. 43-48.

extent one of the Boeotian cities, Thebes, was important ⁽¹⁾. Before the worship of Dionysus was introduced into a city a band of Theban maenads was sent to organise and establish the new cult. These maenads were sent according to a divine oracle⁽²⁾. This may not seem surprising, for at that time mythology had established Thebes as the birth-place of Dionysus and the burial place of Semele. In the time of Plutarch Boeotia (especially Thebes and Orchomenus) was the field of many vehement rites and the female worshippers were liable to meet with troubles and dangers which may have sometimes led them to death⁽³⁾. In Macedonia, ἐκ τοῦ πανυ πάλαιου down to the fourth century, all women were addicted to the orgies of Dionysus. They were encouraged by their princess Olympias, the wife of Philip and the mother of Alexander the Great, who provided them with snakes. They were decked with ivy and garlands and equipped with winnowing baskets and wands. They were described as imitating in many ways the Edonian and the Thracian female worshippers of Dionysus⁽⁴⁾. If we are to believe the story of the Macedonian dog-eating tribe, δμοφαγία was practised in the fifth-century at least in some Macedonian villages. One of the fifth-century famous Greek writers is said to have known this story and to have interceded and defended the deed of the tribe before the king of Macedonia, his host at that time⁽⁵⁾.

These were some brief observations on the position of the god Dionysus among the Greeks. And thus Homer's "SILENTIUM" of Dionysus may be now justified.

(1) Guthrie, *The Greeks*, p. 162, p. 166 ; Nilsson, *Op. Cit.*, p. 207, p. 208. Guthrie, (*Op. Cit.*, p. 166) believes with Farnell (*Cults*, V, p. 152) that such a band was sent to Magnesia in the fifth century, while Nilsson (*Op. Cit.*, p. 208) seems to allocate it to some time later.

(2) Plut., *Quaest. Graec.*, XXXVIII ; Dem., *Quaest. Conv.*, VIII, 1 ; Pausanias, VIII, 23, 1.

(3) Plut., *Vit. Alex.*, II, 5-6.

(4) Suid., s.v. Εὐριπίδης Murray, *Euripides*, pp. 171-2.

aspect of the Dionysiac character were still observed among the Greeks, at Delphi and even at Athens (in the Anthesteria), at Argos (in the Dionysiac festivals of the Agriana and the Agrionia), at Thebes (in the Agrionia), at Megara, at Lerna, at Melageia in Arcadia and to a great extent at Sparta ⁽¹⁾. Towards the end of the fifth century, on the other hand, Athens seems to have got rid of all these vehement rites and the worship may have been brought under the control of the State. Yet the memory of these rites seems to have been still observed among the Athenians in the religious embassy of women which was sent to Delphi, in obedience to an oracular command, to attend the Trietertia ⁽²⁾. Most — if not all — of the Athenian festivals did not contain the wilder features of the ecstatic rites ; these were kept only into the background and were mentioned by the Athenians as elements of traditional stories. As such they occur as aetiological details appropriate to the circumstances during the festivals which were considered in turn by the Athenians themselves as a source of ἀνάπαυλα τῶν πόνων and which seem to have had more social than religious value. In the fifth-century Athens no biennial festivals on the bare mountain-top in winter (τριετηρίς) existed, nor torchlit midnight roving (δρεμβασία), nor raw flesh eating (ὠμοφαγία). Most of the dreadful orgiastic rites mentioned by the fifth-century Athenian writers were not practised by the worshippers of Dionysus in fifth-century Athens. Yet it cannot be argued that Dionysus was so completely tamed and that his worship was so greatly emasculated that those writers are to be considered as describing things which could not have been found in Greece nor known to their Athenian contemporaries ⁽³⁾. For it is evident that these orgiastic rites were familiar to every Greek and that they formed a characteristic aspect of the Dionysiac worship from the time of these writers down to the time of the Roman empire. In the fifth century, if not earlier, Boeotia was one of the greatest centres of Dionysiac worship. An inscription from Magnesia on the Meander explains to what

(1) Cf. Dodds, *The Greeks*, pp. 270sq.

(2) Idem, *Bacchae*, p. xxii.

(3) Guthrie, *The Greeks*, pp. 178 sqq.

(4) Thebes was celebrated not only in the Dionysiac myth but also in many others such as those of Amphion and Zethus, Oedipus, and the Seven. The importance of Thebes, according to archaeological evidence (Nilsson, *History*, pp. 41–42), goes back to the Mycenaean Age.

to the introduction of the worship of the god into Greece. It has been suggested that such stories may refer to some remote events which took place before the time of the Trojan war ⁽¹⁾. Yet, it seems more justifiable to believe — with Nilsson — in the survival of Minoan Dionysiac ideas and perhaps rites among the aboriginal inhabitants of Asia Minor even after the violent destruction of the Minoan civilisation. These ideas and rites were overwhelmed in the mainland by the ideas and rites of the conquerors and the newcomers. In the Archaic Age missionary movements began to reintroduce the worship of Dionysus (presumably from the north) into Greece. The greatest part of the success of these movements may have depended on these suppressed ideas which found at that time occasion to reappear. The stories of Resistance, then, may be considered to denote a revival of some ideas and perhaps rites which had been known to the Minoans and the Mycenaean ⁽²⁾. Nevertheless, it is evident that various influences, notably Phrygian, Lydian and Thracian, contributed so much in shaping the rites and the ideas of the reintroduced worship that it appeared completely foreign to the Greek community. This may have been partly the reason of the appearance of some resistance stories ⁽³⁾.

It was too difficult, it seems, for the Greeks to accept without opposition or to practise the disorderly and tumultuous worship of Dionysus. It was impossible also to refuse — whatever the reason was — and oppose these orgiastic rites ⁽⁴⁾. But once the worship was introduced — not without opposition — into the Greek states, the Greeks sooner or later began to assimilate it to their own purposes ⁽⁵⁾. Yet some features of the ecstatic

(1) Dodds, *Bacchae*, p. xxi n. 3 ; cf. Pickard-Cambridge, *Dithyramb*, p. 129.

(2) Nilsson, *Minoan*, pp. 575 sqq. ; Webster, *From Mycenae*, pp. 49-51, p. 293.

(3) Rhode (*Psyche*, pp. 283 sqq.), who includes these stories among the aetiological myths, finds in them a plain presupposition that Dionysiac worship was considered by the Greeks themselves to be a foreign religion which came to Greece from abroad. He is sure, on the other hand, that it contains some historical facts about Rhode's Thracian Dionysus. Cf. Guthrie, *The Greeks*, pp. 159-173. Guthrie (*Op. Cit.*, p. 172 n. 2) quotes Tierny (who agrees with Otto, (*Dionysus*, p. 72) and claims that "This explanation is however very improbable ; it is much more likely that the idea of opposition, struggle, and catastrophe was an ancient component of the god's ritual, which represented him as taking violent possession of men's souls and bodies, sweeping them out of themselves, and driving them to act like madmen".

(4) Rhode, *Op. Cit.*, pp. 285-289.

(5) Cf. Winnington-Ingram, *Euripides*, pp. 150-151.

worship was introduced into Greece comparatively late was so prevailing that the comment on this form came to the effect that it "is a surprising name to find, and there is no evidence to prove that it is divine" or that the fragment on which the name occurs is "a shock for the experts" and "the coincidence is striking" ⁽¹⁾. In 1960 other fragments from Pylos were restored and the same form reoccurred on one of these ⁽²⁾. Yet some scholars were still hesitating to accept "the unlikely possibility that the god of wine was worshipped in Pylos" ⁽³⁾. Eventually, the Mycenaean evidence was re-examined by Jean Puhvel and the case was thoroughly discussed in a paper delivered on the 7th of September 1961 A.D. before the Third International Celloquium For Mycenaean Studies, held in Wingspread ⁽⁴⁾. On the analysis of other forms which occur on the Pylos tablets, Puhvel proclaimed that the form di—wo—nu—so—jo cannot be considered a name of a mortal man. The view that the name Dionysus means "son of Zeus" can be attested by the examination of some other Pylia forms. Puhvel concludes that the Pylia tablets show clearly some affinity between Dionysus, Ariadne, and Artemis and connect these divinities with the worship of 'Eleuther' at Knossos⁽⁵⁾.

With some confidence we may say now that the Greeks knew Dionysus eight or nine centuries at least before the golden age of Athens or roughly in the second millenium B.C. ⁽⁶⁾. It is noteworthy that this new conception need not shake the historical foundation of the stories telling of Resistance

(1) Ventris & Chadwick, *Documents*, p. 124 ; cf. Guthrie, *B.I.C.S.*, VI (1959), pp. 40 sqq. ; Chadwick, *Decipherment*, p. 124.

(2) Xb 1419.

(3) Lang, *A.J.A.*, LXV (1961), p. 162. It is noteworthy that at that time few scholars began to analyse the new evidence and make use of other modern documents ; the great contributions of H. Kerenyi (*Diogenes*, 20 (1957), 1—20 ; apud Puhvel, *Eleuther*, p. 162) and Webster (*B.I.C.S.*, V (1958), pp. 43—48 ; *B.I.C.S.*, Suppl. no. 14 (1962), *passim* ; *From Mycenae ; Dithyramb*) cannot be denied.

(4) A paper with the title "*Eleuther and Oinoatis, Dionysiac Data From Mycenaean Greece*" ; see Bibliography.

(5) Puhvel, *Eleuther*, pp. 162—169.

(6) Cf. Rhode, *Psyche*, p. 282. Rhode argues that the worship of Dionysus was not completely established among the Greeks at the time of Homer. He implies that the worship of the god exists at that time but it had not already taken its important position among the Greek divinities, Homer's "silention" is discussed by Guthrie, (*The Greeks*, pp. 160—165) and others.

Lydia. They find evidence in the connection between Dionysus and the Lydian word "Bakivalis" or between Semele and the Phrygian Ζεμελ⁽¹⁾. Nilsson suggests that Mt. Nysa (where the babe Dionysus was reared), which is mentioned by Homer, refers to the mountain-top cults of Asia Minor. Yet he affirms that the element of immigration played the most important rôle in the history of this religion⁽²⁾. The Phrygians were originally Thracians; they left Thrace and went to Asia Minor⁽³⁾. Hence Dionysiac worship was connected with the cult of the Great Mother. This cult was always known as Phrygian, but it actually belonged to Asia Minor. Bringing Dionysus with them from their Thracian home, the Phrygians mixed the worship of the god with their local cult. Yet the influence of the Lydians, who were their neighbours and mixed with them, cannot be denied. The idea of the divine child born of the Earth and not reared by its mother seems to have been borrowed from the Lydians by the Phrygians. Nilsson suggests that this idea may have belonged to the aboriginal inhabitants of Asia Minor who were of the same stock as the Minoans in Crete. The Cretan element was traced in the story of the god by another scholar, Walter Otto, who endorsed the views of Nilsson in rejecting the Thraco-Phrygian origin of the god and went further in assigning an earlier date to the acquaintance of the Greeks with Dionysus⁽⁴⁾.

In spite of the reasonable and instructive suggestions of Nilsson and Otto, Dionysus was still considered a divine newcomer and his worship was still regarded as imported. In 1951-2 A.D. the monuments of Pylos became more accessible, and scholars began to decipher their figures⁽⁵⁾. Among these figures the form di—wo—nu—so—jo is restored and interpreted as Dionysus(6). Yet the view that Dionysus was a non-Greek god whose

(1) On one of the bilingual inscriptions, found in Sardis (*Sardis*, VI. i. 39, line 25), the name βακιβαλῖς=Διονυσικλής. Wilamowitz suggests that βακχός is derived from the Phrygian, Nilsson from the Lydian. Nilsson, *Minoan*, p. 271 (especially n. 33); cf. Dodds, *Bacchae*, p. xx; Guthrie, *The Greeks*, p. 154.

(2) Nilsson, *Op. Cit.*, pp. 564-576.

(3) Guthrie, *Op. Cit.*, pp. 154 sqq.

(4) In his *Dionysus*. See Puhvel, *Eleuther*, p. 161; Guthrie, *Op. Cit.*, p. 146.

(5) In 1951 A.D. Emmett published "*The Pylos Tablets*" and 1952 Sir John Myres the "*Scripta Minoa II*". Some other publications are mentioned or discussed above.

(6) IXa (now 102); Ventris & Chadwick, *J.H.S.*, LXXIII (1953), p. 95.

is the god of the φαυλότερον πλῆθος. He is almost ignored in the Homeric epics where the spirit of aristocracy prevailed⁽¹⁾. Historical evidence may clarify this point. When Cleisthenes wished to weaken the power of the aristocrats in Sicyon he introduced the worship of the god in place of the worship of the ancient hero Adrastus⁽²⁾. The establishment of the Dionysiac festivals in Corinth under Priander and these in Athens under Peisistratus may give further evidence that Dionysus was the god of the poor on whom tyrants relied⁽³⁾. These who opposed the worship of the god in Corinth, Thebes, or other cities belonged to the Aristocratic class⁽⁴⁾.

It may now be interesting to know about Dionysus some of what Homer himself did not wish to tell, and to follow, as far as extant evidence can afford, the establishment of the Dionysiac worship in some of the Greek states.

So much has been said about the origin of the Dionysiac worship and the home of the god. Homer connects him with Thrace⁽⁵⁾; so also does the chorus in Sophocles' *Antigone*⁽⁶⁾. Rhode remarked that, since the Greeks believed in the cult of the dead and mortality of the soul, Dionysiac worship, which inspired the belief in the indestructibility and eternal life of the soul, was not Greek in origin⁽⁷⁾. He found in Thrace the original abode of the god; yet he argues that Διόνυσος is a Greek word especially coined by the Greeks to refer to this imported god⁽⁸⁾. Wilamowitz and others assert that the god came from Asia Minor and especially from Phrygia or

(1) Guthrie, *The Greeks*, p. 160.

(2) *Herod.*, V. 67.

(3) Jaeger, *Theology*, p. 58; Grant, *Myths*, p. 282.

(4) Pollard, *Seers*, p. 86. In Greek states, Pickard-Cambridge (*Dithyramb*, p. 102) suggests, there was a great tendency to introduce the worship not only of Dionysus but also of other gods instead of the ancient heroes. This might have been due to a political reason since the worship of heroes was in general favoured by the aristocrats. See Bury, *History*, pp. 78—84 (quoted by Kaberry, *B.I.C.S.*, IV, (1957), p. 53 n. 5); Lesky, *Greek Tragedy*, p. 41.

(5) *Iliad*, VI, 130 sqq.

(6) Lines 955—978.

(7) Rhode, *Psyche*, pp. 253 sqq.; Pollard, *Op. cit.*, p. 89; cf. Guthrie, *Op. Cit.*, pp. 174. See further Nilsson (*History*, p. 210) who sees that "the view that the belief in immortality in the proper sense was introduced into Greece by Dionysus" seems to be doubtful. See Jaeger, *Theology*, pp. 73 sqq.

(8) Rhode, (*Op. Cit.*, p. 304 n. 1) is not convinced by the suggestions of Tomaschek and Kretschmer that the word belonged to a Thracian origin.

HOMER'S "SILENTIUM" OF DIONYSUS

by

ABDEL MOATI A. SHAARAWI (Ph.D.)

In the sixth book of the *Iliad* ⁽¹⁾, Homer mentions Dionysus almost with contempt. He shows how Lucurgus attacked Dicnysus and his female-worshippers, and how the god "fled, and plunged beneath the wave of the sea, and Thetis received him in her bosom, filled with dread, for mighty terror gat hold of him at the man's threatenings" ⁽²⁾. Yet, the epic poet tells that the gods became angry with Lucurgus and the son of Cronos made him blind.

In the fourteenth book of the same epic ⁽³⁾, Homer mentions Semele as one of the concubines of Zeus and tells that Semele is the mother of Dionysus, the joy of mortals.

In the eleventh book of the *Odyssey* ⁽⁴⁾, the poet mentions Dionysus while referring to the murder of Ariadne at the hands of Artemis.

In the twenty-fourth book of the same epic ⁽⁵⁾, we are told that the ashes of the dead Achilles were put in a two-handled golden urn which had been given by Dionysus as a gift to Achilles' mother Thetis.

Apart from these quick and brief references we do not find any mention of the god Dionysus in Homer's epics. Moreover, one can easily notice that in Homer's epics Dionysus is not one of the Olympian gods nor has he such an important position as they. It may not seem astonishing now to find the reason. Dionysus, as one of the fifth-century Greek writers says ⁽⁶⁾,

(1) Lines 123-143.

(2) Way's translation (Loeb Classical Library).

(3) Lines 314-328.

(4) Lines 321-325.

(5) Lines 71-79.

(6) Euripides, *Bacchae*, 431-432. See Dodds, *Bacchae*, nn. on lines 431-432, pp. 129-130 ; Idem, *The Greeks*, p. 78.

the veracity of his conclusions. Densher realizes, and it turns out to be true, that Mark has told Milly of the love between Densher and Kate. The effect of this scene is immediately reflected in the feeling of despite with which he comes to see his act.

It was a great thing for Densher to get this answer. It kept him going and going — it made him no less restless. The vice in the air, otherwise, was too much like the breath of fate. The weather had changed, the rain was ugly, the wind wicked, the sea impossible because of Lord Mark(1).

It is this feeling that he carries back home with him, only to repeat more than once to Kate that when Milly heard of his love for Kate she "turned her face to the wall". It is this turning that brings in him the change towards Kate. The latter impatiently asks him what has happened to him, to which he replies, "well, that I cannot bear it any longer. That's simply what has happened. Something has happened, has broken in me and here I am. It's as I am that you must have me". He brings her a new challenge. He is going to renounce the money which Milly has left him and Kate is to choose either the money or to marry him as he is. Kate realizes that he is now none but what he has been made through his experience with Milly — an experience to which she herself has dragged him. Nothing can release her of Milly's act. She refuses his optional offers and says : "we shall never be again the same"- words with which the book ends.

Here in this scene James is careful to keep the balance between these two points of consciousness as represented in Kate and Densher on one hand and in Milly on the other. This situation may get out of hand through its moral implications. For the reader is likely to sympathize with Milly to the detriment of the agreement between Kate and Densher, Kate's momentary loss of courage referred to in the above quotation — "Kate grew a little pale" is seized upon by Densher, and following this we get another Densher who is different from what we know.

Densher turns upon Kate with this bargain. She is to go to his rooms or else he would not play the role demanded from him. It is thus a great change in the situation between the two of them. Densher, so far, has been played upon by Kate since the time he used to see her off outside Lancaster gate. He has been feeding himself on the humiliation he expressed in the image of the milkman who was to leave the milk at the door. He has come to resent being pushed this way irrespective of his own wish. To him this feeling becomes all the more oppressive when he finds himself shuffled around by three women. He feels a shame and a humiliation to be tied to a woman's petticoat. Now is his chance to put down his terms before Kate. This scene foreshadows the last one which closes the book.

In the meanwhile we get a scene that stands as an illustration of the point of pressure of which James talks in his preface. A point of pressure results from the novelist's indirect approach to his theme. He lets his theme expose itself through the creation of such points. In their turn, such points are used to heighten the dramatic significance of otherwise cursory scenes. This scene is where Densher goes to see Milly but he is refused and feels quite surprised. But on his way back to the hotel he passes by a café and stops suddenly for he sees the face of Lord Mark.

His eye had caught suddenly a face within the café ... the person he had thus passed was seated, well within range, at a small table in which a tumbler, half-emptied and evidently neglected, still remained ... he stared before him at the roccoco wall (16).

The scene lasts a few seconds. But those seconds supply Densher with an answer to the riddle of his day, i.e. Milly refusing to see him. Densher is then able to establish connections. His eyes meet Mark's as if to sanction

to him that Milly is a dying woman and to put it in her own words, "you'll in the natural course have money. We shall in the natural course be free".

This planning informs the background of the incidents of that evening. Susan is taken by the way in which Milly is fulfilling her passionate desire for life. Everyone is taken by and comments on Milly's charm and suavity. Her dress and pearls attract attention. Kate and Densher are watching Milly and it is Kate who introduces for the first time the comparison of Milly to a dove. Commenting on Milly's jewels Kate says : "she is a dove and although one does not think of doves as jewelled yet the jewels suit Milly". Densher who accepts Kate's simile as referring to Milly's wealth answers sarcastically whether the dove has not extended her wings to an inordinate reach and were they not all nestling under them. But Kate, still pursuing her aim draws Densher's attention to the pearls which he says— still in the dark as to her aim — would suit her admirably. Then Kate breaks out saying v

"Oh yes, I see myself !

As she saw herself, suddenly, he saw her — she would have been splended, and with it he felt more what she was thinking of. Milly's royal ornament had — under pressure now not wholly occult — taken on the character of a symbol of differences, of which the vision was actually in Kate's face"(1).

The possible fulfillment of their plan comes very smmothly. A bit later Densher comes to see that his stay is sealed by an understanding look which he and Kate exchange. They look once more in the direction where Milly was standing :

Kate turned her head where their friend was standing in range and it made him turn his head, so that they watched a minute in concert. Milly, from the other side, happened at the moment to notice them, and she sent across toward them in response all the candour of her smile, the lustre of her pearls, the value of her life, the essence of her wealth. It brought them, with faces made fairly grave by the reality she put into their plan, together again, Kate herself grew a little pale for it, and they had for a time only a silence. The music, however, gay and vociferous, had broken out a fresh and protected more than interrupted them(2).

(1) *Ibid.* P. 239.

(2) *Ibid.* 260-1.

she was then contemplating, is here present before her. Turning from the picture she sees Kate in the company of two ladies whom she has brought to have a look at the picture. Milly immediately addresses Kate and asks her to accompany her to the doctor and begs her to mention nothing to Susan.

“ ... It's only to deceive Susan Shepherd”

“Oh!” said Kate as if this were indeed mild...

“And for cheating”, Kate asked, “my powers will contribute ?
Well, I'll do my best for you”(1).

Kate's role is designated here. She is being linked to Milly's fear of death. The same scene is given another dimension through the craft of James. For when Kate appears on the scene and sees Kark, there passes a flicker of a look on Kate's face which Milly observes. It makes her think to herself whether Kate shows such a look to Densher.

All through Milly's admiration for Kate a question repeats itself — a question which Milly has not been able to face except at that particular moment. Could there possibly be a relation between Kate and Densher ? That's why James states in his preface that the Bronzino scene is the centre of the whole book.

From now on, the important scenes begin to centre round the three figures of Densher, Kate and Milly. The first scene in this round of interaction is in the National Gallery where Kate meets Densher secretly on his return from New York.

This event, in its turn, prepares us for the more important party in Venice. The importance of this scene lies in the fact that it comes as a comment on the plotting that has been going on behind Milly's back. It is a plotting that is being perfected, ironically enough, through the participation of Susan. The latter has asked Mrs. Lowder to help her save Milly from her worries. The three women agree among themselves, during their stay in Venice, to meet together thus leaving a chance open before Densher to call on Milly. Kate takes upon herself pushing Densher to pretend that he is in love with Milly. This reaches its climax in the party Milly gives and in which Kate declares that they are going back home, while Densher will stay behind. She instructs Densher to succeed in the meanwhile to marry Milly. She says

(1) *Ibid.* 248.

of an hour — her only one — with Lord Mark. "Have you seen the picture in the house, the beautiful one that's so like you ?", he was asking as he stood before her... Their progress (towards the picture) was not of the straightest ; it was an advance, without haste, through innumerable natural pauses... The Bronzino was ... deep within, and the long afternoon light lingered for them on patches of old colour and waylaid them, as they went, in nooks and opening vistas"(1).

When Milly at last stood before the picture of her own resemblance facing her, she could not then help her tears because there before her was :

" ... a face almost livid in hue, yet handsome in sadness and crowned with a mass of hair rolled back and high, that must, before fading with time, have had a family resemblance to her own. The lady in question, at all events, with her slightly Michaelangellesque squareness, her eyes of other days, her full lips, her long neck, her recorded jewels, her brocaded and wasted reds, was a very great personage — only unaccompanied by a joy, And she was dead, dead, dead"(2).

We see the scene through the tears of Milly, tears that make her realize when she recalls the scene later-how she poured herself in words only to fill the moments between her and Lord Mark. The words that she immediately says are : "I shall never be better than this". And when Lord Mark denies these words she says : "I mean that everything this afternoon has been beautiful, and that perhaps everything will never be right again. I'm very glad therefore you've been a part of it".

But the significant thing is that immediately after these words and when Milly takes another look at the picture what she emphasizes is the difference between her and the picture. But in so doing she makes evident her resemblance to the picture. What she resents is the green complexion of the face, and the large hands of the pictured woman before her. Lord Mark's insistence on the resemblance cannot, however, bring Milly back to the point from where they started. For what Milly is seeing now is but herself in decay, in a process of becoming dead. What was latent in the scene on the hill (i.e. the one we mentioned), is present here. The concept of death which

(1) *Ibid.* PP. 238 and 241.

(2) *Ibid.* P. 42.

On the contrary Susan comes to think that the ability to remain calm in such a position points to the fact that Milly's way in life exists as a struggle and not as an escape from the human predicament.

"... the future was not to exist for her princess in the form of any sharp or simple release from the human predicament. It wouldn't be for her (Milly) a question of a flying leap and thereby of a quick escape. It would be a question of taking full in the face the whole assault of life, to the general master of which indeed her fate might have been directly presented as she sat there on the rock"(1).

The beauty of the scene springs from one's capacity to face the hardships of life. It is the same capacity that Kate shows in the ladder scene, only here it moves along finer strings of response. Both scenes tell of two concepts of life. Kate's life is like a ladder on which she is forced to perch. In other words, her life is a string of schemes which she interweaves so as to arrive finally at her goal. But Milly's desire which is to echo along the rest of the novel is that of a passionate desire for life. (2) To it we return when we have been with her through the Lancaster gate scene before the Bronzino picture.

Lancaster Gate is Mrs. Lowder's impressive house and there she is holding a party for Milly whom we are told has become a social success. In the house Milly is led by Lord Mark to a bronze picture because, as he says, the picture looks very much like Milly. The incident before the picture is emphasized through the long way they take to the picture. It is a long way as it gives James the chance of speaking of aristocratic society and of telling us that the one who accompanies Milly to the picture is Lord Mark who is Kate's future finance :

"A prime reason, we must add, why sundry impressions were not to be fully present to the girl till later on was that they yielded at this stage, with an effect of sharp suppression, to a detached quarter

(1) *Ibid.* p. 140

(2) Percy Lubbock admires the scene and comments on it thus :

"The glimpse so rendered, tells nothing. But in Milly's attitude, while she sits enthroned above the world, there is a certain expression deep and strange, not to be missed though who shall say exactly what it implies. Is it hope, is it despair? At any rate the clear picture of her remains, and a little later when her mid is visible again, the memory of her up there on the mountain has quickened the eye of the onlooker".

P. Lubbock, *The Craft of Fiction*, N.Y. The Viking Press, p. 177,

many distinct lamps, as I liked to call them, the function of each of which would be to light with all due intensity one of its aspects"(1).

If we apply James' words to our novel we see that the central object before us becomes the relation between Kate and Milly. The possibilities of reaction that come from both, create those rounds that culminate in a scene such as James always aims at constructing. And James is able, to mention another capacity of his, to create a poise and a balance between character and scene such as we shall see him building later in the "Venetian Party" given by Milly(2). What we should bear in mind is that when James speaks of situation he is speaking in terms of character. To him a situation is created for and moulded by a character. The best scene that illustrates this is the "Brüning scene". This occurs in Bk. III where James, after devoting the previous two books to Kate, turns to introduce Milly to us. Details about Milly's life are given rapidly. The figure who appears on the scene with her is that of Susan Stringham who is to become Milly's confidant and companion on her trip to Europe. It is she who introduces Milly to Kate. Meanwhile during their journey in Switzerland they stop at Brüning. It happens then that Milly goes for a walk and is late ; so Susan goes out to find her. After a long walk in the high Alpine Meadows Susan sees Milly absorbed in meditation at the edge of a precipice. This is how the scene is described :

" ... The whole place, with the descent of the path and as a sequel to a sharp turn that was masked by rocks and shrubs, appeared to fall precipitously and became a 'view' pure and simple, a view of great extent and beauty, but thrown forwards and vertiginous"(3).

Susan cannot trespass on the scene, she cannot break that moment — a trick of James to line the reader with Susan as contemplators of the scene with the implications which, on close examination, we find it carries. For Milly to be seated on that precipitous edge naturally raises in Susan's mind the idea that Milly might be contemplating suicide. But on a second look Susan drives that idea away telling herself that :

" ... she sat (i.e. Milly) in a state of uplifted and unlimited possession that had nothing to gain from violence"(4).

(1) *The Art of the Novel*, P. 110.

(2) *Ibid.* Bk VIII, Chap. XXVIII.

(3) *Ibid.* p. 137.

(4) *Ibid.* p. 139.

to which, we are told, she comes back as it carries for her "supreme brilliancy". Kate was then taken to a party given by a friend of her mother and it is here that she first meets Densher. This is how the scene is described :

"... It wasn't, in a word, simply that their eyes had met ; other conscious organs, faculties, feelers had met as well, and when Kate afterwards imaged to herself the sharp, deep fact she saw it, in the addest way, as a particular performance. She had observed a ladder gainst a garden wall, and had trusted herself so to climb it as to be able to see over into the probable garden on the other side. On reaching the top she had found herself face to face with a gentleman engaged in a like calculation at the same moment, and the two enquirers had remained confronted on their ladders. The great point was that for the rest of that evening they had been perched — they had not climbed down ; and indeed during the time that followed, Kate at least had the perched feeling — it was as if she were a loft without a retreat"(1).

It is characteristic of James that when he would give a significance to a scene it is always set apart by the quantum of meaning it is made to bear. This scene is set apart, not in the sense of being detached, but it stands as if clipped of the flow of life to set according to it the pattern of future moments. We are told that Kate has been, for a long time following that scene, filled with the feeling of being perched. Its emphasis is on the distance that links the seeing eye with the object seen. It is this relation that creates a scene and makes the latter look like, as James says in the opening sentence of the above-quoted passage "a particular performance". It is a performance only because James sees it in a scenic succession, for we cannot but link this perched feeling with the equally consummating feeling which the other character Milly rouses in her friend Susan and in us. The similarity between the two scenes creates a sort of cadre that encircles both bringing the two characters nearer. The possibility of such an achievement stems from James' method of presentation. In devising a plot or building up a connection between two definite characters he says :

"I drew ... the neat figure of a circle consisting of a number of small rounds disposed at equal distance about a central object. The central object was my situation ... and small rounds represent so

and marry her lover Densher. Kate's sister would have Kate regard her stay with their aunt a duty, "The greatest of all". The duty, as the sister explains, lies in accepting the new life which would procure money. When Kate sarcastically asks her sister, "to give it to you ?" the latter answers "to have it first. Not at any rate to go on not having it. Then we should, see". This, however, fills Kate with the same feeling of disgust with which she has just enveloped the meeting with her father. It is also this feeling which evokes before Kate the picture of her sisters-in-law who are to Kate the peak of vulgarity. They never appear on the scene but we see them through Kate's feeling of detachment that is enhanced after meeting her sisters. And if she left her father with the words "No one has ever wanted to keep me before" her sister's words "Poor old Pappa" ring in her ears as "Dear old aunt Maud". The picture that looms large before Kate (having identified her sister's words with her father's) is that of those sisters-in-law and the shabby home in which those two old maids live. The thought they evoke is made by James to stand as a silent comment on the future that faces Kate. The introduction of Kate closes thus :

"There were times when Kate wondered if the Miss Condrips were offered her by fate as a warning for her own future — to be taken as showing her that she herself might become at forty if she let things too recklessly go... She had denied everything and everyone, she reflected as she went away — and that was a relief, but it also made rather a clean sweep of the future. The prospect put on a bareness that already gave her something in common with the Miss Condrips".

From this we get an idea about Kate's nature of acceptance — it is an acceptance which she links with her dislike of her aunt, and which is contained in the name which she secretly gives her aunt : "Britania". "She was a complex and subtle Britania, as passionate as she was practical, with a reticule for her prejudices as that other pocket, the pocket full of coins stamped in her image, that the world best knows her by (3). Kate sees in her a besieger in the citadel which she offers her. Against this sense of being besieged we are to put the relation between Kate and Densher displayed in a scene full of spontaneity and freshness. What heightens its dramatic effect is that the scene occurs when Kate was still living with her mother. It is a scene

(3) James, *The Wings of the Dove*, the Modern Library, 1909, pp. 48 and 50.

The scene opens on the figure of Kate Croy in her father's room. She has come to tell him of the choice (1) placed before her by her aunt, Mrs. Lowder. The latter would have Kate stay with her on condition that she would put an end to her relation with her own father. Kate is restless and annoyed to the verge of anger with her father whom she thinks has made her wait purposely, pretending that he was sick in bed. The scene is laden with the sense of severance which is to take place. The looking glass which hangs upon the mantelpiece mentioned in the very opening sentence serves all along the scene to bring out the discrepancy between Kate's hopes for the future and the shabbiness of the room behind her. Every article in the room that is mentioned betrays a sense of decay and vulgarity. Kate's eyes move from the "lonely year-old magazine" to the lamp that is wanting in freshness. If she resents the atmosphere around her and seeks to escape it by looking through the window, the street below reeks with vulgarity and so she is sent back to the mirror. And we read that her "repeated pause before the mirror and the chimney-place might have presented her nearest approach to an escape from them". The drift of this opening scene is only to strike the note of cleavage that is to characterize the conversation between father and daughter. James brings out this note by making the father absent from the scene as it is described through the eyes of Kate. The father has gone out to buy himself some medicine. This incident fills the scene with a feeling of detachment which is to prepare us for the father's renouncement of his daughter's stay with him. He readily concedes to Mrs. Lowder's conditions and is ready to offer "the final sponge ... well saturated and well applied to rub every connection with her". The girl reads behind his words, and points it out, the profit he is hoping to gain through his renouncement. The father readily acknowledges it. To heighten the shock for us the girl momentarily pretends that she would stay as she is. She would rather be poor and marry the man she loves. The father spares her the mention of the latter wish ridiculing it to himself. It is the same ridicule which Kate receives from her sister in the scene that immediately follows this one. The two scenes are, as a matter of fact, two sides of the same picture. Kate is torn between the poverty of her present state, a poverty that she resents, and between her future stay with Aunt Maud whom she dislikes. But she realizes that her stay with her aunt may bring her nearer to her aim which is to become rich

(1) Readers of the novel cannot but help recall the act of "choice" placed before Kate by Densher at the end of the novel.

hear of the news but Densher, horrified at his falsity, cannot forgive either himself or Kate. He agrees to her words when she mockingly suggests that he has fallen in love with Milly's memory. He resolutely asks Kate to make her choice of either marrying him without the money or taking the money and remaining single. With a shake of the head she refuses both saying "we shall never be again as we were".

We are here presented with two characters each forming a centre. The interaction of both centres marks the action of the novel. James realizes, as he says in his introduction, that the establishment of Kate Croy within her own circle and the very circumstances that govern it are the essential ground on which to introduce Milly Theale. This establishment he refers to as finding one's "compositional key", a primary step for the novelist, which once found the artist gains a freedom — otherwise difficult to obtain — to choose his starting point. His method is then a successive narrowing of circles toward the centre which is made to hold the situation. The interaction we see between those two centres mentioned above (i.e. that of Kate and that of Milly) mark through the succession of the scenes creates the very body of the novel. James says :

"... I had noted that there could be no full presentation of Milly Theale as engaged with elements amid which she was to draw her breath in such pain, should not the elements have been, with all solicitude, duly prefigured... then I was free to choose, as it were, the half with which I should begin... Preparatively and, as it were yearningly — given the whole ground — one began in the event, with the outer ring, approaching the centre by narrowing circumvallations"(1).

(1) H. James. *The Art of the Novel ; Critical Prefaces*, Charles Scribner's Sons, 1937, p. 294.

It is to be noted that the two opening books as well as the two last ones are devoid of the character of Milly. If we ponder over this fact we realize that such an "emptiness" does not disturb the structural poise of the novel. The first two books elaborate the vulgar taint of the milieu which Kate wants to wipe away. Her sister's assurance that her stay with their aunt would enable Kate to get the aunt's money. Her sister's words are "... he'll never get it (i.e. Denesher). You must have it. You shall have it "p. 44 (The modern Library edition of 1937 was used in this study). In the last two a chapters sarcastic note becomes evident. The single figure we see is that of Kate. The loss that Kate suffers in her life (i.e. the refusal of wealth given to her) is another aspect of the sense of loss which an individual would incur, in life. The two characters are then in James words a half of one entity ; both represent the same meaning only on different levels.

THE SIGNIFICANCE OF THE DRAMATIC SCENE IN THE METHOD OF HENRY JAMES

By

SAFIA RABIH

The principle that is prominent in the creative method of Henry James and which has been labelled "the indirect approach", depends for its power on its handling the scene as a structural unit. In this case the scene is related to and made to bear on the thematic significance of the whole pattern of the novel. To trace the way in which such scenes are worked out in only a tracing of the artistic skill of H. James, for it leads us to reveal the subtle variations under which this unit is handled. Sometimes the scene is created entirely through dialogue as is the case in *The Awkward Age* ; or, a series of those units are grouped in significant centres as in *The Wings of the Dove*, which we shall single out for our present study. But since we are going to concentrate on definite scenes we shall first give a brief summary of the book. Milly Theale who is a rich New York girl goes over to Europe and takes for company Susan Stringham. Upon reaching England where they decide to stay, Sudan introduces to Milly an acquaintance of hers Mrs. Maud Lowder who is a rich woman of society. Living with Mrs. Lowder is her niece Kate Croy. The latter resents her aunt's scheme of marrying her off to the rich Lord Mark as she is secretly engaged to Merton Densher who is a young journalist and as poor as herself. Densher had already, while in New York, left a deep impression on Milly — a thing that Kate comes to know through her friendship to Milly. Kate also learns that Milly is doomed through her illness to a short life. So she persuades Densher to marry Milly so that on the latter's death he would inherit her money. That money would enable them to get married and would free Kate from her aunt. The plan was to succeed only Mark happens then to propose to Kate and is refused. This leads Mark to guess the secret behind Kate's refusal and in revenge he reveals that secret to Milly. Milly's death follows upon that incident. Densher comes to know that Milly has left him all her money. Kate is delighted to

Besides, reports soon reached the British Government⁽⁶⁹⁾ connecting the Consul Petherick's name with the slave trade in the White Nile". The Foreign Office found that "so long as such reports are not disproved, it can not for the advantage of the public service, that Consul Petherick should continue to exercise his official practices" [69]. It was not unusual therefore that the British Consulate at Khartoum was closed in 1864, and Petherick was removed from his office. Paradoxically, the exaction of the British Consul four years ago for importing arms and ammunition into the Sudan was quietly warranted. It shadowed forth the outset of an alteration in the matters of state on the Upper Nile, namely the speedy and tremendous increase in the slave traffic in that part of inner Africa.

By the middle of the nineteenth century, at any rate, the power of Egypt was established for some 120 miles south of the junction of the Blue and White Niles[70]. After the opening of the White Nile for navigation, and commerce foreign traders percolated into the Southern Sudan, establishing posts far up the country, and so a legitimate trade at first arose. The Negroes exchanged with liberty their ivory with worthless glasswares, while the traders organized bands under the command of Arabs or Northern Sudanese to protect their merchandise. But the easy profits of the ivory trade did not delay to stir up a frantic competition, which could be interpreted by a prodigality in the demand of elephants "tusks" that carried away the debasement of this commodity in the same time by which the prices of the ivory were rapidly elevated.

Some European traders, such as Alexandre Vayssiere, the brothers Poncert, Theodore Evangelistic, thought then to procure with gun the ivory which the Negroes sold it to them with expensive prices. Accordingly, they threw themselves in the woods for the pursuing elephants. Beating by the hunters, these animals disappeared from their secular domains along the banks of the White Nile, Dender, the Settit, and their flights in the interior forests shortly ended what had commenced the competition : the ivory became rare, and the traffic covered with much difficulty its expenses [71]. Finding that slave-hunting paid better than marketing ivory, the ivory-hunters by and by got to be slave-hunters. Thus, from about the middle of the fifties, slave-hunting in the Southern Sudan set on foot in merciless fervency.

(69) F.O. 78/1774, Private, Draft, F.O. to Capt. Speke, F.O., 30 Sept., 1863.

(70) Hamilton, J.A. : *The Anglo-Egyptian Sudan from within* (London 1935), p. 61.

(71) Douin, G : *Histoire du Regne du Khédive Ismail*, tome III, Ire partie, pp 10-11.

him when should reach that part of the Nile, penetrating westwards from Zanzibar [66].

Trying to make use of these arrangements for his business advantage, Petherick promptly applied for the interference of his Government with the Egyptian authorities to enable him to keep in the Sudan a great quantity of firearms and ammunition. He claimed that those firearms and ammunition were needed, partly to "carry out the objects of the expedition of Speke and Grant on their homeward progress to the Nile, from the Lake Nyanza", and partly for "the defence of upwards of two hundred men. employed by myself for the introduction of trade, located in seven different establishments, amongst as many turbulent and warlike tribes, in countries bordering on the white Nile".

This application however seems to have shaken the Foreign Secretary's trust of Petherick as a Consul. Moreover, Petherick's failure to reach Gondokoro in time to meet Speke and Grant was ascribed to the ardor of the British Consul in the Sudan to his commercial interest and nothing else. Undoubtedly the latter accusation stood behind the remarks expressed by Colquhoun, the British Consul General in Cairo, regarding the characteristics should carry by the person appointed as British Consul at Khartoum. In his despatch to the Foreign Secretary, Lord John Russell (1859-65), the British Consul General in Cairo spoke about :

"A very serious question I feel compelled to submit to your Lordship, and which requires an immediate solution. Should not the British Consul in the Soudan be most strictly prohibited from trading) a Consul we require, and if the trade opens up, he will be of great use, both in watching that trade ; when, untrammelled by any connexion with wretches who now abound in the upper parts of the country when he will be able to make his voice heard in favour of humanity ; and will serve, if not as a positive and complete check on the Government, to mitigate the horrors of the traffic, and pave the way to its entire abolition. Such officer, to be efficient, should be an Englishman, a young man who may hope for a removal to a better place and climate after three or four years at Khartoum".[68].

(66) Johnston, H : *The Nile Quest*, pp 126 - 7.

(67) F.O. 78/1612, Petherick to Oussell, London, 29 March, 1861.

(68) F.O. 84/1204, Colquhoun to Russell, Alex., 17 August, 1863.

In May 1850, he was appointed British Vice-Consul at Khartoum, with a view to protect British trade against local monopoly. Heretofore, British interest in the Sudan were guarded by a Syrian called Khalil Al Shami.

The nomination however of Petherick in that post did not prevent him from carrying on commerce. He then resided some years in Kordofan trafficking in gums and other articles. By June 1851 he was hoping to join in the ivory "rush" on the White Nile[60]. Shortly after the opening of the White Nile for navigation and commerce, he was capable in 1853 to reside there as trader in ivory, establishing at Meshra Al Rekin the region of Bahr Al Ghazal a depot for ivory ; and in 1858, after various trips in the Bahr Al Ghazal basin, pushed on as far as the Makaraka (Niam Niam) country on the watershed[61].

After a visit to England, Petherick, set out again with his wife, in the capacity of British Consul for "the whole of the Sudan", within its districts he was allowed to be "at liberty to move about as occasion may require, without appointing an Acting Consul at Khartoum"[62]. Simultaneously, he was instructed to "endeavour to promote peace among the natives of the Sudan, and to afford encouragement to commerce, and every measure which may tend to introduce civilization into Central Africa" [63]. He was, too, permitted to "travel about three months of the year in his own commercial business" [64].

Ostensibly, Petherick as a Consul attempted to avail himself of the post for the helping forward of his own interest. In 1859, during the preparations for the great expedition of John Hanning Speke and James Augustus Grant, commissioned by the Royal Geographical Society to ascertain the connection of the Victoria Nyanza with the Nile system [65], Petherick was then in England. Before he left for the Sudan, Speke made arrangements with him, to place boats at his disposal in Gondokoro, and to send a Party of men to the vicinity of that locality, to collect ivory and to await with provisions, in order to help

(60) Gray, R : A History of the Southern Sudan; p. 30.

(61) Junker, W : Op. cit, p. 368 ; The Cambridge History of the British Empire, vol 2, Op. 652.

(62) F.O. 78/1542, Draft, F.O. to Petherick, F.O., 26 March, 1860.

(63) F.O. 78/1612, Draft, F.O. to Petherick, F.O., 2 April, 1861.

(64) F.O. 78/1542, F.O. to Petherick, F.O., 7 May, 1860.

(65) Coppland, R : The Exploitation of East Africa, 1856 - 1980 (London 1939), p. 107.

had no other business than catching slaves in the interior. Notwithstanding, the Governor General took from the returned merchants one third of their merchandize as an imposition for the soldierly escorts.

These harsh methods however caused much troubles to the dealers, who were in the greatest degree Levantines and Europeans. Applied for the succour of their particular consuls, the traffickers soon attained their desires. Thanks to the intervention of the representatives of the powers, at both Khartoum and Cairo, that Abbas I became cognizant of the inequitable policy of his Governor General in the Sudan. Being too ireful, the Viceroy dispatched without delay to the said حكام or Governor General, threatening him that if he continued to adopt that course of action, he would have been deprived of "his rank, badges of honour, and annual salary" [57]. Early in 1852, the freedom of navigation along the White Nile was declared upon, and Latif Pasha was removed from his office.

Therefore, a new propulsive force was given to the ivory trade. A fistful of merchants-indigenous and foreigners-started to remain in the far south beyond Gondokoro and in the Western Bahr-Al Ghazal, in order to exploit the resources of the riverain areas. Among the early traders who established themselves in these regions, were the Sudanese Hateshi, the Egyptian Abu Amouri, the Sardinian brothers Poncet, and the British John Petherick. Hateshi was reported to be the first ivory trader whose vessels floated on the Bahr-Al Ghazal. Abu Amouri penetrated for collecting elephants' tusks as Fertit country. The brothers Poncet, Jules and Ambroise, were able to establish depots in the region of Bahr-Al Ghazal, and for the purchase and collecting of ivory, they rarely hesitated to send their ships beyond Gondokoro [58]. Yet, it appears that John Petherick was the most successful ivory trader in the White Nile region in this period.

John Petherick was a Welsh mining engineer who entered in 1845 the employment of Mohamed Ali, in order to examine mineralogically Upper Egypt, the Red Sea littoral, and Kordofan. On the death of Mohamed Ali, Petherick became interested in the gum trade. He therefore gave up the service of the Egyptian Government, and made his way as a trader to the Sudan [59].

(57) Shukry, M.F : *The Egyptian Rule in the Sudan, 1820 - 1885* (in Arabic), pp 52 - 3.

(58) Poncet, J : *Le Fleuve Blanc. Notes Geog. et Ethnol.*, pp 57 - 18, 62.

(59) Johnston, H : *The Nile Quest* (London 1903), p. 100.

of Central Africa failed in what other missions latterly succeeded [53].

The Egyptian expeditions however reached the latitude of Gondokoro in the beginning of the "forties, brought thence narratives of the fabulous quantities of ivory which were said to be attainable in the territories to the south of Gondokoro [54]. In antedating a progressive growth of trade, the British Government appointed in 1849 John Petherick a vice Consul in the Sudan [55]. It is well known that trade in both Egypt and the Sudan since the reign of Mohamed Ali was monopolized by the Government. But in 1849 the monopoly of the gum trade was abolished in both countries by Abbas I. This later step, together with the opening up of the Upper Nile region, where elephants lived there in great numbers, instigated adventurers of all kind to come to Khartoum, at which the elephant and the slave hunters fitted out yearly their expeditions to the White Nile.

Yet although, in the Southern Sudan, the ivory trade and slave traffic went side by side, the elephants' tusks were at first the main commodity sought by these adventurers. Desiring to gather opulences by trafficking in territories, still unoccupied by the Government of Khartoum; the dealers reaching Khartoum made feverish preparation to sail their fleets up the Nile to the Southern Sudan. But to their consternation, they soon ascertained that no many were capable to ascend up the White Nile, by virtue of the interference of Khartoum administration. The system of monopoly still carried on was roughly executed by the Governor General, particularly Abd-el-Latif Pasha, who coveted to forestall the White Nile trade for his own interest [56]. Insisting to protect the foreign traders from the assaults of the Negro tribes, Latif Pasha accustomed to send martial guards to consort them in their excursions. But the troops

(53) Missionary activity in Nyasaland and in Uganda was to be many years later a chief element in European imperial expansion. No doubt that missionaries in East Africa were in the "eighties" the most steadfast and outspoken advocates of the European occupation of Central Africa". See, Oliver, R : *The Missionary Factor in East Africa*, pp 94-163 ; and "Some Factors in the British Occupation of East Africa, 1884-1894", *Uganda Jour.*, vol 15, March 1951, p. 51.

(45) Gray, Sir J.M : "Acholi History 1860 - 1901, I" *Uganda Jour.*, vol 15, Sept., 1951, p. 123.

(55) Peterick, J : *Travels in Central Africa* (London 1869), v 1 2, p. 156 ; M'Queen, J : *The Nile Basin* (London 1864), Part II, p. 186.

(56) Brun-Rollet, A : *Le Nil Blanc et le Soudan*, p. 178.

evangelists dwelling then in the Sudan(48). For this purpose however the Jesuit fathers, Ryllo, Angelo Vinco, don Knoblecher, and some others, attained Khartoum in February 1848. Not many months later, Ryllo died of dysentery; and Knoblecher succeeded him in the leadership of the mission, which was able to institute at Khartoum the far-famed "Catholic Mission" of Central Africa(49) .

Directly, in the "barques" of the Savoyard trader Brun-Rollet(50), the Catholic vicars headed by Knoblecher sailed up the White Nile on a mission which failed. Nevertheless, in the middle of January 1850, they reached the Bari country, at which they founded an establishment. And it was after returning from Europe, where helpers and funds were collected, that Knoblecher travelled again to the Sudan in 1852. Arrived at Khartoum, he immediately accompanied with Vinco ascended the White Nile in the same year, and constructed on or beside a land purchased in the previous year by Brun-Rollet in Gondokoro, "a house, a fortress, defended by some cannons"(51). In 1854 he founded another mission at a point between Shambe and Bor, which he called Heiligencruetz (Holy Cross), the site of which is still termed كنيسة the Arabic name of a Christian church.

Yet the circumventions faced by the collaborateurs among the Bari and the great victims effectuated by the climate dissuaded the mission's maintainers. Therefore, by 1860 the station at Gondokro was abandoned.[52]. Yet although a large party of Franciscans from Rome ventured in 1861 to establish a mission amongst the Shilluk ; they were almost compelled to withdraw by the climate. For the remainder of the nineteenth century, the mission played no direct part in the history of the Southern Sudan. Thus, the Catholic Vicarate

(48) Junker, W : *Travels in Africa during the years 1875-1878* (London 1890), p. 197.

(49) Shukry, M.F : *The Khedive Ismail and Slavery in the Sudan*, p. 101.

(50) Brun-Rollet had come to the Sudan in 1831 in the service of a Frenchman reported to be engaged in the slave trade. In 1839 Joyce Thurburn and Company, a foremost British mercantile firm established at Alexandria, supplied him with credit and manufactures which were "to be sold against Sudan products on joint account", and, obtaining "satisfactory results", they renewed operations with him on "a large scale" in 1843. See, Hill, R : *Biographical Dictionary*, and Gray, R : *A History of the Southern Sudan 1839 - 1889* (Oxford 1961), p. 21.

(51) Brun - Rollet, A : *Le Nil Blanc et le Soudan* (Paris 1855), Op. 194.

(52) Shukry, M.F. : *OP. cit.*, p. 107.

century to stop the slave trade in the Sudan. The failure of the Egyptian Government's efforts for the suppression of that traffic was due to two important factors the participating of the Governors General of the Sudan in the slave trade, and the opening of the White Nile to commerce and navigation(45).

Concerning the first factor, there is no doubt that the Governors General of the Sudan carried on a good deal of trade in slaves, and imported in return European merchandise from Egypt(46). Distance separating Cairo from Khartoum made virtual superintendence unachievable. Thus, after the Viceroy's return to Egypt from the Sudan, the Governor General of the Sudan and administrators of its various provinces, not merely took part in the conspicuous commerce, but aided certain adventurers in organising razzias for the seizure of slaves, by turning a blind eye upon importing arms and ammunition needed for slave hunting from Egypt.

Let us turn now to the second factor affecting the White Nile region or the Southern Sudan. The isolation of this part of the Sudan from the outside world was almost complete till the second quarter of the nineteenth century. But the three expeditions of Selim Bimbachi despatched by Egypt between 1839 and 1842 to explore the upper reaches of the White Nile (47), succeeded in discovering a navigable passage extended for into the heart of Africa, to a point of one thousand mile south of Khartoum. As the White Nile was rendered free of access for navigation, the Equatorial country was then opened to traffic and legitimate commerce, as well as missionary activity.

About four years after the return of the third expedition of Selim Bimbachi, a Papal rescript was issued by Pope Gregory XVI for the establishment of an Apostolic Vicariate in the region of the White Nile. The aims of the mission were to convert heathens of the Upper Nile, to overthrow the slave trade, and to increase the ecclesiastical prestige of the few Roman Catholic

(45) Shukry, M.F. : *The Khedive Ismail and Slavery in the Sudan, 1863 - 1879* (Cairo 937), pp 86-7.i

(46) F.O. 78/381, Ibid, p, 295.

(47) Selim : "Voyage aux sources du Nil Blanc", ed. E.F. Jomard, *Memoires Soc. Grog. de vol.* XViii, 1842 ; Viven de Saint-Martin : "La Recherche des Sources du Nil", *Bulletin de la Societe Geographique*, tome XVii, Paris 1839, pp 253-5 ; Bonola Cey, F : *L'Egypte et la Geographie*, pp 27-8.

and retained them in their service under the appellation of servants, though without granting them certificates of liberty(39).

It is to be noted that slaves were generally well treated by the native population who considered them as members of their families, and so stayed till the day of death(40). As an European contemporary in the sixties indicated :

“Every Turkish and Egyptian family has more than one (slave), generally several black slaves — male and female — in their households. The position of these people however, is by no means a bad one. They are well and kindly treated, and are much better off, than if they had remained in their own country”(41).

But the slaves under the service of the foreigners were on the contrary ill-treated. Many of these unhappy slaves had been so severely beaten, and occasionally even mutilated by their owners, more especially by Ionians and Maltase, that they had not hesitated to throw themselves out of window with the hope of absconding, and thus risked losing life rather than endured further torture from the hands of their owners. Towards the end of the fourties the cruelty practised by some British subjects residing at Alexandria and its neighbourhood, became a topic of public scandal, so that the British Agent at that city was compelled to adopt some decided measure for checking the traffic in slaves among the British subjects and protégés(42). Furthermore, it was reported that certain Europeans were engaging in that trade between the Southern Sudan and Egypt(43). A Frenchman was mentioned to partake in that notorious commerce, wearing “the decoration of the Legion of Honour”, and was said to escort his slaves from Wady Halfa “under the protection of the tri-coloured flag of France”(44).

It was quite beyond the power of Egypt in the first half of the nineteenth

(39) F.O. 84/737, Gilbert to Palmerston, Alex., 7 Nov., 1848.

(40) Elgood, p.G : *The Transit of Egypt* (London 1928), pp 155 - 6.

(41) F.I. 48/1181, Hornley to Russell, 12 Sept., 1862.

(42) F.O. 84/737, Gilbert to Palmerston, Alex., 7 Nov., 2848 ; L.O. 84/774, Palmerston to Gilbert, F.O., 22 Jan., 1849.

(43) F.O. 84/258, Campbell to Palmerston, Alex., 5 May, 1838.

(44) F.O. 78/381, The Ms. Draft of a Report on Egypt and Candia by Mr. John Bowring, pp 294 - 5, 300.

and then separating the individuals of each family as a prey to the several actors in this tragedy”(34).

Apart from the fact that the blacks were captured for the replenishment of the Egyptian army, they were seized also in order to maintain the social and economical life of the Northern Sudan, as well as of Egypt itself. Great number of those male “negroes” were kept in the Sudan for cultivating the fields ; others were exported as labourers to Egypt, which was still grappled to domestic slavery. Every house in Egypt was dependent upon slave service; the women in the harems of both rich and middle-class were served by slaves. In reality, according to T. Archer, “Egyptian society without slaves would be like a carriage devoid of wheels — it could not proceed”(35).

Thus, when Barnett the British Agent at Cairo asked that a serious action should be taken against slavery in Egypt, the Viceroy replied that he could not with safety to himself abolish it(36). He moreover admitted that “negroes” were taken by force in Sennar as soldiers ; and that he had no other means of recruiting the regiments which he was obliged to keep in that country. Although the Viceroy was personally favourable to the abolition of slavery, the prejudices of the higher classes — as Barnett pointed out — were too strong on that question for him at present to venture upon such a measure(37).

In addition to Turkish and Egyptian families, many foreigners were also in the habit of purchasing slaves. From about the beginning of the nineteenth century the number of Europeans and Levantines residing in Egypt was progressively increasing. According to Pezzoni, the Russian Consul in Egypt, the difficulty of procuring domestics habituated to the climate and cognizant of the languages and customs of the country, had forced the France to purchase “negroes” from both sexes(38).]

From the outset however the Egyptian government facilitated the purchase of the blacks by Europeans. Accordingly, many British subjects dwelling in the main towns of Egypt imitated other foreigners in purchasing slaves

(34) F.O. 84/486, mraft, Aberdeen to Barnett, F.O., 23 Dec., 1843.

(35) Archer, T : *The War in Egypt and the Soudan* (London 2887), vol. 1, p. 123.

(36) F.O. 84/426, Barnett to Aberdeen, Alex., 12 July, 1842.

(37) F.O. 84/486, Barnett to Aberdeen, Alex., 1 August, 1843.

(38) Pezzoni z Nesselrode, 24 Mai, 1828. Cattani, R : *Op. cit* , t. 1, pp 230 - 231.

As it happened, after his return to Egypt from the Sudan, the Viceroy received a letter, by which the Governor General of the Sudan enquired whether he might be permitted to go into the desert of the Sudan "to seize black savages" who, he said were "in their present state neither fit to serve God nor men", and "from amongst those non seize, pick out for the troops such as are fit to be made soldiers of, and sell away the others". Yet although the Governor General of the Sudan was immediately notified that slave hunts were strongly prohibited, and it was the express command of the Viceroy that it should not hence forward be continued(30), "the ghazzua, or slave hunting, by the troops of the Pasha" recommenced for the capture of negroes(31) after about four years of the Viceroy's departure from the Sudan. As a matter of fact, since deceases were so great among the Egyptian troops especially in Sennar, the Governors General of the Sudan were compeesl to set out every year from Khartoum on expeditions to hunt "negroes" as recruits for their armies(32).

Hearing that those barbarous practices still going on, Earl Aberdeen the British Foreign Secretary (1841-6) ordered his representative at Cairo to seek an interview with the Pasha in order to call his attention to the promise which he made in December 1837 to Campbell, that the practice of slave hunting should cease on the part of the troops, and that even if the abolition of all slave trade required sacrifices on his part, he would be ready to make them. Earl Aberdeen however continued in his instructions to command the British Consul General to :

"Call upon his Highness to give effect and force to his repeated promises on this head by some Public Act, in order that the officers of His Highness may be assured that it is His Highness' intention that, in accordance with his word, such cruelties shall cease"(33).

About five months later, a new expostulation on the part of the British government was made, against "the mutilation, the wholesale destruction of peaceful villages, the carrying into slavery entire tribes of unoffending beings,

(30) F.O. 84/426, Barnett to Aberdeen, Alex., 12 March, 1842 ; enclos., Translation of a letter from the Divan of the Pasha to the Governor General of the Sudan.

(31) F.O. 84/486, Barnett to Aberdeen, Alex., 19 April, 1843.

(32) F.O. 84/540, Barnett to Aberdeen, Alex., 19 March, 1844.

(33) F.O. 84/486, Draft, Aberdeen to Barnett, F.O., 6 July, 1843.

Howsoever the British Consul General in Egypt had felt quiet assured that these positive steps taken by the Viceroy for the suppression of the slave trade, would be seen with much gratification and with and with great interest by the British government and the people of England (27). In point of fact, the Pasha's actions received favourable publicity not only in the official British circles, but also among the anti-slavery writers and humanitarians (28).

It was in consequence of those actions that the "Anti-Slavery Society" of London sent Richard Madden to Egypt in 1840, in order to express the great satisfaction felt by the Society, at the part carried by the Pasha during his visit to the Sudan, when he prohibited the practice pursued by his army of making slave hunts. Furthermore, the British envoy was entrusted to express an anxious desire, that slave trade should be totally prohibited in every part of the Egyptian dominions.

On 14th August 1840, Madden accompanied with Hodges, the British Consul General in Egypt, met the Viceroy and discussed with him on the subject of slavery in general. In the course of the lengthy conversation that took place, Mohamed Ali indicated that he would be very glad to abolish slavery altogether, but he continued to say :

"We must give the people education first, slavery here is a very different thing to what it is in your countries... You found it a difficult thing to abolish slavery in your colonies ... and here the difficulty would be much greater, for the people are accustomed to the services of the slaves, and if there were no more to be found in the market, they would complain as they did before, when I prevented my troops making the slave hunts in Sennar ... The difficulty is to civilize them in their country, and accustom them to modes of life like ours. I tried to make soldiers of them some years ago, but they died here, and wherever they were sent. In their own country they live on almost nothing. There is no peace amongst them — here is one tribe living on this mountain — here's a second marauding on another — here's a third at war with both, all at war, hunting one another, and making slaves" (29).

(27) F.O. 78/373, Campbell to Palmerston, Alex., 8 May, 1839.

(28) Buxton, T.F. : *Op. Cit.*, pp 433 - 4.

(29) Madden, R.R. : *Egypt and Mohamed Ali* (London 1841), pp 110 - 114.

furthermore declared that he would not permit his officers in the interior to seize slaves ; but as some of those officers had their harmes and families in Cairo and in Alexandria, it would be too serous an undertaking for him to prevent his officers from doing what was done by all other classes, and which must continue more or less, so long as Turks had harems. The Pasha also asserted that he was desirous to do all in his power to ameliorates lavery, and leave the rest to time [22].

This desire however was immediately assured by Mohamed Ali during his visti to the Sudan. Moved by the inflexibel sentiments of the French Saint-Simonians who kept company with him, the Viceroy took the opportunity to declare at Khartoum on 4 th December 1838 the abolition of slavery, or more correctly speaking, the slave hunting [23]. During his travel through Nubia in his way to Khartoum, the Pasha had been profoundly actuated by the plaint narratives of the natives endurances in the first years of the conquest, specifically at the hands of the Daftardar [24].

Therefore, circulars were dispatched to the far outposts, and formal instructions were issued to the army chiefs, to the effect that full and entire guarantee should be given to the natives, as well as the terrible slave hunts should be stopped in the future. The Viceroy ordered likewise that the tax called "el miri" الميري which was merely paid in slaves, and hereafter to be paid in grain or production [25]. Besides, he released in January 1839 five hundred captives who had been siezed by a superior officer, after a punitive expedition against a tribe of mountaineers who had committed depredations on their feeble neighbours. Yet although these prisoners were by "law of war" mere slaves, the Viceroy sent them to their homes, after having dispensed to every one ten day's supplies and presented dresses to five of their chiefs. By this occasion, orders were again issued that the "ghazzuas" should desist from making slaves, because the "ghazzuas" were only driven at the castigation of the "negro" rebels to obtain their submission [26].

(22) F.O.84/268, Campbell to Palmerston, Alex., 5 May ,1838.

(23) Buxton, T.F. : The African Slave Trade and Its Remedy, pp 429—39.

(24) Sammarco, A : II Viaggio di Mohammed Ali al Sudan, pp XXVIII - XXIX.

(25) F.O. 78/373, Campbell to Palmerston, Cairo, 15 March, 1839.

(26) F.O. 78/373, Campbell to Palmerstion, Cario, 20 Feb., 1839 ; enclos., Traduction d'une lettre de Tossizza z Sturnari, Fazoglnu, 2 Fev., 1839 ; F.O. 195/151, Campbell to Palmerston, Cairo, 11 March, 1839 ; II Console Generale in Alexandria a S.E. II Ministro Segretario di Stato degli Affari Esteri, Aless., 25 Marzo, 1839, Doc. N. 35, [Sammarco, A] : Op. Cit, p. 45.

labour in cultivating its plantations in one hand, and to try to create in the other social problems in the Powers which habituated to employ slaves in household duties. Thus, between 1830 and 1841 Palmerston's fulminations had not only been against the Atlantic trade, but the too had denounced the slave traffic in East Africa as well as in Egypt and the Sudan. Since the end of the thirties, the British consuls and representatives in Egypt had called the attention of the Viceroy to the exigency of abolishing slavery and the slave trade.

Before his visit to the Sudan, Mohamed Ali was aware by Patrick Campbell, the British Consul General in Egypt, and John Bowring, a former member of parliament and celebrated for his report on "Egypt and Candia", of the fact that the Egyptian soldiery in the Sudan were paid their wages in slaves instead of money [19]. Consequently, the Viceroy addressed in December 1837 a letter to Ali Khurshid the governor general of the Sudan, by which the latter was ordered that for the future care should be taken that no slaves, either male or female, should be given by way of payment of the troops. Moreover, Ali Khurshid was commanded that from henceforward that practice, namely slave hunts, should not be continued [20].

But since the British Foreign Office had observed that the Pasha's orders apparently still permitted the Egyptian officers to buy or seize slaves and to send them to Cairo for sale, instructions were dispatched to Campbell to

"take the same occasion to submit to His Highness, that it would tend to raise the character of his army in the estimation of other countries, and to render the presence of his troops less oppressive to the population of the districts in which they may happen to be stationed, if there was absolutely to forbid any officer in his service from dealing in any way whatever in the trade of slaves"[21].

Accordingly, the British Consul General made an interview on that Subject with the Viceroy, who expressed his anxious desire to conform to the wishes of the British government, and to do all in his power to obtain the good opinion of the people of England. Yet the Viceroy pointed out that the abolition of slavery could not take place in any Islamic country, unless by very slow degrees, which could only be brought about by time, and the union of circumstances. He

(19) F.O. 78/381. Ibid, pp 338-9.

(20) G.O.84/426, Barnett to Aberdeen. Alex., 12 March, 1842 ; enclos. a Translation of a letter from Mohamed Ali to the governor general of the Sudan.

(21) F.O. 84/268, draft, F.O. to Campbell, F.O., 17 Jan., 1838.

who selected the able-bodied men for the army. The rest however were arranged for the purpose of distributing them to the troops in lieu of pay. According to Bowring, the slaves were classified by their size and sex. In one segment were laid the elderly and feeble women, the pregnant females ; and young girls in a second ; boys from roughly eight to twelve years old in a third, children about the age of from four to eight years ; and in a fourth infants from one and half to four years old. On the apportionment of these slaves, one or two were taken from each category, and officer with the rank of captain received four adults and three children, whilst one adult slave was given between two private soldiers [16]. Many of these soldiers were in the habit of selling their flesh wages to the Danagla dealers.

Such scandalous actions could not exist without the outside world hearing of them. By this time, a long struggle had taken place in West Europe for the abolition of the slave trade. This commerce, however, had become so indispensable a part of the British system of trade by the 18th century, and so essential to the economy of the Caribbean and the Americas, where the plantations and tobacco fields needed human animals. It is a well known fact that Denmark was the first European Power to prohibit the slave trade to her subjects since the end of the 18th century [17]. Towards the early part of the nineteenth century, the United States of America forbade the introduction of any more slaves into her lands.

Yet although the British government abolished the slave trade so far as British subjects were affected only in 1807 [18], the anti-slavery enthusiasms of the British had been concentrated from the middle of the eighteenth century on the Atlantic slave trade. After the abolition of slavery in the British Empire in 1833, Palmerston's adventure had been transferred to the slave traffic still dealt in by foreign nations, a task which rendered an avoidable diplomatic and naval work.

Needless to say that the British in their fight against slavery and the slave trade were not entirely devoted to the humanitarian factor, but used this pretention to combat economically against the Powers which depended upon slave

(16) F.O. 78/381, *Ibid*, pp 284. 5.

(17) Johnston, H : *History of the Colonization of Africa by Alien Races*, p. 157.

(18) Coupland, R : *East Africa and Its Invaders* (Oxford 1938), p. 186 ; Coupland, R : *The British Anti-Slavery Movement* (London 1933), p. 109.

with the merchants of the Upper Egypt for slaves directly after their access, and satisfied themselves with a frivolous gain for the re-sale [11].

It was among the chief purposes of the Sudan's conquest by Egypting 1820, the desire of Mohamed Ali to augment the number of his army by procuring recruits amidst the Negroes of inner Africa [12]. Besides, when the Viceroy sent his son Ibrahim to the Sudan, the latter, as the Swede Consul Bockty—who was then watching over the Russian interests in Egypt—pointed out:

“n'ayant d'autre-object que celui de faire descendre quelques populations de Negres pour la cultivation de plusieurs provinces de L'Egypte qui manquent de main-d'œuvre”[13].

As a matter of fact, the procurement of the “negro” natives for employing them in the labours of the fields and as workmen in the factories, occupied most eminent place in the Pasha's instructions to the commanders of the Egyptian expedition [14]. Consequently, during the conquest, the Egyptian commandants were able to capture lots of slaves and dispatched them to Egypt. This process continued after the settlement of the Egyptian rule in the Sudan. And for a while the replenishment of the Egyptian army carried by the “ghazzua غزوة or annual war which was waged against the negroes.

For this purpose, the governors general of the Sudan sent forth every year two or three expeditions in different directions in the months of September and October [15]. In these slave hunts or razzias, horrible atrocities were often committed. The ghazzua leaders displayed no mercy in the seizure of blacks : they discriminated neither young from old, nor male from female. The captives from Kordofan were compelled to march down to Khartoum, fourteen days journey, entirely unclothed, without sufficient provisions, and obliged to cross a hot desert with a petty supply of water.

Arrived ultimately at Khartoum, the slaves were investigated by a physician,

(12) Driault, E : La Formation de l'Empire de Mohamed Ali. De l'Arabie au Soudan (Le Caire 1927), p. 225.

(13) Cattani, R : Le Regne de Mohamed Aly d'apres les archives Russes en Egypte (Le Caire 1931), t. 1, p. 34.

(14) Shukry, M.L : The Egyptian Rule in the Sudan 1820-1885 (in Arabic), Cairo 1947, pp. 159-160.

(15) F.D. 78/381, The Ms. Draft of Report on Egypt and Candia by Dr. John Bowring, March 1839, p. 282.

were at variance in its numbers according to time and circumstances ; the smaller caravans, consisted of from five to six thousand ; the larger, which however did not occasionally arrive, of about twelve thousand(8).

The great facilities indeed which the Nile offers for communication, enticed the Jellabs وكالة الجلابة or slave dealers to descend the river in vessels than to traverse the desert with camels. It is worthy of note that Assiout in the Upper Egypt had a fame as "the great central slave market of Egypt"(9). Here, the caravans of Darfur and Sennar disposed of entire portions of slaves. At a village called "Zawyet El Deyr" زاوية الدير near Assiout, which was principally inhabited by Christians, some of those male slaves were castrated. During Burckhardt's stay at that part of the Upper Egypt, the operators were two Coptic monks who had a house in which the victims were received. Those eunuchs or rather "guardians of female virtue" were sent to Europe and the greater part of Asiatic Turkey, by means of Turkish merchants who were domiciliating permanently at Cairo, and had commerce in nothing but slaves. The Turkish traffickers exported those eunuchs from Alexandria ; and it usually befell that they passed through many hands between Alexandria and their final destination(10).

The Darfur and Sennar caravans, however, in order to vend their merchandize, stayed at Assiout from one to five months, during that time great numbers of slaves were taken off by dealers, who sold them in retail at Cairo. While coming down the river, the slave raders often stopped for a few days in the small towns of the Upper Egypt to put up to sale those living beings. Finally reached Cario, the slaves were instantly paraded at the slave-market called "Wikalet el Jellaba" وكالة الجلابة - that is the market of the slave dealers. Commonly, it was huddled with pedlars and trivial retailers, who made bargains

(8) Buxton, T.F. : The African Slave Trade and Its Remedy (London 1840), p. 65.

(9) F.O.78/381, The Ms. Draft of a Report on Egypt and Candia by John Boweing, March 1839, pp 289—90.

(10) Burckhardt, J.L. : Op. Cit, pp 292, 294—5.

(11) George Melly had visited that slave market in 1850, and described it as a very small Square near the mosque of Al Azhar, the four sides of which formed a kind of barrack, or lodging-house, for the accommodation of the female slaves. The British traveller noticed that the slaves were well-fed and contented ; but the one point which he remarked with pleasure, was "the good understanding that seemed to subsist between the slaves and their masters. and the care with which the poor creatures were treated". See, Melly, G : Khartoum and the Blue and White Niles (London 1851), vol 1, pp 63—5.

those of Egypt ; the remainder went to Dongola and the nomades inhabiting to the east of Shendy, towards the Atbara and the Red Sea(3).

In point of fact, the pure-blooded Negroes of the Southern Sudan were constantly attacked by the half-caste or mixed Negro tribes of the Northern Sudan, and were carried captive into slavery(4). Some of the captured slaves were exported ; the rest were employed inside the Sudan in household duties as well as in the labours of the field. Burckhardt, however, had reason to believe that the number of slaves exported from the Sudan to Egypt and Arabia:

“...bears only a small proportion to those kept by the Mussulmans of the southern countries themselves, or in other words to the whole number yearly derived by purchase, or by force, from the natives in the interior of Africa”.

As the Swiss traveller remarked there was scarcely in the province of Sennar and especially at Shendy, a house which did not possess one or two slaves, and five or six were frequently decreed in the same family, tilling the glebes or shepherding Cattle ; but the notables and chiefs kept them by dozens(5). It is to be noted that domestic slavery was not confined only in the province of Sennar, or generally speaking in the Sudan, but it was widespread throughout Africa as a kind of feudal system(6).

Yet, Barfur was no less flagrant than Sennar as territory for slavery and slave trade. Towards the end of the 18th Century, Girard of “la Commission des Sciences et Arts de l’institut d’Egypte” appreciated that the annual Caravan from Darfur to Egypt conveyed from five to six thousand slaves, the majority of whom were girls predetermined for the harems and household duties. Nevertheless, the caravans from Darfur were subject to interruptions. According to Cailliaud, no caravan arrived between 1810 and 1817. In this later year, a large caravan made her way to Egypt. It was composed of sixteen thousand heads, and brought certain amount of ivory, sea shells, tamarind, together with six thousand slaves including men, women, children, and young girls(7). As it was observed the Darfur caravans arrived at Egypt,

(3) Burckhardt, J. L. : *Travels in Nubia* (London 1822), p. 290

(4) Bésant, A. : *The Story of the Soudan* (London 1884), p. 67.

(5) Burckhardt, J. L. : *OP. Cit.*, p. 307.

(6) Pruen, S. T. : *The Arab and the African*, p. 209.

(7) Cailliaud, F. : *Voyage à l'oasis de Thebes (pari 1821)*, p. 58.

EGYPT AND THE SLAVE TRADE DURING THE FIRST HALF OF THE NINETEENTH CENTURY

By

EL-SAYED RAGAB HARRAZ, Ph.D.

Slavery and the slave trade remained long time a source of misery and wretchedness to a great number of the natives of the Sudan, and it was one of the problems which confronted the Egyptian Government since the annexation of the Sudan to Egypt in 1820. Many Centuries before, the basis of the Sudan's economy was the slave traffic, which planted deeply in the social and political structure of the country.

From the Sudan, however, slaves were imported to Egypt as servants in the earliest dynastic times ; and in the process of time they were brought into North Africa, Arabia, Turkey, and Persia, as household slaves and eunuchs for the harems(1). Many towns such as Berber, Shendy, Swakin, and Sennar, had prospered as the main slave markets in Northern and Eastern Africa. Shortly before the annexation of the Sudan to Egypt, Johann Ludwig Burckhardt(2) calculated the number of slaves sold yearly in the market of Shendy at about five thousand, of whom nearly two thousand five hundred were carried off by the Swakin traders, and one thousand five hundred by

(1) Johnston, H : History of the Colonization of Africa by Alien Races (Cambridge 1899), P. 152.

(2) A young Swiss explorer, came to England in 1806 with a letter of introduction to the African Association (afterwards absorbed by the Royal Geographical Society). This Association accepted his proposals for African exploration. After his three years "residence in England he left for Malta, and reached Aleppo in October 1809. Here he thoroughly mastered Arabic. In 1812 he visited Cairo ; prevented from journeying across the desert to Fezzan he traversed the Sudan in 1812-14 on his way to Makka ; first he ascended the Nile valley by land through Aswan and Wadi Halfa to Dar Manas, then, he returned to Aswan in 1813, and at the end of 1813 he joined a caravan of slave traders and crossed the Nubian desert from Darraw to Berber and Shendy where he arrived early in 1814 . see Hill, R.L: Biographical Dictionary of the Anglo - Egyptian Sudan, pp 90-91 .

CONTENTS **OF THE EUROAEAN SECTION**

	Page
Egypt and the Slave Trade During the First Half of the Nineteenth Century by Dr. EL-SAYED RAGAB HARRAZ:	1
The Significance of the Dramatic Scene in the Method of Henry James by Dr. SAFIA RABIH.	19
Homer's «Silentium» of Dionysus by Dr. ABDEL MOATI A. SHAARAWI	31
CAIRO UNIV. PRESS	

The Bulletin of the Faculty of Arts is issued twice a year; in May and December. All requests for copies should be made to the Cairo University Library Giza. Communications regarding contributions should be addressed to the

Prof. Dr. Mohamamad Algaubori
Vice Dean of Faculty of Arts, Giza, U.A.R.

Back numbers of this Bulletin are available
at 30 P. T. for each Part

BULLETIN
OF
THE FACULTY OF ARTS



VOL. XXXII and XXXIII
PART I, II

May, December, 1970

May, December, 1971

CAIRO UNIV. PRESS

1979

BULLETIN
OF
THE FACULTY OF ARTS



VOL. XXXII and XXXIII
PART I, II

May, December, 1970

May, December, 1971

CAIRO UNIV. PRESS

1979



Bibliotheca Alexandrina



0531332